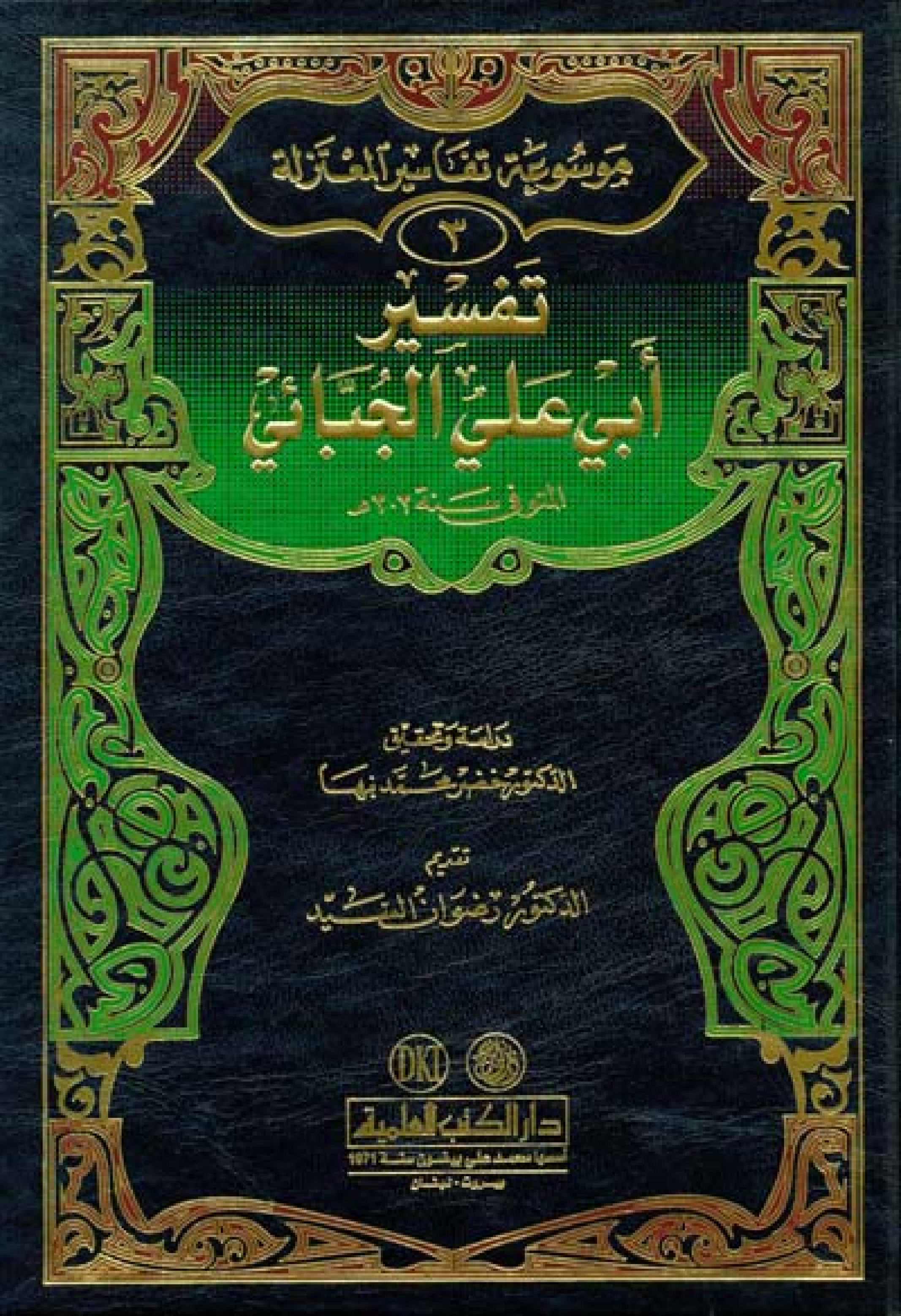

موسوعة تفاسير المعتزلة
٣
تفسير
أبي علي الجبائي
المتوفى سنة ٣٠٣هـ
دراسة وتحقيق
الدكتور خضر محمد نبها
تقديم
الدكتور رضوان السيد
DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

موسوعة تفاسير المعتزلة (٣)



جمع وإعداد وتحقيق
الدكتور خضر محمد نبها

تقديم
الدكتور رضوان السيد



Title: The exegesis of the Holy Qur'an

Author: Abu ʿAli al-Jubbāʾi

Editor: Dr. Ḥuḍr Muḥammad Nabhā

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 560

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: تفسير أبي علي الجبّائي

المؤلف: أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي

المحقق: الدكتور خضر محمد نبها

الناشر: دار الكتب العلميـــة ـ بيروت

عدد الصفحات: 560

سنة الطباعة: 2007 م

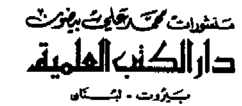
بلد الطباعة: لبنـــان

الطبعـة: الأولى





الطبعـة الأولى
٢٠٠٧ م ـ ١٤٢٨ هـ



Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ – ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فـرع عرمـون، القبـــة، مبـــنى دار الكتب العلميـــة
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢ / ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ — ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ — رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

أبو علي الجبّائي وتفسيره

دراسة تحليلية

١ - من هو الجبّائي (٢٣٥ - ت ٣٠٣هـ):

هو أبو علي، محمد بن عبد الوهاب الجُبّائي، ينتهي نسبه إلى إيان مولى عثمان بن عفان، لَقب الجبائي نسبة إلى جبا من أعمال خوزستان. رحل إلى البصرة وفيها صحب أبا يعقوب الشحّام الذي انتهت إليه رئاسة المعتزلة، وقد ترأس المدرسة بعد وفاة الشحّام عام ٢٦٧ هـ[١].

شهد أحداثاً قاسية، ففي المجال السياسي، عاصر عشرة من الخلفاء العباسيين، وهذا مظهر لتدهور الخلافة حين أصبحت مقادير الخلفاء يتحكم فيها الجند فيقتلون ويولون من يشاؤون. وقد عاصر كذلك سيطرة صاحب الزنج واستيلائه على البصرة عام (٢٥٥ هـ).

أما في المجال الفكري، فقد كانت سنة ٢٣٤ هـ، أي قبل مولد الجبّائي بعام واحد، إعلان الخليفة المتوكل نصرة أهل السنّة ضد المعتزلة، فكان إعلانه بداية انطلاق تيار رهيب من العداء العنيف للمعتزلة، حتى اضطر القوم إلى التستر والانحسار. ولكن أبا علي قد صمد لخصومة الدولة وعداء الحنابلة، مدافعاً عن الفكر المعتزلي إلى حد يمكن اعتباره أعظم رجالهم بعد النظام (ت ٢٢٦هـ)، والواقع أن الاعتزال بعد الخليفة المتوكل، قد وجد فترات من المهادنة وربما المصالحة في عهود بعض الخلفاء أمثال المهتدي إلى أن قامت دولة بني بويه[٢].

كان على أبي علي أن يجابه ذلك كله: أن يواجه الحنابلة ورجال الحديث، إلى جانب خصمه الجديد- تلميذه وربيبه أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٠هـ)[٣] فضلاً عن الخصوم التقليديين من أصحاب الديانات الأخرى من الزنادقة من رواسب حملة ابن الراوندي على المعتزلة وقد انعكس ذلك كله على مؤلفاته.

ويصف لنا ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ) تقوى الجبّائي وكيفية

---

(١) أحمد صبحي: في علم الكلام، ج١، ص٢٨٩.

(٢) م، ن، ج١، ص٢٩٠.

(٣) كان أبو علي زوج أم أبي الحسن الأشعري مؤلف كتاب "مقالات الإسلاميين".

قضاء يومه، يقول ابن أبي الحديد ما نصه: "وكان شيخنا **أبو عليٍّ** رحمه الله يَقسم زمانه على ما أصف لك: كان يُصلّي الصبحَ والكواكبُ طالعة، ويجلس في محرابه للذّكر والتّسبيح إلى بعد طُلوع الشمس بقليل، ثمّ يتكلّم مع التلامذة وطلبة العلم إلى ارتفاع النّهار، ثم يقوم فيصلي الضّحى، ثم يجلس فيتمّم البحث مع التلامذة إلى أن يؤذّن للظُّهر، فيصليها بنوافلها، ثمّ يدخل إلى أهله فيُصلح شأنه، ويقضي حوائجه، ثمّ يخرج للعصر فيُصليها بنوافلها، ويجلس مع التلامذة إلى المغرب فيصلّيها، ويصلّي العشاء، ثمّ يشتغل بالقرآن إلى ثُلث الليل، ثم يَنامُ الثلث الأوسط، ثمّ يقعُد فيصلّي الثُلثَ الأخير كله إلى الصّبح"(١).

ويذكر ابن المرتضى في "طبقات المعتزلة" أن أصحاب **الجُبائي** قد حرّروا ما أملاه **أبو علي الجُبائي** فوجدوه مائة ألف وخمسين ألف ورقة(٢). ومن هنا، ذكر **للجُبائي** الكثير من المؤلفات، فعدَّ له ابن النديم كتاباً في التفسير(٣) وآخر في متشابه القرآن(٤)، وفي معاني القرآن اسمه كتاب المخلوق(٥).

والغريب، أن د. بدوي في كتابه "مذاهب الإسلاميين" عندما يتعرض **للجُبّائي** يقول: بأن النديم لم يذكر له كتاباً واحداً(٦).

وأما ابن المرتضى المعتزلي، فعد له كتاباً في التفسير، وكتاب اللطيف، وآخر في الردّ على أهل النجوم، ولعله يترجح معرفة **الجبّائي** في النجوم لأن ابن طاووس يذكر في كتابه "فرج المهموم في تأريخ علم النجوم" أن **الجبّائي** كان عالماً بعلم النجوم(٧).

ويذكر الأشعري بأنه نقض **للجبّائي** كتابه المعروف بـ"الأصول"(٨).

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة مج ١٠/ ١٩٨.

(٢) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة، ص٨٢.

(٣) ابن النديم: الفهرست، ص٣٧، الفن الثالث من المقالة الأولى.

(٤) م. ن، ص٣٩.

(٥) م. ن، ص٤١.

(٦) بدوي: مذاهب الإسلاميين، ص٢٨٣.

(٧) ابن طاووس: فرج المهموم..، ص٢٠٤.

(٨) ابن عساكر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، دار الفكر =

وأما القاضي عبد الجبار المعتزلي، فيشير إلى أن للجُبّائي كتاب الإنسان[١]، "وكتاب التولد" [٢]، وكتاب "نقض الدامغ" [٣] وهو رد على كتاب ابن الراوندي الموسوم باسم "الدامغ" [٤]، كتاب الإمامة[٥]، وكتاب الأمر بالمعروف[٦].

٢ - تفسير الجُبّائي، وسبب البحث:

لم يتعرض أحد من الباحثين، حسب علمي، للحديث عن التفسير عند **الجُبّائي**، بل اكتفوا بالقول: بأن **للجُبّائي** تفسيراً في القرآن[٧]. ومن الطبيعي ذلك، لأن كتب **الجُبّائي** في التفسير مفقودة حتى الآن، وهذا حال الكثير من تراثنا الفكري. وبحثي هذا سببه، هو أنني عثرت في كتاب "سعد السعود للنفوس" لابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)[٨] مقتطفات من تفسير **الجُبّائي**، لأن ابن طاووس، كانت لديه مكتبة ضخمة، حاول أن يضع فهرساً لها، وخوفاً من سرقتها، كان يقتبس بعض المقتطفات من الكتب المتوفرة في مكتبته ويثبتها في الفهرست.

ومن حسن الحظ، هذا التخوّف كان سبباً لأن نعرف بعض الشيء عن تفسير **الجُبّائي**.

وعندما ينقل ابن طاووس عن الكتب المتوفرة في خزانته، نجده يحدد لنا

= المعاصر، لبنان، ودار الفكر، دمشق، ط٢، سنة ١٣٩٩ هـ، ص٣٠.

(١) القاضي عبد الجبار: المغني..، ج١١، ص٤٧٨.

(٢) م. ن، ج٤،ص٥١.

(٣) م. ن، ج١٦، ص ٣٨٩.

(٤) م. ن، ص٣٩. وللمزيد عن الجبّائي راجع: الأعلام للزركلي، ج٦، ص٢٥٦. وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٦٧. البداية والنهاية، ج١١، ص١٢٥. اللباب، ج١.

(٥) القاضي عبد الجبار: المغني.. ج٢/ ٢٣٩ و٢٥٣ و٣٢٧. القسم الأول.

(٦) م. ن. ج٢٠/ ٢٣٩ القسم الأول.

(٧) راجع: ابن النديم: الفهرست: ص ٣٧ الفن الثالث من المقالة الأولى.
ابن المرتضى: طبقات المعتزلة، ص ٥٧، ويعلق ابن المرتضى بأن الجُبّائي في تفسيره لم يذكر فيه أحداً غير أبي بكر، عبد الرحمن بن كيسان الأصم. أحمد صبحي: في علم الكلام، ج١، ص٢٨٩ وما بعدها. بدوي: مذاهب الإسلاميين، ص٢٨٣.

(٨) راجع ترجمته في الجزء الأول من هذه الموسوعة.

عدد أجزاء الكتاب، ويبين الجزء والصفحة والوجهة المنقول عنها. ومن هنا، صرّح لنا في كتابه "سعد السعود للنفوس" بأن تفسير **الجبّائي** عشرة مجلدات، وفي كل مجلد جزءان[١].

وقد أشار مؤلفو الفرق والمذاهب إلى أن **للجُبّائي** تفسيراً ضخماً للقرآن، وقد ردّ عليه الأشعري، حتى أن القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥هـ) قد اقتبس منه بعض الردود والآراء[٢].

٣ - صحة ما نسبه ابن طاووس إلى الجبّائي من تفسير:

أظن أن ما نسبه ابن طاووس من تفسير **للجُبّائي** هو صحيح، لأن ابن طاووس لا غاية له من هذه النقولات إلاّ الحفاظ على خزانته (مكتبته) من السرقة، فضلاً عن فهرستها، ووقفها على أولاده، والاستفادة منها مجملاً، لا سيما أن ابن طاووس وضع كتابه هذا كتتمة لكتابه المفقود "الإبانة في معرفة أسماء كتب الخزانة"، وكتاب "الإبانة" عبارة عن فهرس الكتب التي تحتويها مكتبة السيد طاووس، والذي ألفه قبل اليوم السادس من شهر ذي القعدة سنة ٦٥١هـ، وهو تأريخ البدء بتأليف كتابه سعد السعود[٣]، الذي نُشر حديثاً من قبل مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية- قسم إحياء التراث الإسلامي في قم، سنة ١٤٢٢ ق، معتمدين في نشره على أربعة نسخ مخطوطة للكتاب[٤].

والسبب الآخر، الذي يُطمئن لنقل ابن طاووس، هو موافقة ما اقتبسه ابن طاووس كمثال، من كتابي "حقائق التفسير" و"الزيادات" للسُّلمي، مع النصوص المنشورة اليوم لهذين الكتابين، لأنني قارنت مقتطفات ابن طاووس مع الكتابين

---

(١) ابن طاووس: سعد السعود للنفوس، تحقيق مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، قسم إحياء التراث الإسلامي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، سنة ١٤٢٢ق، ص٢٥٢.

(٢) وكان يقول ما لفظه: "وهذا الذي ذكره شيخنا أبو علي (رحمه الله) في التفسير"، راجع القاضي عبد الجبار: المغني..، ج٦، ص٣١٥. أو كقوله "أعلم.. أن شيخنا أبا علي قد أشبع القول في ذلك في مقدمة التفسير". م. ن، ج١٢، ص٣٩٧.

(٣) ابن طاووس: سعد السعود للنفوس، مقدمة لجنة التحقيق، ص٢٥.

(٤) م. ن، ص٢٨ وص٣١ حتى ٣٦.

المطبوعين، فوجدتهما متطابقين بالحرف[١].

وهناك أمر آخر، يجعلنا نطمئن لنقل ابن طاووس، هو موافقته لما ذكره القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥هـ) عن الجُبّائي من قول: إن الرافضة تقول بزيادة القرآن ونقصانه[٢]. وأيضاً توافقت بعض منقولات ابن طاووس مع ما أورده فخر الدين الرازي (ت ٦٠٥هـ) في تفسيره الكبير، وذلك في سورتي الأنعام والإسراء وغيرها[٣]. مع العلم أن الرازي نفسه قد أشار إلى نقله عن تفسير الجُبّائي وغيره من تفاسير المعتزلة[٤].

فلعل هذا التوافق يشجع على قبول منقولات ابن طاووس.

---

(١) قارن: ابن طاووس: سعد السعود، ص٣٤٧ وص٣٤٨. مع حقائق التفسير للسلمي: تحقيق سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، سنة ٢٠٠١م، ج١/ ٥٧.والزيادات، حققه وقدم له جيرهارد بوورينغ، دار المشرق، لبنان، ط٢، سنة ١٩٩٧م، ص٧. مع الإشارة إلى أن الأب نويا اليسوعي كان قد نشر مقتطفات من كتاب حقائق التفسير للسلمي سنة ١٩٦٧ تحت اسم:

Le Tafssir Mystique Attribue´ A GAFAR SADIQ. imprimerie catholique, Beyrouth **1968**.

وأيضاً د. علي زيعور، سنة ١٩٧٩ بعنوان: التفسير الصوفي للقرآن عند الصادق، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٩٧٩ م، والجدير ذكره إنـي كتبت منذ مدة بحثاً حول هذا الموضوع، وبيّنت فيه أن التفسير الصوفي عند الصادق إنما هو خرافة، وأن الأب نويا ود. زيعور، قد ألتبس عليهما النقل ما بين جعفر الصادق وجعفر الخلدي الصوفي. راجع مجلة الحياة الطيّبة، بيروت، العدد ١٩ / سنة ٢٠٠٦.

(٢) قارن: ابن طاووس: سعد السعود، ص٢٥٥ و٢٥٦. والقاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج١٦، ص١٦٢.

(٣) فخر الدين الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢، سنة ٢٠٠٤، ج١٢/ ١٥١، سورة الأنعام، الآيتان ٢٣ و٢٤. وأيضاً ج٢١/ ٨ سورة الإسراء، الآية ٦٥.

(٤) م. ن، ج٣٠/ ٢١٦، ص٢٥٥. مفتاح السعادة، ج٢، ص١٤٧.مذاهب الإسلاميين لبدوي، ص٢٨٠ وما بعدها. لسان الميزان، ج٥، ص٢٧١.

٤ - مصادر تفسير الجبائي:

اعتمد الجبائي في تفسيره على عدد من تفاسير السلف والقدامى، كتفسير ابن عباس[١]، الذي اختار الجبائي الكثير من آرائه[٢]، وردّ عليه في آية واحدة[٣]. وتفسير الحسن البصري[٤]، وقتادة[٥]، والسدي[٦]، وابن مسعود[٧]، والربيع[٨]، ومجاهد[٩]، والشعبي[١٠]، وعطاء[١١]، ومحمد بن جعفر بن

---

(١) راجع ترجمته عند: عادل نويهض: معجم المفسرين ١/ ٣١٠.

(٢) راجع تفسير الجبائي، سورة البقرة الآيات ١١٥ و١٥٩ و١٩٧، ٢١٣، ٢٧١. سورة آل عمران الآية ١٣٣. سورة النساء الآية ٤ (الفقرة ب). سورة الأعراف الآيتان ١٦٤ و١٦٥. سورة الأنفال الآية ٣٣. سورة التوبة الآية ٧٣. سورة يوسف الآية ٢٦. سورة الرعد الآية ٤٣. سورة السجدة الآية ٥.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٥١.

(٤) اختار الجبائي تفسيره في سورة البقرة الآيات ٦ و٧ و١٢٥ (الفقرة ب) و١٤٥ و١٥٤ (الفقرة ب) و١٥٨ (الفقرة أ) و١٥٩ و١٩٧ و٢١٣. سورة آل عمران الآيتان ١٣٣ و١٦٩ (الفقرة ب). سورة الأنعام الآية ٧٠. سورة الأنفال الآية ١٧. سورة التوبة الآية ٦٤. سورة يوسف الآية ٢٦. سورة الرعد الآية ٧ (الفقرة ب). سورة الشعراء الآية ٨٣. سورة السجدة الآية ٥.

(٥) اختار الجبائي تفسيره في: سورة البقرة الآيات ١٢١ (الفقرتان أ ب) و١٢٥ (الفقرة ب) و١٥٩ و٢١٧ (الفقرة ب) سورة النساء الآية ٤ (الفقرة ب). سورة الأنعام الآية ٣١. سورة التوبة الآية ٩٠. سورة يوسف الآية ٢٦. سورة الرعد الآيتان ٧ (الفقرة ب) و٤٣. سورة الكهف الآية ٨٢. سورة السجدة الآية ٥.

(٦) اختار الجبائي تفسيره في: سورة البقرة الآيتان ٣١ (الفقرة د) و١٥٩. سورة الأنعام الآية ٧٠. سورة غافر الآية ١١.

(٧) اختار الجبائي تفسيره في: سورة سبأ الآية ٢٣.

(٨) في سورة البقرة الآيات ١٢٤ (الفقرة ب) و١٥٩ و١٦٧.

(٩) اختار الجبائي تفسيره في سورة البقرة الآيتان ١٥٤ (الفقرة ب) و١٩٧. سورة الأنعام الآيتان ٧٠ و٩١. سورة التوبة الآية ٦٤. سورة هود الآية ١٤. سورة الرعد الآية ٤٣.

(١٠) اختار الجبائي تفسيره في: سورة البقرة الآيتان ١٩٧ و٢٨٢ (الفقرتان أ و ب).

(١١) اختار الجبائي تفسيره في: سورة البقرة الآية ١٢٥ (الفقرتان ث و ج).

الـزبير[١]، وأبـو وجـرة[٢]، ومحمـد بـن كعـب القـرطي[٣]، وسعيد بن جبير[٤]، وزيد بن أسلم، وابن سيرين[٥].

وتأثر الجبائي في تفاسير المعتزلة التي سبقته، كتفسير عمرو بن عبيد[٦]، الذي خالفه الجبائي أحياناً[٧]، وتفسير واصل بن عطاء[٨].

وحكي الجبائي في تفسيره عن بعض الفقهاء دون أن يسميهم[٩]، غير أنه صرّح بموافقته للإمام الشافعي[١٠].

٥ - الجبّائي وعلوم القرآن:

أقصد بهذا العنوان هو الحديث عن القراءة وأسباب النزول والنظم والنسخ.

أ ـ القراءة:

ذهب المعتزلة إلى اشتراط التواتر في القراءة، فإذا ثبت في الآية الواحدة عدة قراءات، جميعها مستفيضة قبلوها جميعاً، في حين رفضوا جميع القراءات الشاذة وروايات الآحاد. قال القاضي عبد الجبار: «على أن القراءات المختلفة معلومة عندنا باضطرار، ولذلك من يرويها من جهة الآحاد»[١١].

وذهب الزيدية إلى اعتماد قراءة أهل المدينة، وهي قراءة نافع[١٢].

ويوضح الشيخ الطوسي (٤٦٠ هـ)، موقف الشيعة الإمامية من القراءة،

---

(١) اختار الجبائي تفسيره في: سورة آل عمران الآيتان ٢ و٧.
(٢) اختار الجبائي تفسيره في: سورة الأعراف الآية ١٥٦.
(٣) اختار الجبائي تفسيره في: سورة يوسف الآية ٢٤.
(٤) اختار الجبائي تفسيره في: سورة الكهف الآية ٩.
(٥) اختار الجبائي تفسيره في: سورة الأنعام الآية ١٢١.
(٦) اختار الجبائي تفسيره في: سورة آل عمران الآية ١٦٩ (الفقرة ب).
(٧) راجع تفسير الجبائي. سورة النساء الآية ٦.
(٨) اختار الجبائي تفسيره في: سورة البقرة الآية ١٢٥ (الفقرتان ث و ج).
(٩) راجع تفسير الجبائي. سورة البقرة الآية ٢٣٦.
(١٠) م . ن، سورة النساء الآية ١٠١. سورة التوبة الآية ٦٠.
(١١) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ١٦/ ١٦٢.
(١٢) د. عدنان زرزور: الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن ص٣٥٦.

والتزم هو نفسه برأي علماء الإمامية السابقين له، قال الطوسي:

«إن العرف من مذهب أصحابنا والشائع من أخبارهم ورواياتهم أن القرآن نزل بحرف واحد، وعلى نبي واحد، غير أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القرّاء، وأن الإنسان مخيّر بأي قراءة شاء قرأ، وكرهوا تجويد القراءة بعينها، بل أجازوا القراءة بالمجاز الذي يجوز بين القرّاء ولم يبلغوا بذلك حدّ التحريم يوم الحظر»[1].

ففي الآية ٤٣ من سورة النساء، اختار **أبو علي الجبائي** القراءة التي قال بها كل من الإمام علي، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة[2]. ووافق الشيخ الطوسي **الجبائي** على هذه القراءة واعتبرها هي الصحيحة عنده[3].

وفي موضع آخر من تفسيره، **وافق الجبّائي** على قراءة ابن عباس والكسائي[4]. وأحياناً كان يجوّز **الجبائي** قراءتين كما هو الحال في الآية ٥٠ من سورة إبراهيم[5].

قرأ بعض الشافعيين قوله تعالى: ﴿ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩] على سبيل الاستفهام بمعنى الإنكار. ورفض **الجبائي** هذه القراءة، وبالغ في إنكارها، لأنها «تقتضي تحريف القرآن وتغييره وتفتح باب تأويلات الباطنية»[6].

ب ـ أسباب النزول:

لمعرفة أسباب النزول أهمية كبرى في فهم النص القرآني، وفي تحديد المراد من آيات الكتاب العزيز، قال الواحدي:

«إذا هي – يعني أسباب النزول ـ أوفى ما يجب الوقوف عليها وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف

---

(١) الطوسي: التبيان ١/ ٩.

(٢) تفسير أبي علي الجبائي، سورة النساء الآية ٤٣.

(٣) الطوسي: التبيان ٣/ ٢٠٥.

(٤) تفسير الجبائي، سورة يوسف الآية ٨١.

(٥) م . ن، سورة إبراهيم الآية ٥٠.

(٦) تفسير الجبائي، سورة يونس الآية ٧٩.

على قصتها وبيان نزولها[١].

وقد تأتي أهمية معرفة أسباب النزول للآيات القرآنية بلحاظ كون القرآن قد نزل قسم منه عقب واقعة أو سؤال، والقسم الآخر نزل ابتداء[٢].

ولذلك أشار ابن دقيق العيد إلى هذا المعنى لقوله: «إن بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن»[٣]، وهذا ما أكّده ابن تيمية حينما قال: إن معرفة سبب النزول يغني على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب[٤].

ويتحدث **الجبائي** في تفسيره عن تسع عشرة آية، فيها أسباباً للنزول، ففي قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ ... [سورة البقرة الآية ١٠٨]، يقول **الجبائي** في سبب نزولها: " إنَّ النبي ﷺ سأله قومه أن يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط، وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها التمر، وغيره من المأكولات "[٥].

وأما قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ ﴾ ... [البقرة الآية ١١٥]، فإن سبب نزولها عند **الجبّائي** «هو أن اليهود أنكروا تحويل القبلة إلى الكعبة عن بيت المقدس فنزلت الآية ردّاً عليهم»[٦]. وهو قول ابن عباس[٧].

وأما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ... [آل عمران الآية ٦٤]، فذكر **الجبائي** «أنها نزلت في الفريقين من أهل الكتاب على ظاهر الكلام»[٨]

---

(١) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري: أسباب النزول، طبعة القاهرة، ط١، لاس، ص٤.

(٢) السيوطي: الإتقان ١/ ٣٠.

(٣) م. ن.

(٤) ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ص٤٧.

(٥) تفسير الجبائي، سورة البقرة الآية ١٠٨.

(٦) تفسير الجبّائي، سورة البقرة الآية ١١٥.

(٧) م. ن.

(٨) م. ن، سورة آل عمران الآية ٦٤.

ويشير الطوسي أن في سبب نزول هذه الآية ثلاثة أقوال(١).

ومرة أخرى، يذكر الجبّائي أهل الكتاب، فيقول إنَّ الآية ٨٦ من سورة آل عمران: «نزلت في أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبي ﷺ قبل مبعثه ثم كفروا بعد البعثة حسداً وبغياً»(٢). وبذلك قال الحسن. ووافق أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني الجبّائي عليه(٣).

ويرى الجبّائي أن النبي ﷺ استأذن ربه يوم أحد في الدعاء على المشركين، فنزلت الآية ١٢٨ من سورة آل عمران(٤).

وأما الآيتان ٣ و٤ من سورة النساء، فيرى الجبائي «أنها نزلت في اليتيمة التي في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها، ويريد أن ينكحها بدون صداق مثلها، فنهوا أن ينكحوهن إلاّ أن يقسطوا لها صداق مهر مثلها وأمروا أن تنكحوا ما طاب ممنا سواهن من النساء إلى الأربع»(٥).

ويبيّن الطوسي أن في سبب نزول هاتين الآيتين ستة أقوال، والذي ذكره الجبّائي هو قول الحسن البصري برواية عائشة(٦).

وأما الآية ٦٠ من سورة النساء، فيقول الجبّائي: «بأنها نزلت في قوم منافقين احتكموا إلى الأوثان بضرب القداح»(٧). وبهذا قال الحسن البصري(٨).

وأيضاً، يذكر الجبّائي أن الآية ٧٢ من سورة النساء نزلت في المنافقين(٩).

وأما الآية ٩٣ من سورة النساء، فيقول الجبّائي: بأنها نزلت في أهل

(١) الطوسي: التبيان ٢/ ٤٨٨.
(٢) تفسير الجبّائي، سورة آل عمران الآية ٨٦.
(٣) الطبرسي: مجمع التبيان م٢/ ج٣/ ٤٧١.
(٤) تفسير الجبّائي، سورة آل عمران الآية ١٢٨.
(٥) تفسير الجبّائي، سورة النساء، الآيتان ٣ و٤.
(٦) الطوسي: التبيان ٣/ ١٠٣.
(٧) تفسير الجبّائي، سورة النساء الآية ٦٠.
(٨) الطوسي: التبيان ٣/ ٢٣٨.
(٩) تفسير الجبّائي، سورة النساء الآية ٧٢.

الصلاة[١]، والآية ١١٠ من السورة نفسها يرى **الجبّائي** بأنها نزلت في الخائنين أو المجادلين[٢]، وأما الآية ١٣٧ من السورة نفسها، فيقول **الجبّائي**: «بأنها نزلت في قوم كانوا آمنوا ثم ارتدوا، ثم آمنوا، ثم كفروا، ثم ازدادوا كفراً»[٣]. ووافق البلخي، **الجبّائي** على ذلك[٤].

وأما الآية ٥٥ من سورة المائدة، فيذهب **الجبّائي**، نقلاً عن الحسن البصري بأنها نزلت في جميع المؤمنين»[٥].

ويرى **الجبّائي** أن الآية ٩٣ من سورة الأنعام، «نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فإنه كان يكتب الوحي للنبي ﷺ وكان إذا قال له: اكتب عليماً حكيماً، كتب غفوراً رحيماً. وإذا قال: اكتب غفوراً رحيماً، كتب حكيماً، وارتد ولحق بمكة» [٦]. وبعد ارتداد، قال: إني أنزل مثل ما أنزل الله»[٧].

وفي الآية ٢٠٤ من سورة الأعراف، ذهب **الجبّائي** إلى أنها «نزلت في ابتداء التبليغ ليعلموا أو يتفهموا»[٨].

وفي سورة التوبة، الآية ٩، قال **الجبّائي**: «بأنها نزلت في قوم من اليهود دخلوا العهد، وكانوا يأخذون الرشا من العوام على الحكم بالباطل»[٩].

وأما الآية ١٠٠ من السورة نفسها، فيرى **الجبّائي** بأنها «نزلت في الذين أسلموا قبل الهجرة»[١٠].

وأخيراً، يقول **الجبائي** إنّ الآيتان ١٠ و١١ من سورة الممتحنة نزلتا يوم

---

(١) تفسير الجبّائي، سورة النساء الآية ٩٣.
(٢) م. ن، سورة النساء الآية ١١٠.
(٣) م. ن، سورة النساء الآية ١٣٧.
(٤) الطوسي: التبيان ٣/ ٣٥٩.
(٥) تفسير الجبّائي، سورة المائدة الآية ٥٥.
(٦) م. ن، سورة الأنعام الآية ٩٣.
(٧) م. ن.
(٨) تفسير الجبّائي، سورة الأعراف الآية ٢٠٤.
(٩) م. ن، سورة التوبة الآية ٩.
(١٠) م. ن، سورة التوبة الآية ١٠٠.

صلح الحديبية، ويذكر الجبّائي قصة ذلك[١].

ويتفق جميع مفسري المعتزلة كأبي بكر الأصم، والجبائي، والكعبي، والأصفهاني، والقاضي عبد الجبار، بأن الآيات ٨ و٩ و١٠ من سورة الإنسان لم تنزل في حق الإمام علي بن أبي طالب[٢].

ويروي الرازي أن الواحدي يذكر في كتابه «البسيط» أن الآية نزلت في حق علي[٣]، ويظهر أن الزمخشري صاحب الكشاف، وهو من المعتزلة، يخالف الجبّائي وغيره من المعتزلة، ويروي حول هذه الآية قصة فحواها أن الآية نزلت في الإمام علي والحسن والحسين وفاطمة[٤]، ويرى الرازي أن الآية نزلت في سائر الصحابة والتابعين وأن علياً داخل هذه الآية[٥].

ج ـ النسخ في القرآن:

يطلق النسخ في اللغة على نسخ الشيء أو إبطاله وإقامة آخر مقامه[٦].

وقد كانت لفظة النسخ تعني عند الصحابة والتابعين مطلق التغيير الذي يطرأ على بعض الأحكام[٧]، ثم جاء المفسرون فيما بعد ليجعلوا كلمة النسخ تعني ما يشمل التخصيص والتقييد والاستثناء وترك العمل بالحكم لانتهاء أمده أو لتغيير ظرفه أو تبدّل موضوعه وغيرها[٨].

واصطلح الأصوليون على النسخ بأنه رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر، وبهذا فإن النسخ يعني رفع حكم النص بعد أن يكون ثابتاً[٩].

وأجمعت الشيعة الإمامية على أن الحكم الثابت في القرآن ينسخ بآية

---

(١) م. ن، سورة الممتحنة الآيتان ١٠ و١١.
(٢) م. ن، سورة الإنسان الآيات ٨ و٩ و١٠.
(٣) الرازي: التفسير الكبير ٣/ ٢٢٩.
(٤) الرازي: التفسير الكبير ٣٠/ ٢١٦.
(٥) م. ن.
(٦) ابن منظور: لسان العرب، فصل النون وحرف الخاء.
(٧) خضير جعفر: الشيخ الطوسي مفسراً ص ٢٣٢.
(٨) الحلي: الناسخ والمنسوخ، مقدمة المحقق الفضلي ص٧.
(٩) الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، شرح عبد الله دراز، ٣/ ٦٥.

أخرى[١].

واتفق الجمهور على وقوع النسخ في القرآن، غير أن أبا مسلم محمد بن بحر الأصفهاني المعتزلي (٣٧٢ هـ) أنكر ذلك وقال: بأنه لم يقع، حسب ما ذكر عنه الرازي في تفسيره[٢].

واستطعت أن أحصي من تفسير الجبّائي ما يقارب خمسة عشر موضعاً تحدث فيها الجبّائي عن النسخ. ولو أنه أنكر وقوع النسخ في ثلاثة مواضع منها. وهو ما سوف أبينه لاحقاً.

بداية، قرّر الجبّائي أن شرع النبي موسى عليه السلام منسوخ بشرع عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ[٣]. ويذهب إلى أن القرآن قد يُنسخ بالسنّة النبوية[٤]، ويستدلّ الجبائي على ذلك بأن الآية ١٥ من سورة النساء «نسخت بالرجم أو الجلد، والرجم ثبت بالسنّة»[٥].

ويظهر أن الجبائي في قوله على نقيض الشافعي الذي لم يجوّز ذلك[٦].

واختلفت الشيعة في ذلك، فمنهم من يرى أن الحكم الثابت بالقرآن ينسخ بالسنّة النبوية المتواترة أو الإجماع القطعي الكاشف عن صدور النسخ عن المعصوم، فلا إشكال فيه عقلاً ونقلاً[٧]، فيما يذهب آخرون إلى عدم جواز نسخ الكتاب بالسنّة، إذ إنه مخالف للأخبار المتواترة الآمرة بعرض الأخبار على

---

(١) الخوئي: البيان في تفسير القرآن ص٢٨٦.

(٢) الرازي: التفسير الكبير ٣/ ٢٢٩. وراجع الدراسة التي وضعتها عن أبي مسلم وتفسيره في الجزء الأول من هذه الموسوعة.

(٣) تفسير الجبّائي، سورة الأعراف الآية ١٥١.

(٤) م. ن، سورة النساء الآية ١٥ (الفقرة ب).

(٥) م. ن، سورة النساء الآية ١٥ (الفقرة ج).

(٦) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط٢، سنة ١٩٧٢. ج٢/ ٣٢.

(٧) الخوئي: البيان في تفسير القرآن، أنوار الهدى، قم، ط٨، سنة ١٩٨١، ص٢٨٦.

الكتاب وطرح ما خالفه والرجوع إلى الكتاب[١].

ويذكر الجبّائي أن آياتٍ عديدة نسخت في القرآن[٢]، ورفض أن تكون الآية ١٠٢ من سورة آل عمران قد نسخت[٣]، والأمر نفسه في الآية ٨ من سورة النساء[٤]، والآية ٢ من سورة المزمل[٥].

د ـ النظم:

حينما يغفل المفسّر سياق الآيات القرآنية وطريقة الصياغة والنظم المسلسل الذي جاءت به تلك الآيات، فمن الطبيعي أن يقع في مطبّات ضخمة أثناء تفسيره للنصوص القرآنية، وكما حصل للمجبّرة حين اقتطعوا نصّاً قرآنياً وفسّروه بعيداً عن مبدأ الأخذ بالسياق والنظم فقالوا في تفسير قوله تعالى ﴿ **وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٦]: إن ذلك يدلّ على أن الله خالق لأفعالنا[٦]. في حين أن الملاحظ في السياق أنها جاءت حكاية لقول إبراهيم مع قومه واستنكاره لعبادتهم الأصنام والتي هي أجسام. والله تعالى هو المُحدث لها[٧].

وعلى هذا، يذكر الجبّائي أن وجه اتصال الآية ٢٧٢ من سورة البقرة بما قبلها «بالحمل على النفقة في وجوه البرّ، فعلى هذا معناه التسلية»[٨].

ومن المؤسف حقاً، عدم العثور في تفسير الجبائي على غير هذه الحالة.

---

(١) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، لبنان، ط١، سنة ١٩٩٧، ج٤/ ٢٨٣، وراجع حول هذه المسألة السيد إحسان الأمين: التفسير بالمأثور وتطويره عند الشيعة الإمامية، دار الهادي، لبنان، ط١، سنة ٢٠٠٠، ص٧٨ حتى ص٨٣.

(٢) راجع تفسير الجبّائي، سورة البقرة الآيات ٢٧ و١٩٠، ١٩٣، ٢١٧ (الفقرة ب). وسورة النساء الآيتان ١٥ (الفقرتان ب وج) و١٨. سورة المائدة الآيات و٤٣ و٤٦، ٦٨، ١٠٨ (الفقرة ث). سورة الأنفال الآيتان ١ و٦٦. سورة النور الآية ٢٦.

(٣) م. ن، سورة آل عمران الآية ١٠٢.

(٤) م. ن، سورة النساء الآية ٨.

(٥) م. ن، سورة المزمل الآية ٢.

(٦) الطوسي: التبيان ٨/ ٤٧٠.

(٧) م. ن.

(٨) تفسير الجبّائي، سورة البقرة ٢٧٢.

هـ - المحكم والمتشابه:

عرّف الجبّائي المحكم والمتشابه، فقال: «إن المحكم ما لا يحتمل إلاّ وجهاً واحداً، والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً»(١).

ولعل القاضي عبد الجبار المعتزلي اقتبس هذا التعريف عن الجبّائي، فقال: «إن المحكم ما يدل على المراد بنفسه، والمتشابه ما يحتمل الوجهين»(٢).

٦ - المنهج العقلي في تفسير الجبّائي:

التفسير بالعقل يراد به التفسير بغير النقل، سواء كان التفسير بالعقل الفطري أم بالقواعد الدارجة في المدارس الكلامية أو تأويلات الباطنية أو الصوفية أو التفسير حسب العلوم الحديثة.

والتفسير بالعقل بهذا المعنى يعمّ جميع هذا النوع من التفسير، وبهذا صار ملاكاً لتقسم المناهج التفسيرية إلى: المنهج العقلي والنقلي(٣).

وبما أن مفسرنا من متكلّمي المعتزلة الأوائل، فمن الطبيعي جداً أن يستخدم العقل في تأويلاته، واعتقد أن هذا الجانب له أهمية كبرى في تاريخ التفسير، لأن في عصر الجبّائي كان رائجاً ومشهوراً التفسير بالمأثور أو النقل، أي اعتماد الروايات المسندة في التفسير دون العقل.

ويتجلّى المنهج العقلي عند الجبّائي في أسلوبه الجدلي، والبرهاني، ففي حديثه عن الشيطان ومسّه، يرفض الجبّائي ما يقوله الناس من أن المصروع إنما حدثت به تلك الحالة لأن الشيطان يمسّه ويصرعه، ويبيّن الجبائي رفضه لهذا الكلام فيقول: «لأن الشيطان ضعيف لا يقدر على صرع الناس وقتلهم». ويستدلّ الجبائي على كلامه هذا بأربعة وجوه: الأول دليل قرآني. والثاني والثالث والرابع أدلة عقلية.

وقد يطول بنا الحديث عن هذه الوجوه، فلذلك سأكتفي بعرض دليل واحد.

---

(١) تفسير الجبّائي، سورة آل عمران الآية ٧.

(٢) د. عدنان زرزور: الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن، ص٢٣٧ نقلاً عن الحاكم الجشمي في مخطوطة كتابه التهذيب، المجلد الثاني الورقة ٥.

(٣) جعفر السبحاني: المناهج التفسيرية ص٧٥.

يقول الجبّائي: «الشيطان إما أن يقال: إنه كثيف الجسم، أو يقال: إنه من الأجسام اللطيفة. فإن كان الأول وجب أن يرى ويشاهد، إذ لو جاز فيه أن يكون كثيفاً ويحضر ثم لا يُرى لجاز أن يكون بحضرتنا شموس ورعود وبروق وجبال ونحن لا نراها، وذلك جهالة عظيمة، ولأنه لو كان جسماً كثيفاً فكيف يمكنه أن يدخل في باطن بدن الإنسان.

وأما وإن كان جسماً لطيفاً كالهواء، فمثل هذا يمتنع أن يكون فيه صلابة وقوة، فيمتنع أن يكون قادراً على أن يصرع الإنسان ويقتله»[١].

يلاحظ من كلام الجبّائي هذا الأسلوب الجدلي، الذي يعتمد على منهج السّبر والتقسيم عند المناطقة، والقائم على تحليل الاحتمالات الممكنة وإبطالها، وعند ذلك لا يصحّ إلاّ الافتراض الذي تذهب إليه.

ومرة أخرى، يلجأ الجبّائي إلى هذا المنهج عند حديثه عن إرادة الله، وذلك أثناء تفسيره للآية ١٠٨ من سورة آل عمران فيقرر الجبائي: «بأن الله لا يريد شيئاً من القبائح لا من أفعاله ولا من أفعال عباده، ولا يفعل شيئاً من ذلك»، ويؤكد الجبائي على هذه القاعدة «بأن الظلم إما أن يصدر من الله تعالى أو من العبد، وبتقدير صدوره من العبد، فإما أن يظلم نفسه وذلك بسبب إقدامه على المعاصي أو يظلم غيره». وبعد هذا الكلام يقول الجبائي: فأقسام الظلم هي هذه الثلاثة: وقوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ نكرة في سياق النفي، فوجب أن لا يريد شيئاً مما يكون ظلماً، سواء كان ذلك صادراً عنه أو صادراً عن غيره»[٢].

ويرفض الجبّائي أن يكون المقصود من قوله تعالى: (الآية ٥٦ من سورة النساء) أن يزاد جلداً على جلده كلّما نضجت، والسبب عند الجبّائي هو أنه «لو كان كذلك لوجب أن يملأ جسد كل واحد من الكفار جهنم إذا أدام الله العقاب، لأنه كلّما نضجت تلك الجلود زاد الله جلداً آخر، فلا بدّ

(١) تفسير الجبّائي، سورة البقرة الآية ٢٧٥.
(٢) تفسير الجبّائي، سورة آل عمران الآية ١٠٨.

أن ينتهي إلى ذلك»[١].

أكتفي بهذه النماذج عن تفسير الجبائي العقلي، لأنه قد نستغرق وقتاً طويلاً في ذلك، لأن الجبّائي في تفسيره قد ذكر الكثير منها كدليله على أن إرادة الله محدثة[٢]، وعدم إقدام أهل القيامة على الكذب[٣]، ونزول المطر من السماء[٤]، وأن الأجل واحد[٥]، وأن الثواب أعظم من التفضّل[٦]، وأنه لا يخلو زمان البتة عمن يقوم بالحق ويعمل به ويهدي إليه[٧]، وأن النبي ﷺ وقع منه ذنب[٨]، وخوف أبا بكر[٩]، وأن كلام الله محدث[١٠]، وقصة النبي يوسف مع زوجة فرعون[١١]، وأن الله لا يريد الكفر ولا يخلقه في العبد[١٢]، وأن الخضر أحد أنبياء بني إسرائيل لأنه لا يجوز أن يتعلم الأنبياء العلم إلاّ من مَلَك من ملائكة الله أو رسول من رسله[١٣]، وفعل اللطف من الله[١٤].

واستعانة الجبّائي في المنهج الجدلي ـ العقلي، جعله يستدلّ من القرآن على نصرة مذهب الاعتزال[١٥]. ووافقه على ذلك القاضي عبد الجبار[١٦]. مع

---

(١) تفسير الجبّائي، سورة النساء الآية ٥٦.
(٢) م. ن، سورة يونس الآية ٩٩.
(٣) م. ن، سورة الأنعام الآية ٣٤.
(٤) م. ن، سورة الأنعام الآية ٩٩ (الفقرة ث).
(٥) م. ن، سورة الأنعام الآية ١٢٨ (الفقرة آ).
(٦) م. ن، سورة الأنعام الآية ١٦٠.
(٧) م. ن، سورة الأعراف الآية ١٨١.
(٨) م. ن، سورة التوبة الآية ٤٣.
(٩) م. ن، سورة التوبة الآية ٤٠.
(١٠) م. ن، سورة هود الآية ١.
(١١) م. ن، سورة يوسف الآية ٢٦.
(١٢) م. ن، سورة الكهف الآية ٥٠.
(١٣) م. ن، سورة الكهف الآية ٦٥ (الفقرة ب).
(١٤) م. ن، سورة طه الآية ١٣٤.
(١٥) م. ن، سورة الأنعام الآية ١٠٩.
(١٦) الرازي: التفسير الكبير ١٣/١١٩ و١٢٠.

الإشارة، أن الجبائي ردّ على العلاّف المعتزلي (ت ٢٣٠ هـ) ورفض تفسيره للآية ٢٧٥ من سورة البقرة بأن الصرَع قد يكون في بعض الناس من فعل الشيطان، وأن ظاهر القرآن يشهد به، وليس في العقل ما يمنع منه[١]. وهذا ما رفضه الجبّائي وأنكره كما بيّنت سابقاً.

ونسير خطوة في المنهج الجدلي عند الجبّائي، فنجده يناقش آراء المفسرين السابقين، وغيرهم، فيردّ مثلاً على ابن مسعود[٢]، وحذيفة[٣]، والفرّاء[٤]، والزجاج[٥]، وابن عباس[٦]، والبكرية[٧]. وأحياناً ينقل ما هو شاذ من التفسير[٨]، ويخالف ما هو مشهور عن المفسرين[٩]، والملفت، أن هذه المخالفة أكثر من اشتهر بها هو أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني[١٠].

وفضلاً عن ذلك، يشدّد الجبّائي كثيراً على ضرورة عدم مخالفة المفسّر لظاهر القرآن[١١] لأن العدول عن الظاهر إلى التأويل، إنما يحتاج إليه عند قيام الدليل على أن إجراء اللفظ على ظاهره غير ممكن[١٢].

وأخيراً، يشير الجبائي إلى الخصوص والعموم في القرآن الكريم[١٣].

---

(١) تفسير الجبّائي، سورة البقرة الآية ٢٧٥.
(٢) تفسير الجبّائي، سورة الأعراف الآية ٤٦ (الفقرة ج).
(٣) م. ن.
(٤) م. ن.
(٥) م. ن.
(٦) م. ن، سورة الأعراف الآية ١٥٩.
(٧) م. ن، سورة الأعراف الآية ١٠٠، والبكرية هم أتباع بكر، وهو ابن أخت عبد الواحد ابن زيد.
(٨) م. ن، سورة الأعراف الآية ١٥١.
(٩) م. ن، سورة الأنفال الآية ٤١.
(١٠) راجع الدراسة التي وضعتها عن أبي مسلم في الجزء الأول من هذه الموسوعة.
(١١) تفسير الجبّائي، سورة الأنعام الآية ٩٩ (الفقرة ت).
(١٢) م. ن.
(١٣) م. ن، سورة التوبة الآيتان ٨ و٣٨ (الفقرة ب) وأيضاً سورة النحل الآية ٨٣.

٧ - الجبّائي وتفسير القرآن بالقرآن:

تشهد كتب التفسير القديمة والحديثة على أن هذا اللون من التفسير قد مارسه المفسرون القدامى والمحدثون. بل واعتبره العلماء أوّل الطرق في تفسير القرآن التي ينبغي للمفسّر أن يسلكها وينتجها عند أية محاولة تفسيرية لكتاب الله، وبذلك قالوا: «من أراد تفسير الكتاب العزيز يطلبه أولاً من القرآن، فإن أعياه ذلك طلبه من السنّة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له»[١].

وكان رسول الله ﷺ أوّل من عمد إلى هذا السبيل، فانتهجه، حيث كان يستعين ببعض آيات القرآن الكريم ليشرح بها الآخر، ومن ذلك تفسيره ﷺ للظلم في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢] بالشرك، واستدل بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة لقمان: ١٣][٢].

وبهذا يكون رسول الله ﷺ قد أرسى لمن بعده قواعد منهج تفسيري لا يستغني عنه أي مفسّر، كما شهد عصر الصحابة مثل هذا اللون التفسير[٣]، وكذلك التابعين[٤]. ويأتي اهتمام المفسرين بهذا اللون من التفسير، لأن القرآن وكما قال عنه الإمام علي عليه السلام: «يَنطقَ بَعضهُ ببعض ويَشهدُ بعضُه على بعض»[٥].

ويقول ابن تيمية: «إن أصح الطرق في ذلك ـ يعني التفسير ـ أن يُفسَّر القرآن بالقرآن...»[٦].

---

(١) السيوطي: الاتقان ٢/ ١٧٥ وأيضاً الزمخشري: الكشاف ٢/ ١٩٣ حيث يقول: «أسد المعاني ما دلّ عليه القرآن».

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن.

(٣) الذهبي: التفسير والمفسرون ١/ ٤١. وكنماذج عن تفسير الصحابة راجع: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٤٥، سورة لقمان الآية ١٤ والأنفال الآية ١٥ وغيرها.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان ١٠/ ٤٧٨ سورة إبراهيم الآية ٥٠.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة ١٢٩.

(٦) ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، تحقيق د. عدنان زرزور، ص٦٣ وراجع أيضاً =

وانتهج الجبّائي هذا النوع من التفسير ففي تفسيره لقوله تعالى الآية ٢٦ من سورة آل عمران، يقول الجبّائي: «لا يجوز أن يعطي الله الملك للفاسق لأنه تمليك الأمر العظيم من السياسة والتدبير مع المال الكثير»، لقوله: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤] [1]. وفي تفسيره لكلمة «بظلم» الواردة في الآية ١٣١ من سورة الأنعام، يرى الجبّائي بأنها تعني على غفلة من غير تنبيه وتذكير، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود: ١١٧] [2].

ودافع الجبّائي عن الخليفة أبي بكر، مقابل تأويل الشيعة لقوله تعالى في سورة التوبة الآية ٤١ [3] بأنها قدح وذم فيه، فحاول الجبائي أن يستعين بالقرآن ليفسّر المقصود من الآية ويردّ على النقض، فقال الجبائي: «فيقال لهم (أي للشيعة) يجب في قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [طه: ٦٨] أن يدل على أنه كان عاصياً في خوفه، وذلك طعن في الأنبياء. ويجب في قوله تعالى في إبراهيم، حيث قالت الملائكة له: ﴿ لَا تَخَفْ ﴾ في قصة العجل المشوي مثل ذلك، وفي قولهم للوط: ﴿ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ ﴾ [العنكبوت: ٣٣] مثل ذلك» [4].

وفي تفسيره لقوله تعالى: (الآية ١٩ من سورة يونس) يقول الجبّائي: إنهم كانوا على الإسلام في عهد آدم وولده ولم يكونوا على الشرك، لأن الله تعالى

=

الشيخ جعفر السبحاني: المناهج التفسيرية ص١٣٩ وما بعدها.

(١) تفسير الجبّائي، سورة آل عمران الآية ٢٦ (الفقرة أ).

(٢) م. ن، سورة الأنعام، الآية ١٣١.

(٣) قال الرازي في تفسيره: إن الروافض... قالوا إنه عليه الصلاة والسلام قال لأبي بكر (لا تحزن) فذلك الحزن إن كان حقاً فكيف نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عنه؟ وإن كان خطأ، لزم أن يكون أبو بكر مذنباً وعاصياً في ذلك الحزن. الرازي: التفسير الكبير ١٦/ ٥٤.

(٤) تفسير الجبّائي، سورة التوبة الآية ٤١ (الفقرة ب).

قال: (السورة ٤٠ من سورة النساء) فلو كانوا كلهم على الكفر لما كان فيهم شهيداً أصلاً»[١].

٨ - الجانب اللغوي عند الجبائي:

ركز المعتزلة على ضرورة علم المفسّر لكتاب الله باللغة والنحو، بل اعتبر القاضي عبد الجبار أن المفسّر لا يكون عالماً بتوحيد الله وعدله وما يجب له من الصفات وما يصحّ وما يستحيل وغيرها من القضايا إلاّ إذا كان عالماً بأحوال اللغة والنحو وأصول الفقه[٢].

ومن هنا، أفرد الحاكم الجشمي في تفسيره الكلام على «اللغة» في الآية أو الآيات موضع الشرح في فقرة خاصة يظهر فيها أثر اطلاعه على اللغة العربية وقواعدها وآدابها[٣].

ويظهر أن الجبّائي كان سبّاقاً في بحث اللّغة في تفسيره، فعُني بعلوم اللغة من صرف ونحو وبلاغة، فدرس أصل الكلمة[٤]، والتبعيض[٥]، والتخصيص[٦]، والإضافة[٧]، والمجاز[٨]، والحال[٩]، والضمائر[١٠]، والاستئناف[١١]،

(١) تفسير الجبّائي، سورة يونس الآية ١٩.

(٢) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص٦٠٦.

(٣) د. عدنان زرزور: الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن ص٢٣٠.

(٤) تفسير الجبّائي، سورة المائدة الآية ٤٣ (الفقرة ب) وأيضاً سورة هود الآية ٢٣ وأيضاً سورة الأحقاف الآية ٥٤. وأيضاً سورة فصلت الآية ٢٥.

(٥) م. ن، سورة فصلت الآية ١٠.

(٦) م. ن، سورة آل عمران الآية ١٠٤.

(٧) م. ن، سورة آل عمران الآية ١٠٩.

(٨) م. ن، سورة النساء الآية ١٧١ وأيضاً سورة فاطر الآية ٣٠.

(٩) م. ن، سورة آل عمران الآية ١١٣.

(١٠) م. ن، سورة النساء الآيتان ٢٢ و٦٦ وأيضاً سورة الأنعام الآيتان ٨٤ و١١٣. وأيضاً سورة الأعراف الآية ٩٩.

(١١) م. ن، سورة الأعراف الآية ١٠٠.

والعطف[١]، والحذف والتقدير[٢]، والمشبه والمشبه به[٣]، والمجاز[٤]، والتشبيه والتمثيل[٥].

٩ - الجبّائي والأحكام الفقهية:

استنبط الجبّائي من بعض الآيات القرآنية أحكاماً فقهية عديدة، وخوفاً من الإطالة، سأعرض عناوين هذه الأحكام فقط، ومن أراد تفصيلها باستطاعته العودة إلى تفسير الجبائي نفسه. والمسائل الفقهية التي عالجها الجبائي في تفسيره هي:

- مال اليتيم والحاكم[٦].
- الحج وأعماله[٧].
- الصوم[٨].
- الصلاة[٩]، والتيمم[١٠]، والوضوء والمسح[١١]، والجهر في الصلاة[١٢].
- المتوفى عنها زوجها[١٣].

---

(١) م. ن، سورة الأنفال الآية ٦٤.

(٢) م. ن، سورة التوبة الآية ٤٤.

(٣) م. ن، سورة يونس الآية ٢٤.

(٤) م. ن، سورة التوبة الآية ١٠٤.

(٥) م. ن، سورة النساء الآية ٣٩، وأيضاً سورة الأعراف الآية ٢٠٦.

(٦) تفسير الجبّائي، سورة البقرة الآية ١٨٨، وسورة النساء الآية ٨.

(٧) م. ن، سورة البقرة الآيات ٩٥ (الفقرة أ) و١٩٦ و١٩٧ و١٩٩. وسورة المائدة الآية ٢ (الفقرتان أ و ب) وسورة المائدة الآية ٩٤.

(٨) م. ن، سورة البقرة الآيتان ١٩٦ (الفقرة ث) و٢٢٢.

(٩) م. ن، سورة البقرة الآية ٢٢٢ وسورة النساء الآية ١٠١، وسورة طه الآية ١٣٠. وسورة هود الآية ١١٤، وسورة الإسراء الآية ٧٨.

(١٠) م. ن، سورة النساء الآية ٤٣ (الفقرة ج).

(١١) م. ن، سورة المائدة، الآية ٦ (الفقرة ب).

(١٢) م. ن، سورة الإسراء الآية ١١٠.

(١٣) م. ن، سورة البقرة الآية ٢٣٦.

- ليس للولي أن يهب مال المرأة[١].
- النفقة والمتعة للمطلقة البائنة[٢].
- إرث النساء[٣].
- حكم المرأة مع زوجها[٤].
- المرأة إذا أسلمت لم تحل لزوجها الكافر[٥].
- كان في صدر شريعتنا جائز تزويج المؤمنة بالكافر ثم حُرِّم[٦].
- تزويج الحرّ على الأمة[٧].
- ملامسة النساء[٨].
- أراد بالجلابيب الثياب والقميص والخمار[٩].
- الاستئذان على كل بالغ[١٠].
- العقد والإرث[١١].
- الصدقة[١٢].
- شهادة الذمي[١٣].
- المكروه من الأكل عند الاضطرار[١٤].

(١) م. ن، سورة البقرة الآية ٢٣٧.
(٢) م. ن، سورة البقرة الآية ٢٤١.
(٣) م. ن، سورة النساء الآيتان ١٩ و٣٣. وسورة هود الآية ٧٩.
(٤) م. ن، سورة هود الآيتان ٧٣ و٧٩.
(٥) م. ن، سورة الممتحنة الآية ١٠.
(٦) م. ن، سورة الحجر الآية ٧١.
(٧) م. ن، سورة النساء الآية ٢٥.
(٨) م. ن، سورة المائدة الآية ٦ (الفقرة أ).
(٩) م. ن، سورة الأحزاب الآية ٥٩.
(١٠) م. ن، سورة النور الآية ٥٨.
(١١) م. ن، سورة آل عمران الآية ٢٣٠.
(١٢) م. ن، سورة البقرة الآيتان ٢٦٧ و٢٧١.
(١٣) م. ن، سورة المائدة الآية ١٠٨ وسورة النور الآية ٢.
(١٤) م. ن، سورة الأنعام الآية ١١٩.

ـ ما أحلّ من الطعام[١].

ـ إباحة الأكل وإن كان فيه حق للفقراء[٢].

ـ لا يجوز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه[٣].

ـ أخذ الشاهد والكاتب الأجرة على الكتابة[٤].

ـ الخُمس وسهم الرسول ﷺ[٥].

ـ سهم المؤلّفة قلوبهم[٦]، وقد اختار الجبّائي في ذلك رأي الشافعي[٧].

ـ جواز الدعاء لما يُعلم أنه يكون[٨].

ـ جواز العمل بحكمَيْن مختلفَيْن، وهذا أصل في إثبات صحّة سائر أحكام المجتهدين الذين قد أصابوا في أحكامهم، وإن كانت أحكامهم مختلفة[٩].

١٠ - الجبّائي والحديث النبوي:

اهتمّ الجبّائي في الحديث النبوي، واعتبره مصدراً من مصادر تفسير القرآن، ففي تفسيره لإسراء النبي ﷺ يقول الجبّائي: «والذي يشهد به القرآن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والباقي يعلم بالخبر»[١٠].

واضح من كلام الجبّائي، أنه يريد أن يقول: إنَّ تفاصيل إسراء ومعراج الرسول ﷺ تُعلم بالأخبار الواردة في كتب أهل السلف، لأن القرآن قد أوجز فيها وأشار فقط إلى إسراء الرسول ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومن هنا، يذكر الجبّائي أن النبي ﷺ في إسرائه رأى سدرة

---

(١) م. ن، سورة المائدة الآيتان ٤ و٥.

(٢) م. ن، سورة الأنعام الآية ١٤١.

(٣) م. ن، سورة الأنعام الآية ١٢١.

(٤) تفسير الجبّائي، سورة آل عمران الآية ٢٨٢.

(٥) م. ن، سورة الأنفال الآية ٤١.

(٦) م. ن، سورة سورة التوبة الآية ٦٠.

(٧) الطوسي: التبيان ٥/ ٢٤٤.

(٨) تفسير الجبّائي، سورة يوسف الآية ٣٤.

(٩) م. ن، سورة المائدة، الآية ٩٥ (الفقرة ب).

(١٠) تفسير الجبّائي، سورة الإسراء الآية ١.

المنتهى وصورة جبرائيل ورؤيته وله ستماية جناح قد سدّ الأفق بأجنحته[١].

واستعان الجبّائي بما روي عن النبي ﷺ في تفسير ما ورد عن قوم موسى عليه السلام، قال الجبّائي ما نصَّه: «إنما عبد بعضهم بدلالة ما ورد من الأخبار عن النبي ﷺ فيما روي عنه في هذا المعنى»[٢].

وأيضاً، يقول الجبائي في تفسير الآية ٦ من سورة الزمر: «في الخبر الشاة من دواب الجنّة والإبل من دواب الجنة»[٣].

ويذكر الجبّائي أنه «روي أن السماء الدنيا من حديد»[٤]. ولكن، هذا لا يعني أن الجبّائي كان متساهلاً في قَبُول الحديث النبوي، بل نجده يهتم بسند الحديث ومتنه. ويقدّم خبر الله تعالى في القرآن على ما ورد عند الصحابة أو التابعين فمثلاً، أثناء تفسيره لقوله تعالى في سورة الأنبياء، الآية: ٨٣ في قصة نبيّ الله أيوب، يرفض الجبائي ما روي عن وهب بن منبه[٥]، فيقول: «الواجب تصديق خبر الله تعالى دون الرجوع إلى ما يروى عن وهب بن منبه رضي الله عنه»[٦].

وأما في تفسير الآية ٦١ من سورة البقرة، حيث يروى أن بعضهم قال: يا نبيء اللَّه، فقال: لست بنبيء الله ولكني نبيّ الله، فيعلّق الجبائي على هذا الحديث

---

(١) م. ن، سورة النجم الآية ١٨.
(٢) م. ن، سورة الأعراف الآية ١٤٩.
(٣) م. ن، سورة الزمر الآية ٦.
(٤) تفسير الجبّائي، سورة الرحمن الآية ٣٧.
(٥) وهب بن منبه هو العلامة الإخباري القصصي، مولده في زمن عثمان سنة ٣٤ هـ. من أبناء فارس، له شرف. وأما روايته التي رفضها الجبّائي فهي: قال وهب: كانت امرأة أيوب عليه السلام تعمل للناس وتأتيه بقوته، فلمّا طال عليه البلاء سئمها الناس فلم يستعملوها، فالتمست ذات يوم شيئاً من الطعام فلم تجد شيئاً، فجزت قرناً من رأسها فباعته برغيف، فأتته به. فقال لها: أين قرنك؟ فأخبرته بذلك، فحينئذٍ قال (مسّني الضرّ). راجع الرازي: التفسير الكبير ج٢٢/ ١٨٠.
(٦) تفسير الجبّائي، سورة الأنبياء الآية ٨٣.

فيقول: «أظن أن من أهل النقل من ضعف إسناده»[١].

ومن هنا، نجد الجبّائي أحياناً يوافق ما هو مروي عن عائشة[٢]، وفي مواضع أخرى يخالفها، ولا يقبل المروي عنها[٣].

ونسير خطوة في حديث الجبائي عن النبي ﷺ، فنجده يشير إلى مشاورة النبي ﷺ لأصحابه في أمور الدنيا[٤]، وجواز ارتكابه الكفر والكبيرة قبل النبوة[٥] وأن النبي ﷺ وقع منه ذنب[٦]، ولم يؤمن به من اليهود إلاّ ابن سلام وابن صوريا[٧]، وأن النبي ﷺ بشّر العرب بكنوز كسرى وقيصر[٨]، وأن دعاءه مستجاب[٩]، وأن الإمام علي بن أبي طالب قرأ براءة على الناس يوم النحر، فلذلك قال النبي ﷺ: لا يبلغ عني إلاّ رجل مني»[١٠]، وإشارة الجبّائي هذه في حق الإمام تثبت ما قاله ابن المرتضى بأن الشيعة أخطأوا في اتهام الجبائي بالتعصّب على الإمام علي أي العداء له[١١].

١١ـ الجبّائي والردّ على المجبرة والملحدة واليهود وغيرهم:

ردّ الجبّائي على الملاحدة في عصره، وعرضت في آخر هذا التفسير النصوص التي عثرت عليها من كتاب الجبّائي «نقض الدامغ» في الردّ على ابن الراوندي الملحد الزنديق[١٢]، ولو أن الشريف المرتضى، من علماء الشيعة

---

(١) م. ن، سورة البقرة الآية ٦١.
(٢) تفسير الجبّائي، سورة البقرة الآية ٢٣٤.
(٣) م. ن، سورة البقرة الآية ٢٣٠.
(٤) م. ن، سورة آل عمران الآية ١٥٩.
(٥) م. ن، سورة البقرة الآية ٣٦٠.
(٦) م. ن، سورة التوبة الآية ٤٣.
(٧) م. ن، سورة الأعراف الآية ١٥٩.
(٨) م. ن، سورة سورة الفتح الآية ٢١.
(٩) م. ن، سورة الشورى الآية ١٦.
(١٠) م. ن، سورة التوبة الآية ٢.
(١١) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص٨٤.
(١٢) راجع الملاحق الواردة في آخر هذا التفسير.

الإمامية، يدافع عن ابن الراوندي ويعتبر أن المعتزلة قد تحاملوا عليه لأنه كان معتزلياً، ومن ثم ترك الاعتزال، فنسبوا إليه الإلحاد والزندقة[١].

واعتبر الجبائي أن الملاحدة هم السبب في القول «بالحشو»[٢] عند المسلمين، ويبرّر ذلك «بأن الملحدة لما دسّوا في الأخبار التشبيه والجبر، وظنوا أن ذلك كما تمّ لهم في الأخبار، يتمّ لهم في القرآن»[٣].

ومن ردود الجبائي على الملاحدة طعنهم لقوله تعالى: ﴿ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الإنسان: ٢١]، فقال الجبائي ما هذا لفظه: «وقد طعن بعض الملحدين في هذا، فقال: وأي حسن في أن يكون الرجال عليهم أساور الفضّة؟ وأي قدر للفضة حتى جعلوا ذلك مما يرغب فيه الناس لأن ينالوه في الجنة؟ فقيل له: إن هذه الأساور هي للنساء لا للرجال، وليس التزيّن في الجنّة يجب أن يكون بما له قيمة في الدنيا، لأن المراد بذلك إنما هو حسنه في ثمن هناك للأشياء ولا قيمة»[٤].

وأظن أن المقصود بالطاعن عند الملحدين هو ابن الراوندي، لأن الجبائي سبق وردّ على ما يشبه هذه الطعون في «نقض الدامغ» وقد عرضتها في الملحق في آخر هذا التفسير.

وأنكر الجبائي على البكرية تأويلهم للآية ١٠١ من سورة الأعراف[٥]،

---

(١) العلامة الحلي: رجاله ص٢٦٩ رقم ٣١.

(٢) الحشوية في الإسلام لقب فيه نوع من الامتهان والاحتقار، وقد أطلقه بعض علماء الكلام مثل المعتزلة، على أصحاب الحديث لقولهم غالباً بالتجسيم والتشبيه وقيل: لقبوا بهذا اللقب لاحتمالهم كل حشو روي من الأحاديث المختلفة المتناقضة. وجميعهم يقول بالجبر والتشبيه. راجع موسوعة الفرق الإسلامية للدكتور محمد مشكور، ص ٢١٢.

(٣) راجع تفسير الجبائي، مقدمة التفسير رقم٢.

(٤) راجع تفسير الجبائي، سورة الإنسان الآية ٢١.

(٥) راجع تفسير الجبائي، سورة الأعراف: ١٠١.

وكما أبطل قول المرجئة[١] في أن أهل الصلاة لا وعيد لهم بناء عن قوله تعالى في الآية ٣٩ من سورة التوبة[٢].

ولكن، أكثر من ردّ عليهم الجبائي هم المجبّرة[٣]، فرفض قولهم بأن الله يريد من السفهاء والكفار: السفاهة، والكفر لأن هذا الأمر يوجب أن يكون الله غير حكيم، ويبرّر الجبائي ذلك بأن «من فعل السفه وأراده كان سفيهاً، والسفيه لا يكون حكيماً»[٤].

كما أنكر الجبّائي على المجبّرة قولهم: بأن الله يعذب الأطفال بغير جرم، ويجوز أن يذهب البالغين بغير ذنب[٥]، وأن الإيمان إنما يحصل بخلق الله تعالى، فإذا خلقه حصل وإذا لم يخلقه لم يحصل[٦]، وأن الله تعالى كلّف العبد بما لا يقدر عليه (تكليف ما لا يطاق)، وحاول الجبّائي كثيراً ردّ هذه المسألة[٧]، ورفض الجبائي كلام المجبّرة بأن أكثر ما خلقه الله تعالى بين السموات والأرض من الكفر والمعاصي باطل[٨]، ويذهب الجبائي بأن مذهب المجبّرة وهو على الكفر

---

(١) بعد استشهاد الإمام علي واستلام الأمويين لمقاليد الأمور، قام جمهور من الناس - يعرف بالسواد الأعظم - بتشكيل فرقة جديدة تدعى: المرجئة، في مقابل الخوارج الذين لم يقروا بإمامة علي ولا بخلافة معاوية، وكذلك في مقابل شيعة الإمام علي الذين كانوا يعتقدون بإمامته.

والإرجاء لغة يعني: تأخير الأمر. وسمّوا المرجئة بذلك لإرجائهم حكم أهل الكبائر إلى يوم القيامة. راجع: موسوعة الفرق الإسلامية، محمد جواد مشكور، ص٤٦٢ و٤٦٣.

(٢) راجع تفسير الجبائي، سورة التوبة: ٣٩.

(٣) هم المعتقدون بالجبر، ويسندون أفعال العباد إلى الله ولا اختيار لعباده فيها. وهم صنفان: متوسطة تثبت للعبد كسباً في الفعل كالأشعرية. وخالصة، لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل وهم الجهمية أتباع جهم بن صفوان. راجع موسوعة الفرق الإسلامية للدكتور جواد مشكور، ص١٩٠.

(٤) تفسير الجبائي، سورة البقرة: ٢٠٩.

(٥) م. ن. سورة آل عمران: ١٨٢.

(٦) م. ن. سورة الأنعام: ١٠٩.

(٧) م. ن. سورة الأعراف: ٤٣.

(٨) م. ن. سورة الحجر: ٨٥.

والمعاصي بناء على قولهم بأن الله خلق الكافر لأجل أن يكفر[١]، واستدلّ على فساد قولهم من عدة وجوه[٢].

ويشير الجبائي في تفسيره بأن السيد المسيح (عليه السلام) لم يصلب وإنما رفع إلى السماء، ويذكر الجبّائي قصة ذلك فيقول: «إن رؤوساء اليهود أخذوا إنساناً فقتلوه وصلبوه على موضع الحال، ولم يمكّنوا أحداً من الدنو منه فتغيّرت حليته وتنكرت صورته، وقالوا: قتلنا عيسى، ليوهموا بذلك على عوامهم، لأنهم كانوا أحاطوا بالبيت الذي فيه عيسى، فلما دخلوا كان رفع عيسى من بينهم، فخافوا أن يكون ذلك سبب إيمان اليهود به، ففعلوا ذلك»[٣].

وأخيراً، يذكر الجبائي أن المقصود من قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ هم اليهود، «لأنهم كانوا إذا وجب الحكم على ضعفائهم ألزموهم إياه، وإذا وجب على أقويائهم وأشرافهم لم يؤاخذوهم به، فقيل لهم: أفحكم الجاهلية أي عبدة الأوثان تطلبون، وأنتم أهل الكتاب»[٤].

ويشير الشيخ الطبرسي في مجمع البيان بأن هذا التأويل هو في الأساس لمجاهد واختاره الجبّائي[٥].

١٢ ـ آراء الجبائي من خلال تفسيره:

من يطالع تفسير الجبائي يعثر على الكثير من الآراء الكلامية والفلسفية والعلمية والفقهية والقرآنية، ويلاحظ عليها جميعاً ما يتناغم ويتوافق مع الفكر الاعتزالي عامة، وهذا الأمر طبيعي لأن الجبّائي من رؤساء المعتزلة.

وعرضي لآراء الجبائي بناءً على العناوين التالية:

(١) تفسير الجبائي، سورة ص: ٢٧.

(٢) م. ن. سورة الشورى: ٢٧.

(٣) تفسير الجبائي، سورة النساء: ١٥٨.

(٤) تفسير الجبائي، سورة المائدة: ٥٠.

(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ٢٠٥.

أ ـ في التوحيد:

١ ـ العلم بوجود الله ليس اضطراراً[١].

٢ ـ إن الله مريد وموجود لا في محل[٢]، وليس هو في جهة دون جهة[٣].

٣ ـ الله لا يريد شيئاً من القبائح[٤].

٤ ـ الله عالم بالأشياء قبل كونها[٥].

٥ ـ الله قادر لنفسه[٦].

٦ ـ لا يفعل الله القبيح[٧].

٧ ـ كلام الله حادث[٨].

٨ ـ إرادة الله محدثة[٩]

٩ ـ كلام الله شيء مغاير للحروف والأصوات وهو باقٍ مع قراءة كل قارىء[١٠]. ويعلّق الرازي على هذا القول بأن المعتزلة قد أطبقوا على فساد هذا المذهب، ولكن الجبائي قال به بسبب قوّة الإلزام الذي ألزم به، فلذلك ارتكب مذهباً عجيباً[١١].

١٠ ـ لا يقدر على الحِياة والإماتة إلاّ الله تعالى[١٢].

---

(١) تفسير الجبائي، سورة الزخرف: ٨٧.

(٢) م. ن. سورة البقرة: ٢٦.

(٣) م. ن. سورة البقرة: ١١٥.

(٤) م. ن. سورة آل عمران: ١٠٨.

(٥) م. ن. سورة آل عمران: ١٨٦.

(٦) م. ن. سورة آل عمران: ١٩٩.

(٧) م. ن. سورة النساء: ١٤١.

(٨) م. ن. سورة الأنعام: ٦٣ وأيضاً سورة هود: ١.

(٩) تفسير الجبائي، سورة الأنعام: ١١١ وأيضاً سورة يونس: ٩٩.

(١٠) م. ن. سورة التوبة: ٦.

(١١) الرازي: التفسير الكبير ١٥/ ١٨٢.

(١٢) تفسير الجبائي، سورة يونس: ٥٦.

١١ ـ الله لا يتكلم بآلة، وإنه ليس بجسم...[١].
١٢ ـ لا يجوز أن يوصف الله بأنه شديد العقاب[٢].
١٣ ـ أمر الله يكون كلمح البصر في سرعته ومن غير إبطاء[٣].
١٤ ـ لا تجوز على الله صفات الأجسام والأعراض[٤].
١٥ ـ فعل الله لا يجوز أن يوصف بأنه شر[٥].
١٦ ـ الله لا يعذب الأطفال بكفر آبائهم[٦].
١٧ ـ لا يجوز على الله النوم[٧].

ب ـ النبوة:

١ ـ ارتكاب النبي الكفر والكبيرة قبل النبوّة جائز[٨].
٢ ـ المعجزات لا تجوز إلاَّ للأنبياء[٩]، كما أنه لا يجوز ظهور الآيات الخارقة للعادة لغير الأنبياء[١٠].
٣ ـ يستعين النبي برأي أصحابه في أمور الدنيا[١١].
٤ ـ يجوز نسخ القرآن بالسنّة[١٢].
٥ ـ لا يجوز ترك ظاهر القرآن إلاَّ بدليل[١٣]، وأشار الجبائي إلى قاعدة

---

(١) م. ن. سورة النور: ٢٩.
(٢) م. ن. سورة فصلت: ١٥.
(٣) م. ن. سورة الرحمن: ٥٠.
(٤) م. ن. سورة الجن: ٣.
(٥) م. ن. سورة الفلق: ٢.
(٦) م. ن. سورة الإسراء: ٥ (الفقرة ب) وأيضاً سورة العنكبوت: ٨٤ (الفقرة أ).
(٧) م. ن. سورة الأعراف: ١٤٣.
(٨) تفسير الجبائي، سورة البقرة: ٣٦.
(٩) م. ن. سورة البقرة: ٢٥٩.
(١٠) م. ن. سورة آل عمران: ٢٧.
(١١) م. ن. سورة آل عمران: ١٥٩.
(١٢) م. ن. سورة النساء: ١٥ (الفقرة ج).
(١٣) م. ن. سورة البقرة: ٢٣٠ و٢٣٩ و٢٨٦.

عامة تبيّن حمل الآية على الظاهر[١].

٦ ـ إن النبي آدم وقابيل وهابيل كانا من بني إسرائيل[٢].

٧ ـ آزر هو اسم أبي إبراهيم[٣].

٨ ـ آدم عصى ربّه نسياناً[٤].

٩ ـ لا يجوز للأنبياء أن يأمروا بالكفر ولا أن يريدوه[٥].

١٠ ـ الألواح هي التوراة، وفيها أخبار الأمم الماضية، وفصّل فيها الحرام والحلال[٦].

١١ ـ شرع موسى منسوخ بشرع عيسى وشرع محمد[٧].

١٢ ـ آمن بالرسول ﷺ من اليهود ابن سلام وابن صوريا[٨].

١٣ ـ النبي ﷺ يرتكب المعصية من غير تعيين ما هي[٩].

١٤ ـ النبي ﷺ وقع منه ذنب...[١٠].

١٥ ـ ابن نوح كان ينافق بإظهار الإيمان[١١].

١٦ ـ كان ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام، وكان عاد باليمن[١٢].

١٧ ـ معراج النبي ﷺ[١٣].

---

(١) م. ن. سورة الأنعام: ٩٩ (الفقرة ت).

(٢) م. ن. سورة المائدة: ٣١.

(٣) م. ن. سورة الأنعام: ٧٤.

(٤) م. ن. سورة الأعراف: ١٩.

(٥) تفسير الجبائي، سورة الأعراف: ١١٦.

(٦) م. ن. سورة الأعراف: ١٤٥.

(٧) م. ن. سورة الأعراف: ١٥٩.

(٨) م. ن. سورة الأعراف: ١٥٩.

(٩) م. ن. سورة الأنفال: ٦٨.

(١٠) م. ن. سورة التوبة: ٤٣.

(١١) م. ن. سورة هود: ٤٣.

(١٢) م. ن. سورة هود: ١٦ (الفقرة أ).

(١٣) م. ن. سورة الإسراء: ١.

١٨ ـ نام أهل الكهف ٣٠٩ سنين[١].

١٩ ـ لا يجوز للأنبياء أن يتعلّموا العلم إلاَّ من ملك من ملائكة الله أو رسول من رسله[٢].

٢٠ ـ الخضر أحد أنبياء بني إسرائيل الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام[٣].

٢١ ـ يأجوج ومأجوج إنهما من ولد يافث بن نوح ومن نسلهم الأتراك[٤].

٢٢ ـ لا تقع معاصي الأنبياء إلاَّ سهواً، فأما مع العلم بأنها معاصي فلا تقع[٥].

٢٣ ـ نجّى الله لوط في أرض الشام[٦].

٢٤ ـ لا يجوز أن يحكم الأنبياء بالاجتهاد[٧].

٢٥ ـ يغلط النبي ﷺ في القراءة سهواً فيها، لأن السهو لا يعرى منه بشر ولا يلبث أن ينبهه الله تعالى عليه[٨].

٢٦ ـ يجوز أن تقع المعاصي ممن شهد موقعة «بدر»[٩].

٢٧ ـ الأنبياء لا يسألون الله إلاَّ ما يأذن لهم في مسألته[١٠].

٢٨ ـ أمر الله تعالى النبي ﷺ أن يصلي الصلوات المفترضة في

---

(١) م. ن. سورة الكهف: ١٨.
(٢) تفسير الجبائي، سورة الكهف: ٦٥ (الفقرتان أ و ب).
(٣) م. ن. سورة الكهف: ٦٥ (الفقرة ب).
(٤) م. ن. سورة الكهف: ٩٤.
(٥) م. ن. سورة طه: ١٢١.
(٦) م. ن. سورة الأنبياء: ٧١.
(٧) م. ن. سورة الأنبياء: ٧٨ و٧٩.
(٨) تفسير الجبائي، سورة الحج: ٥٢.
(٩) م. ن. سورة النور: ٣١.
(١٠) م. ن. سورة الشعراء: ١٣.

أوقاتها[١].

٢٩ ـ زوجة زيد كانت ابنه عمة الرسول ﷺ، فأضمر الرسول صلى الله عليه أن يتزوجها إن طلقها زيد[٢].

٣٠ ـ لا أحد من المكلفين إلاَّ وقد بعث الله إليهم رسولاً، وأقام الحجّة على جميع الأمم[٣].

٣١ ـ عُوتب داوود على الحرص على الدنيا...[٤].

٣٢ ـ جميع الأنبياء هم أولو العزم لأنهم عزموا على آداء الرسالة وتحمل أعبائها[٥].

٣٣ ـ الأنبياء لا يغنون شيئاً عن عذاب الآخرة لمن استحقوه بكفرهم[٦].

٣٤ ـ آدم أول من سمي بالإنسان[٧].

٣٥ ـ لم يرسل الله تعالى على الأنبياء إلاَّ من هو بصورة رجل من الملائكة[٨].

٣٦ ـ القرآن حادث[٩].

٣٧ ـ القرآن محفوظ من أيدي المشركين[١٠].

٣٨ ـ الملائكة لم تقاتل يوم بدر[١١]، ولكن في مكان آخر من التفسير، يذكر الجبائي أن الملائكة لم تقاتل إلاَّ يوم بدر خاصة، ونزلت يوم «حنين» من جهة

---

(١) م. ن. سورة العنكبوت: ٤٥.
(٢) م. ن. سورة الأحزاب: ٣٧.
(٣) م. ن. سورة فاطر: ٢٤.
(٤) تفسير الجبائي، سورة ص: ٢٥.
(٥) م. ن. سورة الأحقاف: ٣٥.
(٦) م. ن. سورة القمر: ٥.
(٧) م. ن. سورة الإنسان: ١.
(٨) م. ن. سورة الكهف: ٨٦.
(٩) م. ن. سورة الحجر: ٩.
(١٠) م. ن. سورة الحجر: ٨.
(١١) م. ن. سورة الأنفال: ١٠.

الخاطر الذي يشجع قلوب المؤمنين ويجبن عنهم أعداؤهم[١].

٣٩ ـ لا يعلم تأويل المتشابه من القرآن إلاّ الله تعالى[٢].

ج ـ الإمامة والإنسان والمعاد:

١ ـ كان الناس على الكفر قبل إرسال الأنبياء[٣]، ولكن في عهد آدم وولده كانوا على الإسلام[٤].

٢ ـ الله لا يكلّف العبد بما لا يقدر عليه[٥].

٣ ـ جنّة آدم هي جنّة الخلد[٦].

٤ ـ الاستطاعة قبل الفعل[٧].

٥ ـ أهل النار لا يخرجون منها[٨].

٦ ـ النعيم منه بحساب ومنه بغير حساب، وأما العقاب فجميعه بحساب[٩].

٧ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الجميع[١٠].

٨ ـ الله يغفر للعبد ما نسيه من ذنوبه[١١].

٩ ـ أَجَلُ الإنسان هو أَجَلٌ واحد[١٢].

---

(١) تفسير الجبائي، سورة التوبة: ٢٦.
(٢) م. ن. سورة آل عمران: ٧ (الفقرة ب) .
(٣) تفسير الجبائي، سورة البقرة: ٢١٣.
(٤) م. ن. سورة يونس: ١٩.
(٥) م. ن. سورة البقرة: ٢٣٠ (الفقرة ب) وأيضاً سورة الأعراف: ٤٣.
(٦) م. ن. سورة البقرة: ٣٥ و٣٨.
(٧) م. ن. سورة البقرة: ١٨٤ (الفقرة ب) وأيضاً سورة الأعراف: ٤٣.
(٨) م. ن. سورة آل عمران: ٢٣.
(٩) م. ن. سورة آل عمران: ٢٧.
(١٠) م. ن. سورة آل عمران: ١٠٤.
(١١) م. ن. سورة آل عمران: ١٣٥.
(١٢) م. ن. سورة آل عمران: ١٤٥.

١٠ ـ الإمام مجتهد[١].

١١ ـ عذاب أهل النار وتجديد جلودهم[٢].

١٢ ـ أولو الأمر في القرآن هم الأمراء[٣]، ومن لهم الأمر على الناس بالولاية[٤].

١٣ ـ أفعال العباد غير مخلوقة لله[٥].

١٤ ـ لا يجوز على الأئمة المعصومين حسب مذهب الشيعة الإمامية، التقيّة، لأنهم إذا كانوا الحجّة كانوا مثل النبي ﷺ، وكما لا يجوز عليه التقية فكذا الإمام[٦].

١٥ ـ إن الله تعالى يقلّب أفئدة الكفارة في الآخرة في جهنم على لهب النار وحرّ الجمر...[٧].

١٦ ـ يخرج الله العباد يوم القيامة من هذه الأرض التي حيوا فيها بعد موتهم[٨].

١٧ ـ لا يدخل الجنّة من المكلّفين إلاّ المطيع لله[٩].

١٨ ـ بطلان قول الرافضة بأن الأئمة منصوص عليهم بأعيانهم إمام بعد إمام إلى يوم القيامة[١٠].

---

(١) تفسير الجبائي، سورة النساء: ١٥، وراجع القاضي عبد الجبار، كتاب المغني.... ج١١/ ٢١٢ حيث فصّل قول الجبائي وابنه أبي هاشم حول هذه المسألة.

(٢) م. ن. سورة النساء: ٥٦.

(٣) م. ن. سورة النساء: ٥٩.

(٤) م. ن. سورة النساء: ٨٣ (الفقرة ب) .

(٥) م. ن. سورة النساء: ٨٢ (الفقرة ب) وأيضاً سورة التوبة: ١٤ وأيضاً سورة ص: ٢٧.

(٦) م. ن. سورة النساء: ١٤٠ (الفقرة أ) وأيضاً سورة الأنعام: ٦٨ (الفقرة ب) .

(٧) م. ن. سورة الأنعام: ١١٠.

(٨) م. ن. سورة الأعراف: ٢٥.

(٩) م. ن. سورة الأعراف: ١٤٦ (الفقرة ب) .

(١٠) تفسير الجبائي، سورة الأعراف: ١٨٧ (الفقرة ت) .

١٩ ـ حواء كانت تلد في كل بطن ذكر وأنثى[١].

٢٠ ـ المؤمنون المستحقون للثواب لا يخافون يوم القيامة[٢].

٢١ ـ لا يجوز أن يجيب الله دعوة الكافر لأن إجابتها إكرام له[٣].

٢٢ ـ لا ينصرف أحد عن معصية إلاّ بلطف الله عز وجل[٤].

٢٣ ـ الشيطان لا يقدر على الإضرار بالإنسان أكثر من إغوائه ودعائه إلى المعاصي[٥].

٢٤ ـ وصف أهوال يوم القيامة[٦].

٢٥ ـ لا يخلو كل عصر ممن يكون قوله حجّة على أهل عصره، وهو عدل عند الله[٧] ويعلّق الشيخ الطوسي على كلام الجبائي فيقول: «وهو قولنا وإن خالفناهم في من هو ذلك العدل[٨]»؟

٢٦ ـ خلق الإنسان على حب العجلة في أمره[٩].

٢٧ ـ كشف الله أجسام الجنّ حتى تهيأ لهم تلك الأعمال وذلك معجزة للنبي سليمان، ويعدد الجبائي أعمال الجن مع سليمان[١٠].

٢٨ ـ لا يموت أحدهم حتى يعرف منزلته عند الله تعالى اضطراراً وأنه من أهل الثواب أو العقاب[١١].

---

(١) م. ن. سورة الأعراف: ١٩٠.

(٢) م. ن. سورة التوبة: ٦٣.

(٣) م. ن. سورة يونس: ٨٩ وأيضاً سورة الحجر: ٣٨ (الفقرة ب).

(٤) م. ن. سورة يوسف: ٣٣.

(٥) م. ن. سورة إبراهيم: ٢٢ وأيضاً سورة الحجر: ٤٣ (الفقرة أ) وأيضاً سورة الإسراء: ٦٥ وأيضاً سورة الأنبياء: ٨٣ (الفقرتان ت وث).

(٦) م. ن. سورة إبراهيم: ٤٣.

(٧) م. ن. سورة النحل: ٨٩.

(٨) الطوسي: التبيان ٦/ ٤١٧.

(٩) تفسير الجبائي، سورة الأنبياء: ٣٧.

(١٠) م. ن. سورة الأنبياء: ٨٣ (الفقرة ب).

(١١) م. ن. سورة المؤمنون: ١٠٠.

٢٩ ـ لا أحد يقيم الحدّ لا الأئمة ولا ولاتهم[١].

٣٠ ـ الله تعالى يحاسب الجميع في وقت واحد[٢].

٣١ ـ استدلّ على صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بقوله تعالى في الآية ٥٥ من سورة النور[٣].

٣٢ ـ كان أبو بكر خائفاً فأنزل الله سكينته عليه[٤].

٣٣ ـ الله لا يريد الكفر فيمن يكفر[٥].

٣٤ ـ عذاب القبر[٦].

٣٥ ـ أرض الجنّة واسعة[٧].

٣٦ ـ كل من تجاوز عن تكاليف الله وتعداها فقد طغى[٨].

٣٧ ـ الدخان آية من أشراط الساعة (يوم القيامة)[٩].

٣٨ ـ القبائح ليست من خلق الله بل هي من أفعال العباد[١٠].

٣٩ ـ الآخرة ليست دار تكليف بل هي دار جزاء[١١].

٤٠ ـ الله أراد الإيمان من الكل سواء آمنوا أو كفروا[١٢].

٤١ ـ الله خالق كل شيء سوى أفعال خلقه التي صحّ فيها الأمر والنهي

---

(١) م. ن. سورة النور: ٢.

(٢) م. ن. سورة النور: ٢٩.

(٣) م. ن. سورة النور: ٥٥.

(٤) م. ن. سورة التوبة: ٤٠.

(٥) م. ن. سورة النور: ٥٠.

(٦) م. ن. سورة القصص: ٧٢ وأيضاً سورة الروم: ٥٥ (الفقرة أ).

(٧) تفسير الجبائي، سورة العنكبوت: ٥٦.

(٨) م. ن. سورة ص: ٥٥.

(٩) م. ن. سورة الدخان: ١٠.

(١٠) م. ن. سورة الأحقاف: ٣.

(١١) م. ن. سورة التحريم: ٦.

(١٢) م. ن. سورة الإسراء: ٤١.

واستحقوا بها الثواب والعقاب[١].

٤٢ ـ الخمس وسهم النبي ﷺ[٢].

د ـ المسائل العلميّة:

١ ـ الأرض بسيطة وليست كروية[٣].

٢ ـ الشمس والقمر يجريان في أفلاكهما بحساب[٤].

٣ ـ إخراج الحي من الميت[٥].

٤ ـ ينزل الله الماء من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض[٦].

٥ ـ الطين خير من النار[٧].

٦ ـ المطر الذي ينزل من السماء يُنبت به[٨].

٧ ـ لا تكون الصيحة إلاّ بحدوث صوت في فم وحلق حيوان[٩].

٨ ـ الصَرَع ليس من قبل الشيطان[١٠]. ويشير الطوسي إلى أن العلاف وابن الإخشيد أجازا ذلك على عكس **الجبائي**[١١].

٩ ـ غياب الشمس وراء البحر وأوهام الناظرين[١٢].

١٠ ـ مدّ الظل من وقت غروب الشمس إلى وقت طلوعها فيكون الظلّ

---

(١) م. ن. سورة الزمر: ٦١.

(٢) م. ن. سورة الأنفال: ٤١.

(٣) م. ن. سورة البقرة: ٢٢.

(٤) تفسير الجبائي، سورة الأنعام: ٩٦.

(٥) م. ن. سورة الأنعام: ٩٥.

(٦) م. ن. سورة الأنعام: ٩٩ (الفقرة ت) .

(٧) م. ن. سورة الأعراف: ١٣.

(٨) م. ن. سورة الأعراف: ٣٦.

(٩) م. ن. سورة هود: ٦٧.

(١٠) م. ن. سورة النحل: ٩٩.

(١١) الطوسي: التبيان ٦/ ٤٢٥.

(١٢) تفسير الجبائي، سورة الكهف: ٨٦.

بالليل لأنه ظل الأرض[١].

١١ ـ السماء الدنيا من حديد[٢].

١٢ ـ الرياح تنشر السحاب في الهواء[٣].

١٣ ـ النار صفراء[٤].

١٤ ـ السحاب[٥].

١٥ ـ كلّ الأشياء إما زوج وإما فرد[٦].

١٦ ـ النظر هو تقلب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته[٧].

هـ - لطيف الكلام:

١ ـ اللغات كلها توقيفية[٨].

٢ ـ الملائكة روحانيون خلقوا من الريح[٩].

٣ ـ اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الكافر، لأن الكافر من الأسماء الشرعية[١٠].

٤ ـ الشيطان خلق ضعيف[١١].

٥ ـ لا يعطي الله الملك للفاسق[١٢].

---

(١) تفسير الجبائي، سورة الفرقان: ٤٥.
(٢) م. ن. سورة الرحمن: ٣٧.
(٣) م. ن. سورة المرسلات: ٣.
(٤) م. ن. سورة المرسلات: ٢٣.
(٥) م. ن. سورة التكوير: ٤ (الفقرة ب) .
(٦) م. ن. سورة الفجر: ٣.
(٧) م. ن. سورة الأعراف: ١٩٨.
(٨) م. ن. سورة البقرة: ٢١ (الفقرة ب) .
(٩) تفسير الجبائي، سورة البقرة: ٢٤.
(١٠) م. ن. سورة البقرة: ٢٢١.
(١١) م. ن. سورة البقرة: ٢٥٧ و٢٧٥.
(١٢) م. ن. سورة آل عمران: ٢٦.

٦ ـ تسمية المسيح مسيحاً[١].

٧ ـ لا يكون لليهود مملكة إلى يوم القيامة كما للرّوم[٢].

٨ ـ الشهداء جمع شهيد وهم الذين جعلهم الله شهداء في الآخرة وهم عدول الآخرة[٣].

٩ ـ الفتح هو فتح بلاد المشركين[٤].

١٠ ـ الملائكة أفضل من الأنبياء[٥].

١١ ـ الحث على الطاعة قبل حلول المانع[٦].

١٢ ـ تحويل صورة الشيطان إلى إنسان[٧].

١٣ ـ الحث على الجهاد[٨].

١٤ ـ اتخاذ الوليجة[٩] من دون الله ودون رسوله هو النفاق[١٠].

١٥ ـ الرضوان أكبر من الثواب[١١].

١٦ ـ الملائكة قبل خلق السموات والأرض[١٢].

١٧ ـ الملائكة أفضل من البشر[١٣].

١٨ ـ الملائكة نصف أجنحتها في الهواء إذا أرادت النزول[١٤] إلى الأرض

---

(١) م. ن. سورة آل عمران: ٤٥.

(٢) م. ن. سورة آل عمران: ٥٥ (الفقرة ب).

(٣) م. ن. سورة النساء: ٧٠.

(٤) م. ن. سورة المائدة: ٥٣.

(٥) تفسير الجبائي، سورة الأنعام: ٥٠ (الفقرة ب).

(٦) م. ن. سورة الأنفال: ٢٤.

(٧) م. ن. سورة الأنفال: ٤٨.

(٨) م. ن. سورة التوبة: ٢٤ و٦٧.

(٩) الوليجة الدخيلة في القوم من غيرهم.

(١٠) تفسير الجبائي، سورة التوبة: ١٦.

(١١) م. ن. سورة التوبة: ٧٢.

(١٢) م. ن. سورة هود: ٧.

(١٣) م. ن. سورة يوسف: ٣١.

(١٤) م. ن. سورة يوسف: ٣٤.

واقفة تنتظر ما يأمرها الله[١].

١٩ ـ الدعاء جائز بما يعلم أنه يكون[٢].

٢٠ ـ أنكر العين وقال: لم تثبت بحجّة وإنما هو شيء يقوله الجهّال من العامّة، ويلاحظ أن الرّماني، والبلخي قالا بالعين وخالفا الجبائي[٣].

٢١ ـ الزنا ليس بكفر لأن ليس على صاحبه حكم المرتد[٤].

٢٢ ـ على الإنسان أن يظهر الحق وإن خاف القتل[٥].

٢٣ ـ الشعراء يصغون إلى ما يلقيه الشيطان إليهم على جهة الوسوسة لما يدعوهم إليه من الكفر والضلال[٦].

٢٤ ـ يسمي الله الحُسن حسناً قبل وجوده وكذلك القبيح[٧].

٢٥ ـ بين السماء والأرض مسيرة ٥٠٠ عام لابن آدم[٨].

٢٦ ـ الليل والنهار عَرَضان لا حركة لهما[٩].

٢٧ ـ لا يمتنع أن يكون الله قد خلق في الطيور من المعارف ما تفهم به مراده وأمره من نهيه فتطيعه في ما يريده منها، وإن لم تكن كاملة العقول ولا مكلفة[١٠].

٢٨ ـ ليس في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع غير الآية ١٢ من سورة التحريم[١١].

---

(١) م. ن. سورة الصافات: ١.

(٢) م. ن. سورة يوسف: ٦٧.

(٣) الطوسي التبيان ٦/ ١٦٧.

(٤) تفسير الجبائي، سورة النور: ٧.

(٥) م. ن. سورة الشعراء: ٤٩.

(٦) م. ن. سورة الشعراء: ٢٢٤.

(٧) م. ن. سورة الشعراء: ٨ (الفقرة ت) .

(٨) م. ن. سورة السجدة: ٥.

(٩) م. ن. سورة يس: ٤٠.

(١٠) م. ن. سورة ص: ١٧.

(١١) م. ن. سورة التحريم: ١٢.

٢٩ ـ الكواكب أنفسها لا تزول إلى أن يريد الله تعالى إفناءها[١].

١٣ ـ أثر تفسير الجبّائي ونقده:

تتلمذ على الجبّائي العديد من المفكرين الاعتزاليين كالصيمري[٢]، وابن رباح[٣]، والباهلي[٤]، والحُصيني[٥]، وابنه أبو هاشم[٦]، وابن الإخشيد[٧]، والواسطي[٨]، والأشعري[٩]، صاحب مقالات الإسلاميين، الذي تتلمذ عليه ما يقارب الأربعين عاماً ولكنه عاد وانفصل عنه مكّوناً مذهباً مستقلاً وردّ عليه بأمور كثيرة لا سيما على تفسيره وأسماه «تفسير القرآن والردّ على من خالف البيان من أهل الإفك والبهتان ونقض ما حرّفه الجبّائي، والبلخي في تأليفهما»[١٠].

وإذا تجاوزنا الأشعري، نجد أن تفسير الجبّائي قد لاقى مدحاً وقدحاً من مفسري الشيعة والسنّة، كالطوسي، والطبرسي، والرازي، وهذا ما سوف أبيّنه وأوضحه.

أ ـ الجبّائي والأشعري، وابن عساكر، وابن طاووس:

وجه كل من الأشعري[١١]، وابن طاووس[١٢]، وابن عساكر[١٣]، انتقادات إلى تفسير الجُبّائي.

---

(١) تفسير الجبائي، سورة الملك: ٥.
(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٢١٩، الفن الأول من المقالة الخامسة.
(٣) م. ن، ص٢٢١.
(٤) م. ن، ص٢١٩.
(٥) م. ن، ص٢٢١.
(٦) م. ن، ص٢٢٢.
(٧) م. ن، ص٢٢٠.
(٨) م. ن، ص٢١٨.
(٩) أحمد صبحي: في علم الكلام ج١/ ٢٨٩.
(١٠) ابن عساكر: تبيين كذب المفتري... ص ١٣٤ و١٣٦.
(١١) ابن عساكر: تبين كذب المفتري...، ص١٣٤.
(١٢) ابن طاووس: سعد السعود للنفوس، ص ٢٥٣ و٢٥٤ و٢٥٥.
(١٣) ابن عساكر: م. س، ص ١٣٨ و١٣٩.

فالأشعري وضع تفسيراً للقرآن وفيه ردّ على تأويل الجُبّائي، والبلخي[١]. وابن عساكر بيّن تهافت الجبّائي. وأما ابن طاووس فوجه إليه خمسة انتقادات. ومن المؤسف حقاً أن إشكالات الأشعري وابن عساكر لم تتجاوز السطرين في المصادر، على خلاف ابن طاووس، الذي أورد لنا بشكل أوسع انتقاداته. فلذلك، سأعرض نقد ابن طاووس، وخلال العرض أذكر ملاحظات الأشعري وابن عساكر وابن المرتضى المعتزلي.

وجّه ابن طاووس إلى تفسير الجبّائي، خمسة انتقادات: الأول والثاني في تعصب الجبّائي على بني هاشم، والثالث في منهجه التفسيري، والرابع في أسلوبه والخامس في مخالفته المفسرين.

أما النقد الأول، فهو عدم رواية الجبّائي عن أحد من أصحاب التفاسير. والسبب مختلف في ذلك ما بين خصوم الجبّائي والموافقين له:

١- ابن طاووس وهو من الخصوم، يرى أن تعصُّب الجبّائي على بني هاشم منعه من الرواية عنهم، فهذا ابن عباس، الذي يُعتبر تفسيره من أظهر التفاسير[٢]، فإن الجبّائي لم يأخذ منه وكأنه ما سمع في الدنيا مفسراً للقرآن اسمه عبد الله بن عباس[٣]، على حد تعبير ابن طاووس.

٢- أما ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) وهو أيضاً من الخصوم، فيرى المانع هو، اعتماد الجُبائي في تفسيره على ما وسوس به صدره وشيطانه[٤].

٣- وأما السبب عند ابن المرتضى، وهو من الموافقين، فهو سعة علم الجبّائي[٥]، الذي دعاه إلى عدم النقل عن أي رجل ألاّ عن أبي بكر الأصمّ[٦].

وخلال هذا العرض، يتكون لدينا ملاحظتان:

---

(١) م. ن. ص ١٣٨ و١٣٩.

(٢) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٥٣.

(٣) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٥٣.

(٤) ابن عساكر: تبين كذب المفتري، ص ١٣٨ و١٣٩.

(٥) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة، ص ٥٧.

(٦) م. ن.

الأولى: ضرورة الحذر دوماً من موقف علمائنا القدامى من بعضهم البعض، والنتائج عادة سببها خلفيات ومواقف مسبقة، وكما لاحظنا، أن خصوم **الجبّائي** كابن طاووس وابن عساكر، ردّا عدم نقل **الجبّائي** عن غيره من المفسرين هو التعصب والضلال والانحراف. بينما الأمر ليس كذلك عند ابن المرتضى المعتزلي الموافق **للجبّائي** والذي عزا الأمر إلى سعة علم **الجبّائي**. وأما الملاحظة الثانية، فهي اقتباس **الجبّائي** فقط عن أبي بكر الأصم، وأظن، أن هذه الملاحظة جديرة بالاهتمام... وتجعلنا نذهب أكثر في التعمق بما أورده ابن طاووس عن تعصّب **الجبّائي** على بني هاشم، لأن "الأصم" المنسوب إليه تفسيراً، قد خالف كافة المعتزلة في الغلوّ في كره الإمام علي، فسائر المعتزلة تقول "بحب علي عليه السلام، إلاّ أبي بكر الأصم قال بكره علي، وبرّر ابن المرتضى غلو الأصم "فقال بأنه ابتلى يوماً في مناظرة هشام بن الحكم، فغلا هشام في حبّ علي عندها غلا أبو بكر الأصم في كره علي"(1).

عرضت هذا لأقول: إن ما ذكره ابن طاووس عن تعصب **الجبّائي** على بني هاشم، والذي يعتبر الإمام علي عليه السلام واحد منهم. لعل مصدره "الأصم" والذي تأثر به **الجبّائي** كثيراً، حتى أنه لم ينقل عن غيره في تفسيره.

ومن هنا نُسب أن الشيعة اتهمت **أبا علي الجبّائي** بالتّعصب(2)، أي العداء للإمام علي عليه السلام.

هذا مجرد ظن وتخمين. والحقيقة مرهونة بالعثور على تفسير **الجبّائي** عينه.

وأما النقد الثاني: في تعصب **الجبّائي** على بني هاشم، فيرى ابن طاووس أن **الجبّائي** " ادعى أن بعض الآيات نزلت في المتقدّمين على بني هاشم في الخلافة". أي الخليفة الأول والثاني والثالث، باعتبارهم ليسوا من بني هاشم، على عكس الإمام علي الذي هو هاشمي.

ومن المؤسف حقاً، أن ابن طاووس لم يوضّح لنا هذه الآيات التي تأوّلها

---

(١) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة،.

(٢) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة، ص ٨٤.

الجبّائي في حق الخلفاء. ويعتبر ابن طاووس أن صنيعة الجبّائي هذه إنما هي مكابرة وبهت وعناد[١].

النقد الثالث: يرى ابن طاووس أن تفسير الجبّائي يدل على أنه ما كان عارفاً بتفسير القرآن ولا علومه، لأن تأويله:

١- شاذ وغير مستند إلى حجّة.

٢- ولا يوافق كلام العرب.

٣- ولا يبين حجّة مخالفة المفسرين[٢].

ويشير ابن عساكر، إلى أن للأشعري، تفسيراً للقرآن. يردّ فيه على ما حرّفه أستاذه من تأويل للآيات[٣].

ويوافق ابن عساكر ابن طاووس، بأن تفسير الجُبّائي، شاذ وعلى خلاف ما أنزل الله عزّ وجل، وإنه على لغة أهل قريته المعروفة بجُبّى[٤]، وهذا ما أشار إليه ابن طاووس بعدم موافقته كلام العرب، ومن الطبيعي أن يحصل التوافق ما بين ابن طاووس وابن عساكر، باعتبارهما من خصوم الجبّائي، فالأول شيعي والآخر أشعري، ولكن هذا لا يعني أن لا نأخذ بعين الاعتبار هذا التوافق، بل فيه إشارة والتفات.

ونضيف إلى ما ذُكر، أن ابن طاووس، وجه نقداً إلى الجبّائي باستعماله عبارة 'يعني الله جل جلاله كذا وكذا' أو 'إن الله عنى ذلك'، أثناء تفسيره للآيات، واعتبر ابن طاووس، أنه ما كان جبرائيل ولا رسول الله ﷺ يقولون يعني الله كذا وكذا إلاّ بوحي من الله جل جلاله.

وأن الجبّائي يقول 'يعني الله كذا' إنما هو يتحكّم الله عز وجل بذلك[٥].

---

(١) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٥٤.

(٢) م. ن، ص ٢٥٤.

(٣) ابن عساكر: تبيين..، ص ١٣٤.

(٤) م. ن، ص ١٣٨.

(٥) ابن طاووس: سعد السعود، ص٢٥٤.

وقد أورد ابن طاووس العديد من الآيات التي نقلها عن تفسير **الجبّائي** فيه عبارة "عنى الله في ذلك"... الخ.

ومرة أخرى، يتوافق الأشعري وابن طاووس، حيث أن الأشعري نقل بعض التأويلات **للجبّائي**، ونقل فيها عبارة "عنى الله فيها كذا وكذا"...

ومن جديد، كل هذه الملاحظات من خصم بحق خصمه، وعادة لا يقبل رأي الخصم في خصمه، على حدّ تعبير الشريف المرتضى. فلذلك، نحن هنا نعرض فقط، أما الحقيقة فمرهونة بالمستقبل.

النقد الرابع: يرى ابن طاووس، أن عادة المفسرين، نقل قصص الأنبياء والحوادث التي تضمنها القرآن. وهذا الأمر لم يذكره **الجبّائي**[1]

النقد الخامس: هو مخالفة **الجبّائي** للمفسرين، ويرى ابن طاووس، أن **الجبّائي** لم يذكر: أسباب النزول، ولا وجوه الإعراب، والتصريف والاحتمال، وفصاحة الآيات، ومواضع الإعجاز[2].

ويلاحظ، أن هذا النقد متمم للنقد الثالث، في مخالفة **الجبّائي** للمفسرين.

ب ـ الجبّائي والطوسي:

اعتنى الطوسي بتفسير **الجبّائي** عناية خاصة فذكر أن **الجبّائي** من "جماعة أهل العدل من المفسرين" ويقصد بهم المعتزلة[3]، وكان يفضّل رأيه أحياناً على آراء ابن عباس، وقتادة، وعطاء[4]، وكثيراً ما كان يشير إلى موافقة كلام **الجبائي** لما ورد عند أئمة أهل البيت[5]، أو في «تفسير أصحابنا»[6] أو لقراءة الإمام علي[7].

---

(١) ابن طاووس: سعد السعود / ص ٢٥٤.
(٢) م. ن، ص ٢٥٤ و٢٥٥.
(٣) الطوسي: التبيان ٤/ ٢٢٦.
(٤) م. ن، ٢/ ١٤٢ وج٢/ ١٥٨ و١٥٩.
(٥) م. ن، ٢/ ٧٧و١٦٢ و٢٢٦ و٢٣١ و٣٣٣ و٢٤٢ و٢٤٨ و٢٥٦ و٢٧٣ و٢٤٨ وج٣/ ١١٧ و١٤٨ و١٦٢، ٢٠٥، ٢٠٦ و٢٣٢ و٢٣٣ و٢٨٥، ٥٠٥ وج٤/ ١١ و٤٤ و٢٠٢.
(٦) م. ن، ٣/ ١٠٣.
(٧) م. ن، ٣/ ٢٠٥.

ووافق الطوسي كثيراً الجبّائي، فكان ينقل أحياناً كلاماً له محكياً عن بعض الفقهاء ويعلّق الطوسي عليه بأن «هذا يليق بمذهبنا ولا نص لأصحابنا فيها»[١]، أو «وهذا صحيح»[٢]، أو «الذي قاله أبو علي أعمّ فائدة»[٣] ، والسبب بنظر الطوسي أن الجبائي يجمع ما بين رأي الإمام الشافعي وأحد الفقهاء لم يذكر الطوسي اسمه.

ويؤيد الطوسي ما اختاره الجبّائي من تفسير ابن عباس[٤]، ويوافقه في نقد حديث نبوي[٥]، ويستعين أحياناً بالردّ على إحدى الإشكاليات بما ذكره الجبائي[٦]، ويعلّق أحياناً على كلام الجبّائي بأنه «هو الأقوى»[٧]، «وهو الظاهر»[٨]، «وهو الصحيح»[٩]، «وهو الظاهر في أخبارنا»[١٠]، «وهو الأصح»[١١] «وهو الصحيح عندنا»[١٢]، «وما قلنا اختاره الجبائي، والطبري وهو المعتمد عليه في تأويل الآية»[١٣]، «وهذا المعتمد عليه»[١٤]، «وهو أليق بالعموم»[١٥]، «ورأيه من الأغلاط القبيحة»[١٦].

---

(١) الطوسي: التبيان ٢/ ٢٧٠.
(٢) م. ن ٤/ ٢٢.
(٣) م . ن ٤/ ٢٣ و٢٥.
(٤) م. ن ١/ ٤٢٣.
(٥) م. ن ١/ ٢٧٤.
(٦) م. ن ٢/ ١٨.
(٧) م. ن ١/ ٤٥٥ و٣/ ١٥٤ و٦/ ١٥.
(٨) م. ن ٦/ ١٣٣.
(٩) الطوسي: التبيان ٦/ ١٦٣ و٢١٢.
(١٠) م. ن ١/ ٤٤٢ و٤٥٣.
(١١) م. ن ١/ ٤٥٤.
(١٢) م. ن ٢/ ٣٣٣.
(١٣) م. ن ٣/ ١٣٢.
(١٤) م. ن ٣/ ٢٣٠.
(١٥) م. ن ٣/ ٤١٧.
(١٦) م. ن ٤/ ٢٩٧.

ولكن، إن موافقة الطوسي للجبّائي لا تعني أبداً عدم مخالفته، فنلاحظ أن الطوسي قد خالف بل فضّل أحياناً كلام الرّماني (ت٣٨٤ هـ) [١]، والبلخي (ت٣١٩هـ) عليه [٢]، وأحياناً أخرى كان الطوسي يعرض نقد الطبري على الجبائي [٣]، أو يعلق على كلام الجبائي بأن هذا التفسير لم يذكره غيره [٤]، أو «هذا فاسد لأنه خلاف أقوال المفسرين» [٥]، أو «هذا ليس بصحيح» [٦]، أو «هو فاسد» [٧]، «وعندنا لا يجوز ذلك» [٨]، «وهذا على مذهبه بعيد» [٩]، «وهذا بعيد لا وجه له في اللغة» [١٠]، «وهذا غلط وقبيح جداً في اللغة» [١١]، «وهذا ليس بشيء» [١٢]، «وليس في الآية ما يدل على ذلك» [١٣]، «وعلى ما قلناه سقط هذا الاعتبار (أي كلام الجبائي)» [١٤].

وتوسّع الطوسي في نقده على الجبائي، فناقشه وردّ عليه بشكل مفصل في مسائل عديدة [١٥].

---

(١) م. ن ٢/ ٤٤.
(٢) م. ن ٢/ ٤٦.
(٣) م. ن ١/ ٤١٦.
(٤) م. ن ١/ ٣٠٩.
(٥) م. ن ٢/ ٨ و١٤.
(٦) الطوسي: التبيان ٢/ ٢٩٩ و٣٢٢ (عبارة الطوسي هي: وهذا ليس بصحيح عندنا)، و٣/ ٢٩٦ و٣٢٥ وج٤/ ١٦٥ و٢٤٣ و٤١١ و٤١٢ وج٦/ ١٦٦.
(٧) م. ن ٢/ ٣٨٥.
(٨) م. ن ٢/ ٢٨٢.
(٩) م. ن ٣/ ٢٤٩.
(١٠) م. ن ٣/ ٢٦٨.
(١١) م. ن ٤/ ٢٤٣ و٢٩٧.
(١٢) م. ن ٤/ ١٤٢ و١٩٤ وج٥/ ٥.
(١٣) م. ن ٦/ ١٣٦.
(١٤) م. ن ٣/ ١٢٠.
(١٥) م. ن ١/ ١٠٢ و١٠٣ (في مسألة كروية الأرض) وج٢/ ٢١٠، وج٦/ ٤١ (مسألة ظاهر اللفظ) و١٣٥ (في مسألة اللطف).

ج ـ الجبّائي والطبرسي:

وافق الطبرسي الشيخ الطوسي في معارضته الجبّائي وقبول آرائه، فيعلّق الطبرسي على كلام الجبائي بأن «هذا هو المروي عند أئمتنا»[١]، أو هذا هو المروي عن الإمام علي[٢] أو الإمام الباقر[٣] أو الصادق[٤]، وأحياناً أخرى يذكر الطبرسي أن كلام الجبّائي «يليق بمذهبنا»[٥]، وأن اختيار الجبّائي رواه أصحابنا عن الباقر والصادق[٦]، وأن كلامه «يوافق ما ذهب إليه أصحابنا»[٧]، أو «قريب منه ما رواه أصحابنا عن أبي عبد الله»[٨].

واستعان الطبرسي بعبارات أخرى للموافقة على كلام الجبائي، فكان يورد بعد نص الجبائي عبارة «وهو الصحيح»[٩]، «وهذا الوجه يطابق ما سبق ذكره من سبب النزول»[١٠]، «والأول أقوى وهو اختيار الجبائي»[١١]، «وهذا أليق بالعموم»[١٢]، «وهذا هو الأقوى»[١٣]، «وهو الظاهر»[١٤]، «وهذا أقوى لأنه يعم جميع الأمم»[١٥]، «وهو الأصح»[١٦].

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان ج٢/ ٣٢٢.
(٢) م. ن ج٥/ ٥٢.
(٣) م. ن ٢/ ٢٥٥ و٢٩١ وج٤/ ١١ وج٥/ ٤٢ و٦٣ وج٦/ ٢٠٤ وج٧/ ١٣٥.
(٤) م. ن ٢/ ٢٨٩.
(٥) م. ن ١/ ١٩٠.
(٦) م. ن ٥/ ٦٣.
(٧) م. ن ٦/ ٣٨٠.
(٨) م. ن ٦/ ٤٤٦.
(٩) م. ن ١/ ٢٣٦.
(١٠) الطبرسي: مجمع البيان ٤/ ٥٣١.
(١١) م. ن ٤/ ٢٧.
(١٢) م. ن ٦/ ١٥٤.
(١٣) م. ن ٧/ ٢٣٨.
(١٤) م. ن ٨/ ٦٨ و٤٠٩.
(١٥) م. ن ٨/ ٤١٥.
(١٦) م. ن ٦/ ٢٧٤.

والملفت، أن الطبرسي أحياناً يستعين بالردّ على إحدى الإشكاليات بما ذكره الجبائي[1]، وتارة يفضّل رأي الجبّائي لأنه «يراعي الخبر الوارد فيه والجري على الظاهر»[2]، وطوراً يحاول التوفيق ما بين رأي الجبائي والأصفهاني[3].

ولكن، يظهر أن الطبرسي لم يُسلّم للجبائي بكل تفسير قال به، فنجد الطبرسي خالفه في أماكن عديدة ويعلّق على كلامه بعبارة «وهذا غير صحيح»[4]، أو «وهذا بعيد»[5]، أو «هذا ضعيف»[6]، «وهذا خلاف الظاهر»[7]، «وهذا القول بعيد لم يؤثر عن أهل التفسير»[8]، «وهذا من ركيك الاستدلال»[9] وقد ضعّف الطبرسي كلام الجبّائي في مواقع عديدة من تفسيره[10].

د ـ الجبّائي والرازي:

يصرّح الرازي بنقله عن تفسير الجبائي مباشرة وفي أماكن عديدة من تفسيره[11]، وأحياناً كان يتوسّع بالنقل مما جعلنا نستفيد أثناء ترتيب تفسير الجبائي بأن النص الذي نقله الشيخ الطوسي مختصراً، توسّع به الرازي

---

(١) م. ن ٤/ ٥٥٧ وج٥/ ٦٥.

(٢) م. ن ٨/ ٣٩٩.

(٣) م. ن ١/ ١٦٤.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان ١/ ٨١ وج٥/ ٣٣ وج٦/ ٤٨٨ وج٧/ ٣١٧ (وعبارة الطبرسي هي: وهذا القول غير صحيح ولا مستقيم).

(٥) م. ن ٦/ ٥١٥.

(٦) م. ن ج٤/ ٥٠٦، ج٧/ ٢٦٩.

(٧) م. ن ٧/ ٢١٤، ٢١٨.

(٨) م. ن ٧/ ٢٢٣.

(٩) م. ن ٥/ ٢٣١.

(١٠) راجع الطبرسي: مجمع البيان ١/ ٩٩ و٢٤٠ و٢/ ٢٥١ و٢٧٣ و٢٨٨ و٢٩٦ و٣٩٧ وج٣/ ٣٤٦ و٤٧٠ وج٤/ ٤٩٥ و٥٥٧، ج٥/ ٧٢ وج٦/ ٨١ و١٨٥ و٢٠١ وج٧/ ٢٥٩ و٢٦١.

(١١) الرازي: التفسير الكبير ج٦/ ٦ و٥٨ وج١٣/ ٨٦ وج١٩/ ١٣٠.

ووضحه[١].

ومهما يكن، وبالرغم من معارضة الرازي للجبائي فكرياً نجده يوافق أحياناً على كلام الجبائي ويعلّق على كلامه بعبارة «وهذا استدلال لطيف في هذه المسألة»[٢]، أو «وهو المختار عندنا»[٣]، أو «يفيد العموم»[٤]، ولكن هذه الموافقة لم يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة، فكانت ردود ومخالفة الرازي للجبائي كثيرة في تفسيره، ولكن لم يشوب هذه المخالفة القدح والجرح، بل تناوله بكل احترام وأدب، فكان الرازي يعلّق على كلام الجبائي بأنه «ضعيف»[٥] ، و«الجواب»[٦]، و«وأجاب أصحابنا عن هذه الحجّة»[٧]، «وأصحابنا قالوا»[٨] ، «ونحن نقول»[٩]، «وأصحابنا عارضوه»[١٠]، «وأجاب أهل السنّة»[١١]، «واعلم أن هذا الوجه في نهاية التعسّف»[١٢]، «ولو كان الأمر كما قال الجبائي لسقطت الطاعة من غير فائدة»[١٣]، «ويقال له»[١٤].

---

(١) راجع تفسير الجبائي، سورة آل عمران: ٢٧ (الفقرتان أ و ت).
(٢) الرازي: التفسير الكبير ج٦/ ٥٢.
(٣) م. ن ج٧/ ١٥٣.
(٤) م. ن ج٣/ ١٣٥.
(٥) م. ن ج٢/ ٦٥ وج٣/ ٢٥ و١٤٩ وج٦/ ٦ وج٧/ ١٩٠. وج١٤/ ٣٣ وج٢٢/ ١٨٠.
(٦) م. ن ج٨/ ٩٥ وج٩/ ٩٧ وج١٠/ ١٥٨ وج١٢/ ١٥١ وج١٣/ ١٢٤ وج١٤/ ٦٥ وج ٢٣/ ١٥٢ وج٢٧/ ٢٦ و١٤٦.
(٧) م. ن ج٦/ ٧٧ و٧٨.
(٨) م. ن ج٧/ ٤٤.
(٩) م. ن ج١٠/ ١٥٢.
(١٠) م. ن ج١٣/ ١٦.
(١١) م. ن ١٥/ ١٦٠.
(١٢) م. ن ج٣/ ١٣١.
(١٣) الرازي: التفسير الكبير ج٢٢/ ١٥٣.
(١٤) م. ن ج٢١/ ١٣٠.

وفي الختام، أؤكد أن هذه الدراسة هي إطلالة سريعة على أهم معالم منهج الجبائي في تفسيره، على أمل القيام لاحقاً بعمل مستقل ووافٍ عن هذه الشخصية.

والحمد لله ربّ العالمين



الباب الثاني

تفسير

أبي علي الجبائي



١ـ قال القاضي بتمام لفظه:

"وقد بيّن شيخنا "أبو علي" رحمه الله، في "مقدمة التفسير": أن الخلاف لم يقع بين الصحابة في القرآن، على الحقيقة، وإنما كان "أبي بن كعب"، يعتقد: "أن سورتي القنوت"، من حيث علمهما رسول الله ﷺ، وكان يقرؤهما في صلاته، مما ينبغي أن يثبتا في المصحف، لأن ما أنزل على الرسول عليه السلام قد يكون قرآناً، وغير قرأن، وللقرآن حكم في التلاوة، وفي العبادات ليس لغيره ؛ وإنما اختلفوا فيهما على هذا الوجه.

وقد كان عبد الله بن مسعود يقول في المعوذتين: أن الله تعالى أنزلهما على نبيّه عليه السلام، وأنه كان يتلوه، لكنه لا يجب أن تثبتا في المصحف؛ وقال غيره: هو من القرآن، ويجب أن يثبّت معه في المصحف ؛ وليس ذلك باختلاف في القرآن، وفيما أداه الرسول، صلى الله عليه وسلم، وإنما هو اختلاف في بعض الأحكام[1]..

٢ـ ... ولذلك قال شيخنا "أبو علي"[2]:

إن الذي ألقى هذا المذهب في الامامية (أي زيادة القرآن ونقصانه)، لم يكن غرضه إلاّ فساد الدين والشريعة، وتوصل إلى القاء ذلك على وجه يوهم أنه لشدّة التعصب في الامامة، وعلى الخارجين عن هذه الطريقة.

وكذلك القول في الحشو أن ذلك وقع فيهم من جهة الملحدة، لما دسوا في

(١) القاضي عبد الجبار: المغني في أبوب التوحيد والعدل، ج١٦، أعجاز القرآن، ص ١٥٨ و١٥٩.

(٢) يظهر ان هذا الخبر من مقدمة التفسير، لأن القاضي أورده بعدما ذكر أقوالاً للجبّائي. ولأنها تتشابه مع ما نقله ابن طاووس عن الجبّائي، ص ٢٥٥.

الأخبار التشبيه والجبر، وظنوا أن ذلك كما تمّ لهم في الأخبار وتم لهم في القرآن، ويأبى الله تعالى إلاّ أن يتم نوره[١]...

٣ـ اعلم[٢]... أن شيخنا "أبا علي" قد أشبع القول في ذلك، في "مقدمة التفسير"، فذكر أن العادة من الفصحاء جارية بأنهم قد يكررون القصة الواحدة، في مواطن متفرقة، بألفاظ مختلفة، لأغراض تتجدّد في المواطن، وفي الأحوال ؛ وذلك من دلالة المفاخر والفضائل، لا من دلالة المعايب في الكلام؛ وإنما يعاب التكرار في الموطن الواحد، على بعض الوجوه[٣].

قال: وإنما أنزل الله تعالى القرآن على رسوله، صلى الله عليه وسلم، في ثلاث وعشرين سنة، حالاً بعد حال، وكان المتعالم من حاله، عليه السلام: أنه يضيق صدره لأمور عارضة، من الكفار والمعارضين، ومن يقصده بالأذى والمكروه، فكان جل وعز يسليه، لما ينزل عليه من أقاصيص من تقدم من الأنبياء عليهم السلام، ويعيد ذكره بحسب ما يعلمه من الصلاح ؛ ولهذا قال تعالى ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ (هود: ١٢٠) فبين أن هذا هو الغرض، وإذا كان ضيق الصدر يتجدّد، والحاجة إلى تثبيت الفؤاد، حالا بعد حال تقوى، فلا بد عند تثبيت فؤاده، وتصبيره على الأمور النازلة، أن يعيد عليه ما لحق المتقدمين من الأنبياء، من أعدائهم، ويعيد ذلك ويكرره، فيجتمع فيه الغرض الذي ذكرناه، وأن يعرف أهل الفصاحة، عند تأمل هذه القصص، وقد أعيدت حالا بعد حال، ما يختص به القرآن من رتبة الفصاحة؛ لأن ظهور الفصاحة ومزيتها في القصة الواحدة، إذا أعيدت أبلغ منها في القصص المتغايرة ؛ فهذا هو الفائدة فيما تكرر في كتاب الله تعالى. من قصة "موسى" و"فرعون"، وسائر الأنبياء المتقدمين ؛ وإن كان لا بد من زيادة فؤائد في ذلك تخرجه من أن يكون تكراراً لجملته؛ وهذا بمنزلة الواعظ والخطيب، الذي ذكر قصة وعظ بها، وذكر من

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني...، ج١٦، أعجاز القرآن، ص١٦٢.

(٢) عرضت من ضمن النص، غير كلام الجبّائي، وذلك ليتوضح المعنى.مع الإشارة، أن القاضي نقل هذا الكلام تحت عنوان "فصل في بيان فساد طعنهم في القرآن من جهة التكرار والتطويل وما يتصل بذلك". القاضي عبد الجبار: المغني...، ج١٦، ص ٣٩٧.

(٣) القاضي عبد الجبار: المغني...، ج ١٦، ص ٣٩٧.

قصص الصالحين وأخبارهم، لم يمتنع بعد مدة، أن يعلم الصلاح في إيراده، فلا يكون ذلك معيباً، بل ربما لا يعاب ذلك في المجلس الواحد، إذا اختلف الغرض فيه.

فإن قال: أفليس الله، جل وعز، فعل القرآن كرة واحدة، وإن كان أنزله في المدة التي ذكرتموها ؟.

قيل له: لا يمتنع ذلك للمصلحة التي تختص الملائكة في معرفته وتحمله، والعزم على ذلك من حاله؛ وإذا كان تعالى فعله ليدل به على نبوّته عليه السلام، صار هو المقصد، فيكون الذي ذكرناه، من طول مدة إنزاله فيما بعد كأنه حاصل في أوّل ما خلق، لو لم تحصل فيه فائدة زائدة، فكيف وقد بينا ذلك فيه !؛ قال **أبو علي**: فأما ما يكون في سورة الرحمن، من قوله تعالى ﴿ **فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ (الرحمن: ١٣) فليس بتكرار ؛ لأنه ذكر نعما بعد نعم، وعقب كل نعمة من ذلك بهذا القول، فكأنه قال فبأي آلاء ربكما التي ذكرتها، تكذبان ؛ وإنما عنى بالتثنية الجن والإنس ؛ ثم أجرى الخطاب، على هذا الحد، في نعمة نعمة، وعنى بكل قول غير ما عناه بالقول الأوّل، وإن كان اللفظ متماثلاً ؛ وهذا كقول القائل، لمن ينهاه عن قتل المسلم وظلمه، ويزجره عن ذلك: أتقتل زيدا وأنت تعرف فضله!، أتقتل عمرا وأنت تعرف صلاحه! ويكرر ذلك فيكون حسناً، ولا يعد تكراراً؛ ولو أن أحدنا عظمت نعمه على ولده، ورآه آخذاً في طريق العقوق، لحسن أن يقبل عليه فيقول: أتغضبني في كذا، وقد أنعمت عليك! أتغضبني في كذا، وقد أنعمت عليك! فيكون تكرار ذلك أبلغ في المراد؛ حتى لو حذفه لنقص الغرض، في هذا اللباب، ولم يكن بمنزلته[1].

فإن قيل: فقد ذكر في سورة الرحمن، ما ليس من النعم، وعقبه بهذا القول، لأنه قال ﴿ **هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ** ﴾ (الرحمن: ٤٣ - ٤٤) وقال: ﴿ **يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ** ﴾ (الرحمن: ٣٥)، فذلك يطعن فيما قلتم.

قيل له: إن جهنم والعذاب إن لم يكونا من آلاء الله تعالى ونعمه، فإن

(١) القاضي عبد الجبار: المغني...، ج١٦، ص٣٩٧ و٣٩٨، ٣٩٩.

ذكره لهما، ووصفه لهما تعالى، على طريقة الزجر عن المعاصي، والترغيب في الطاعات، من الآلاء والنعم ؛ كما أن التهديد والوعيد ربما يكون أعظم في النعمة والزجر عن المعصية.

قال: ومثال ذلك ما ذكره تعالى في سورة النحل من قوله وَمِنْ آيَاتِهِ ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (النمل: ٦٠)، ثم قال ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (النمل: ٦١)، فكرر ذلك تنبيهاً على أدلة التوحيد، فلما كان قوله: أإله مع الله عند أمور مختلفة من صنع الله تعالى ونعمه لم يعد مختلفاً.

فأما ما ذكره تعالى من إعادة قوله ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ في سورة المرسلات، فلأنه ذكره عند قصص مختلفة لم يعد تكراراً ؛ لأنه أراد بما ذكره أولا؛ ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة، كلما أعاد قصة مختلفة ذكر مثله على هذا الحد ؛ فهو بمنزلة من قبل على غيره، وقد قتل جماعة فيقول: ويل يومئذ لمن قتل زيداً.. لمن قتل عمرا، ثم يجري الخطاب على هذا النحو، في أنه لا يعد تكرارا[1].

فأما ما يطعنون به، مما يزعمون أنه تكرار في سورة، قل يا أيها الكافرون، فقد بيّن أبو علي: أنه وإن أشبه في اللفظ التكرار، فليس بتكرار، لأن المراد به ألا أعبد ما تعبدون اليوم ؛ وأراد بقوله: ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ ﴾، أنكم غير عابدين، لما أعبد اليوم ؛ وأراد بقوله ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ ﴾ أي أني عابد ما عبدتموه، فيما سلف؛ لأنهم كانوا يعبدون في المستقبل من الحجارة والأوثان غير ما عبدوه من قبل؛ وعنى بقوله ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ ﴾ أنكم تعبدون ما أعبده، بعد اليوم.. وإنما أنزل عز وجل ذلك لأن قوما من الكفار قالوا لرسول الله ﷺ: أعبد ما نعبده اليوم سنة، حتى نعبد ما

(١) القاضي عبد الجبار: المغني...، ج ١٦، ص ٣٩٩.

تعبده أنت اليوم سنة؛ وأعبد أنت ما نعبده سنة أخرى، حتى نشترك في العبادة على هذا السبيل؛ فأنزل الله تعالى هذه السورة جواباً لهم. ولا يصح في الخطاب إذا قصد به هذا الوجه، إلاّ أن يورد على هذا الحد؛ وليس المعتبر بتكرار اللفظ ؛ لأنا نعلم أن الحروف والكلمات متكررة في كل الكلام، وإنما المعتبر بالأغراض والمقاصد، فربما كان المشبه في اللفظ غير متكرر؛ وربما كان المتباين في اللفظ متكرراً، وهذا بين؛ على أن كثيرًا مما ذكره الله تعالى في قصص الأنبياء المتقدمين، لا يمتنع أن يكون تكرر منهم في أوقات، فكان ذكره بحسب تكراره؛ وذلك مما يدل على عظم شأن القرآن أيضاً؛ وذلك أنه تعالى خلقه في السماء ليكون دلالة للملائكة، وموعظة لهم؛ فكل قصة ذكرها، كان لهم فيها عبرة عند حدوثه في أيام الأنبياء المتقدمين، كما حصل به الاعتبار لرسول الله ﷺ ولمن بعده؛ ولو أن بعض الخطباء عمد إلى قصة واحدة، يقع بها للسامعين الوعظ والزجر فكررها، حالاً بعد حال، بألفاظ مختلفة، ونقص فيها وزاد، كان لا يدخل في الكلام المعيب؛ بل ربما يقتضي ذلك شرفاً في الكلام ورتبة فيه من جهة المعنى واللفظ، فلو كان ما أنزله تعالى، من أقاصيص من تقدّم من الأنبياء، عليهم السلام، في حكم ما يحصل في المجلس الواحد لم يجب كونه معيباً[(١)].

***

... فأما ما في كتاب الله تعالى من التوكيد، فالذي يدل عليه كلام شيخنا أبي علي: أنه لا بد من أن يحصل فيه زيادة فائدة، مع كونه تأكيداً؛ وبين ذلك في مواضع؛ وذكر مثله كثير من أهل العلم بهذا الشأن؛ وإذا كان هذا حاله صار في حكم الخارج، عن التوكيد؛ من حيث يختص بفائدة مجددة ؛ ومتى لم يقل بذلك، وجعل تأكيداً فقط، فليس ذلك بمعيب، لأنه تعالى خاطبهم بلسانهم، فجرى في خطابهم على العادة المعروفة عندهم، فإذا كان قد يؤكدون عند شدّة اهتمام أحدهم بالكلام، ويقتصرون على القول عند خلافه، فغير ممتنع أن ينبه تعالى بمثله المكلفين على أحوال كلامه؛ ليكون تأمله لما يختص بالتأكيد أكثر؛ وربما كان الكلام مع فقد التأكيد كالمحتمل، فيجعله التأكيد لاحقاً بما لا يحتمل؛ لأن قوله تعالى ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ (الحجر: ٣٠) لا دليل فيه على جنس دون عهد؛ فإذا

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني...، ج ١٦، ص ٤٠٠ و٤٠١.

قال: كلهم أجمعون زالت الشبهة وعلم أن المراد به الجنس دون العهد، إلى غير ذلك مما يذكر في هذا الباب؛ وربما يظهر تمام الفصاحة وكمالها، بذكر التوكيد، حتى لو عرى منه لكان مقصراً عن غايته ؛ فكيف يصح الطعن بمثل ذلك[1]؟

(١) القاضي عبد الجبار: المغني..، ج١٦/ ٤٠٢.

[١] – قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾

اختلف أهل القبلة في مسمى الإيمان في عرف الشرع ويجمعهم فرق أربع: الفرقة الأولى:... أنه[١] عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل، وهو قول أبي علي، وأبي هاشم[٢].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾

... للمعتزلة فيه طريقان: الأول: طريقة أبي علي، وأبي هاشم، والقاضي عبد الجبار، فإنا لما قلنا: لو وقع خلاف معلوم الله تعالى لانقلب علمه جهلا قالوا خطأ: قول من يقول: إنه ينقلب علمه جهلا، وخطأ أيضا قول من يقول: إنه لا ينقلب، ولكن يجب الإمساك عن القولين[٣].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾

المسألة الثانية:... ما حكوه عن الحسن البصري - وهو اختيار **أبي علي الجبائي** والقاضي - أن المراد بذلك علامة وسمة يجعلها في قلب الكفار وسمعهم فتستدل الملائكة بذلك على أنهم كفار، وعلى أنهم لا يؤمنون أبدا فلا يبعد أن يكون في قلوب المؤمنين علامة تعرف الملائكة بها كونهم مؤمنين عند الله كما قال: "أولـئك كتب فى قلوبهم الإيمـان" وحينئذ الملائكة يحبونه ويستغفرون له، ويكون لقلوب الكفار علامة تعرف الملائكة بها كونهم ملعونين عند الله فيبغضونه ويلعنونه، والفائدة في تلك العلامة إما مصلحة عائدة إلى الملائكة؛

---

(١) يقصد بالهاء أي الإيمان.

(٢) الرازي: التفسير الكبير ج٢/ ٢٣.

(٣) م. ن ج٢/ ٤٢.

لأنهم متى علموا بتلك العلامة كونه كافرا ملعونا عند الله تعالى صار ذلك منفرا لهم عن الكفر أو إلى المكلف، فإنه إذا علم أنه متى آمن فقد أحبه أهل السموات صار ذلك مرغبا له في الإيمان وإذا علم أنه متى أقدم على الكفر عرف الملائكة منه ذلك فيبغضونه ويلعنونه صار ذلك زاجرا له عن الكفر[١].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

...قالت المعتزلة: هذه الآية لا يمكن أجراؤها على ظاهرها لوجوه:..

ورابعا: ما قاله **الجبائي** فإنه قال: ويمدهم أي يمد عمرهم ثم إنهم مع ذلك في طغيانهم يعمهون[٢].

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

أ – واستدل **أبو علي الجبائي** بهذه الآية على أن الأرض بسيطة ليست كرة كما يقول المنجمون والبلخي بأن قال: جعلها فراشاً والفراش البساط بسط الله تعالى أباها والكرة لا تكون مبسوطة قال: والعقل بدل أيضاً على بطلان قولهم لأن الأرض لا يجوز أن تكون كروية مع كون البحار فيها لأن الماء لا يستقر إلاّ فيما له جنبان يتساويان لأن الماء لا يستقر فيه كاستقراره في الأواني كانت سماء سابحة مستعلية على الناحية الأخرى لصار الماء من الناحية المرتفعة إلى الناحية المنخفضة كما يصير كذلك إذا امتلأ الإناء الذي فيه الماء[٣].

ب ـ وتعلق[٤] بقوله، تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، وأن ذلك ورد في العرب في زمن النبي ﷺ.

فأجاب **أبو علي**، رحمه الله، عن ذلك، بأنه تعالى وصفهم بأنهم كانوا يعلمون أن الله سبحانه جعل الأرض فراشاً والسماء بناء، وقد كانوا بذلك

---

(١) م. ن ج٢/ ٤٧.

(٢) م. ن ج٢/ ٦٥.

(٣) الطوسي: التبيان ١ / ١٠٢.

(٤) الذي تعلّق بقوله تعالى هو الجاحظ. وجواب الجبائي هنا هو ردّ عليه.

عارفين وأن كذبوا بالرسول، فمن أين أنهم كانوا يعاندون مع المعرفة بصحة نبوته، صلوات الله عليه[١].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

أ – المسألة الثانية عشرة... واختلفوا في كونه تعالى مريدا مع اتفاق المسلمين على إطلاق هذا اللفظ على الله تعالى...، وقال أصحابنا، **وأبو علي**، وأبو هاشم وأتباعهما: إنه صفة زائدة على العلم، ثم القسمة في تلك الصفة: إما أن تكون ذاتية، وهو القول الثاني للنجارية، وإما أن تكون معنوية، وذلك المعنى إما أن يكون قديماً وهو قول الأشعرية أو محدثاً، وذلك المحدث: إما أن يكون قائماً بالله تعالى، وهو قول الكرامية، أو قائماً بجسم آخر وهذا القول لم يقل به أحد، أو يكون موجوداً لا في محل، وهو قول أبي علي، وأبي هاشم وأتباعهما[٢].

ب – أن يحمل الإضلال على الإضلال عن الجنة، قالت المعتزلة: وهذا في الحقيقة ليس تأويلاً بل حملاً للفظ على ظاهره، فإن الآية تدل على أنه تعالى يضلهم وليس فيها دلالة على أنه عما ذا يضلهم، فنحن نحملها على أنه تعالى يضلهم عن طريق الجنة ثم حملوا كل ما في القرآن من هذا الجنس على هذا المحمل، وهو اختيار **الجبائي**[٣].

ت – أما الهدى فقد جاء على وجوه:... ورابعها: الهدى إلى طريق الجنة قال تعالى: **﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾**[٤] وقال: **﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ**

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ٣٣٧.
(٢) الرازي: التفسير الكبير ج٢/ ١٢٦ (والجدير ذكره، عرضت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي).
(٣) الرازي: التفسير الكبير ج٢/ ١٣١.
(٤) سورة النساء آية ٧٥.

نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ ﴾[1] وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ ﴾[2] والهداية بعد القتل لا تكون إلاّ إلى الجنة وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[3] وهذا تأويل الجبائي[4].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ ﴾

أ – ما ذكره الاخفش، والجبائي، وابن الإخشيد: إن كنتم صادقين فيما تخبرون به من أسمائهم كقول القائل للرجل: أخبرني بما في يدي إن كنت صادقا أي إن كنت تعلم فاخبر به، لأنه لا يمكن أن يصدق في مثل ذلك إلاّ إذا أخبر عن علم منه، ولا يصح أن يكلف ذلك إلاّ مع العلم به، ولابد إذا استدعوا إلى الاخبار عما لا يعلمون من أن يشرط بهذا الشرط، ووجه ذلك التنبيه كما يقول العالم للمتعلم: ما تقول في كذا، ويعلم أنه لا يحسن الجواب لينبهه عليه، ويحثه على طلبه، والبحث عنه، فلو قال له: اخبر بذلك إن كنت تعلم، أو قال له: إن كنت صادقاً، لكان حسناً فإذا نبهه على أنه لا يمكنه الجواب أجابه، حينئذ فيكون جوابه بهذا التدريج أثبت في قلبه، وأوقع في نفسه[5].

ب – قال الأشعري، والجبائي والكعبي: اللغات كلها توقيفية، بمعنى أن الله تعالى خلق علماً ضرورياً بتلك الألفاظ وتلك المعاني، وبأن الألفاظ

---

(١) سورة المائدة الآيتان ١٥، ١٦.

(٢) سورة محمد الآيتان ٤، ٥.

(٣) سورة يونس آية ٩.

(٤) الرازي: التفسير الكبير ج٢/ ١٣٤-١٣٥.

(٥) الطوسي: التبيان ج١/ ١٣٩-١٤٠/ الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج١/ ٧٧ (مع اختلاف يسير).

موضوعة لتلك المعاني واحتجوا عليه بقوله ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[١].

[٧] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

... وظاهر العموم يقتضى أنه علمه الأسماء، وبه قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وأكثر المتأخرين: كالبلخي، **والجبائي**، وابن الإخشيد، والرماني[٢].

[٨] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

أ – ... وقال **الجبائي**، والبلخي وجماعة: أنه جعله قبلة لهم فأمرهم بالسجود إلى قبلتهم وفيه ضرب من التعظيم له[٣].

ب – ... قال الحسن: إبليس أبو الجن كما أن آدم أبو الإنس وإبليس مخلوق من النار، والملائكة روحانيون خلقوا من الريح، في قول أبي علي[٤].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

أ – وقال الحسن البصري، وعمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وأكثر المعتزلة كأبي علي، والرماني، وأبي بكر بن الإخشيد، وعليه أكثر المفسرين: إنها كانت جنة الخلد، لأن الألف واللام للتعريف وصار كالعلم عليها قالوا: ويجوز أن يكون وسوسة إبليس من خارج الجنة، فيسمعان خطابه ويفهمان كلامه، قالوا: وقول من يقول: أن جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها لا يصح، لأن معنى ذلك إذا استقر أهل الجنة في الجنة

(١) الرازي: التفسير الكبير ج٢/ ١٦١.
(٢) الطوسي: التبيان ج١/ ١٣٨.
(٣) الطوسي: التبيان ج١/ ١٥٠/ الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج١/ ٨١.
(٤) الطوسي: التبيان ج١/ ١٥٢.

للثواب، وأهل النار فيها للعقاب لا يخرجون منها، وإما قبل ذلك فإنها تغنى لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ (القصص: ٨٨)[١].

ب - قال أكثر المفسرين، والحسن البصري، وعمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وكثير من المعتزلة: كالجبائي، والرماني، وابن الإخشيد: إنها كانت جنة الخلد لأن الألف واللام للتعريف وصار كالعلم عليها. قالوا: ويجوز أن تكون وسوسة إبليس من خارج الجنة من حيث يسمعان كلامه، قالوا: وقول من يزعم أن جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها غير صحيح لأن ذلك إنما يكون إذا استقر أهل الجنة فيها للثواب فأما قبل ذلك فإنها تفنى لقوله تعالى كل شيء هالك إلاّ وجهه[٢].

ت - المسألة التاسعة:... : إنه أقدم على الصغيرة ثم لهؤلاء قولان: أحدهما: قول أبي علي الجبائي وهو: أنه ظلم نفسه بأن ألزمها ما يشق عليه من التوبة والتلافي[٣].

[١٠] - قوله تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾

المسألة الأولى:...، واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال: أحدها: قول من ذهب إلى أنهم معصومون من وقت مولدهم وهو قول الرافضة، وثانيها: قول من ذهب إلى أن وقت عصمتهم وقت بلوغهم ولم يجوزوا منهم ارتكاب الكفر والكبيرة قبل النبوة، وهو قول كثير من المعتزلة، وثالثها: قول من ذهب إلى أن ذلك لا يجوز وقت النبوة[٤]، أما قبل النبوة فجائز، وهو قول أكثر أصحابنا وقول أبي الهذيل، وأبي علي من المعتزلة[٥].

[١١] - قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾

---

(١) م. ن ج١/ ١٥٦.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج١/ ٨٥.
(٣) الرازي: التفسير الكبير ج٣/ ٧.
(٤) أي ارتكاب الكفر والكبيرة.
(٥) الرازي: التفسير الكبير ج٣/ ٨.

سأل القاضي عبد الجبار نفسه فقال: إذا كانت هذه المعصية صغيرة فكيف تلزم التوبة؟ وأجاب بأن أبا علي قال: إنها تلزمه لأن المكلف متى علم أنه قد عصى لم يعد فيما بعد وهو مختار[١] ، ولا مانع من أن يكون نادما أو مصرا لكن الإصرار قبيح فلا تتم مفارقته لهذا القبيح إلاّ بالتوبة، فهي إذن لازمة سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة وسواء ذكرها وقد تاب عنها من قبل أو لم يتب[٢].

[١٢] – قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

... قال الجبائي: الهبوط الأول غير الهبوط الثاني، فالأول من الجنة إلى سماء الدنيا، والثاني من سماء الدنيا إلى الأرض[٣].

[١٣] – قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

قال الجبائي: هذا خطاب للمؤمنين دون أهل الكتاب[٤].

[١٤] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾

" فاقتلوا أنفسكم" قيل: معناه استسلموا للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلا منهم لأنفسهم على وجه التوسع، عن ابن إسحاق، واختاره الجبائي[٥].

[١٥] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

---

(١) في الأصل غير ذلك ولكن تم اختيار تأويل المحقق حتى يفهم المعنى.
(٢) الرازي: التفسير الكبير ج٣/ ٢١.
(٣) الرازي: التفسير الكبير ج٣/ ٢٥ / الطوسي: التبيان ج١/ ١٧٣(مع اختلاف يسير).
(٤) الطوسي: التبيان ج١/ ٢٠١/ الطبرسي: مجمع البيان م١/ج١/ ٩٩.
(٥) الطبرسي: مجمع البيان م١/ج١/ ١١٣.

وقد قال شيخنا أبو علي: إن قوم موسى عليه السلام إنما سألوه أن يرهم الله جهرة، فخبرهم باستحالة ذلك، فقالوا: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ، فأراد ﷺ أن يأتيهم من قبل الله جواب مقنع ليكون زجراً لهم، وكانوا سألوه أن يكلمه الله بحضرتهم حتى يسمعوا كلام الله فقال لهم: اختاروا منكم سبعين رجلاً، فاختاروهم، واختارهم موسى عليه السلام، وصار بهم إلى الميقات. فلما كلمه تعالى بحضرتهم قالوا له: سل الله الرؤية ليتبين قومك أنها لا تجوز عليه، وليزجرهم عن طلبها فقال: ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ ﴾ [١]، ومراده بيان الجواب من قبله تعالى على جهة الزجر لبني إسرائيل على الإقامة على هذا السؤال، فقال تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ ﴾ [٢]، ثم جعله دكاوهم ينظروهم إليه، وأتاهم بالرجفة والصاعقة، فصعق موسى عليه السلام، وصعق الذين سألوا موسى أن يريهم الله جهرة بظلمهم فماتوا، ثم بعثهم الله من بعد موتهم كما قال الله تعالى: ثم بعثناكم من بعد موتكم؛ وبين تعالى أن الصاعقة أخذتهم لقولهم أرنا الله جهرة، فقال تعالى وقالوا ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا ٱلْعِجْلَ ﴾ [٣]، وكل ذلك يبين صحة ما قدمناه[٤].

[١٦] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا

(١) سورة الأعراف آية ١٤٣.

(٢) سورة الأعراف آية ١٤٣.

(٣) سورة النساء آية ١٥٣.

(٤) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج٤، ص ١٧١ –١٧٢.

عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

... فأما ما روي في الحديث: من أن بعضهم قال: يا نبيء الله، فقال: لست بنبيء الله ولكني نبي الله، قال: أبو علي: أظن أن من أهل النقل من ضعف إسناده[١]... وقال الفراء، والجبائي، والأزهري: هو الحنطة والخبز[٢].

[١٧] - قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

أما قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي لكي تتقوا، واحتج الجبائي بذلك على أنه تعالى أراد فعل الطاعة من الكل[٣].

[١٨] - قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

أ - وقوله: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾. قال أبو علي والمغربي: معناه بخشية الله، كما قال: يحفظونه من أمر الله أي بأمر الله. قال: وهي حجارة الصواعق والبرد. والكناية في قوله 'منها' قيل فيها قولان:

أحدهما: إنها ترجع إلى الحجارة، لأنها اقرب مذكور. وقال قوم: إنها ترجع إلى القلوب لا إلى الحجارة. فيلون معنى الكلام. وان من القلوب لما يخضع من خشية الله، ذكره ابن بحر وهو أحسن من الأول. ومن قال بالأول اختلفوا فيه. فمنهم من قال: إن المراد بالحجارة الهابطة البرد النازل من السحاب. وهذا شاذ، لم يذكره غير أبي علي **الجبائي**. وقال: الأكثر إن المراد بذلك الحجارة الصلبة، لأنها اشد صلابة[٤].

---

(١) الطوسي: التبيان ج١/ ٢٧٤.

(٢) م. ن ج١/ ٢٧٥.

(٣) الرازي: التفسير الكبير ج٣/ ١٠٠.

(٤) الطوسي: التبيان ج١/ ٣٠٩ / الرازي: التفسير الكبير ج٣/ ١٢١ وردت هكذا: ما ذكره الجبائي وهو أنه فسر الحجارة بالبرد الذي يهبط من السحاب تخويفاً من الله تعالى لعباده ليزجهم به.

ب - وقوله: "ومن خشية الله" قال (أي الجبائي): وقوله من خشية الله أي ينزل بالتخويف للعباد أو بما أوجب الخشية لله كما يقال: نزل القرآن بتحريم كذا وتحليل كذا أي بإيجاب ذلك على الناس(١).

[١٩] – قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

قال الجبائي: دلت الآية على أنه تعالى لم يكن وعد موسى ولا سائر الأنبياء بعده على أنه تعالى يخرج أهل المعاصي والكبائر من النار بعد التكذيب، لأنه لو وعدهم بذلك لما جاز أن ينكر على اليهود هذا القول، وإذا ثبت أنه تعالى ما دلهم على ذلك وثبت أنه تعالى دلهم على وعيد العصاة إذا كان بذلك زجرهم عن الذنوب، فقد وجب أن يكون عذابهم دائما على ما هو قول الوعيدية، وإذا ثبت ذلك في سائر الأمم وجب ثبوته في هذه الأمة، لأن حكمه تعالى في الوعد والوعيد لا يجوز أن يختلف في الأمم، إذ كان قدر المعصية من الجميع لا يختلف(٢).

[٢٠] – قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

واستدلوا على أن هذه اللفظة (أي من) تفيد العموم بوجوه... وثانيها:... واعلم أن القاضي، والجبائي، وأبا الحسن يقولون: إن هذه الصيغة تفيد العموم(٣).

[٢١] – قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

احتجّ الجبائي بهذه الآية على أن من يدخل الجنة لا يدخلها تفضلا، لأن

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج٣/ ١٢١.

(٢) الرازي: التفسير الكبير ج٣/ ١٠٠.

(٣) الرازي: التفسير الكبير ج٣/ ١٣٥.

قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ للحصر، فدلّ على أنه ليس للجنة أصحاب إلاّ هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات[1].

[٢٢] – قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾

قال أبو علي الجبائي: أن الكلام تمّ عند قوله ﴿ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ وقوله ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ ﴾ تقديره ومن الذين أشركوا من يود لو يعمر ألف سنة فحذف من[2].

[٢٣] – قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ (٩٩) ﴾

وقوله ﴿ ءَايَٰتٍ ﴾... وقيل: هي القرآن وما فيها من الدلالات، عن أبي مسلم، وأبي عليٍّ الجبائي[3].

[٢٤] – قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ... (١٠٢) ﴾

واختلفوا في المعني بقوله "واتبعوا" ... وقال الجبائي: المراد به اليهود الذين كانوا في زمن سليمان[4].

[٢٥] – قوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (١٠٥) ﴾

روي عن علي عليه السلام، وأبي جعفر الباقر عليه السلام، انه أراد النبوة. وبه قال

(١) م. ن ج٣/ ١٤٩.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م١/ج١/ ١٦٥.
(٣) الطوسي: التبيان ج١/ ٣١٧.
(٤) م. ن ج١/ ٣٧٠.

الحسن، وأبو علي، والرماني، والبلخي، وغيرهم من المفسرين(١).

[٢٦] – قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾

وفي قوله: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ التفريق بين حالهم، وحال عباد الأوثان. مدحًا وذمًا لأولئك. وبهذا قال أبو علي الجبائي(٢).

[٢٧] – قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾

سبب النزول:... وقال أبو علي: روي أن النبي (صلى الله عليه وآله) سأله قومه أن يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط وهي شجرة كانوا يعبدونها، ويعقلون عليها التمر، وغيره من المأكولات(٣).

[٢٨] – قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ قال الجبائي: عنى بقوله: ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ أنهم لم يؤتوا ذلك من قبله تعالى وإن كفرهم هو فعلهم لا من خلق الله فيهم(٤).

[٢٩] – قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾

أ – اختلف المفسرون في المعنى بهذه الآية... وقال ابن زيد، والبلخي،

(١) الطوسي: التبيان ج١/ ٣٩١.
(٢) م. ن ج١/ ٤٠٠.
(٣) م. ن ج٢/ ٤٠٢.
(٤) الرازي: التفسير الكبير ج٣/ ٢٢١.

والجبائي، والرماني: المراد به مشركي العرب[١].

ب - إن قيل: كيف قال: "مساجد الله" بالجمع وهو أراد المسجد الحرام، أو بيت المقدس؟ قيل عنه جوابان:

(والثاني) ـ قال **الجبائي**: لأنه يدخل فيه المساجد التي بناها المسلمون للصلاة بالمدينة[٢].

ت - وقال **الجبائي**: الخزي لهؤلاء الكفار الذين أمر بمنعهم من دخول المساجد على سبيل ما يدخلها المؤمنون[٣].

ث - وروى عن أبي عبد الله أنهم قريش حين منعوا رسول الله دخول مكة والمسجد الحرام، وبه قال البلخي، والرماني، **والجبائي**[٤].

ج - ﴿ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ قال **الجبائي**: بيّن الله سبحانه أنه ليس لهؤلاء المشركين دخول المسجد الحرام ولا دخول غيره من المساجد، فإن دخل منهم داخل إلى بعض المساجد، كان على المسلمين إخراجه منه إلاّ أن يدخل إلى بعض الحكام لخصومة بينه وبين غيره فيكون في دخوله خائفا من الإخراج على وجه الطرد بعد انفصال خصومته ولا يقعد فيه مطمئنا كما يقعد المسلم[٥].

[٣٠] - قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾

أ - **النزول**: اختلف في سبب نزول هذه الآية فقيل: أن اليهود انكروا تحويل القبلة إلى الكعبة عن بيت المقدس فنزلت الآية رداً عليهم، عن ابن عباس، واختاره **الجبائي**[٦].

---

(١) الطوسي: التبيان ج١/ ٤١٦.
(٢) م. ن ج١/ ٤١٧.
(٣) م. ن ج١/ ٤٢٠.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج١/ ١٨٩.
(٥) م. ن م١/ ج١/ ١٩٠.
(٦) م. ن م١/ ج١/ ١٩١.

ب - ﴿ وَلله ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ بالتوحيد وله جميع المشارق والمغارب لأحد أمرين:

أحدها ـ قال ابن عباس، واختاره **الجبائي**: إنه رد على اليهود لما انكروا تحويل القبلة إلى الكعبة، وقال: ليس هو في جهة دون جهة، كما تقول المشبهة(١).

ت - ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾... وقال آخرون، واختاره الرماني، **والجبائي**: فثم رضوان الله. كما يقال: هذا وجه العمل، وهذا وجه الصواب وكأنه قال: الوجه الذي يؤدي إلى رضوان الله(٢).

ث - ﴿ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ وقال **الجبائي**: معناه واسع الرحمة(٣).

[٣١] – قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾

﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴾... وقال **الجبائي**: كل دائم على حال واحدة بالشهادة بما فيه من آثار الصنعة والدلالة على الربوبية(٤).

[٣٢] – قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾

وقوله: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا ﴾ يحتمل أمرين: أحدهما ـ إذا خلق أمرا. كما قال ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ (فصلت : ١٢) أي خلقهن ـ وهو اختيار البلخى، والرماني، **والجبائي**(٥).

[٣٣] – قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُولَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

---

(١) الطوسي: التبيان ج١/ ٤٢٤.
(٢) م. ن ج١/ ٤٢٤-٤٢٥.
(٣) م. ن ج١/ ٤٢٥.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م١/ج١/ ١٩٢.
(٥) الطوسي: التبيان ج١/ ٤٢٩.

أ - ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ المعني بهذه الآية ـ في قول قتادة، واختيار الجبائي ـ اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) الذين آمنوا بالقرآن وصدقوا به[1].

ب -﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ والمعني بقوله "ومن يكفر به" اليهود ـ على قول ابن زيد ـ والأولى أن يكون ذلك محمول على عمومه في جميع الكفار. وبه قال الجبائي وأكثر المفسرين[2].

[٣٤] - قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

أ - وقال الجبائي: أراد بذلك كلما كلفه من طاعاته العقلية والشرعية[3].

ب - وقال الجبائي: قوله ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ سؤال منه لله أن يعرفه هل في ذريته من يبعثه نبيًا، كما بعثه هو، وجعله إماما[4].

ت - ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ﴾ والمراد بالعهد هاهنا فيه خلاف. قال السدي واختاره الجبائي: إنه أراد النبوة[5].

[٣٥] - قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾

أ - وقال الجبائي: يثوبون إليه: يصيرون إليه[6].

ب - ﴿ مِن مَّقَامِ ﴾ قيل فيه أربعة أقوال:... (رابعها) ـ وقال السدي: مقام إبراهيم هو الحجر الذي كانت زوجة إسماعيل وضعته تحت قدم إبراهيم

(١) الطوسي: التبيان ج١/ ٤٤١.
(٢) م. ن ج١/ ٤٤٢.
(٣) م. ن ج١/ ٤٤٦.
(٤) م. ن ج١/ ٤٤٧.
(٥) م. ن ج١/ ٤٤٨.
(٦) م. ن ج١/ ٤٥١.

حين غسلت رأسه. فوضع إبراهيم رجله عليه وهو راكب فغسلت شقه ثم رفعته من تحته وقد غابت رجله في الحجر فوضعته تحت الشق الآخر فغسلته فغابت أيضا رجله فيه فجعلها الله من شعائره، فقال ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ وبه قال الحسن، وقتادة، والربيع، واختاره الجبائي، والرماني[١].

ت - ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ ﴾ أي أمرنا أن طهرا. قال الجبائي: أمرا أن يطهراه من فرث ودم كان يطرحه عنده المشركون قبل أن يصير في يد إبراهيم ويجوز أن يريد طهراه من الأصنام، والأوثان التي كانت عليه للمشركين قبل أن يصير في يد إبراهيم. وبه قال قتادة، ومجاهد[٢].

ث - ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾ وذكر في التطهير هنا وجوه: أحدها: أن المراد طهراه من الفرث والدم الذي كان يطرحه المشركون عن البيت قبل أن يصير في يد إبراهيم وإسماعيل، عن الجبائي[٣].

ج - ومعنى "الطائفين" هاهنا قيل فيه قولان:... والثاني ـ قال عطاء، واختاره الجبائي، وغيرهم: الطائفون بالبيت[٤].

ح - "العاكفين" هاهنا قيل فيه أربعة أقوال: الأول ـ قال عطاء واختاره الجبائي: أنهم المقيمون بحضرته[٥]...

[٣٦] - قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾

وقال أكثر المفسرين كالسدي، وعبد بن عمير الليثي، واختاره الجبائي، وغيرهم: إن إبراهيم وإسماعيل معاً رفعا القواعد[٦].

---

(١) م. ن ج١/ ٤٥٣.
(٢) الطوسي: التبيان ج١/ ٤٥٤.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م١/ج١/ ٢٠٤.
(٤) الطوسي: التبيان ج١/ ٤٥٤.
(٥) الطوسي: التبيان ج١/ ٤٥٥.
(٦) م. ن ج١/ ٤٦٢.

[٣٧] – قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾

وقوله: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ ... وقال الجبائي: المناسك هي ما يتقرب به إلى الله من الهدى، والذبح، وغير ذلك من أعمال الحج والعمرة[١].

[٣٨] – قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾

وقال الجبائي: ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ معناه يستدعيهم إلى فعل ما يزكون به، من الإيمان والصلاح[٢].

[٣٩] – قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

وقال الجبائي: سمّى الدين صبغة لأنه هيئة تظهر بالمشاهدة من أثر الطهارة والصلاة وغير ذلك من الآثار الجميلة التي هي كالصبغة[٣].

[٤٠] – قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾

وعلى قول الجبائي، وغيره: من سلف من آبائهم الذين كانوا على ملتهم اليهودية والنصرانية[٤].

[٤١] – قوله تعالى: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾

---

(١) م. ن ج١/ ٤٦٤.
(٢) الطوسي: التبيان ج١/ ٤٦٧/ الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج١/ ٢١١.
(٣) الطوسي: التبيان ج١/ ٤٨٥/ الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج١/ ٢١٩.
(٤) الطوسي: التبيان ج١/ ٤٩١/ الرازي: التفسير الكبير ج٤/ ٨٢.

﴿ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ ﴾... واختلفوا في سبب عيبهم الصرف عن القبلة...

... وقيل إنما فعل ذلك لما قال تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ ﴾ (البقرة: ١٤٣)، لأنهم كانوا بمكة، أمروا أن يتوجهوا إلى بيت المقدس ليتميزوا من المشركين الذين كانوا بحضرتهم يتوجهون إلى الكعبة، فلما انتقل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة كان اليهود المجاورون للمدينة يتوجهون إلى بيت المقدس فنقلوا إلى الكعبة ليتميزوا من هؤلاء كما أريد في الأول أن يتميزوا من أولئك. واختار ذلك البلخي، والجبائي، والرماني[1].

[٤٢] – قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾

أ – استدل البلخي، والجبائي، والرماني، وابن الإخشيد، وكثير من الفقهاء، وغيرهم بهذه الآية على أن الإجماع حجّة من حيث إن الله وصفهم بأنهم عدول، فإذا عدلهم الله تعالى، لم يجز أن تكون شهادتهم مردودة[2].

ب – وقد استدل شيخنا «أبو علي» رحمه الله وغيره، على صحة الإجماع بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ ، والوسط هو العدل، ولا هذه حالهم إلاّ وهم وخيار، لأن الوسط من كل شيء المعتدل فيه. وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ ﴾ (القلم: ٢٨) المراد بذلك خيرهم؛ وعلى هذا الوجه يقال: إنه صلى الله عليه، من أوسط قريش نسباً، يعني من خيرهم. وبين أنه جعلهم كذلك

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤.

(٢) م. ن ج٢/ ٧.

ليكونوا شهداء على الناس، كما أنه ﷺ شهيد عليهم؛ فكما أنهم ﷺ، لا يكون شهيداً إلاّ وقوله حق وحجة فكذلك القول فيهم[١].

ج - واستدل الجبائي بهذه الآية على أن الشاهد هو الحاضر دون من مات، بأن قال: لو كان الرسول شاهدًا على من مضى قبله أو من يأتي بعده ومن هو حاضر معه لم يكن لقوله ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ معنى[٢].

[٤٣] - قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

وقال الجبائي: أراد بالشطر النصف، كأنه قال: وجهك نصف المسجد، لأن شطر الشيء: نصفه، فأمره أن يولي وجهه نحو نصف المسجد حتى يكون مقابل الكعبة[٣].

[٤٤] - قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾

أ - فإن قيل: كيف قال ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ﴾ وقد آمن منهم خلق؟ قلنا عن ذلك جوابان:

أحدهما - قال الحسن: إن المعنى أن جميعهم لا يؤمن، وهو اختيار الجبائي[٤].

ب - وقوله: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال:...

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٧/ ١٧١ وأيضاً راجع سورة النساء الآية ١١٥.

(٢) م. ن ج٢/ ١٢. وأيضاً القاضي عبد الجبار: المغني... ج ١٧/ ١٧١ (مع اختلاف يسير).

(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ١٤/ الرازي: التفسير الكبير ج٤/ ١٠٣.

(٤) الطوسي: التبيان ج٢/ ١٤/ الرازي: التفسير الكبير ج٤/ ١١٢ وردت هكذا: قال الحسن والجبائي: أراد جميعهم، كأنه قال: لا يجتمعون على اتباع قبلتك.

أحدهما - ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ في المداراة لهم حرصاً على أن يؤمنوا ﴿ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ لنفسك مع إعلامنا إياك: ﴿ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس: ٣٣)، هذا قول أبي علي الجبائي[١].

ت - وقوله: ﴿ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما - قال الحسن، والسدي، وابن زيد، والجبائي: أنه لا يصير النصارى كلهم يهودا، ولا اليهود كلهم يصيرون نصارى أبدا، كما لا يتبع جميعهم الإسلام. وهذا من الإخبار بالغيب[٢].

[٤٥] - قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

وتعلق أيضاً[٣] بقوله، جل وعز: «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم».

قال أبو علي، رحمه الله: إنما أخبر الله، تعالى، بذلك عن نفر من كفار أهل الكتاب كانوا يعلمون نبوته ﷺ، من كتبهم، كما يعرفون أبناءه، ويكتمون خبره. وذلك لا ينكر عندنا في العدد اليسير، وإنما نمنعه في الجماعة التي يمتنع فيها التواطؤ. وعلى هذا الوجه يحمل قوله، سبحانه: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[٤]. لأن هذه الفرقة كانت بحيث يجوز عليها التواطؤ[٥].

[٤٦] - قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ١٩/ الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج٢/ ٢٢٩ (مع اختلاف يسير).

(٢) م. ن ج٢/ ٢٠.

(٣) الذي تعلّق بقوله تعالى هو الجاحظ. وجواب الجبائي هنا هو ردّ عليه.

(٤) سورة آل عمران: ٧٨.

(٥) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ٣٣٨ و٣٣٩.

وفي قوله: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ أقوال:... الرابع - إن لكل قوم من المسلمين وجهة، من كان منهم وراء الكعبة وقدامها أو عن يمينها أو عن شمالها، وهو الذي اختاره الجبائي[(١)].

[٤٧] - قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ قيل فيه وجوه... ثانيها: أن معناه لا تعدلوا عما أركم الله من به التوجه إلى الكعبة فتكون لهم عليكم حجة بأن يقولوا لو كنتم تعلمون أن من عند الله لما عدلتم عنه، عن الجبائي[(٢)].

[٤٨] - قوله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾

أ - قوله تعالى ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم ﴾ والعامل في قوله ﴿ كَمَا ﴾ يجوز أن يكون أحد أمرين: أحدهما - الفعل الذي قبله: وهو قوله: ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴾ . والقول الثاني - الفعل الذي بعده: وهو فاذكروني ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا ﴾. والأول أحد قولي الفراء، والزجاج واختاره الجبائي[(٣)].

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ٢٤/ الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج٢/ ٢٣١.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج٢/ ٢٣٢.

(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ٢٩-٣٠ (عرضت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي مع الإشارة إلى أن القول الثاني هو لمجاهد والحسن)/ الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج٢/ ٢٣٣.

[٤٩] – قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

أ – *المعنى*: فإن قيل: هل الشهداء أحياء على الحقيقة، أم معناه أنهم سيحيون وليسوا أحياء؟

قلنا: الصحيح أنهم أحياء إلى أن تقوم الساعة، ثم يحييهم الله في الجنة لا خلاف بين أهل العلم فيه إلاّ قولاً شاذاً من بعض المتأخرين. والأول قول الحسن، ومجاهد، وقتادة، والجبائي، وابن الإخشيد، والرماني، وجميع المفسرين[١].

ب – ﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ أي بل هم أحياء وقيل فيه أقوال – أحدها– وهو الصحيح، أنهم أحياء على الحقيقة إلى أن تقوم الساعة، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وإليه ذهب الحسن، وعمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، واختاره الجبائي، والرماني، وجميع المفسرين[٢].

[٥٠] – قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾

أ – ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ وفي هذه الآية دلالة على أن السعي بين الصفا والمروة عبادة ولا خلاف في ذلك، وهو عندنا فرض واجب في الحج وفي العمرة، وبه قال الحسن، وعائشة، وهو مذهب الشافعي وأصحابه، وقال: أن السنة أوجبت السعي، وهو قوله ﷺ: كتب عليكم السعي فاسعوا، فأما ظاهر الآية فإنما يدل على إباحة ما كرهوه من السعي وعند أبي حنيفة وأصحابه وهو تطوع، وهو اختيار الجبائي وروى ذلك عن أنس وابن عباس[٣].

ب – ... وروي عن ابن عباس: أنه تطوع وبه قال أبوحنيفة، وأصحابه،

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ٣٤.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج٢/ ٢٣٢.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج٢/ ٢٤٠ (عرضت النص كاملاً ليفهم كلام الجبائي).

واختاره الجبائي[1].

ت - وقوله تعالى: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال:... وفي الناس من قال: وهو الجبائي، وغيره: إن التقدير فلا جناح عليه ألا يطوف بهما كما قال: ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ (النساء: ١٧٦) ومعناه ألا تضلوا وكما قال: ﴿ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ (الأعراف: ١٧٢) . ومعناه الا تقولوا[2].

[٥١] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

أ - قيل في المعني بهذه الآية قولان: أحدهما - قال ابن عباس، ومجاهد، والربيع، والحسن، وقتادة، والسدي، واختاره الجبائي، وأكثر أهل العلم: إنهم اليهود، والنصارى: مثل كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد، وابن صوريا، وزيد بن تابوه، وغيرهم من علماء النصارى الذين كتموا أمر محمد (صلى الله عليه وآله)، ونبوته: وهم يجدونه مكتوبا في التوراة والإنجيل مبينا فيهما[3].

ب - والمعني بقوله ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴾ قيل فيه أربعة أقوال: أحدها - قال قتادة، والربيع، واختاره الجبائي، والرماني، وغيرهما: أنهم الملائكة والمؤمنون[4].

[٥٢] - قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾

أ - واختلفوا في معنى "بينوا" فقال أكثر المفسرين، كقتادة، وابن زيد، والبلخي، والجبائي، والرماني: إنهم بينوا ما كتموه من البشارة بالنبي (صلى الله عليه وآله)[5].

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤٤.
(٢) م. ن ج٢/ ٤٤.
(٣) م. ن ج٢/ ٤٦.
(٤) م. ن ج٢/ ٤٧.
(٥) م. ن ج٢/ ٤٨.

[٥٣] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾

واللعنة إنما تكون من الناس على وجه الدعاء ومن الله علة وجه الحكم وقوله خالدين فيها أي دائمين فيها أي في تلك اللعنة عن الزجاج والجبائي[١].

[٥٤] - قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾... قال الجبائي: تقطعت بهم أسباب: النجاة[٢].

[٥٥] - قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾

أ - أما الواحد ففيه مسائل: المسألة الأولى: قال أبو علي: قولهم واحد اسم جرى على وجهين في كلامهم. أحدهما: أن يكون اسما والآخر أن يكون وصفا، فالاسم الذي ليس بصفة قولهم: واحد المستعمل في العدد نحو: واحد اثنان ثلاثة، فهذا اسم ليس بوصف كما أن سائر أسماء العدد كذلك، وأما كونه صفة فنحو قولك مررت برجل واحد وهذا شيء واحد فإذا أجرى هذا الاسم على الحق سبحانه وتعالى جاز أن يكون الذي هو الوصف كالعالم والقادر، وجاز أن يكون الذي هو الاسم كقولنا شيء[٣].

ب - قال الجبائي: يوصف الله تعالى بأنه واحد من وجوه أربعة: لأنه ليس بذي أبعاض ولا بذي اجزاء، ولأنه منفرد بالقدم ، ولأنه منفرد بالإلهية، ولأنه منفرد بصفات ذاته نحو كونه عالماً بنفسه، وقادراً بنفسه[٤].

[٥٦] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج٢/ ٢٤٣.
(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٦٦.
(٣) الرازي: التفسير الكبير ج٣/ ١٥٣.
(٤) الرازي: التفسير الكبير ج٣/ ١٥٦.

وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾

ذكر الجبائي وغيره من العلماء بمواضع البحور أن البحور المعروفة خمسة: أحدها: بحر الهند، وهو الذي يقال له أيضا بحر الصين. والثاني: بحر المغرب. والثالث: بحر الشام والروم ومصر. والرابع: بحر نيطش. والخامس: بحر جرجان. فأما بحر الهند فإنه يمتد طوله من المغرب إلى المشرق، من أقصى أرض الحبشة إلى أقصى أرض الهند والصين، يكون مقدار ذلك ثمانمائة ألف ميل، وعرضه ألفي وسبعمائة ميل ويجاوز خط الاستواء ألفا وسبعمائة ميل، وخلجان هذا البحر. الأول؛ خليج عند أرض الحبشة، ويمتد إلى ناحية البربر، ويسمى الخليج البربري، طول مقدار خمسمائة ميل وعرضه مائة ميل. والثاني: خليج بحر أيلة وهو بحر القلزم، طوله ألف وأربعمائة ميل، وعرضه سبعمائة ميل، ومنتهاه إلى البحر الذي يسمى البحر الأخضر، وعلى طرفه القلزم، فلذلك سمي به، وعلى شرقيه أرض اليمن وعدن، وعلى غربيه أرض الحبشة. الثالث: خليج بحر أرض فارس، ويسمى: الخليج الفارسي، وهو بحر البصرة وفارس، الذي على شرقيه تيز ومكران، وعلى غربيه عمان طوله ألف وأربعمائة ميل، وعرضه خمسماية ميل، وبين هذين الخليجين أعني خليج أيلة وخليج فارس أرض الحجاز واليمن وسائر بلاد العرب، فيما بين مسافة ألف وخمسائة ميل. الرابع: يخرج منه خليج آخر إلى أقصى بلاد الهند ويسمى الخليج الأخضر طوله ألف وخمسمائة ميل قالوا: وفي جزيرة بحر الهند من الجزائر العامرة وغير العامرة: ألف وثلثمائة وسبعون جزيرة منها جزيرة ضخمة في أقصى البحر مقابل أرض الهند في ناحية المشرق عند بلاد الصين وهي: سرنديب، يحيط بها ثلاثة آلاف ميل فيها جبال عظيمة وأنهار كثيرة ومنها يخرج الياقوت الأحمر، وحول هذه الجزيرة تسع عشرة جزيرة عامرة، فيها مدائن عامرة وقرى كثيرة ومن جزائر هذا البحر جزيرة كله، التي يجلب منها الرصاص القلعي، وجزيرة سريرة التي يجلب منها الكافور. وأما بحر المغرب: فهو الذي يسمي بالمحيط وتسميه اليونانيون: أوقيانوس، ويتصل به بحر الهند ولا يعرف طرفه إلاّ في ناحية المغرب والشمال، عند محاذاة أرض الروس والصقالبة

فيأخذ من أقصى المنتهى في الجنوب، محاذيا لأرض السودان، مارا على حدود السوس الأقصى وطنجة، وتاهرت، ثم الأندلس، والجلالقة والصقالبة ثم يمتد من هناك وراء الجبال غير المسلوكة والأراضي غير المسكونة نحو بحر المشرق وهذا البحر لا تجري فيه السفن وإنما تسلك بالقرب من سواحله وفيه ست جزائر مقابل أرض الحبشة تسمى: جزائر الخالدات، ويخرج من هذا البحر خليج عظيم في شمال الصقالبة، ويمتد هذا الخليج إلى أرض بلغار المسلمين، طوله من المشرق إلى المغرب ثلثمائة ميل وعرضه مائة ميل. وأما بحر الروم وأفريقية ومصر والشام: فطوله مقدار خمسة آلاف ميل، وعرضه ستمائة ميل، ويخرج منه خليج إلى ناحية الشمال قريب من الرومية، طوله خمسمائة ميل، وعرضه ستمائة، ويخرج منه خليج آخر إلى أرض سرين، طوله مائتا ميل، وفي هذا البحر مائة واثنتان وستون جزيرة عامرة، منها خمسون جزيرة عظام. وأما بحر نيطش فإنه يمتد من اللاذقية إلى خلف قسطنطينية، في أرض الروس والصقالبة طوله ألف وثلثمائة ميل، وعرضه ثلثمائة ميل. وأما بحر جرجان فطوله من المغرب إلى المشرق ثلثمائة ميل، وعرضه ستمائة ميل، وفيه جزيرتان كانتا عامرتين فيمن مضى من الزمان ويعرف هذا البحر ببحر آبسكون، لأنها على فرضته ثم يمتد إلى طبرستان، والديلم، والنهروان، وباب الأبواب وناحية أران، وليس يتصل ببحر آخر، فهذه هي البحور العظام، وأما غيرها فبحيرات وبطائح، كبحيرة خوارزم، وبحيرة طبرية[1].

[٥٧] – قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾

وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ قيل فيها ثلاثة أقوال: أحدها – المعاصي يتحسرون عليها لم عملوها[2]... والقول الأول قول الربيع،

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج٤/ ١٧٦-١٧٧.

(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٦٨.

وابن زيد، واختيار الجبائي[(١)].

[٥٨] – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾

و ﴿ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ ﴾... وقال الجبائي: ما يتخطى بكم إليه بالأمر والترغيب[(٢)].

[٥٩] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

ومعنى قوله: ﴿ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ يحتمل شيئين: أحدهما – لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون إليه.

والثاني – على الشتم والذم، كما يقال: هو أعمى إذا كان لا يبصر طريق الحق – على الذم – هذا قول البلخي. والأول قول الجبائي[(٣)].

[٦٠] – قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾

أ – التشبيه في هذه الآية يحتمل ثلاثة أوجه من التأويل: أحدها – وهو أحسنها وأقربها إلى الفهم، وأكثرها في باب الفائدة – ما قاله أكثر المفسرين كابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والربيع، واختاره الزجاج، والفراء، والطبري، والجبائي، والرماني، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام: إن مثل الذين كفروا في دعائك إياهم، ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ ﴾ أي الناعق في دعائه.

المنعوق به من البهائم التي لا تفهم كالإبل، والبقر، والغنم، لأنها لا تعقل ما يقال لها، وإنما تسمع الصوت. والحذف في مثل هذا حسن. كقولك لمن هو سيئ الفهم: أنت كالحمار، وزيد كالأسد: أي في الشجاعة، لأن المعنى في أحد

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ٦٩/ الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج٢/ ٢٥١ (مع اختلاف يسير).

(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٧٢/ الرازي: التفسير الكبير ج٥/ ٤ مع اختلاف يسير ولكن المعنى واحد.

(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ٧٦.

الشيئين أظهر، فيشبه بالآخر ليظهر بظهوره، وهذا باب حسن البيان[١].

ب - إن المعنى مثل الذين كفروا في دعائك إياهم أي مثل الداعي لهم إلى الإيمان كمثل الناعق في دعائه المنعوق به من البهائم التي لا تفهم وإنما تسمع الصوت. فكما أن الأنعام التي لا يحصل لها من الدعاء الداعي إلاّ السماع دون تفهم المعنى، فكذلك الكفار لا يحصل لهم من دعائك إياهم إلى الإيمان إلاّ السماع دون تفهم المعنى لأنهم يعرضون عن قبول قولك وينصرفون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه وهذا كما تقول العرب فلان يخافك كخوف الأسد والمعنى كخوفه من الأسد وهو في المعنى مضاف إلى الرجل قال الشاعر:

فلست مسلماً ما دمت حيّا   على زيد بتسليم الأمـير

أراد بتسليمي على الأمير وهذا معنى قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، وهو المروى عن أبي جعفر عليه السلام، وهو اختيار الجبائي، والرماني، والطبري[٢].

[٦١] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾

أ - وقوله تعالى ﴿ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾ معناه على قول الربيع، والحسن، والجبائي، وأكثر المفسرين: الأجر الذي أخذوه على الكتمان، سمي بذلك، لأنه يؤديهم إلى النار، كما قال في أكل مال اليتيم ظلما ﴿ إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا ﴾ (النساء: ١٠)[٣].

ب - ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ فيه وجهان - أحدهما - أنه لا يكلمهم بما يحبون وفي ذلك دليل على غضبه عليهم وإن كان يكلمهم بالسؤال بالتوبيخ وبما يغمهم كما قال: فلنسئلن الذين أرسل إليهم وقال: اخسؤا فيها

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ٧٧.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج٢/ ٢٥٥.

(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ٨٨.

ولا تكلمون، وهذا قول الحسن، والجبائي[١].

[٦٢] - قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾

أ - ومعنى الكتاب هاهنا قيل: إنه التوراة. وقال **الجبائي**: إنه القرآن، وغيره[٢].

ب - والمراد بالكتاب هاهنا التورية، وقال **الجبائي**: هو القرآن وغيره[٣].

[٦٣] - قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

أ - وقوله: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ ﴾ قيل فيه قولان:... والثاني - قاله قتادة، والربيع واختاره **الجبائي**:

إنه ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ ﴾ ما عليه النصارى من التوجه إلى المشرق، أو ما عليه اليهود من التوجه إلى المغرب ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ ﴾ ما ذكره الله تعالى في الآية، وبينه[٤].

والآية تدل على وجوب إعطاء مال الزكاة بلا خلاف. وتدل أيضا - في قول الشعبي، **والجبائي** - على وجوب غيره مما له سبب وجوب كالإنفاق على من تجب عليه نفقته، وعلى من يجب عليه سد رمقه إذا خاف التلف، وعلى ما يلزمه من النذور، والكفارات، ويدخل فيها أيضا ما يخرجه الإنسان على وجه

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج٢/ ٢٥٩.

(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٩٣.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج٢/ ٢٦٠.

(٤) الطوسي: التبيان ج٢/ ٩٥/ الطبرسي: مجمع البيان م١ ج٢/ ٢٦٣ (مع اختلاف يسير).

التطوع، والقربة إلى الله، لأن ذلك كله من البر[١].

ب - وقوله: ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ قيل فيه قولان: أحدهما - عتق الرقاب. والثاني - المكاتبين. وينبغي أن تحمل الآية على الأمرين، لانها تحتمل الأمرين، وهو اختيار الجبائي، والرماني[٢].

ت - وقوله تعالى: " ذوي القربة " قيل: أراد به قرابة المعطي، اختاره الجبائي، لقول النبي (صلى الله عليه وآله) لفاطمة بنت قيس، لما قالت: يا رسول الله إن لي سبعين مثقالا من ذهب، فقال: اجعليها في قرابتك[٣].

ث - وفي هذه الآية دلالة على وجوب إعطاء مال الزكاة المفروضة بلا خلاف وقال ابن عباس: في المال حقوق واجبة سوى الزكاة، وقال الشعبي: هي محمولة على وجوب حقوق في مال الإنسان غير الزكاة مما له سبب وجوب كالإنفاق على من يجب عليه نفقته وعلى من يجب عليه سد رمقه إذا خاف عليه التلف وعلى ما يلزمه من النذور والكفارات، ويدخل في هذا أيضاً ما يخرجه الإنسان على وجه التطوع والقربة إلى الله لأن ذلك كله من البر، واختاره الجبائي[٤].

[٦٤] – قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ... قال الجبائي، وغيره: لتتقوا ربكم باجتناب معاصيه. وهذا أعم فائدة[٥].

[٦٥] – قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ٩٦.
(٢) م. ن ج٢/ ٩٧.
(٣) م. ن ج٢/ ٩٧.
(٤) م. ن نقلت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي.
(٥) الطوسي: التبيان ج٢/ ١٠٦-١٠٧/ الرازي: التفسير الكبير: ج٥/ ٥٠ وردت هكذا: قال الجبائي: هذا يدل على أنه تعالى أراد من الكل التقوى.

أ ـ فصل: فيما نذكره من الجزء الثاني من المجلّد الأوّل من (تفسير أبي عليّ الجبّائي) من الوجهة الأوّلة، من القائمة الخامسة، من الكرّاس الثاني، من الجزء الثاني المذكور بلفظه:

وأمّا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ فإنّما عنى به ما كان فرضه على الناس في صدر الإسلام من الوصية للوالدين والأقربين، ثم نسخ ذلك بأنْ بيّن لنبيّه ﷺ أنْ لا وصيّة لوارث. وبيّن لنا ذلك رسول الله. ونسخ عنّا فرض الوصيّة أيضاً[1].

[٦٦] – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾

أ – وقوله ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال: أحسنها: إنه كتب عليكم صيام أيام، كما كتب عليهم صيام أيام. وهو اختيار الجبائي، وغيره، ويكون الصيام رفعا، لأنه ما لم يسم فاعله، ويكون موضع (كما) نصب على المصدر. والمعنى فرض عليكم فرضا كالذي فرض على الذين من قبلكم. ويحتمل أن يكون نصبا على الحال من الصيام. وتقديره كتب عليكم مفروضا أي في هذه الحال[2].

ب – ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ فيه أقوال – أحدها – إنه شبه فرض صومنا بفرض صوم من تقدمنا من الأمم، أي كتب عليكم الصيام كما كتب عليهم صيام أيام فليس فيه تشبيه عدد الصوم المفروض علينا ولا وقته بعدد الصوم المفروض عليهم أو وقته، وهو اختيار أبي مسلم، والجبائي[3].

ت – وقوله ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي لعلكم تتقون المعاصي بفعل الصوم، في قول الجبائي[4].

---

(١) ابن طاووس: سعد السعود للنفوس، ص ٢٥٩.

(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ١١٥.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج٢/ ٢٧٢.

(٤) الطوسي: التبيان ج٢/ ١١٥، الطبرسي: مجمع البيان م١/ ج٢/ ٢٧١.

[٦٧] – قوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) ﴾

أ - ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ ﴾ ...واختلف في هذه الأيام على قولين -أحدهما- إنها غير شهر رمضان وكانت ثلاثة أيام من كل شهر ثم نسخ، عن معاذ، وعطاء وعن ابن عباس، وروى ثلاثة أيام من كل شهر وصوم عاشورا عن قتادة، ثم قيل: أنه كان تطوعاً، وقيل: بل كان واجباً، واتفق هؤلاء على أن ذلك منسوخ بصوم شهر رمضان والآخر أن المعدودات شهر رمضان عن ابن عباس والحسن، واختاره الجبائي، وأبو مسلم، وعليه أكثر المفسرين قالوا: أوجب سبحانه الصوم أولاً فأجمله ولم يبين أنها يوم أو يومان أم أكثر ثم بين أنها أيام معلومات وأبهم ثم بينه بقوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن قال القاضي هذا أولى لأنه إذا أمكن حمله على معنى غير إثبات نسخ كان أولى ولأن ما قالوه زيادة لا دليل عليه[1].

ب - احتج الجبائي بقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ﴾ على أن الاستطاعة قبل الفعل فقال: الضمير في قوله: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ﴾ عائد إلى الصوم فأثبت القدرة على الصوم حال عدم الصوم، لأنه أوجب عليه الفدية، وإنما يجب عليه الفدية إذا لم يصم، فدل هذا على أن القدرة على الصوم حاصلة قبل حصول الصوم. فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون الضمير عائد إلى الفدية؟ قلنا لوجهين أحدهما: أن الفدية غير مذكورة من قبل فكيف يرجع الضمير إليها. والثاني: أن الضمير مذكر والفدية مؤنثة، فإن قيل: هذه الآية منسوخة فكيف يجوز الاستدلال بها قلنا: كانت قبل أن صارت منسوخة دالة على أن القدرة حاصلة قبل الفعل، والحقائق لا تتغير[2].

[٦٨] – قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٢/ ٢٧٣/ عرضت النص كاملاً حتى يُفهم كلام الجبائي.
(٢) الرازي: التفسير الكبير ج٥/ ٧٠.

ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾ ... قال الجبائي: في مال اليتيم الذي في يد الأوصياء، لأنه يدفعه إلى الحاكم إذا طولبوا به، ليقتطع بعض، ويقوم له في الظاهر حجة[1].

[٦٩] – قوله تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

قيل في معنى الآية قولان:... و(الثاني) – قال قوم، واختاره الجبائي: إنه مثل ضربه الله لهم. " وأتوا البيوت من أبوابها أي أتوا البر من وجهه الذي أمر الله به، ورغب فيه، وهذا الوجه حسن[2].

[٧٠] – قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾

وذهب الحسن، وابن زيد، والربيع، والجبائي: إلى أن هذه الآية منسوخة، لأنه قد وجب علينا قتال المشركين وإن لم يقاتلونا بقوله ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾[3]. وقوله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[4][5].

[٧١] – قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾

هذه الآية ناسخة للأولى التي تضمنت النهي عن القتال عند المسجد الحرام حتى يبدءوا بالقتال فيه، لأنه أوجب قتالهم على كل حال حتى يدخلوا في

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ١٣٨-١٣٩/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٢/ ٢٨٢.
(٢) م. ن ج٢/ ١٤٢.
(٣) سورة التوبة الآية ٥.
(٤) سورة البقرة الآية ١٩٣.
(٥) الطوسي: التبيان ج٢/ ١٤٣.

الإسلام، في قول الجبائي[١].

[٧٢] – قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[٢]

وقوله: ﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ ... وقال الحسن: إن مشركي العرب قالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله): أنهيت عن قتالنا في الشهر الحرام، قال نعم، فأراد المشركين أن يغزوه في الشهر الحرام، فيقاتلوه، فأنزل الله تعالى: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ أي إن استحلوا منكم في الشهر الحرام شيئًا، فاستحلو منهم مثل ما استحلوا منكم، وبه قال الزجاج، والجبائي[٣].

[٧٣] – قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾

أ – قيل في معنى الآية وجوه... والرابع – ما قاله الجبائي: لا تسرفوا في الإنفاق الذي يأتي على النفس[٤].

[٧٤] – قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ١٤٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٢/ ٢٨٧.

(٢) وردت هذا الآية تحت رقم ١٩٣ في مجمع البيان إلا أن الصحيح ما ذكر أعلاه (١٩٤) في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ١٥٠ / الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٢/ ٢٨٨.

(٤) الطوسي: التبيان ج٢/ ١٥٢/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٢/ ٢٨٩.

أ - وقيل في إتمام الحج والعمرة أقوال: أحدها - أنه يجب أن يبلغ آخر أعمالها بعد الدخول فيهما وهو قول مجاهد، وأبي العباس المبرد، وأبي علي الجبائي[(١)].

ب - وقوله ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ فالذي رواه أصحابنا أن الصيام ثلاثة أيام أو صدقة ستة مساكين. وروي عشرة مساكين. والنسك شاة. وفيه خلاف بين المفسرين. وروي عن كعب بن عجرة الأنصاري، ومجاهد، وعلقمة، وابراهيم، والربيع، واختاره الجبائي: مثل ما قلناه: إن الصوم ثلاثة أيام والإطعام لستة مساكين[(٢)].

ت - ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ ﴾ وللمفسرين في التمتع أربعة أقوال:... والثاني: روى ابن عباس، وابن عمر، وسعيد بن المسيب، وعطاء، واختاره الجبائي: وهو أن يعتمر في أشهر الحج ثم يأتي مكة، فيطوف، ويسعى، ويقصر ثم يقيم حلالاً إلى يوم التروية، أو يوم قبله، فيهل فيه بالحج من مكة، ثم يحج[(٣)].

ث - وقوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ ﴾ أما أيام التشريق، فلا يجوز صومها عندنا، وبه قال جماعة من المفسرين، واختاره الجبائي، لنهي النبي (صلى الله عليه وآله) عن صوم أيام التشريق. وروي عن ابن عمر، وعائشة جواز ذلك[(٤)].

ج - وقوله: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ﴾ اختلفوا في معناه، فقال الحسن، والجبائي، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام: أن المعنى كاملة من الهدي أي إذا وقعت بدلا منه، استكملت ثوابه[(٥)].

[٧٥] - قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ١٥٤.
(٢) م. ن ج٢/ ١٥٨/ عرضت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي.
(٣) م. ن ج٢/ ١٥٩.
(٤) الطوسي: التبيان ج٢/ ١٦٠.
(٥) الطوسي: التبيان ج٢/ ١٦٠/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٢/ ٢٩١.

رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾

وأشهر الحج - عندنا - شوال، وذو القعدة، وعشر من الحجة، على ما روي عن أبي جعفر عليه السلام وبه قال ابن عباس، وابن عمر، وإبراهيم، والشعبي، ومجاهد، والحسن، واختاره الجبائي[1].

[٧٦] - قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾

قيل في معنى هذه الآية قولان:... والثاني - قال الضحاك، والجبائي وحكاه المبرد، لكنه اختار الأول، لأنه خطاب لجميع الحاج أن يفيضوا من حيث أفاض إبراهيم عليه السلام من المزدلفة[2]. [إلى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر عن الجبائي قال والآية تدل عليه لأنه قال فإذا أفضتم من عرفات ثم قال ثم أفيضوا فوجب أن يكون إفاضة ثانية فدل ذلك على أن الإفاضتين واجبتان والناس به إبراهيم].

[٧٧] - قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾

والحسنة التي سألوها قيل في معناها قولان: أحدهما - قال قتادة، والجبائي، وأكثر المفسرين: إنه نعم الدنيا، ونعم الآخرة[3].

[٧٨] - قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾

والآية تدل على وجوب التكبير في هذه الأيام، وهو أن يقولوا: الله أكبر،

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ١٦٢.

(٢) م. ن ج٢/ ١٦٨-١٦٩/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ج٢/ ٢٩٦ وما بين المعكوفتين ورد عند الطبرسي فقط.

(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ١٧٢.

الله أكبر، لا إله إلاّ الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد. وبه قال الحسن، والجبائي[١].

[٧٩] - قوله تعالى: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وفي الآية مسائل... المسألة الثالثة: قال أبو علي الجبائي: لو كان الأمر كما يقوله المجبرة من أنه تعالى يريد من السفهاء والكفار: السفاهة والكفر لما جاز أن يوصف بأنه حكيم، لأن من فعل السفه وأراده كان سفيهًا، والسفيه لا يكون حكيمًا[٢].

[٨٠] - قوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

﴿ مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ ﴾ وقيل: كم من حجة واضحة لمحمد تدل على صدقه عن الجبائي[٣].

[٨١] - قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

أ - ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ وفيه وقولان - أحدهما - أن الشيطان زينها لهم بأن قوى دواعيهم وحسن فعل القبيح والإخلال بالواجب عليهم، فأما الله فلا يجوز أن يكون المزين لهم إياها لأنه زهد فيها وقال: وأعلم أنها متاع الغرور، وقال: قل متاع الدنيا قليل، عن الحسن، والجبائي[٤].

ب - وقيل في معنى تزيين الحياة الدنيا قولان: أحدها - قال الحسن، والجبائي، وغيرهما - أن المزين لهم إبليس وجنوده، لأنهم الذين يغوون،

---

(١) م. ن ج٢/ ١٧٥.

(٢) الرازي: التفسير الكبير ج٥/ ١٨٠.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ج٢/ ٣٠٤.

(٤) م. ن م٢/ ج٢/ ٣٠٥.

ويقوون دواعيه، ويحسنون فعل القبيح، والإخلال بالواجب ويسوفون لهم التوبة، فأما الله تعالى، فلا يجوز أن يكون المزين له، لأنه زهد فيها، فأعلم أنها متاع الغرور، وتوعد على ارتكاب القبائح فيها[1].

ج - قال الرازي... والمسألة الثالثة: اختلفوا في كيفية هذا التزيين، أما المعتزلة فذكروا وجوهاً... أحدها: قال الجبائي: المزين هم غواة الجن والإنس، زينوا للكفار الحرص على الدين، وقبحوا أمر الآخرة في أعينهم، وأوهموا أن لا صحة لما يقال من أمر الآخرة، فلا تنغصوا عيشتكم في الدنيا. قال: كان المزين هو الله تعالى، فإما أن يكون صادقاً في ذلك التزيين، وإما أن يكون كاذباً. فإن كان صادقاً، وجب أن يكون ما زينه حسناً، فيكون فاعله المستحسن له مصيباً، وذلك يوجب أن الكافر مصيب في كفره ومعصيته، وهذا القول كفر.

وإن كان كاذباً في ذلك التزيين، أدى ذلك إلى أن لا يوثق منه تعالى بقول ولا خبر، وهذا أيضاً كفر، قال: فصح أن المراد من الآية أن المزين هو الشيطان. هذا تمام كلام أبي علي الجبائي في تفسيره[2].

[٨٢] - قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾

أ - واختلفوا في الدِّين الذي كانوا عليه، فقال ابن عباس، والحسن، واختاره الجبائي: إنهم كانوا على الكفر[3].

ب - ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ ... واختلف في أنهم على أيّ دين كانوا؟ فقال قوم: أنهم كانوا على الكفر، وهو المروي عن ابن عباس في إحدى

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ١٩١.
(٢) الرازي: التفسير الكبير ج٦/ ٦.
(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ١٩٣.

الروايتين والحسن، واختاره الجبائي[١].

ت - وقوله: ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ﴾ وقيل في معنى ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ قولان:... وقال الجبائي: لابد من أن يكون على حذف 'فاهتدوا' بإذنه[٢]. فان قيل: ما الهدى الذي اختص به من يشاء؟ قيل فيه ثلاثة أقوال: قال الجبائي: اختص به المكلفين دون غيرهم ممن لا يحتمل التكليف، وهو البيان، والدلالة[٣].قال الجبائي: إن الهدى للإيمان غير الإيمان، والأنعام بالإيمان هو نفس الإيمان[٤].

ث - ﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ فيه أقوال - أحدها - أن المراد به البيان والدلالة والصراط المستقيم هو الإسلام وخص به المكلفين دون غيرهم ممن لا يحتمل التكليف، عن الجبائي[٥].

ج - ' بإذنه ' أي بأمره يعني بما يأمر ويأذن فيه من الشرائع والأحكام عن الحسن، والجبائي[٦].

[٨٣] - قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾

أ - اختلفوا في: من السائل عن هذا السؤال: أهم أهل الشرك، أم أهل الإسلام؟ فقال الحسن، وغيره: هم أهل الشرك على جهة العيب للمسلمين

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ج٢/٣٠٦.
(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ١٩٥.
(٣) م. ن ج٢/١٩٦.
(٤) م. ن ج٢/١٩٧.
(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ج٢/٣٠٧.
(٦) م. ن م١/ج٢/٣١٨.

باستحلالهم القتال في الشهر الحرام، وبه قال الجبائي، وأكثر المفسرين[١].

ب - وقال قتادة وغيره، واختاره الجبائي: إن القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام منسوخ بقوله: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[٢] وبقوله: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾[٣] [٤].

ت - وقوله تعالى ﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ ففيه مسائل:... المسألة الثانية: المراد من إحباط العمل ليس هو إبطال نفس العمل، لأن العمل شيء كما وجد فني وزال وإعدام المعدوم محال.ثم أختلف المتكلمون فيه، فقال المثبتون للإحباط[٥] والتكفير: المراد منه إن عقاب الردة الحادثة يزيل ثواب الإيمان السابق. إما بشرط الموازنة على ما هو مذهب أبي هاشم وجمهور المتأخرين من المعتزلة، أولاً بشرط الموازنة على ما هو مذهب أبي علي[٦].

ث - وقوله " يردوكم " قال الجبائي: هو مجاز ها هنا، لأن حقيقته: حتى ترتدوا بالجاءهم إياكم إلى الارتداء[٧].

[٨٤] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾

وفي الآية دلالة على أن من مات مصرا على كبيرة لا يرجو رحمة الله لأمرين:... وقال الجبائي: لأنهم لا يعلمون أنهم أدوا كما يجب لله عليهم، لأن هذا العلم من الواجب، وهم لا يعلمونه إلاّ بعلم آخر، وكذلك سبيل العلم في

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ٢٠٣-٢٠٤.
(٢) سورة البقرة آية ١٩٣.
(٣) سورة التوبة آية ٦.
(٤) الطوسي: التبيان ج٢/ ٢٠٧.
(٥) يذكر الطوسي في كتاب "قواعد العقائد"أن أبا علي الجبائي عرّف المقصود من الإحباط عنده فقال: هو أنه إذا أقدم على كبيرة أحبطت الكبيرة جميع أعماله الصالحة المتقدمة، ويكون معاقباً على ذلك أبدا. راجع الطوسي: قواعد العقائد ص٥٠. وعموماً الإحباط هو إبطال الحسنات بالسيئات والتكفير بالعكس. راجع الكليات لأبي البقاء ص١٩.
(٦) الرازي: التفسير الكبير ج٢/ ٣٣ (وقد عرضت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي).
(٧) الطوسي: التبيان ج٢/ ٢٠٨.

أنهم لا يعلمونه إلاّ بعلم غيره، وهذا يوجب أنهم لا يعلمون إذا كما يجب لله عليهم[1]... ذكر الجبائي: أن هذه الآية تدل على أنه لا يجوز لأحد أن يشهد لنفسه بالجنة، لأن الرجاء لا يكون إلاّ مع الشك، وقد بين الله تعالى: أن صفة المؤمن الرجاء للرحمة، لا القطع عليها لا محالة[2].

[٨٥] – قوله تعالى: ﴿ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾

أ – قال الجبائي: لو أعنتهم لكان جائزاً حسناً، لكنه تعالى وسع على العباد، لما في التوسعة من تعجيل النعمة[3].

ب – وقوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ ... احتج الجبائي بهذه الآية فقال: إنها تدل على انه تعالى لم يكلف العبد بما لا يقدر عليه، لأن قوله "ولو شاء الله للاعنتكم" يدل على أنه تعالى لم يفعل الإعنات والضيق في التكليف ولو كان مكلفاً بما لا يقدر العبد عليه لكان قد تجاوز حدّ الإعنات وحدّ الضيق[4].

[٨٦] – قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾

أ – ثم اعلم أن القائلين بأن اليهود والنصارى يندرجون تحت اسم المشرك اختلفوا على قولين: فقال قوم: وقوع هذا الاسم عليهم من حيث اللغة لما بينا أن اليهود والنصارى قائلون بالشرك، وقال الجبائي، والقاضي: هذا الاسم من جملة الأسماء الشرعية، واحتجا على ذلك بأنه قد تواتر النقل عن الرسول عليه

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ٢١٠.

(٢) م. ن ج٢/ ٢١١.

(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ٢١٦.

(٤) الرازي: التفسير الكبير ج٦/ ٤٦.

الصلاة والسلام أنه كان يسمى كل من كان كافراً بالمشرك، ومن كان في الكفار من لا يثبت إلهًا أصلاً أو كان شاكاً في وجوده، أو كان شاكاً في وجود الشريك، وقد كان فيهم من كان عند البعثة منكراً للبعث والقيامة، فلا جرم كان منكراً للبعثة والتكليف، وما كان يعبد شيئًا من الأوثان، والذين كانوا يعبدون الأوثان فيهم من كانوا يقولون: إنها شركاء الله في الخلق وتدبير العالم، بل كانوا يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله فثبت أن الأكثرين منهم كانوا مقرين بأن إله العالم واحد وأنه ليس له في الإلهية معين في خلق العالم وتدبيره وشريك ونظير إذا ثبت هذا ظهر أن وقوع اسم المشرك على الكافر ليس من الأسماء اللغوية بل من الأسماء الشرعية، كالصلاة والزكاة وغيرهما، وإذا كان كذلك وجب اندراج كل كافر تحت هذا الاسم[1].

ب - قال الجبائي: إن الآية دالة على أن القادر على طول الحرة يجوز له التزوج بالأمة على ما هو مذهب أبي حنيفة، وذلك لأن الآية دلت على أن الواجد لطول الحرة المشركة يجوز له التزوج بالأمة لكن الواجد لطول الحرة المشركة يكون لا محالة واجدا لطول الحرة المسلمة لأن سبب التفاوت في الكفر والإيمان لا يتفاوت بقدر المال المحتاج إليه في أهبة النكاح، فيلزم قطعا أن يكون الواجد لطول الحرة المسلمة يجوز له نكاح الأمة، وهذا استدلال لطيف في هذه المسألة[2].

[٨٧] - قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾

الحجة الخامسة: وهي حجة ذكرها الجبائي من شيوخ المعتزلة في «تفسيره» فقال: إن فرض الصوم والصلاة لازم يتعين للعمومات الدالة على وجوبهما ترك العمل بها في الثلاثة إلى العشرة فوجب بقاؤها على الأصل فيما دون الثلاثة وفوق العشرة، وذلك لأن فيما دون الثلاثة حصل اختلاف للعلماء

(١) الرازي: التفسير الكبير ج٦/ ٤٩.
(٢) م. ن ج٦/ ٥٢.

فأورث شبهة فلم نجعله حيضاً، وما زاد على العشرة ففيه أيضاً اختلاف العلماء فأورث شبهة فلم نجعله حيضاً، فأما من الثلاثة إلى العشرة فهو متفق عليه فجعلناه حيضا[١].

[٨٨] – قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ ﴾

قيل في معنى قوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ ثلاثة أقوال:... الثالث – بمعنى: ولا تجعلوا اليمين بالله مبتذلة في كل حق وباطل، لأن تبروا في الحلف بها، واتقوا المآثم فيها، وهو المروي عن عائشة، لأنها قالت: لا تحلفوا به وإن بررتم، وبه قال الجبائي، وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام[٢].

[٨٩] – قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾

أجاب **الجبائي** من شيوخ المعتزلة عن هذا الجواب[٣] من وجهين: الأول: أنا تركنا الظاهر في تلك الآية لدليل، فلم يلزمنا أن نترك الظاهر هاهنا من غير

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج٦/ ٥٨.

(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٢٢٥-٢٢٦ / الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٢/ ٣٢٢.

(٣) الجواب الذي أجاب عليه الجبائي هو للشافعي وهو كما يلي: الحجة الثانية: أن القول بأن الأقراء حيض يمكن معه استيفاء ثلاثة أقراء بكمالها لأن هذا القائل يقول: إن المطلقة يلزمها تربص ثلاث حيض، وإنما تخرج عن العهدة بزوال الحيضة الثالثة ومن قال: إنه طهر يجعلها خارجة من العدة بقرأين وبعض الثالث، لأن عنده إذا طلقها في آخر الطهر تعتد بذلك قرءا فإذا كان في أحد القولين تكمل الأقراء الثلاثة دون القول الآخر كان القول الأول أليق بالظاهر، أجاب الشافعي رضي الله عنه عن ذلك أن الله قال: '**الحج أشهر معلومات**' (الحج: ١٩٧) والأشهر جمع وأقله ثلاثة، ثم إنا حملنا الآية على شهرين وبعض الثالث، وذلك هو شوال، وذو القعدة، وبعض ذو الحجة، فكذا ههنا جاز أن تحمل هذه الثلاثة على طهرين وبعض طهر. (راجع الرازي: التفسير الكبير ج ٦/ ٧٧).

دليل. والثاني: أن في العدة تربصاً متصلاً، فلا بد من استيفاء الثلاثة وليس كذلك أشهر الحج، لأنه ليس فيها فعل متصل، فكأنه قيل: هذه الأشهر وقت الحج لا على سبيل الاستغراق[١].

[٩٠] – قوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾

أ – قوله: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ ﴾ المعني فيه التطليقة الثالثة على ما روي عن أبي جعفر عليه السلام وبه قال السدي، والضحاك، والزجاج، والجبائي، والنظّام[٢].

ب – وروي عن عائشة أن رضاع الكثير يؤثر. وقال أبو علي الجبائي: لم يقم بهذا حجة ولا نزل له ظاهر القرآن[٣].

ت – ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ ﴾ أي لا يحل نكاحها لهذا الرجل الذي طلقها حتى تزوج زوجاً غيره ويجامعها واختلف في ذلك فقيل: العقد عُلِم بالكتاب والوطء بالسنة عن الجبائي[٤].

[٩١] – قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

فإن قيل: أعلى كل وارث له، أم على بعضهم؟ قيل: ذكر أبو علي الجبائي: أن على كل وارث نفقة الرضاع الأقرب فالأقرب يؤخذ به. وأما نفقة ما بعد الرضاع، فاختلفوا وقال أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد: على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون من كان ذا رحم ليس بمحرم، كابن العم وابن الأخت، فأوجبوا على ابن الأخت ولم يوجبوا؟ على ابن العم وإن كان وارثه في تلك الحال، وكذلك العمة وابن العمة، حكاه أبو علي الجبائي، والبلخي.[٥].

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج٦/ ٧٧-٧٨.
(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٢٤٨.
(٣) م. ن ج٢/ ٢٥٦.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٢/ ٣٣٠.
(٥) الطوسي: التبيان ج٢/ ٢٥٨-٢٥٩.

[٩٢] – قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥) ﴾

أ – وقوله: ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ ﴾ ... أن يكون ذلك على وجه التشبيه بكتاب الدين، ذكره الجبائي[١].

ب – وقوله: ﴿ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ وقال أبو علي الجبائي: هو كل فعل يضاد حدوث العقوبة في الانسان، وهو من الانسان ترك العقاب. والله تعالى لا يجوز عليه الترك، فهو ما وصفنا من نعمه التي تضاد عقوبته[٢].

[٩٣] – قوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) ﴾[٣]

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ٢٦٨.

(٢) م. ن ج٢/ ٢٦٨.

(٣) المعنى: المفروض صداقها داخلة في دلالة الآية وإن لم يذكر، لأن التقدير ما لم تمسوهن ممن قد فرضتم لهن أو لم تفرضوا لهن فريضة، لأن أو تنبئ عن ذلك، لأنه لو كان على الجمع لكان بالواو. والفريضة المذكورة في الآية: الصداق، بلا خلاف، لأنه يجب بالعقد للمرأة، فهو فرض لوجوبه بالعقد.
ومتعة التي لم يدخل بها ولا يسمى لها صداق على قدر الرجل، والمرأة، قال ابن عباس، والشعبي، والربيع: خادم أو كسوة أو رزق، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليه السلام. وقيل مثل نصف صداق تلك المرأة المنكوحة، حكى ذلك عن أبي حنيفة وأصحابه. وفي وجوب المتعة لكل مطلقة خلاف. قال الحسن وأبو العالية: المتعة لكل مطلقة إلا المختلعة، والمبارية، والملاعنة. وقال سعيد بن المسيب: المتعة التي لم يسم لها صداق، خاصة، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليه السلام. وقد روي أيضا أنها لكل مطلقة، وذلك على وجه الاستحباب. والمتعة للتي لم يدخل بها ولم يعرض لها يجبر عليها السلطان، وهو قول أهل العراق. وقال أهل المدينة وشريح يؤمر لها، ولا يجبر عليها.

والمتوفى عنها زوجها إذا لم يفرض لها صداق عليها العدة - بلا خلاف - ولها الميراث إجماعاً. وقال الحسن، والضحاك وأكثر الفقهاء: لها صداق مثلها. وحكى الجبائي عن بعض الفقهاء: أنه لا مهر لها[١].

[٩٤] - قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾

وقوله: ﴿ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ ﴾ واختار الجبائي أن يكون المراد به الزوج، قال: لأنه ليس للولي أن يهب مال المرأة، قوله: ' وأن تعفوا أقرب للتقوى ' خطاب للزوج والمرأة، قال: لأنه ليس للولي أن يهب مال المرأة[٢].

[٩٥] - قوله تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾

أ - والمتاع: النفقة مقدار ما تقيم في العدة، على قول الجبائي[٣].

ب - وحكى أبو علي: للمطلقة البائنة[٤].

ت - ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ ﴾: اختلف فيه: فقال سعيد بن جبير، وأبو العالية، والزهري: إن المراد بهذا المتاع المتعة، وإن المتعة واجبة لكل مطلقة. وقال أبو علي الجبائي: المراد به النفقة، هو المتاع المذكور في قوله متاعاً إلى الحول[٥].

[٩٦] - قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ٢٧٠.

(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٢٧٤.

(٣) م. ن ج٢/ ٢٨١.

(٤) م. ن ج٢/ ٢٨٠(أي المتعة للمطلقة البائنة).

(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٢/ ٣٤٥.

مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةً مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) ﴾

وقوله: "وزاده بسطة في العلم والجسم" قيل في معناه قولان: قال الحسن: زيادة في العلم وعظما في الجسم. وقال الجبائي: كان إذا قام الرجل، فبسط يده رافعا لها نال رأسه[١].

[٩٧] – قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ (٢٥١) ﴾

فالأولى أن يكون القوم هزموهم حقيقة لأنهم سنوا الهزيمة بأن فعلوا ما يلجئهم إليها، وقال الجبائي: ذلك مجاز، لأنهم لم يفعلوا هزيمتهم، كما يقال: أخرجه من منزله إذا ألجأه إلى الخروج، ولم يفعل خروجه[٢].

[٩٨] – قوله تعالى: ﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣) ﴾

وقال (أبو علي) رحمه الله في التفسير: أنَّ قوله: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ ﴾ ، أراد به: لو شاء أن لا يأمر باقتتالهم على سبيل العقوبة لكفرهم، لما وقع القتال. وقال: أنَّ قوله في صدر الآية: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم ﴾ ، أراد به بأن يمنعهم بالحيلولة، وأن المراد بذلك غير المراد بما ذكرتموه

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ٢٩١.

(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٣٠٠. وأيضاً الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٢/ ٣٢٥.

في آخر الآية[١].

[٩٩] - قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾

أ - وقوله: ﴿ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ ... والهاء في "آتاه" ... قال الحسن، وأبو علي: إنها كناية عن المحاج لإبراهيم. وقال أبوحذيفة والبلخي إنها عائدة إلى إبراهيم[٢].

ب - الهاء من "أتاه تعود إلى المحاج لإبراهيم أي: أعطاه الله الملك، وهو نعيم الدنيا وسعة المال. فبطر الملك حمله على محاجة إبراهيم عن الحسن، والجبائي[٣].

[١٠٠] - قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾

وقوله ﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ ﴾ ... قال الجبائي: لا يجوز ذلك[٤] لأن المعجزات لا تجوز إلاّ للأنبياء لأنها دالة عليهم. فلو وقعت المعجزة

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني..، ج٦ كتاب الإرادة، ص ٣١٩. وعبارة (أبو علي) زيادة مني، لأن القاضي يقصد ذلك.

(٢) الطوسي: التبيان ج٢/٣١٦. وأيضاً الطبرسي: مجمع البيان م ٢ / ج ١ / ١٦٧ ورد عن الحسن والجبائي.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ج١/ ١٦٧ . وأيضاً الطوسي: التبيان ٢/ ٣١٦ .

(٤) الذي لا يجوز عند الجبائي هو أن تكون هذه الآية في غير زمان نبي.

في غير زمن نبي لم يكن وقوعها دليلا على النبوة[١].

[١٠١] – قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾

قال الربيع، والسدي: الآية تدل على أن النفقة في سبيل الله بسبعمائة مائة ضعف لقوله ﴿ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ فأما غيرها فبالحسنة عشرة. وقد بينا في ما تقدم أبواب البر كلها من سبيل الله فيمكن أن يقال ذلك عام في جميع ذلك. والذي ذكرناه مروي عن أبي عبدالله عليه السلام، واختاره الجبائي[٢].

[١٠٢] – قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾

أ – وقوله ﴿ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ قال ابن زيد:هو الجهاد. وقال الجبائي: أبواب البر كلها، وهو الصحيح عندنا. والمروي عن أبي عبدالله عليه السلام[٣].

ب – وقوله: ﴿ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا ﴾ ... وقال الجبائي: إذا حلف بما يلزمه فيه عزم، نحو الصدقة، أو الطلاق، أو العتاق، فهو إيلاء، وإلاّ، فهو لغو، نحو قوله: وحياتك، وما أشبه[٤].

[١٠٣] – قوله تعالى: ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾

﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ قيل فيه أقوال: – أحدها– أن معناه سلامة من المعصية، لأن

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ٣٢٢.

(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٣٣٢. راجع أبواب البرّ في هذا التفسير، سورة البقرة، الآية ١٧٧.

(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ٣٣٣.

(٤) م. ن ج٢/ ٣٣٤.

حالها كحال المغفرة في الأمان من العقوبة، عن الجبائي[١].

[١٠٤] – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٦٤) ﴾

قال الجبائي: وكما دل هذا النص على صحة قولنا فالعقل دل عليه أيضا، وذلك لأن من أطاع وعصى، فلو استحق ثواب طاعته وعقاب معصيته لوجب أن يستحق النقيضين، لأن شرط الثواب أن يكون منفعة خالصة دائمة مقرونة بالإجلال، وشرط العقاب أن يكون مضرة خالصة دائمة مقرونة بالإذلال فلو لم تقع المحابطة لحصل استحقاق النقيضين وذلك محال، ولأنه حين يعاقبه فقد منعه الإثابة ومنع الإثابة ظلم، وهذا العقاب عدل، فيلزم أن يكون هذا العقاب عدلا من حيث إنه حقه، وأن يكون ظلما من حيث إنه منع الإثابة، فيكون ظالما بنفس الفعل الذي هو عادل فيه وذلك محال، فصح بهذا قولنا في الإحباط والتفكير بهذا النص وبدلالة العقل، هذا كلام المعتزلة[٢].

[١٠٥] – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧) ﴾

﴿ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ يدخل فيه الزكاة المفروضة وغيرها من أنواع النفقة. وقال عبيدة السلماني، والحسن: هي مختصة بالزكاة.

وقال الجبائي: هي في المتطوع، لأن الفرض من الصدقة له مقدار من القيمة إن قصر كان دينا عليه إلى أن يؤديه على التمام. فأما إذا كان مال المزكي كله رديا فجاز له أن يعطي منه ولا يدخل في ما نهي عنه، لأن تقدير ما جعله الله للفقير في مال الغني تقدير حصة الشريك، فليس لأحد الشريكين أن يأخذ

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٢/ ٣٧٥.

(٢) الرازي: التفسير الكبير ج٧/ ٤٤.

الجيد ويعطي صاحبه الردي لما فيه من الوكس فاذا استوى في الرداوة جاز له إعطاء الردي، لأنه حينئذ لم يبخسه تحقا هو له كما يبخسه في الأول[١].

[١٠٦] - قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[٢]

وقال الجبائي: هو ما آتاه الله أنبياء وأممهم من كتبه وآياته ودلالالة التي يدلهم بها على معرفتهم به وبدينه وذلك تفضل منه يؤتيه من يشاء[٣].

[١٠٧] - قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾

... واختلفوا في الصدقة التي إخفاؤها أفضل. فقال ابن عباس، وسفيان، واختاره الجبائي: أنها صدقة التطوع، لأنها أبعد من الرياء، فأما الصدقة الواجبة فإظهارها عندهم أفضل لأنه أبعد من التهمة[٤].

[١٠٨] - قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾

أ - قيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها قولان:... الثاني - قال

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ٣٤٣-٣٤٤/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٣٨٠.

(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٢٦٩ / قيل في معنى الحكمة في الآية وجوه: قال ابن عباس، وابن مسعود: هو علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهة ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله. وقال ابن زيد: هو علم الدين. وقال السدي: هو النبوة. وقال مجاهد الإصابة. وقال إبراهيم النخعي: الفهم. قال الربيع: الخشية. وقال قوم: هو العلم الذي تعظم منفعته وتحل فائدته وهو جميع ما قالوه. وقال قتادة: والضحاك، وفي رواية عن مجاهد: هو القرآن، والفقة. وهو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام وإنما قيل للعلم: حكمة لأنه يمتنع به من القبيح لما فيه من الدعاء إلى الحسن، والزجر عن القبيح / م. ن ٣٤٨-٣٤٩.

(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ٣٤٩.

(٤) م. ن ج٢/ ٣٥١.

الحسن، وأبو علي الجبائي، والزجاج: "ليس عليك هداهم" بالحمل على النفقة في وجوه البر، فعلى هذا معناه التسلية والتقدير ليس عليك أن تعدي الناس إلى نيل الثواب، والجنة وإنما عليك أن تهديم إلى الايمان بأن تدلهم عليه لأنه (عليه السلام) كان يغتم إذا لم يؤمنوا ولم يقبلوا منه لعلمه بما يصيرون إليه من العقاب فسلاه الله بهذا القول. وإنه لا ينبغي ترك مواساة ذوي القربى من أهل الشرك ليدخلوا في الإسلام فيكون ذلك مبيحاً للصدقة المندوبة عليهم(١).

ب - وقوله: ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ وقال أبو علي الجبائي: الهداية في الآية هو إلى طريق الجنة وذلك يختص بالمؤمنين المستحقين للثواب(٢).

[١٠٩] - قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾

وقوله: ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ ﴾ لا يدل على أنهم كانوا يسألون غير إلحاف - في قول الفراء، والزجاج، والبلخي، والجبائي - وإنما هو كقولك ما رأيت مثله. وأنت لم ترد أن له مثلا ما رأيته وإنما تريد أنه ليس له مثل فيرى(٣).

[١١٠] - قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾

أ - قال الجبائي: الناس يقولون المصروع إنما حدثت به تلك الحالة لأن الشيطان يمسه ويصرعه، وهذا باطل لأن الشيطان ضعيف لا يقدر على صرع

(١) الطبرسي: التبيان ج٢/ ٣٥٣-٣٥٤.
(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٣٥٤ / الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٣٨٦.
(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ٣٥٦.

الناس وقتلهم ويدل عليه وجوه: أحدها: قوله تعالى حكاية عن الشيطان ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾ (إبراهيم: ٢٢) وهذا صريح في أنه ليس للشيطان قدرة على الصرع والقتل والإيذاء. والثاني: الشيطان إما أن يقال: إنه كثيف الجسم، أو يقال: إنه من الأجسام اللطيفة، فإن كان الأول وجب أن يُرى ويشاهد، إذ لو جاز فيه أن يكون كثيفاً ويحضر ثم لا يرى لجاز أن يكون بحضرتنا شموس ورعود وبروق وجبال ونحن لا نراها، وذلك جهالة عظيمة، ولأنه لو كان جسماً كثيفاً فكيف يمكنه أن يدخل في باطن بدن الإنسان، وأما إن كان جسماً لطيفاً كالهواء، فمثل هذا يمتنع أن يكون فيه صلابة وقوة، فيمتنع أن يكون قادراً على أن يصرع الإنسان ويقتله. الثالث: لو كان الشيطان يقدر على أن يصرع ويقتل لصح أن يفعل مثل معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك يجر إلى الطعن في النبوة. الرابع: أن الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يصرع جميع المؤمنين ولم لا يخبطهم مع شدة عداوته لأهل الإيمان، ولم لا يغصب أموالهم، ويفسد أحوالهم، ويفشي أسرارهم، ويزيل عقولهم؟ وكل ذلك ظاهر الفساد، واحتج القائلون بأن الشيطان يقدر على هذه الأشياء بوجهين الأول: ما روي أن الشياطين في زمان سليمان بن داود عليهما السلام كانوا يعملون الأعمال الشاقة على ما حكى الله عنهم أنهم كانوا يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات.

والجواب عنه: أنه تعالى كلفهم في زمن سليمان فعند ذلك قدروا على هذه الأفعال وكان ذلك من المعجزات لسليمان عليه السلام والثاني: أن هذه الآية وهي قوله ﴿ يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ صريح في أن يتخبطه الشيطان بسبب مسه. والجواب عنه: أن الشيطان يمسه بوسوسته المؤذية التي يحدث عندها الصرع، وهو كقول أيوب عليه السلام **"أني مسني الشيطان بنصب وعذاب"** وإنما يحدث الصرع عند تلك الوسوسة لأن الله تعالى خلقه من ضعف الطباع، وغلبة السوداء عليه بحيث يخاف عند الوسوسة فلا يجترىء فيصرع عند تلك الوسوسة، كما يصرع الجبان من الموضع الخالي، ولهذا المعنى لا يوجد هذا الخبط في الفضلاء الكاملين، وأهل الحزم والعقل وإنما يوجد فيمن به نقص في المزاج وخلل في الدماغ فهذا جملة كلام الجبائي في هذا الباب[1].

(١) الرازي: التفسير الكبير ج٧/ ٧٨. وأيضاً الطوسي: التبيان ٢/ ٣٦٠ (قطعة من الكلام).

ب - يوم القيامة: إذا قاموا من قبورهم، ويكون ذلك إمارة لأهل الموقف على أنهم أكلة الربا. وقوله: ﴿ يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ مَثَل عند أبي علي **الجبائي** لا حقيقة على وجه التشبيه بحال من تغلب عليه المرة السوداء، فتضعف نفسه ويلج الشيطان بإغوائه عليه فيقع عند تلك الحال ويحصل به الصراع من فعل الله. ونسب إلى الشيطان مجازاً لما كان عند وسوسته. وكان أبو الهذيل وابن الإخشيد يجيزان أن يكون الصرع من فعل الشيطان في بعض الناس دون بعض قالا: لأن الظاهر من القرآن يشهد به، وليس في العقل ما يمنع منه. وقال **الجبائي**: لا يجوز ذلك، لأن الشيطان خلق ضعيف لم يقدره الله على كيد البشر بالقتل والتخبيط ولو قوي على ذلك لقتل المؤمنين الصالحين والداعين إلى الخير، لأنهم أعداؤه، ومن أشد الأشياء عليه(1).

[١١١] - قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾

﴿ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ ... قال **الجبائي**: التعذر بالإعدام أو بكساد المتاع ونحوه(2).

[١١٢] - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ... ﴿٢٨٢﴾ ﴾

أ - ﴿ فَٱكْتُبُوهُ ۚ ﴾ ظاهره الأمر بالكتابة. واختلفوا في مقتضاه، وقال عامر الشعبي: هو فرض على الكفاية كالجهاد، وهو اختيار الرماني، **والجبائي**. وجوّز **الجبائي** أن يأخذ الكاتب والشاهد الأجرة على ذلك(3).

ب - واختلف في الكتابة هل هي فرض أم لا؟ فقيل هي فرض على الكفاية كالجهاد ونحوه عن الشعبي، وجماعة من المفسرين، واختاره الرماني، **والجبائي**، وجوّز **الجبائي** أن يأخذ الكاتب والشاهد الأجرة على ذلك(4).

---

(1) الطوسي: التبيان ج٢/ ٣٦٠.
(2) الطوسي: التبيان ج٢/ ٣٦٩.
(3) م. ن ج٢/ ٣٧٢.
(4) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ج٢/ ٣٩٧.

[١١٣] – قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾

أ – أما قوله تعالى ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ ... قال الجبائي: ظاهر الآية وإن دلّ على الإطلاق، إلاّ أنه مشروط والتقدير: لها ما كسبت من ثواب العمل الصالح إذا لم تكفره بالتوبة، وإنما صرنا إلى إضمار هذا الشرط لما بينا أن الثواب يجب أن يكون مضرّة خالصة دائمة، والجمع بينهما محالفي العقول، فكان الجمع بين استحقاقيهما أيضاً محالاً"[١].

ب – ﴿ لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴾ وقال الجبائي: معناه ما تركناه لخطأ في التأويل واعتقدنا صحته لشبهة[٢].

(١) الرازي: التفسير الكبير ج٧/ ١٢٤.

(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٣٨٥

سورة آل عمران

[١] - قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝ ﴾

﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾ قيل في معناه قولان... الثاني - حكي عن محمد بن جعفر بن الزبير، واختاره الجبائي، أنه الدائم(١).

[٢] - قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝ ﴾

أ - واختلف أهل التأويل في المحكم، والمتشابه على خمسة أقوال... الثالث - قال محمد بن جعفر بن الزبير، والجبائي: إن المحكم ما لا يحتمل إلاّ وجهاً واحداً، والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعدا(٢).

ب - وقوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما - ما يعلم تأويل جميع المتشابه ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾ ، لأن فيه ما يعلم الناس، وفيه ما لا يعلمه الناس من نحو تعيين الصغيرة عند من قال بها، ووقت الساعة، وما بيننا وبينها من المدة. هذا قول عائشة، والحسن، ومالك، واختاره الجبائي، وأكثر المتأولين. وعندهم أن الوقف على قوله ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾ ويكون قوله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ مستأنفا والتأويل على قولهم: معناه المتأول، كما قال تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾ (الأعراف: ٥٣) يعني الموعود به(٣).

١- الطوسي: التبيان ج٢/ ٣٨٩-٣٩٠.

(٢) م. ن ج٢/ ٣٩٤-٣٩٥.

(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤٠٠/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ج٣/ ٤١٠ (مع اختلاف يسير).
وأيضاً الرازي: التفسير الكبير ج٧/ ١٥٢ و١٥٣ (راجع نص الرازي في الفقرة ث).

ت - ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ بعد أن يعرض القاضي عبد الجبار كلام "أبو علي" في تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ (الإسراء: ٨٥). ينهي القاضي كلامه: "فكذلك القول فيما قدمناه". أي كذلك قول أبو علي في الذي قدمه قبل قليل.

والذي قدمه القاضي من قول،هو تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، الذي ردّ فيه القاضي على بعض الباطنيين، ممن نسبوا إلى كبير من شيوخ المعتزلة، بأنه فسر قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ .... ﴾ يقتضي تمام الكلام، وانه تعالى المتفرّد بعلم تأويله.

ولكن القاضي، يرفض هذا الكلام، ويوضح للمعترض التفسير الصحيح، ويبين أن "أبا علي" قال في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ على هذا الوجه.ولذلك، وما دام أن القاضي يشير إلى ان تفسير أبا علي هو ما قدمه فإنني، سأعرض ما أورده القاضي من تفسير.قال القاضي: أنه أراد بقوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ المتأوّلة، على نحو قوله تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾، وأراد بالتأويل المتأوّل، وهو عز وجل المتفرد بالعلم بالمتأوّل، وأوقاته، وأحواله؛ ولسنا نقول: إن تأويل المتشابه يجب أن يكون معلوماً للعلماء، من كل وجه يصح ان يعلم عليه. وإنما يجب أن يكون في الوجه المقصود معلوماً فقط ؛ فأما ما عدا ذلك فالواجب أن ينظر فيه ؛ فما دل عليه الدليل يعلم، دون ما لا دليل عليه[1].

ث – قوله ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ واو ابتداء، وعلى هذا القول لا يعلم المتشابه إلاّ الله، وهذا قول ابن عباس، وعائشة، ومالك بن أنس، والكسائي، والفرّاء، ومن المعتزلة قول أبي علي الجبائي[2].

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج ١٦، إعجاز القرآن، ص ٣٧٩. وهو شبيه بما ورد عند الطوسي الفقرة "أ" هنا. وأيضاً راجع القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ١٧٤ و ١٧٥.

(٢) الرازي: التفسير الكبير ج٧/ ١٥٢، ١٥٣.

[٣] - قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾

فان قيل: هل في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ متصل بالدعاء على جهة الحكاية أو استئناف؟ قلنا عنه جوابان: ... الثاني - أنه على الاستئناف، لأنه لو كان على الاتصال لقال انك لا تخلف الميعاد، فاختار أبو علي الجبائي هذا الوجه[١].

[٤] - قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾

... وقال البلخي، والجبائي: قوله: ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ مجاز كما قيل للمرض: شر، وإن كان خيرا من جهة أنه حكمة، وصواب، فقيل لجهنم "بئس المهاد" لعظيم الآلام، لأن أصل نعم وبئس: الحمد، والذم إلاّ أنه كثر استعماله في المنافع، والمضار حتى سقط عن اسم مجاز، وإن كان مغيرا عن أصله[٢].

[٥] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾

وقوله: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ ﴾ قال الربيع: المراد بالكتاب: ألتوراة. وقال محمد بن جعفر بن الزبير: هو الإنجيل. وقال الجبائي: خرج مخرج الجنس، ومعناه كتب الله المتقدمة التي بين فيها الحلال والحرام.والاختلاف ذهاب أحد النفيسين إلى خلاف ما ذهب إليه الأخر فهذا الاختلاف في الأديان. فأما الاختلاف في الأجناس، فهو امتناع أحد الشيئين أن يسد مسد الأخر فيما يرجع إلى ذاته[٣].

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤٠٢. وأيضاً الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٤١٢.

(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤٠٦.

(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤١٩/عرضت النص كاملا حتى يُفهم كلام الجبائي. وأيضاً الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٤٢١-٤٢٢(مع اختلاف يسير).

[٦] - قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

أ - قال ابن عباس، والزجاج، والجبائي: إنه التوراة دعي إليها اليهود فأبوا لعلمهم بلزوم الحجة عليهم بما فيه من الدلالة على نبوة نبينا (صلى الله عليه وآله) وتصديقه[١].

ب - وقال الجبائي: وفيها دلالة على بطلان قول من يقول: إن أهل النار يخرجون من النار، قال: لأنه لو صحّ ذلك في هذه الأمة لصحّ في سائر الأمم، ولو ثبت ذلك في سائر الأمم لما كان الخبر بذلك كاذباً، ولما استحق الذم، فلما ذكر الله تعالى ذلك في معرض الذم علمنا أن القول بخروج أهل النار قول باطل[٢].

[٧] - قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

الأيام المعدودات قيل فيها قولان... والثاني - قال الجبائي: أرادوا أياماً منقطعة لانقضاء العذاب فيها وانقطاعه[٣].

[٨] - قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

أ - وقال البلخي، والجبائي: لا يجوز أن يعطي الله الملك للفاسق لأنه تمليك الأمر العظيم من السياسة والتدبير مع المال الكثير، لقوله: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٤][٥].

---

(١) الطوسي: التبيان ج٧/ ١٩١٠.

(٢) الرازي: التفسير الكبير ج٧/ ١٥٢، ١٥٣.

(٣) الطوسي: التبيان ج٢/٤٢٦/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ج٣/ ٤٢٥ (مع اختلاف يسير).

(٤) سورة البقرة آية ١٢٤.

(٥) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤٣٠.

ب – وقال **الجبائي**: هذا الحكم مختص بملوك العدل، فأما ملوك الظلم فلا يجوز أن يكون ملكهم بإتياء الله، وكيف يصحّ أن يكون ذلك بإتياء الله، وقد ألزمهم أن لا يتملكوه ومنعهم من ذلك، فصحّ بما ذكرنا أن الملوك العادلين هم المختصون بأن الله تعالى آتاهم ذلك الملك ، فأما الظالمون فلا[١].

[٩] - قوله تعالى: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

أ – قيل في معنى الآية قولان... وقال **الجبائي**: معناه يدخل أحدها في الأخر بإتيانه بدلا منه في مكانه[٢].

ب – وقوله ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال... الثالث – ما قاله **الجبائي**: إن معناه بغير حساب الاستحقاق، لأنه تفضل، وذلك، لأن النعيم منه بحساب ومنه بغير حساب فأما العقاب فجميعه بحساب[٣].

[١٠] - قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

فان قيل: بماذا اختارهم أبختيار دينهم أو بغير؟

قيل فيه ثلاثة أقوال... و(الثاني): قال الزجاج، واختاره **الجبائي**: إنه اختيارهم للنبوة على عالمي زمانهم[٤].

[١١] - قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

ومعنى قوله: ﴿ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ ... قال **الجبائي** وغيره: إنه في التناسل إذ جميعهم ذرية آدم، ثم ذرية نوح، ثم ذرية إبراهيم، وهو المروي عن أبي عبدا لله عليه السلام، لأنه قال: الذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل بعض[٥].

[١٢] - قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج ٨/ ٦.

(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤٣٢.

(٣) م. ن ج٢/ ٤٣٢-٤٣٣.

(٤) م. ن ج٢/ ٤٤٠.

(٥) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤٤١-٤٤٢.

﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

أ - ﴿ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾... فإن عندنا يجوز أن تظهر الآيات الخارقة للعادة على غير الأنبياء من الأولياء والأصفياء، ومن منع ذلك من المعتزلة قالوا فيه قولين: (أحدهما) أن ذلك كان تأسيساً لنبوة عيسى، عن البلخي (والآخر) أنه كان بدعاء زكريا لها بالرزق في الجملة وكانت معجزة له، عن **الجبائي**(١).

ب - وقوله: ﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ ﴾، كان يأتيها رزقها من الجنة، وهذه تكرمة من الله تعالى لها. وعندنا يجوز فعل ذلك بالأولياء والصالحين، ومن منع منه قالوا فيه قولين: أحدهما - أن ذلك كان آية لدعوة زكريا لها بالرزق في الجملة.

والثاني - قال قوم: هو تأسيس لنبوة المسيح، والأول قول **الجبائي**. واختار وجهًا آخر: أن يكون الله (تعالى) سخر لها بعض عباده أن يأتيها به بلطفه على مجرى(٢).

ت - اعترض **أبو علي الجبائي**(٣) وقال: لم لا يجوز أن يقال إن تلك الخوارق كانت من معجزات زكريا عليه السلام، وبيانه من جهين:

الأول: أن زكريا عليه السلام دعا لها على الإجمال أن يوصل الله إليها رزقاً، وأنه ربما كان غافلاً عن تفاصيل ما يأتيها من الأرزاق من عند الله تعالى، فإذا رأى شيئاً بعينه في وقت معين قال لها (أنى لك هذا قالت هو من عند الله) فعند ذلك يعلم أن الله تعالى أظهر بدعائه تلك المعجزة.

والثاني: يحتمل أن يكون زكريا يشاهد عند مريم رزقاً معتاداً إلاّ أنه كان يأتيها من السماء، وكان زكريا يسألها عن ذلك حذراً من أن يكون يأتيها من عند

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٤٣٧.

(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤٤٧.

(٣) الذي اعترض عليه الجبائي هو أن يقال: بأن تلك الخـ ارق ما كانت معجزة لزكريا عليه السلام بل هي كرامة لعيسى عليه السلام أو لمريم عا ها السلام. راجع الرازي: التفسير الكبير ج ٨/ ٢٨.

إنسان يبعثه إليها، فقالت: هو من عند الله لا من عند غيره[١].

[١٣] - قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾

... وقال الجبائي: إن الله تعالى كان أذن له في المسألة وجعل وقته الذي أذن له فيه الوقت الذي رأى فيه المعجزة الظاهرة فلذلك دعا[٢].

[١٤] - قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

وقال الجبائي: معناه وسيدا للمؤمنين بالرياسة لهم[٣].

[١٥] - قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

أ - وقوله: ﴿ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يحتمل وجهين...
الثاني - ما قاله الزجاج، واختاره الجبائي: إن معناه اختارك على نساء العالمين بحال جليلة من ولادة المسيح عيسى عليه السلام[٤].

ب - وقوله: ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ في معناه قولان: أحدهما - قال الحسن، ومجاهد: طهرك من الكفر[٥]. والثاني - ذكره الزجاج أن معناه طهرك من سائر الادناس: الحيض، والنفاس، وغيرهما. وإنما كرر لفظ اصطفاك، لأن معنى الأول اصطفاك بالتفريغ لعبادته بما لطف لك حتى انقطعت إلى طاعته وصرت متوفرة على إتباع مرضاته، ومعنى الثاني: اصطفاك بالاختيار لولادة نبيه عيسى عليه السلام، على قول الجبائي[٦].

ج - وفي ظهور الملائكة لمريم قالوا قولين: أحدهما - أن ذلك معجزة

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج ٨/ ٢٨. وهو شبيه بما ذكره الطوسي. راجع الفقرة "أ".
(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤٤٩.
(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤٥٢/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٤٣٨.
(٤) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤٥٦.
(٥) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤٥٦.
(٦) م. ن ج٢/ ٤٥٦/ عرضت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي.

لزكريا عليه السلام، لأن مريم لم تكن نبية، لقول الله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم ﴾[١]. والثاني - أن يكون ذلك برهانا لنبوة عيسى عليه السلام كما كان ظهور الشهب والغمامة وغير ذلك معجزة للنبي (صلى الله عليه وآله) قبل بعثته، فالأول قول الجبائي[٢].

[١٦] - قوله تعالى: ﴿ يَـٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

وقوله: ﴿ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ ... قال الجبائي: أي في صلاة الجماعة[٣].

[١٧] - قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

وقيل في تسمية المسيح مسيحًا قولان: قال الجبائي: سمي بذلك، لأنه مسح بدهن زيت بورك فيه. وكانت الأنبياء تتمسح به[٤].

[١٨] - قوله تعالى: ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلاً وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

وفي ظهور المعجزة في تلك الحال (أي كلام المسيح في المهد) قيل فيه قولان:

أحدهما - إنها كانت مقرونة بنبوة المسيح، لأنه كمل عقله في تلك الحال حتى عرف الله بالاستدلال، ثم أوحى إليه بما تلكم به، هذا قول أبي على الجبائي[٥].

[١٩] - قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا

---

(١) سورة يوسف الآية ١٠٩.

(٢) الطوسي التبيان ج٢/ ٤٥٧.

(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤٥٨/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٤٤٠.

(٤) الطوسي التبيان ج٢/ ٤٦١/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٤٤٢.

(٥) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤٦٢/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٤٤٣.

مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ قال الجبائي: من أنصاري لله، كما قال: ﴿ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ ﴾ [(١)] ووجه ذلك أن العرض يصلح فيه اللام على طريق العلة وإلى طريق النهاية[(٢)].

[٢٠] - قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

أ - ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ وفيه قولان:... أن تطهيره منعه من كفر يفعلونه بالقتل الذي كانوا هموا به لأن ذلك الرجس طهره الله منه عن الجبائي[(١)].

ب - ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ﴾ قال الجبائي: فيه دلالة على أنه لا يكون لليهود مملكة إلى يوم القيامة كما للروم[(٣)].

[٢١] - قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ ﴾

وقيل في معنى قوله: ﴿ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ ﴾ قولان... الثاني - "نتلوه عليك" بأمرنا جبريل أن يتلوه عليك، على قول الجبائي[(٤)].

[٢٢] - قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

---

(١) سورة يونس آية ٣٥.
(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤٧٣.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٤٥٠.
(٤) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤٨١/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٤٥١.

قيل في من نزلت هذه الآية ثلاثة أقوال... الثالث - ذكره أبو علي الجبائي: أنها في الفريقين من أهل الكتاب على ظاهر الكلام[١].

[٢٣] ـ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ۝٧٠ ﴾

قال أبو علي رحمه الله.... وأما قوله: ﴿ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾، فليس في ظاهره دلالة، لأنه لم يذكر الشيء، الذي عرفوه وشهدوا به، ما هو. ولا بد عنده من الكفار من أن يكونوا عالمين بأشياء وشاهدين بها، فمن أين أنهم كانوا يعرفون الله تعالى؟ وقوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ ﴾[٢]، معطوف على ما ذكرنا أنه مخصوص، فلا يصح التعلق بعمومه. وليس في ظاهره دلالة على قولهم: وذلك أنه يجوز أن يقولوا على الله الكذب، وهم يعلمون من حال الكذب أنه كذب في بعض الوجوه، وإن كانوا كفاراً، ويعلمون أنه ليس لهم أن يقولوا ذلك مع كفرهم؛ فمن أين أن المراد بهذا العلم، هو العلم بسائر أمور الدين[٣].

[٢٤] - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٧١ ﴾

أ - ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ إن المراد ما يعلمونه في قلوبهم من أن محمداً أحق بما يظهرونه من تكذيبه عن الجبائي، وأبي مسلم[٤].

ب - قال شيخنا أبو علي، رحمه الله، أن قوله: «لم تلبسون الحق بالباطل» يدل على ضد قوله، لأنه لا يجوز أن يلبسوا الحق بالباطل على العالم منهم، وإنما

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ٤٨٨.
(٢) من الآية ٧٥ من سورة آل عمران.
(٣) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ٣٣٣ و٣٣٤.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٤٥٩.

يصح ذلك من العالم على من ليس بعالم منهم. فوجب كون الآية مخصوصة في بعض أهل الكتاب، من هذا الوجه. ولو جاز أن يلبس العارف على العارف الحقَّ بالباطل، لجاز أن يلبس على نفسه ذلك مع معرفته؛ وهذا ممتنع. فإنما أراد بذلك نفراً من أهل الكتاب تواطأوا على ذلك(١).

[٢٥] - قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

قال قوم: ان تقديره قل يا محمد أن الهدى إلى الخير هدى الله فلا تجحدوا أيها اليهود أن يؤتى أحد ما أوتيتم من النبوة (أو) أن يحاجوكم بذلك ﴿ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ أن لم تقبلوا ذلك منهم عن قتادة، والربيع، والجبائي(٢).

[٢٦] - قوله تعالى: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾

وقيل في معنى الرحمة هاهنا قولان: أحدهما - قال الحسن، ومجاهد، والربيع، والجبائي: إنها السورة(٣).

[٢٧] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

أ - ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ فيه قولان: (أحدهما) أنه لا يكلمهم بما يسرهم بل بما يسوئهم وقت الحساب لهم عن الجبائي(٤).

ب - ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ أي لا يطهرهم وقيل لا ينزلهم منزلة الأزكياء

(١) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ٣٣٣.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٤٦١.
(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ٥٠٢-٥٠٣.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٤٦٣.

عن الجبائي[١].

[٢٨] - قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

واحتجّ الجبّائي، والكعبي به على أن فعل العبد غير مخلوق لله تعالى فقالا: لو كان لي اللسان بالتحريف والكذب خلقا لله تعالى لصدق اليهود في قولهم انه من عند الله ولزم الكذب في قوله تعالى: "إنه ليس من عند الله"، وذلك لأنهم أضافوا إلى الله ما هو عنده، والله ينفي عن نفسه ما هو من عنده، ثم قال: وكفى خزياً يجعلون اليهود أولى بالصّدق من الله. قال: ليس لأحد أن يقول المراد من قولهم ﴿ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وبين قوله ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ فرق واذا لم يبقَ الفرق لم يحسن العطف؟ وأجاب الكعبي عن هذا السؤال أيضًا من وجهين آخرين: الأول: إن كون المخلوق من عند الخالق أوكد من كون المأمور به من عند الآمر به وحمل الكلام على الوجه الأقوى أولى. والثاني إن قوله ﴿ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ نفي مطلق لكونه من عند الله بوجه من الوجوه، موجب أن لا يكون من عنده لا بالخلق ولا بالحكم[٢].

[٢٩] - قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

﴿ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي اعبدوني من دونه أو

---

(١) م. ن م٢/ ج٣/ ٤٦٤.

(٢) الرازي: التفسير الكبير ٨/ ٩٥.

اعبدوني معه، عن الجبائي[١].

[٣٠] - قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

وقوله: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾... قال عامر، والشعبي، والزجاج، والجبائي أن معناه: استسلم بالانقياد والذكر، كما قال تعالى: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾[٢] أي استسلمنا، ومعناه الاحتجاج به[٣].

[٣١] - قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

النزول: قيل نزلت في أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبي قبل مبعثه ثم كفروا بعد البعثة حسداً وبغياً عن الحسن، والجبائي، وأبي مسلم[٤].

[٣٢] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ لن تقبل عند رؤية البأس، لأنها تكون في حال الإلجاء، ومعناه أنهم لا يتوبون إلاّ عند حضور الموت والمعاينة عن الحسن، وقتادة، والجبائي[٥].

[٣٣] - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

أ- أنكر أبو علي الجبائي نسخ الآية وذلك، لأن من اتقى جميع معاصيه، فقد اتقى الله حق تقاته. ومثل هذا لا يجوز أن ينسخ، لأنه إباحة لبعض

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٤٦٦.
(٢) سورة الحجرات آية ١٤.
(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ٥١٧-٥١٨/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٤٧٠.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٤٧١.
(٥) م. ن م٢/ ج٣/ ٤٧٢.

المعاصي[١].

ب-وقيل في معنى قوله: ﴿ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ قولان... وقال الجبائي: هو أن يتقى جميع معاصيه[٢].

[٣٤] - قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

وقوله ﴿ مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ من " هاهنا للتبعيض على قول أكثر المفسرين، لأنه الأمر بإنكار المنكر، والأمر بالمعروف متوجه إلى فرقة منهم غير معينة، لأنهم فرض على الكفاية، فأي فرقة قامت به سقط عن الباقين. وقال الزجاج: التقدير " وليكن " جميعكم و(من) دخلت لتخص المخاطبين من بين سائر الأجناس، كما قال: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ [٣] وقال الشاعر:

أخو رغائب يعطيها ويسلبها يأبى الظلامة منه النوفل الزفر[٤]

لأنه وصفه بإعطاء الرغائب، والنوفل الكثير الاعطاء للنوافل. والزفر: الذي يحمل الاثقال، فعلى هذا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من فرض الأعيان لا يسقط بقيام البعض عن الباقين. وهو الذي اختاره الزجاج، وبه قال الجبائي، واختاره[٥].

[٣٥] - قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

أ - ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم ﴾ ... واختلف فيمن عنوا به على أقوال... ثالثها: أنهم أهل الكتاب كفروا بالنبي بعد إيمانهم به أي ينعته

---

(١) الطوسي: التبيان ج٢/ ٥٤٣.
(٢) م. ن ج٢/ ٥٤٤.
(٣) سورة الحج آية: ٣٠.
(٤) قائله أعشى بأهلة اللسان (زفر) وهو من قصيدة من المراثي المفضلة المشهورة بالبلاغة راجع أمالي الشريف المرتضى ٢ج/ ٢١ورواية الشريف (يسألها) بدل (يسلبها).
(٥) الطوسي: التبيان ج٢/ ٥٤٨/ عرضت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي.

وصفته قبل مبعثه، عن عكرمة، واختاره الزجاج، والجبائي[١].

ب - والمعني بهذه الآية الذين كفروا بعد إيمانهم. وقيل فيهم أربعة أقوال... الرابع - ذكره الزجاج، وأبو علي الجبائي: الذين كفروا من أهل الكتاب بالنبي (صلى الله عليه وآله) بعد إيمانهم به أي بنعته وصفته قبل مبعثه[٢].

[٣٦] - قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

أ - ... قال الجبائي: هذه الآية تدل على أنه سبحانه لا يريد شيئا من القبائح لا من أفعاله ولا من أفعال عباده، ولا يفعل شيئا من ذلك، وبيانه: وهو أن الظلم إما أن يفرض صدوره من الله تعالى، أو من العبد، وبتقدير صدوره من العبد، فإما أن يظلم نفسه وذلك بسبب إقدامه على المعاصي أو يظلم غيره، فأقسام الظلم هي هذه الثلاثة، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ نكرة في سياق النفي، فوجب أن لا يريد شيئا مما يكون ظلماً، سواء كان ذلك صادراً عنه أو صادراً عن غيره، فثبت أن هذه الآية تدل على أنه لا يريد شيئاً من هذه الأقسام الثلاثة، وإذا ثبت ذلك وجب أن لا يكون فاعلاً لشيء من هذه الأقسام، ويلزم منه أن لا يكون فاعلاً للظلم أصلاً ويلزم أن لا يكون فاعلاً لأعمال العباد، لأن من جملة أعمالهم ظلمهم لأنفسهم وظلم بعضهم بعضاً، وإنما قلنا: إن الآية تدل على كونه تعالى غير فاعل للظلم ألبتة لأنها دلت على أنه غير مريد لشيء منها، ولو كان فاعلاً لشيء من أقسام الظلم لكان مريداً لها، وقد بطل ذلك، قالوا: فثبت بهذه الآية أنه تعالى غير فاعل للظلم، وغير فاعل لأعمال العباد، وغير مريد للقبائح من أفعال العباد، ثم قالوا: إنه تعالى تمدح بأنه لا يريد ذلك، والتمدح إنما يصح لو صح منه فعل ذلك الشيء وصح منه كونه مريداً له، فدلت هذه الآية على كونه تعالى قادراً على الظلم، وعند هذا تبجحوا وقالوا: هذه الآية الواحدة وافية بتقرير جميع أصول المعتزلة في مسائل العدل، ثم قالوا: ولما ذكر تعالى أنه لا يريد الظلم ولا يفعل الظلم قال بعده ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ج٤/ ٤٨٥.

(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٥٥١.

﴿ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (آل عمران: ١٠٩) وإنما ذكر هذه الآية عقيب ما تقدم لوجهين: الأول: أنه تعالى لما ذكر أنه لا يريد الظلم والقبائح استدل عليه بأن فاعل القبيح إنما يفعل القبيح إما للجهل، أو العجز، أو الحاجة، وكل ذلك على الله محال لأنه مالك لكل ما في السموات وما في الأرض، وهذه المالكية تنافي الجهل والعجز والحاجة، وإذا امتنع ثبوت هذه الصفات في حقه تعالى امتنع كونه فاعلا للقبيح. والثاني: أنه تعالى لما ذكر أنه لا يريد الظلم بوجه من الوجوه كان لقائل أن يقول: إنا نشاهد وجود الظلم في العالم، فإذا لم يكن وقوعه بإرادته كان على خلاف إرادته، فيلزم كونه ضعيفاً عاجزاً مغلوباً وذلك محال[1].

[٣٧] - قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾

أجاب **الجبائي**[2] عنه بأن قوله "لله" إضافة ملك لا إضافة فعل، ألا ترى أنه يقال: هذا البناء لفلان فيريدون أنه مملوكه لا أنه مفعوله، وأيضا المقصود من الآية تعظيم الله لنفسه ومدحه لإلاهية نفسه، ولا يجوز أن يتمدح بأن ينسب إلى نفسه الفواحش والقبائح، وأيضا فقوله ﴿ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ إنما يتناول ما كان مظروفا في السموات والأرض وذلك من صفات الأجسام لا من صفات الأفعال التي هي أعراض[3].

[٣٨] - قوله تعالى: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج٨/ ١٥٢-١٥٣.

(٢) المسالة التي أجاب الجبائي عنها هي: المسألة الثالثة: احتج أصحابنا بقوله ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ على كونه خالقا لأعمال العباد، فقالوا لا شك أن أفعال العباد من جملة ما في السموات والأرض، فوجب كونها له بقوله ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ وإنما يصح قولنا: إنها له لو كانت مخلوقة له فدلت هذه الآية على أنه خالق لأفعال العباد.(راجع الرازي: التفسير الكبيرج٨/ ١٥٣).

(٣) الرازي التفسير الكبير: ج٨/ ١٥٣-١٥٤.

﴿ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ ... وقيل: معناه يصلون فعبر بالسجود عن الصلوة، لأن السجود أبلغ الأركان في التواضع، عن الزجاج، والفراء، والبلخي، قالوا: لأن القراءة لا تكون في السجود، ولا في الركوع، وعلى هذا كون الواو للحال أي يتلون آيات الله بالليل في صلوتهم، وهو قول الجبائي أيضا"[١].

[٣٩] - قوله تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

وقال الجبائي: هما قوم من المهاجرين، والأنصار[٢].

[٤٠] - قوله تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

﴿ أَوْ يَكْبِتَهُمْ ﴾ ... وقيل: معناه يردهم عنكم منهزمين، عن الجبائي، والكلبي[٣].

[٤١] - قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

قال أبو علي الجبائي: انه استأذن ربه يوم أحد في الدعاء عليهم، فنزلت الآية، فلم يدع عليهم بعذاب الاستئصال وإنما لم يؤذن فيه لما كان في المعلوم من توبة بعضهم، وإنابته، فلم يجز أن يقتطعوا عن التوبة بعذاب الاستئصال[٤].

[٤٢] - قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾

فإن قيل: فعلى هذا هل يجوز أن يقال: إن النار أعدت لغير الكافرين من الفاسقين؟ قلنا عن ذلك أجوبة:... الثالث - أن تكون هذه النار نارا مخصوصة فيها الكفار خاصة دون الفساق وان كان هناك نار أخرى يدخلها الفساق، كما

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٤/ ٤٨٩.

(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٥٧٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٤/ ٤٩٥(مع اختلاف يسير).

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٤/ ٥٠٠.

(٤) الطوسي: التبيان ج٢/ ٥٨٥.

قال: ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ ﴾ (الليل: ١٥ - ١٦) وكما قال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (النساء: ١٤٥)، وهذا قول أبي علي[١].

[٤٣] - قوله تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ﴾

واختلفوا في قوله ﴿ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ فقال ابن عباس، والحسن: معناه عرضها كعرض السموات السبع، والأرضين السبع إذا ضم بعض ذلك إلى بعض، واختاره الجبائي، والبلخي[٢].

[٤٤] - قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥ ﴾

وقوله: ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ هاهنا يحتمل أمرين: ... قال الجبائي: والله عز وجل يغفر للعبد ما نسيه من ذنوبه، وان لم يتب منه بعينه، كما يغفر له ما تاب منه، لأنه قد فعل في حال النسيان جميع ما عليه[٣].

[٤٥] - قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝١٤٣ ﴾

وقال الجبائي: إنما تمنوا الموت دون القتل إذا كانوا مجاهدين[٤].

[٤٦] - قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْأَخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤ ﴾

---

(١) م. ن ج٢/ ٥٨٨-٥٨٩. وعرضت النص كاملاً حتى يُفهم كلام الجبائي.

(٢) الطوسي: التبيان ج٢/ ٥٩١ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٤/ ٥٠٤ (مع اختلاف يسير).

(٣) الطوسي: التبيان ج٢/ ٥٩٦/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٤/ ٥٠٦.

(٤) الطوسي: التبيان ج٣/ ٥/ ج.

وقال الجبائي: في الآية دلالة على أن أجل الإنسان إنما هو أجل واحد. وهو الوقت الذي يموت فيه، لأنه لا يقتطع بالقتل عن الأجل الذي أخبر الله أنه أجل لموته(١).

[٤٧] - قوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

وقال الجبائي: يعني به المسلمين الذين صفتهم ما تقدم ذكره أي أعطاهم الله ثواب الدنيا(٢).

[٤٨] - قوله تعالى: ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾

... بئس للذم، كما أن نعم للحمد لأمرين:

أحدهما - إن الضرر تنفر منه النفس كما ينفر العقل من القبح فجرى التشبيه على وجه المجاز - هذا قول أبي علي -(٣).

[٤٩] - قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾

أ - وقال الجبائي: قوله: (ولقد عفا عنكم) خاص لمن لم يعص بانصرافه(٤).

ب - ثم عند هذا ذكروا وجوهاً من التأويل(٥): الأول: قال الجبائي: إن

---

(١) م. ن ج٣/ ٩.

(٢) م. ن ج٣/ ١٣.

(٣) م. ن ج٣/ ١٦.

(٤) م. ن ج٣/ ٢٠.

(٥) الأمر الذي ذكروا فيه وجوهاً هو كما يلي: ثم قال تعالى: ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ وقد اختلف قول أصحابنا وقول المعتزلة في تفسير هذه الآية، وذلك لأن صرفهم عن الكفار معصية، فكيف أضافه إلى نفسه؟ أما أصحابنا فهذا الإشكال غير =

الرماة كانوا فريقين، بعضهم فارقوا المكان أولاً لطلب الغنائم، وبعضهم بقوا هناك، ثم هؤلاء الذين بقوا أحاط بهم العدو، فلو استمروا على المكث هناك لقتلهم العدو من غير فائدة أصلاً، فلهذا السبب جاز لهم أن يتنحوا عن ذلك الموضع إلى موضع يتحرزون فيه عن العدو، الا ترى أن النبي ﷺ ذهب إلى الجبل في جماعة من أصحابه وتحصنوا به ولم يكونوا عصاة بذلك، فلما كان ذلك الانصراف جائزاً أضافه إلى نفسه بمعنى أنه كان بأمره وإذنه، ثم قال: ﴿ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ والمراد أنه تعالى لما صرفهم إلى ذلك المكان وتحصنوا به أمرهم هناك بالجهاد والذب عن بقية المسلمين، ولا شك أن الاقدام على الجهاد بعد الانهزام، وبعد أن شاهدوا في تلك المعركة قتل أقربائهم وأحبائهم هو من أعظم أنواع الابتلاء **فإن قيل: فعلى هذا** التأويل هؤلاء الذين صرفهم الله عن الكفار ما كانوا مذنبين فلم قال: ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ﴾؟ قلنا: الآية مشتملة على ذكر من كان معذورا في الانصراف ومن لم يكن، وهم الذين بدؤا بالهزيمة فمضوا وعصوا فقوله: ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ﴾ راجع إلى المعذورين، لأن الآية لما اشتملت على قسمين وعلى حكمين رجع كل حكم إلى القسم الذي يليق به، ونظيره قوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ (التوبة: ٤٠) والمراد الذي قال له: ﴿ لَا تَحْزَنْ ﴾ وهو أبو بكر، لأنه كان خائفاً قبل هذا القول، فلما سمع هذا سكن، ثم قال: ﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ (التوبة: ٤٠) وعنى بذلك الرسول

=

وارد عليهم، لأن مذهبهم أن الخير والشر بإرادة الله وتخليقه، فعلى هذا قالوا معنى هذا الصرف أن الله تعالى رد المسلمين عن الكفار، وألقى الهزيمة عليهم وسلط الكفار عليهم، وهذا قول جمهور المفسرين. قالت المعتزلة: هذا التأويل غير جائز ويدل عليه القرآن والعقل، أما القرآن فهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ﴾ (آل عمران: ١٥٥) فأضاف ما كان منهم إلى فعل الشيطان، فكيف يضيفه بعد هذا إلى نفسه؟ وأما المعقول فهو أنه تعالى عاتبهم على ذلك الانصراف، ولو كان ذلك بفعل الله لم يجز معاتبة القوم عليه، كما لا يجوز معاتبتهم على طولهم وقصرهم وصحتهم ومرضهم. (راجع الرازي: التفسير الكبير ج٩/ ٣١).

دون أبي بكر، لأنه كان قد جرى ذكرهما جميعاً، فهذا جملة ما ذكره الجبائي في هذا المقام[(١)].

[٥٠] - قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾

أ - وقوله: ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ ﴾ ... أي ليس لنا من الظفر شيء كما وعدنا على وجه التكذيب بذلك ﴿ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ أي من الشك، والنفاق، وتكذيب الوعد بالاستعلاء على أهل الشرك ذكره الجبائي[(٢)].

ب - وقوله: ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ ﴾ يحتمل أمرين: أحدهما - لو تخلفتم لخرج منكم الذين كتب عليهم القتل ولم يكن لينجيه قعودكم - عن أبي علي -[(٣)].

[٥١] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾[(٤)]

وقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ ﴾ قيل في الكسب الذي أداهم إلى الفرار الذي اقترفوه قولان: أحدهما - محبتهم للغنيمة مع حرصهم

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج٩/ ٣١-٣٢.
(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٤.
(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٤ (مع العلم ورد تحلفتم بدلاً من تخلفتم وهو خطأ).
(٤) وردت هذه الآية خطأ في كتاب التبيان (الله غفور رحيم) والصحيح (الله غفور حليم) آل عمران ١٥٥.

على تبقية الحياة، وفي ذلك الوجه عما يؤدي إلى الفتور فيما يلزم من الأمور، على قول الجبائي[١].

[٥٢] - ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

وقوله: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ وقيل في وجه مشاورة النبي (صلى الله عليه وآله) إياهم مع استغنائه بالوحي عن تعرف صواب الرأي من العباد ثلاثة أقوال[٢] ... وأجاز أبو علي الجبائي: أن يستعين برأيهم في بعض أمور الدنيا[٣].

[٥٣] - قوله تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

أ - في قوله: ﴿ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ ﴾ قال أبو علي الجبائي: وفي الآية دليل على أن من غلبه أعداء الله من الباغين لم ينصره الله، لأنه لو نصره لما غلبوه، وذلك بحسب ما في المعلوم من مصالح العباد من تعريض المؤمنين لمنازل الأبرار بالصبر على الجهاد مع خوف القتل من حيث لم يجعل على أمان من غلبة الفجار، وهذا إنما هو في النصر بالغلبة، فأما النصر بالحجة، فإن الله تعالى نصر المؤمنين من حيث هداهم إلى طريق الحق بما نصب لهم من الأدلة الواضحة والبراهين النيرة، ولولا ذلك لما حسن التكليف[٤].

ب - قال الجبائي: والنصر بالغلبة ثواب، لأنه لا يجوز أن ينصر الله

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٥/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٣/ ٥٢٤.

(٢) أحدها - قال قتادة، والربيع، وابن إسحاق أن ذلك على وجه التطييب لنفوسهم، والتأليف لهم، والرفع من أقدارهم إذ كانوا ممن يوثق بقوله: (ويرجع إلى رأيه) والثاني - قال سفيان بن عيينة: وجه ذلك لتقتدي به أمته في المشاورة ولا يرونها منزلة نقيصة كما مدحوا بأن أمرهم شورى بينهم. الثالث قال الحسن، والضحاك: انه للأمرين، لإجلال الصحابة وإقتداء الأمة به في ذلك. راجع: الطوسي: التبيان ج٣/ ٣٢.

(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ٣٢.

(٤) م. ن ج٣/ ٣٣.

الظالمين من حيث لا يريد استعلاءهم بالظلم على غيرهم[١].

[٥٤] - قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾

﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ﴾ وقال الجبائي: وذلك ليفتضح به على رؤوس الأشهاد[٢].

[٥٥] - قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ ﴾

﴿ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ في الفرار منه رغبة عنه، الزجاج، والجبائي[٣].

[٥٦] - قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾

﴿ قُلْتُمْ أَنَّىٰ ﴾ وقيل: أنهم إنما استنكروا ذلك لأنه وعدهم بالنصر من الله أن أطاعوه، عن الجبائي[٤].

[٥٧] - قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

أ - فصل: فيما نذكره من الجزء الثالث، وهو أوّل المجلّد الثاني من (تفسير الجبّائي) من الوجهة الثانية، من الكرّاس العاشر بلفظه:

وأمّا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٣٢.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ج٤/ ٥٣٠.

(٣) م. ن م٢/ج٤/ ٥٣١.

(٤) م. ن م٢/ج٤/ ٥٣٢.

بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ فإنّما عنى به النبيّ عليه السلام فقال له: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴾ وأراد: لا تحسبنّهم أمواتاً في وقت ما أخبره عنهم بهذا الخبر. وبيّن له بقوله: ﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ أنّهم في وقت ما أخبره عنهم بهذا الخبر كانوا أحياء في قبورهم يرزقون.

وعنى بقوله: ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أنّهم في الموضع الذي لا يملك لهم أحد من العباد نفعاً ولا ضرّاً إلاّ الله: فجعل ذلك كوناً لهم عنده على هذا المعنى، لا على معنى أنّهم إذا كانوا في القبور كانوا قريبين من الله بالمسافة، وإذا كانوا على وجه الأرض أحياء كانوا بعيدين منه ؛ لأنّ الله لا يجوز عليه حلول الأماكن ولا الكون فيها.

ويجوز أيضاً أنْ يكون عنى بذلك أنّهم عند الله أحياء على أنّه يعلمهم أحياءاً، وإن كان ذلك يخفى على الناس. وهذه حياة المؤمنين في قبورهم ؛ لأنّ الله إذا أراد أن ينعمهم في قبورهم وأن يعجّل لهم بعض ثواب أعمالهم في الدنيا، لم يجز أن يوصل إليهم النعيم والثواب حتّى يحييهم ؛ لأنّ الميّت لا يجوز أن يجد النعيم واللذّات[1].

ب - وقوله: ﴿ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ يؤكد ذلك، لأنهم في الآخرة قد لحقوا بهم، ومعنى الآية النهي عن أن يظن أحد أن المقتولين في سبيل الله أموات. والخطاب للنبي (صلى الله عليه وآله)، والمراد به جميع المكلفين، كما قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ وأنه ينبغي أن يعتقد أنهم ﴿ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ﴾ وبهذا قال الحسن، وعمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، واختاره الجبائي، والرماني، وأكثر المفسرين[2].

ت - وقوله: ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ قيل في معناه قولان:... والوجه الآخر: عند

---

(١) ابن طاووس: سعد السعود للنفوس، ص ٢٦٣.

(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٦.

ربهم أحياء من حيث يعلمهم كذلك دون الناس - ذكره أبو علي -[١].

٥٨] - قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾

قوله تعالى (فنملي لهم)، وإنما أنكر تعالى أن يكون الإملاء خير لهم - وان كانت نعمة دنيوية - من وجهين:

أحدهما - قال الجبائي: أراد خير من القتل في سبيل الله، كشهداء أحد[٢].

[٥٩] - قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾

﴿ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ ﴾ ... فقيل: بالامتحان وتكليف الجهاد ونحوه بما يظهر به الحال كما ظهر يوم أحد بأن ثبت المؤمنون وتخلف المنافقون عن الجبائي[٣].

[٦٠] - قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾

﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾ قيل: هو كقوله يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباهم وجنوبهم وظهوركم، فمعناه أنه يجعل طوقاً فيعذب بها عن الجبائي[٤].

[٦١] - قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ

---

(١) م. ن ج٣/ ٤٦.
(٢) م. ن ج٣/ ٦٢.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٤/ ٥٤٥.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٤/ ٥٤٦.

ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾

... وقال أبو علي الجبائي: هم قوم من اليهود، وإنما قالوا ذلك من جهة ضيق الرزق(١).

[٦٢] - قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾

قال الجبائي: الآية تدل على أن فعل العقاب بهم كان يكون ظلمًا بتقدير أن لا يقع منهم تلك الذنوب، وفيه بطلان قول المجبرة: ان الله يعذب الأطفال بغير جرم، ويجوز أن يعذب البالغين بغير ذنب، ويدل على كون العبد فاعلاً، وإلاّ لكان الظلم حاصلاً(٢).

[٦٣] - قوله تعالى: ﴿ ۞ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾

قوله: ﴿ ۞ لَتُبۡلَوُنَّ ﴾ معناه لتختبرن أي توقع عليكم المحن، وتلحقكم الشدائد في أنفسكم، وأموالكم من قبل الكفار نحو ما نالهم من الشدائد في أنفسهم يوم أحد، ونحو ما كان الله يفعل بهم من الفقر وشدة العسر، وإنما فعله ليصبروا وسماه بلوى مجازا، لأن حقيقته لا تجوز عليه تعالى، لأنها التجربة في اللغة. ويتعالى الله عن ذلك، لأنه عالم بالأشياء قبل كونها. وإنما فعله ليتميز المحق منكم من غيره - هذا قول أبي علي الجبائي(٣).

[٦٤] - قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٦٥.

(٢) الرازي: التفسير الكبير ج٩/ ٩٧.

(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ٧٢/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٤/ ٥٥١.

...وقال الجبائي: المعني بالآية اليهود والنصارى[١].

[٦٥] - قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ ﴾

واختلفوا فيمن المنادي هاهنا... وقال ابن جريج، وابن زيد: هو رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو الذي اختاره الجبائي[٢].

[٦٦] - قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤ ﴾

فإن قيل: ما وجه مسألتهم لله أن يؤتيهم ما وعدهم، والمعلوم أن الله ينجز وعده، ولا يجوز عليه الخلف في الميعاد؟ قيل عن ذلك أجوبة:

أحدها - ما اختاره الجبائي، والرماني إن ذلك على وجه الانقطاع إليه والتضرع له والتعبد له كما قال: ﴿ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ ﴾[٣] وقوله: ﴿ وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾[٤] وأمثال ذلك كثيرة[٥].

[٦٧] - قوله تعالى: ﴿ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ ﴾

هذا خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله). وقيل في معناه قولان:

الثاني - إن الخطاب وان توجه إليه، فالمراد به جميع المؤمنين، وتقديره: لايغرنكم أيها المؤمنون ما ترون إن قومًا من الكفار كانوا يتجرون ويربحون في الأسفار التي كانوا يسافرونها، ويسلمون فيها لكونهم في الحرم، فأعلم الله تعالى أن ذلك مما لا ينبغي أن يغبطوا به، لأن مأواهم ومصيرهم بكفرهم إلى النار، ولا خير بخير بعده النار. وقوله: ﴿ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ﴾ معناه ذلك الكسب، والربح الذي يربحونه متاع قليل وسماه متاعا، لأنهم متعوا به في الدنيا، والمتاع النفع الذي تتعجل به اللذة إما بوجود اللذة أو بما يكون به اللذة نحو المال الجليل، والملك،

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٧٤.
(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ٨٤/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٤/ ٥٥٧.
(٣) سورة الأنبياء آية ١١٢.
(٤) سورة البقرة آية ٢٨٦.
(٥) الطوسي: التبيان ج٢/ ٨٦/ الطبرسي: مجمع البيان م٢/ ج٤/ ٥٥٧-٥٥٨.

وغير ذلك من الأولاد والإخوان. ووصفه بالقلة لسرعة زواله وانقطاعه، وذلك قليل بالإضافة إلى نعيم الآخرة.

والمهاد الموضع الذي يسكن فيه الإنسان ويفترشه.ووصفه بأنه بئس المهاد على ضرب من المجاز، لما فيه من أنواع العذاب، لأن الذم إنما هو على الإساءة كقولك: بئس الرجل - هذا قول أبي علي الجبائي[١].

[٦٨] - قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ ... وقال الجبائي: لأنه قادر على أن يكلمهم في حال واحدة كل واحد بكلام يخصه. لأنه قادر لنفسه[٢].

سورة النساء

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾

أ – واختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآيتان على ستة أقوال: أولها – ما روي عن عائشة إنها قالت: نزلت في اليتيمة التي تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها، ويريد أن ينكحها بدون صداق مثلها، فنهوا أن ينكحوهن إلاّ أن يقسطوا لها صداق مهر مثلها، وأمروا أن ينكحوا ما طاب مما سواهن من النساء إلى الأربع ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾ من سواهن ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ﴾ ومثل هذا ذكر في تفسير أصحابنا. وقالوا: إنها متصلة

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٩٠–٩١.
(٢) م. ن ج٣/ ٩٤.

بقوله: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾[(١)] ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ الآية، وبه قال الحسن، والجبائي، والمبرد[(٢)].

ب - قال الحسن: أن خفتم ألا تقسطوا في اليتيمة المرباة في حجركم فانكحوا ما طاب لكم من النساء مما أحل لكم من يتامى قرابتكم مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة، أو ما ملكت إيمانكم. وبه قال الجبائي، وقال: الخطاب متوجه إلى أولياء اليتيمة إذا أراد أن يتزوجها إذا كان هو وليها كان له أن يزوجها قبل البلوغ وله أن يتزوجها[(٣)].

ت - ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ ... واختلف فيمن خوطب بقوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فقيل: هم الأزواج أمرهم الله بإعطاء المهر للمدخول بها كملا ولغير المدخول بها على النصف على ما مر شرحه من غير مطالبة منهن ولا مخاصمة لأن ما يؤخذ بالمحاكمة لا يقال له نحلة وهو قول ابن عباس، وقتادة، وابن جريح، واختاره الطبري، والجبائي، والرماني، والزجاج[(٤)].

ث - قوله: ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ قيل في معنى ﴿ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها - وهو الأقوى والأصح أن معناه: ألا تجوروا، ولا تميلوا يقال منه: عال الرجل يعول عولا وعيالة إذا مال وجار، ومنه عول الفرائض، لأن سهامها إذا زادت دخلها النقص، قال أبو طالب:

بميزان قسط وزنه غير عائل[(٥)]، وقال أبو طالب أيضا:بميزان قسط لا

---

(١) سورة النساء آية ١٢٦.

(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ١٠٣/ عرضت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي، لا سيما أن الشيخ الطوسي عرض رأي الجبائي من ضمنها وهو القول الأول.

(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ١٠٤/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٤/ ٥-٦(مع اختلاف يسير).

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٤/ ٦-٧.

(٥) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٠٨.

يخيس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل، وروي: لا يضل شعيرة، وبهذا قال إبراهيم، وعكرمة، والحسن، ومجاهد، وقتادة، وأبو مالك، والربيع بن أنس، والسدي، وابن عباس، واختاره الطبري، والجبائي(١).

ج - قوله: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ ﴾، واختلفوا في المعني بقوله ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ ﴾ فقال ابن عباس، وقتادة، وابن جريج، وابن زيد، واختاره الطبري، والجبائي، والرماني، والزجاج: المراد به الأزواج، أمرهم الله تعالى بإعطاء المهر إذا دخل بها كملا، إذا سمى لها، فأما غير المدخول بها إذا طلقت فإن لها نصف المسمى، وإن لم يكن سمي فلها المتعة على ما بيناه فيما مضى(٢).

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾ ﴾

وقوله: ﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾ واختلفوا في هل للفقير من ولي اليتيم أن يأكل من ماله هو وعياله؟ فقال عمرو بن عبيد: ليس له ذلك، لقوله: ﴿ فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾ فخصه بالأكل، وقال الجبائي: له ذلك لأن قوله: ﴿ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ يقتضي أن يأكل هو وعياله، على ما جرت به العادة في أمثاله، وقال: إن كان المال واسعاً كان له أن يأخذ قدر كفايته، له ولمن يلزمه نفقته من غير إسراف، وإن كان قليلاً كان له أجرة المثل لا غير، وإنما لم يجعل له أجرة المثل إذا كان المال كثيرا، لأنه ربما كان أجرة المثل أكثر من نفقته بالمعروف(٣).

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٨﴾ ﴾

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٩٦.

(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ١٠٩-١١٠.

(٣) م. ن ج٣/ ١١٩-١٢٠.

أ - هذه الآية عندنا محكمة، وليست منسوخة، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن، وإبراهيم، ومجاهد، والشعبي، والزهري، ويحيى بن يعمر، والسدي، والبلخي، والجبائي، والزجاج، وأكثر المفسرين والفقهاء. وإرزاق من حضر قسمة الميراث من هذه الأصناف، ليس بواجب، بل هو مندوب إليه، وهو الذي اختاره الجبائي، والبلخي، والرماني، وجعفر بن مبشر، وأكثر الفقهاء والمفسرين[١].

ب - وأكل مال اليتيم على وجه الظلم، وغصبه متساويان في توجه الوعيد إليه، ولا يدل على مثل ذلك في غير مال اليتيم، لأن الزواجر عن مال اليتيم أعظم. وقال الجبائي: هما سواء، ومن غصب من مال اليتيم خمسة دراهم فإن الوعيد يتوجه إليه وقال الرماني: لا يتوجه إليه، لأن أقل المال مثتادرهم. وقال الجبائي:يلزمه كما يلزم مانع الزكاة[٢].

[٤] - قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾ ﴾

وقوله: ﴿ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ ﴾ معناه: لا تعلمون أيهم أقرب لكم نفعا في الدين والدنيا، والله يعلمه، فاقسموه على مابينه من يعلم المصلحة فيه. فإن قيل: كيف قدم الوصية على الدين في هذه الآية وفي التي بعدها، مع أن الدين يتقدم عليها بلا خلاف؟ قلنا: لأن (أو) لا توجب الترتيب، وإنما هي لأحد الشيئين، فكأنه قال: من بعد أحد هذين، مفردا أو مضموما إلى الآخر كقولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين، أي جالس أحدهما

---

(١) م. ن ج٣/ ١٢٢.

(٢) م. ن ج٣/ ١٢٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٤/ ١٥ (مع اختلاف يسير).

مفردا أو مضموما إلى الآخر ويجب البدأة بالدين، لأنه مثل رده الوديعة التي يجب ردها على صاحبها، فكذلك حال الدين، وجب رده أولا، ثم يكون بعده الوصية، ثم الميراث.وما قلنا اختاره الجبائي، والطبري[١].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ ﴾

أ – وقوله: ﴿ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴾ قيل في معنى السبيل ثلاثة أقوال... و ـ الثاني ـ قال الجبائي: النفي يجوز من طريق اجتهاد الإمام، وأما من وجب عليه الرجم فإنه يجلد أولا ثم يرجم عند أكثر أصحابنا[٢].

ب – وأن الحكم المذكور في الآية منسوخ بالحد المفروض في سورة النور، ذهب إليه الحسن، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد، والضحاك، والبلخي، والجبائي، والطبري، والزجاج، وغيرهم[٣].

ج – والثالث – قال الفراء: هذه الآية نسخت الأولى، قال أبو علي الجبائي:في الآية دلالة على نسخ القرآن بالسنة، لأنها نسخت بالرجم أو الجلد، والرجم ثبت بالسنة[٤].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ ﴾ واختلف في معنى قوله بجهالة على وجوه... ثالثها: أن معناه أنهم يجهلون أنها ذنوب ومعاص فيفعلونها إما بتأويل يخطئون فيه وإما بأن يفرطوا في الاستدلال على قبحها، عن الجبائي[٥].

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ١٣٢/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ م٤/ ١٥.
(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ١٤٢.
(٣) م. ن ج٣/ ١٤٤.
(٤) م. ن ج٣/ ١٤٥.
(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٤/ ٢٢.

[٧] – قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾

لأن الذي عليه جمهور المفسرين أن الفاحشة في الآية الزنا، وأن الحكم في الآية منسوخ بالحد المفروض في سورة النور، ذهب إليه الحسن، ومجاهد، وقتادة، والسدي، والضحاك، وغيرهم، وإليه ذهب البلخي، والجبائي، والطبري[١].

[٨] – قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾

هذا الخطاب متوجه إلى المؤمنين، نهاهم الله أن يرثوا النساء كرهًا، واختلفوا في معنى ذلك، فقال الزهري، والجبائي، وغيرهما، وروي ذلك عن أبي جعفر عليه السلام: هو أن يحبس الرجل المرأة عنده، لا حاجة له إليها، وينتظر موتها حتى يرثها، فنهى الله (تعالى) عن ذلك[٢].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾

والهاء في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً ﴾ يحتمل أن تكون عائدة إلى النكاح بعد النهي، ويحتمل أن تكون عائدة على النكاح الذي كان عليه أهل الجاهلية قبل، ولا يكون ذلك إلاّ وقد قامت عليهم الحجة بتحريمه، من جهة الرسل، فالأول اختاره الجبائي، وهو الأقوى[٣].

---

(١) م. ن م٣/ ج٤/ ٢١.

(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ١٤٩.

(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ١٥٥/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٤/ ٢٧(مع اختلاف يسير).

[١٠] – قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾

معنى قوله: ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها – وهو الأقوى – ما قاله علي ﷺ، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو قلابة، وابن زيد، عن أبيه، ومكحول، والزهري، والجبائي: أن المراد به ذوات الأزواج إلاّ ما ملكت أيمانكم، من سبي من كان لها زوج[١].

[١١] – قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

فأما تزويج الحرة على الأمة، فجائز، وبه قال الجبائي[٢].

[١٢] – قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

وقوله: ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ ... قال أبو علي الجبائي: في الآية دلالة على أن ما ذكر في الآيتين من تحريم النكاح أو تحليله، قد كان على من قبلنا من الأمم، لقوله تعالى: ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أي في الحلال والحرام[٣].

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ١٦٢.
(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ١٧٠.
(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ١٧٥.

[١٣] - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه لا يقتل بعضكم بعضاً لأنكم أهل دين واحد وأنتم كنفس واحدة كقوله سلموا على أنفسكم عن الحسن، وعطا، والسدي، والجبائي[١].

[١٤] - قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ﴾

أ - ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ ﴾ فإن قيل: بم يتصل قوله: ﴿ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ ﴾ وما العامل فيه؟ قيل فيه قولان[٢]... وقال أبو علي الجبائي تقديره: ولكل شيء مما ترك الوالدان والأقربون وارث من الميراث[٣].

ب - ﴿ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ ﴾ من الميراث وهذا اختيار الجبائي وقال: الحليف لم يؤمر بشيء أصلاً[٤].

[١٥] - قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾

أ - ... وقال الجبائي، والبلخي: الآية في كل من كان بهذه الصفة، وإنما ذكروا بالكفر لكتمانهم نعمة الله عليهم. والآمر بالبخل يتناوله الوعيد، كما أن

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٥/ ٣٧.

(٢) أحدهما - يتصل ب (موالي) على جهة الصفة، والعامل الاستقرار، كأنه قال: موالي مما خلف الوالدان والأقربون، والذين عاقدت أيمانكم من الورثة.
الثاني - يتصل بمحذوف، والتقدير: موالي يعطون مما ترك الوالدان والأقربون، والذين عاقدت أيمانكم من الميراث. الطوسي: التبيان ج٣/ ١٨٨.

(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ١٨٨.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٥/ ٤٢.

من فعل البخل يتناوله الوعيد[1].

ب - ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ ﴾ أي يمنعون ما أوجب الله عليهم من الزكاة واختاره الجبائي، وأبو مسلم[2].

[١٦] - قوله تعالى: ﴿ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾

المسألة الثالثة: احتج جمهور المعتزلة بهذه الآية وضربوا له أمثلة، قال الجبائي: ولو كانوا غير قادرين لم يجز أن يقول الله ذلك، كما لا يقال لمن هو في النار معذب: ماذا عليهم لو خرجوا منها وصاروا إلى الجنة، وكما لا يقال للجائع الذي لا يقدر على الطعام: ماذا عليه لو أكل[3].

[١٧] - قوله تعالى: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ ﴾

... وقال الجبائي: يشهد عليهم بأعمالهم[4].

[١٨] - قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾ ﴾

وقوله: ﴿ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴾ ... قال أبو علي: إنه لايعتد بكتمانهم، لأنه ظاهر عندالله لا يخفى عليه شيء منه[5].

[١٩] - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ١٩٧.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٥/ ٤٦.
(٣) الرازي: التفسير الكبير ج١٠/ ٨١.
(٤) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٠١.
(٥) م. ن ج٣/ ٢٠٣-٢٠٤.

غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾

أ - القراءة والمعنى: قرأ حمزة، والكسائي: ﴿ أَوْ لَمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ بغير ألف، الباقون "لامستم" بألف، فمن قرأ "لامستم" بألف قال: معناه الجماع: وهو قول علي عليه السلام، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، **أبو علي الجبائي**، واختاره أبو حنيفة(١).

ب - وقوله: ﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ ﴾ ... قال ابن عباس في رواية أخرى، وجابر، والحسن، وسعيد بن جبير، وإبراهيم، والزهري، وعطاء، **والجبائي**: إن معناه لا تقربوا مواضع الصلاة من المساجد إلاّ مجتازين(٢).

ج - وقوله: ﴿ فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ ﴾ قيل في صفة التيمم ثلاثة أقوال: أحدها - ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين، ذهب إليه ابن عمر، والحسن، والشعبي، **والجبائي**، وأكثر الفقهاء، وبه قال قوم من أصحابنا(٣).

[٢٠] - قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾

وقال **أبو علي الجبائي**، وغيره: كانت اليهود تعطي أحبارها كثيراً من أموالهم على ما كانوا يصفونه لهم، فجعل ذلك اشتراء منهم(٤).

[٢١] - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾

أ - فإن قيل: كيف يجوز تأويل من قال: نجعلها كالاقفاء وهذا لم يجز على ما توعد به؟ قيل عنه جوابان... والجواب الثاني - أن الوعيد يقع بهم في

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٠٥/ عرضت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي./ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٥/ ٥٢.
(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٠٦.
(٣) م. ن ج٣/ ٢٠٨.
(٤) م. ن ج٣/ ٢١٠.

الآخرة، لأن الله تعالى لم يذكر أنه يفعل بهم ذلك في الدنيا تعجيلاً للعقوبة، ذكره البلخي أيضا، والجبائي[١].

ب - وقوله: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ قيل في معناه قولان... أحدهما - إن كل أمر من أمور الله من وعد أو وعيد أو مخبر خبر فإنه يكون على ما أخبر به، ذكره الجبائي[٢].

[٢٢] - قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلاً ﴿٥١﴾ ﴾

وقيل في معنى الجبت، والطاغوت خمسة أقوال: أحدها - قال عكرمة: أنهما صنمان. وقال أبو علي: هؤلاء جماعة من اليهود آمنوا بالأصنام التي كانت تعبدها قريش والعرب مقاربة لهم ليعينوهم على محمد (صلى الله عليه وآله)[٣].

[٢٣] - قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ ﴾

﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ ﴾ ... وقيل: المراد بالملك هاهنا النبوة عن الجبائي، أي ألهم نصيب من النبوة فيلزم الناس إتباعهم وطاعتهم[٤].

[٢٤] - قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾

أ - المعني بقوله: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ قيل: فيه ثلاثة أقوال... الثاني - قال: قتادة: هم العرب: محمد (صلى الله عليه وآله) وأصحابه، لأنه قد جرى ذكرهم في قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢١٦ / الطبرسي: م٣/ج٥/ ٥٦.
(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢١٧/ الطبرسي: م٣/ج٥/ ٥٦.
(٣) م.ن ج٣/ ٢٢٣.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ج٥/ ٦٠.

سَبِيلاً ﴾، ذكره الجبائي[١].

ب - فصل: فيما نذكره من الجزء الرابع ـ وهو الثاني المجلّدة الثانية ـ من الوجهة الثانية، من القائمة الثانية، من الكرّاس الخامس من (تفسير الجبّائي) بلفظه:

وأمّا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ فإنّما عنى به اليهود الذين ذكرهم في الآية الأُولى قبل هذه الآية. وأراد بقوله: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾: بل يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله. وعنى بذلك رسول الله ﷺ وأصحابه المؤمنين؛ لأنّ اليهود كانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من نبوّته وكرامته التي آتاها نبيّه محمّداً ﷺ لأنّ قوله: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ﴾ لا يجوز أن يكون معناه الشكّ ؛ لأنّ الله لا يجوز عليه الشكّ ؛ بل هو لم يزل عالماً بكلّ شيء. وقد يجوز مثل هذا في اللغة أن يقول القائل ـ على كلام قد تقدّم ـ: 'أم فعلت ذلك' وهو يعني 'بل فعلت ذلك'. وعنى بقوله ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ مثل ما آتينا محمّد ﷺ من الكتاب والحكم والنبوّة والملك، فآتينا محمّداً ﷺ ذلك كما آتيناه أُولئك ﷺ فلا ينبغي أن يحسدوه على ذلك وأن يكذّبوه؛ لأنّ ما آتاه من ذلك إنّما هو من فضل الله. والله يؤتي فضله من يشاء، وليس للعباد أن يحسدوا أحداً على فضل الله[٢].

[٢٥] - قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾

الضمير في قوله: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ ﴾ يحتمل أن يكون عائدا إلى أحد أمرين: أحدهما - قال مجاهد، والزجاج، والجبائي: إن من أهل الكتاب من آمن بمحمد (صلى الله عليه وآله) لتقدم الذكر في ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٢٧- ٢٢٨.

(٢) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٦٥و ٢٦٦.

بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾[١].

[٢٦] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

وقوله: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ ... وقال الجبائي: لا يجوز أن يكون المراد أن يزاد جلداً على جلده، كلما نضجت لأنه لو كان كذلك لوجب أن يملأ جسد كل واحد من الكفار جهنم إذا أدام الله العقاب، لأنه كلما نضجت تلك الجلود زاد الله جلدا آخر، فلابد أن ينتهي إلى ذلك.

... والجواب الثاني – اختاره البلخي، والجبائي، والزجاج: إن الله تعالى يجددها بأن يردها إلى الحالة التي كانت عليها غير محترقة، كما يقال جئتني بغير ذلك الوجه وكذلك، إذا جعل قميصه قباء جاز إن يقال جاء بغير ذلك اللباس أو غير خاتمه فصاغه خاتماً آخر جاز أن يقال هذا غير ذلك الخاتم، وهذا هو المعتمد عليه[٢].

[٢٧] – قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾

قال زيد بن أسلم، ومكحول، وشهر بن حوشب: إن المراد به ولاة الأمر، وهو اختيار الجبائي[٣].

[٢٨] – قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ

(١) سورة النساء آية ٤٧.
(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٣٠-٢٣١ .
(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٣٤/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٥/ ٦٣ (مع اختلاف يسير).

وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٥٩﴾

أ - ﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾، للمفسرين فيه تأويلان: أحدهما - قال أبو هريرة، وفي رواية عن ابن عباس، وميمون بن مهران، والسدي، والجبائي، والبلخي، والطبري: إنهم الأمراء(١).

ب ـ فأما عترة الرسول، عليه السلام. فمتى صح إجماعهم، فقد حكي عن «أبي علي» أنه حجة، للخبر، الذي قدّمناه(٢)، وإن كان لم يقطع بصحته، لأن الألفاظ فيه مختلفة، وإن كان في العلماء من يقول: إن المراد بالخبر التمسك بطاعة الإمام، الذي يكون من العترة؛ لأنه قد وجبت طاعته، لوجوب التمسك بكتاب الله، جل وعز، وذكر أن ذلك بمنزلة قوله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ إلى غير ذلك(٣).

[٢٩] - قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلاً بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾

وقال الحسن، والجبائي: نزلت الآية في قوم منافقين احتكموا إلى الأوثان بضرب القداح(٤).

[٣٠] - قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾

أ - إن قيل كيف يقتضي الانتقام منهم الاعتذار لما سلف من جرمهم؟

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٣٦ و٢٧٣/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ج٥/ ٦٤. وراجع أيضاً ما ورد هنا عن الجبائي في الآية (٨٣).

(٢) الخبر هو: أن أمتي لا تجتمع على خطأ. راجع القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٧/ ٢٠٧.

(٣) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٧/ ٢١٣ وراجع أيضاً عن الإجماع عند الجبائي سورة البقرة الآية ١٤٣ وأيضاً سورة النساء الآية ١١٥.

(٤) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٣٨.

قلنا:عنه جوابان... الثاني - إن الانتقام قد يكون إقصاء النبي (صلى الله عليه وآله) وإذلاله إياهم، وتخويفه بالنفي أو القتل إن لم ينتهوا عن قبائحهم - هذا قول الجبائي(١).

ب - وفي الآية مسائل:...المسألة الثانية: ذكروا في تفسير قوله: ﴿ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌۢ ﴾ وجوها ... قال أبو علي الجبائي: المراد من هذه المصيبة ما أمر الله تعالى الرسول عليه الصلاة والسلام من أنه لا يستصحبهم في الغزوات، وانه يخصهم بمزيد الإذلال والطرد عن حضرته وهو قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١ ﴾ (الأحزاب: ٦٠ ـ ٦١) وقوله: ﴿ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا ﴾ (التوبة: ٨٣) وبالجملة فأمثال هذه الآيات توجب لهم الذل العظيم، فكانت معدودة في مصائبهم، وإنما يصيبهم ذلك لأجل نفاقهم، وعني بقوله: "ثم" أي وقت المصيبة يحلفون ويعتذرون أنا ما أردنا بما كان منا من مداراة الكفار إلاّ الصلاح، وكانوا في ذلك كاذبين لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروه، ولم يريدوا بذلك الإحسان الذي هو الصلاح(٢).

[٣١] - قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣ ﴾

وقوله: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ ﴾ ... قال الجبائي: أعرض عن قبول الاعتذار منهم(٣).

[٣٢] - قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٤١. وأيضاً الرازي: التفسير الكبير ١٠/ ١٢٦ و١٢٧ ونص الرازي في الفقرة "ب" هنا.
(٢) الرازي: التفسير الكبير ج١٠/ ١٢٦-١٢٧.
(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٤٢.

ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾

قال الجبائي: الشهداء جمع شهيد. وهم الذين جعلهم الله شهداء في الآخرة فهم عدول الآخرة[١]،وإنما يستشهدهم الله بفضلهم وشرفهم فهم عدول الآخرة عن الجبائي[٢].

[٣٣] - قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ ﴾

النزول: وقال أكثر المفسرين: نزلت في المنافقين وإنما جمع بينهم في الخطاب من جهة الجنس والنسب لا من جهة الاسمان، وهو اختيار الجبائي[٣].

[٣٤] - قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾

قال الجبائي: المعنى ليقولن لهؤلاء الذين أقعدهم عن الجهاد، كأن لم يكن بينكم وبينه أي وبين محمد (صلى الله عليه وآله) مودة، فيخرجكم لتأخذوا من الغنيمة، ليبغضوا إليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٤].

[٣٥] - قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾

﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ ... دخلت هاهنا مؤكدة لتدل على أن الضعف لكيد الشيطان لازم في جميع الأحوال والأوقات ما مضى منها وما يستقبل، وليس هو عارضاً في حال، وإنما وصف سبحانه كيد الشيطان بالضعف

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٥٠-٢٥١/ويرى الطوسي أن كلام الجبائي هذا على مذهبه بعيد، لأن أهل الجنة كلهم عدول عنده، لأن من ليس بعدل لا يدخل الجنة. والله تعالى وعدمن يطيعه ويطيع رسوله بأنه يحشره مع هؤلاء. فينبغي أن يكونوا غير الموعود لهم. وإلا يصير تقديره إنهم مع نفوسهم. الطوسي: التبيان ٣/ ٢٥٠.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٥/ ٧٢.

(٣) م. ن م٣/ ج٥/ ٧٤.

(٤) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٥٦.

بالإضافة إلى نصرة الله المؤمنين، عن الجبائي[١].

[٣٦] - قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾

أ - وقيل في معنى البروج ثلاثة أقوال: ... وقال الجبائي: هي البيوت التي تكون فوق الحصون. وأصل البروج الظهور. يقال تبرجت المرأة: إذا أظهرت محاسنها. والبرج - في العين - اتساعها لظهورها بالاتساع. والمشيدة: المزينة بالجص. وهوالشيد. قال الجبائي: معناه المجصصة[٢].

ب - وقوله: ﴿ مِنْ عِندِكَ ۚ ﴾ ... قال الجبائي، والبلخي، والزجاج: أي بشؤمك الذي لحقنا كما حكي عن قوم موسى ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ ﴾ (الأعراف: ١٣١) فأمر الله تعالى نبيه أن يقول: إن جميع ذلك من عند الله[٣].

ت - ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾ حكاية عن المنافقين، وصفة لهم. في قول الحسن، وأبي علي، وأبي القاسم[٤].

ث - ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ اختلف في من حكى هذه المقالة فقيل: هم اليهود، قالوا: مازلنا نعرف النقص في أثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل عن الزجاج والفراء، فعلى هذا يكون معناه وان أصابهم خصب ومطر قالوا هذا من عند الله وان أصابهم قحط وجدب قالوا: هذا من شؤم محمد كما حكى عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٥/ ٧٦.
(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٦٣.
(٣) م. ن ج٣/ ٢٦٣.
(٤) م. ن ٣/ ٢٦٤.

بموسى ومن معه، ذكره البلخي، والجبائي، وهو المروى عن الحسن، وابن زيد[1].

[٣٧] – قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾

أ – وقال قوم: المخاطب به الإنسان، كأنه قال: ما أصابك أيها الإنسان – في قول قتادة، **والجبائي** –. وقيل: في معنى الحسنة والسيئة هاهنا قولان... وقال **الجبائي**: معناهما النعمة، والمصيبة. ويدخل في النعمة نعمة الدنيا، والدين. وفي المصيبة مصائب الدنيا، والدين إلاّ أن أحدهما من عمل العبد للطاعة، وما جر إليه ذلك العمل، والآخر – من عمل العبد للمعصية وما جر إليه عمله لها[2].

ب – قال **أبو علي الجبائي**: قد ثبت أن لفظ السيئة تارة يقع على البلية والمحنة، وتارة يقع على الذنب والمعصية، ثم إنه تعالى أضاف السيئة إلى نفسه في الآية الأولى بقوله: ﴿ **قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ** ﴾ (النساء: ٧٨) وأضافها في هذه الآية إلى العبد بقوله: ﴿ **وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ** ﴾ فلا بد من التوفيق بين هاتين الآيتين وإزالة التناقض عنهما، ولما كانت السيئة بمعنى البلاء والشدة مضافة إلى الله وجب أن تكون السيئة بمعنى المعصية مضافة إلى العبد حتى يزول التناقض بين هاتين الآيتين المتجاورتين، قال: وقد حمل المخالفون أنفسهم على تغيير الآية وقرؤوا: "**فمن**" فغيروا القرآن وسلكوا مثل طريقة الرافضة من ادعاء التغيير في القرآن. فإن قيل: فلماذا فصل تعالى بين الحسنة والسيئة في هذه الآية فأضاف الحسنة التي هي الطاعة إلى نفسه دون السيئة وكلاهما فعل العبد عندكم؟ قلنا: لأن الحسنة وإن كانت من فعل العبد فإنما وصل إليها بتسهيله تعالى وألطافه فصحت الإضافة إليه، وأما السيئة التي هي من فعل العبد فهي غير مضافة إلى الله تعالى لا بأنه تعالى فعلها ولا بأنه أرادها، ولا بأنه أمر بها، ولا بأنه رغب فيها، فلا جرم انقطعت إضافة هذه السيئة من جميع الوجوه إلى الله

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٥/ ٧٨.

(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٦٥/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٥/ ٧٩ (مع اختلاف يسير).

تعالى. هذا منتهى كلام الرجل في هذا الموضع[١].

[٣٨] – قوله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾

﴿ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ وقيل: حافظاً لهم من المعاصي حتى لا تقع، عن الجبائي[٢].

[٣٩] – قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴿٨١﴾ ﴾

قال المبرد: التبييت كل شيء دبر ليلا. وقال الجبائي: معناه دبروه في بيوتهم[٣].

[٤٠] – قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾

أ – قال القاضي عبد الجبار: وذكر شيخنا أبو علي: أنه يبعد في من يعلم الأشياء بعلمه، ويحتاج فيما يأتيه من تأليف كتاب وغيره، إلى استحضار العلوم، أن ينتفي عن كلامه الطويل، وتأليفه الكثير، المناقضة،حتى يستمر على طريقة الصحة؛ وهذا بين من حال الناس في كلامهم، وإن اشتدّ منهم التوقي، حتى عُدّت سقطات أهل الفضل والحزم، فيما كانوا يتعلمون فيه للتحرّز الشديد ؛ وبين بذلك أن القرآن لا يجوز أن يكون إلاّ من قبل الله تعالى، العالم لنفسه[٤].

ب – قال أبو علي الجبائي: دلت الآية على أن أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى لأن قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ يقتضي أن فعل العبد لا ينفك عن الاختلاف، والاختلاف والتفاوت

(١) الرازي التفسير الكبير ج١٠/ ١٥٢.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٥/ ٨٠.
(٣) الطوسي: التبيان م. ن ج٣/ ٢٦٩.
(٤) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج١٦، ص ٣٢٨.

شيء واحد، فإذا كان فعل العبد لا ينفك عن الاختلاف والتفاوت، وفعل الله لا يوجد فيه التفاوت لقوله تعالى: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ (الملك: ٣) فهذا يقتضي أن فعل العبد لا يكون فعلا لله[١].

[٤١] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾

أ – ﴿ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ قال أبو جعفر عليه السلام: هم الأئمة المعصومون. وقال ابن زيد، والسدي، وأبو علي: هم أمراء السرايا، والولاة، وكانوا يسمعون بإخبار السرايا ولا يتحققونه فيشيعونه ولا يسألون أولي الأمر[٢].

ب – وقال الحسن، وقتادة، وابن جريج، وابن أبي نجيح، والزجاج: هم أهل العلم، والفقه الملازمين للنبي (صلى الله عليه وآله)، لأنهم لو سألوهم عن حقيقة ما أرجفوا به، لعلموا به. قال الجبائي: هذا لا يجوز، لأن أولي الأمر من لهم الأمر على الناس بولاية[٣].

ج – ﴿ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وقيل: فيما وقع الاستثناء منه: أربعة أقوال: أحدها – ﴿ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ منكم، فإنه لم يكن يتبع الشيطان. ويكون الفضل هاهنـا بالنبي (صلى الله عليه وآله)، والقرآن – في قول الضحاك –، وهو اختيار الجبائي[٤].

[٤٢] – قوله تعالى: ﴿ فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾

(١) الرازي التفسير الكبير ج١٠/ ١٥٧-١٥٨.
(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٧٣. وراجع أيضاً ما ورد عن الجبائي في الآية ٥٩ من هذه السورة.
(٣) م. ن ج٣/ ٢٧٣/ عرضت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي.
(٤) م. ن ٣/ ٢٧٤.

﴿ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ ... وقال أبو علي الجبائي: هو الشدة بالأمور الفاضحة ونكل به، وشوه به، وندد به نظائر[1].

[٤٣] – قوله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾

والمقيت: قيل: في معناه خمسة أقوال... والخامس – قال الجبائي: هو المجازي كأنه قال: وكان الله على كل شيء من الحسنات، والسيئات مجازيا[2].

[٤٤] – قوله تعالى: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ ﴾

وقال الجبائي: المعنى ومن يعاقبه الله على معاصيه، فلا تجد له طريقا إلى الجنة. وطعن على الأول من قول البغداديين أن المراد به التسمية، والحكم بأن قال: لو أراد ذلك، لقال: ومن ضلل الله وهذا ليس بشيء، لأنهم يقولون: أكفرته وكفرته، وأكرمته وكرمته: إذا سميته بالكفر أو الكرم قال الكميت: فطائفة قد أكفروني بحبكم * وطائفة قالوا مسيء ومذنب[3]، ويحتمل أن يكون المراد وجدهم ضلالا، كما قال الشاعر:

هبوني امرأ منكم أضل بعيره، أي وجده ضالا، ثم قال لهم: أليس الله قال: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴾[4] أترى أراد أن الشيطان يخلق فيهم الضلالة؟ بل إنما أراد يدعوهم إليها ولا خلاف أن الله تعالى لا يدعو إلى الضلالة[5].

[٤٥] – قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ

(١) م. ن ج٣/ ٢٧٦.
(٢) م. ن ج٣/ ٢٧٧.
(٣) خزانة الأدب/ ٢٣٦.
(٤) سورة النساء: آية ٦٠.
(٥) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٨٣.

عَلَيْكُمْ فَلَقَـٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ ﴾ ... وقال أكثر المفسرين: البلخي، والطبري، والجبائي ، وغيرهم: أن المراد به الإسلام[١].

[٤٦] – قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾

وقال الجبائي، والبلخي: الآية نزلت في أهل الصلاة. لأنه تعالى بيّن في الآية الأولى حكم قتل الخطأ من الدية، والكفارة. وذلك يختص أهل الصلاة، ثم عقب ذلك بذكر قتل العمد منهم[٢].

[٤٧] – قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾

وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ ﴾ اختلفوا في معناه، وقال ابن زيد: معناه كما كان هذا المقتول كافراً فهداه الله، كذلك كنتم كفاراً، فهداكم الله. وبه قال الجبائي[٣].

[٤٨] – قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾

قيل: كيف قال في أول الآية ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٨٥-٢٨٧.
(٢) م. ن ج٣/ ٢٩٦.
(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ٢٩٩/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٥/ ٩٥.

عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ ثم قال في آخرها ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ وهذا ظاهر التناقض؟ ! قلنا عنه جوابان:... والثاني – قال أبو علي الجبائي: أراد بالدرجة الاولى علو المنزلة وارتفاع القدر، على وجه المدح لهم كما يقال: فلان أعلى درجة عند الخليفة من فلان يريدون بذلك أنه أعظم منزلة. وبالثانية أراد الدرجات في الجنة التي تتفاضل بها المؤمنون بعضهم على بعض على قدر استحقاقهم، ولا تنافي بينهما[1].

[٤٩] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ ﴾

اختلف الفقهاء في قصر الصلاة في السفر، فقال الشافعي: هي رخصة واختاره الجبائي[2].

[٥٠] – قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾

أ – وقوله: ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ اختلفوا في تأويله... وقال آخرون معناه إذا استقررتم بزوال الخوف من عدوكم، وحدوث الأمن لكم، فأقيموا الصلاة أي فأتموا حدودها بركوعها، وسجودها. ذهب إليه السدي، وابن زيد، ومجاهد في رواية أخرى. وهو اختيار الجبائي، والبلخي، والطبري[3].

ب – ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ اختلفوا في تأويله[4]،... وقال آخرون: معناه كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً يعني منجماً

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٣٠٢.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٥/ ١٠١.
(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ٣١٢.
(٤) معناه إن الصلاة كانت على المؤمنين فريضة مفروضة، ذهب إليه عطية العوفي، وابن عباس، وابن زيد، والسدي، ومجاهد، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبدالله عليه السلام.
=

يؤدونها في أنجمها، ذهب إليه ابن مسعود، وزيد بن أسلم، وقتادة. وهذه الأقوال متقاربة، لأن ما كان مفروضاً فهو واجب وما كان واجبا أداؤه في وقت بعد وقت فمفروض منجم. واختار الجبائي، والطبري القول الأخير(١).

[٥١] - قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾

واختلفوا فيمن عنى بهذه الآية، فقال قوم: عنى بها الخائنين الذين وصفهم في الآية الأولى. وقال آخرون: عنى الذين كانوا يجادلون عن الخائنين. قال لهم: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (النساء: ١٠٩). والأولى حمل الآية على عمومها في كل من عمل سوءً أو ظلم نفسه، وان كان سبب نزولها فيمن تقدم ذكره من الخائنين أو المجادلين.وبه قال أكثر المفسرين: الطبري، والبلخي، والجبائي، وابن عباس، وعبدالله بن معقل، وأبو وائل، وغيرهم(٢).

[٥٢] - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾

أ - ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ قيل: فضله تأييده، ورحمته نعمته، عن الجبائي(٣).

ب - ﴿ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ فيه أقوال: أحدها أن المعني بهم الذين شهدوا للخائنين من بني أبيرق بالبراءة عن ابن عباس والحسن، والجبائي، فيكون المعنى:

=

وقال آخرون: كانت على المؤمنين فرضا واجبا. ذهب إليه الحسن، ومجاهد، في رواية، وابن عباس في رواية وأبوجعفر في رواية أخرى عنه، والمعنيان متقاربان بل هما واحد.

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٣١٢-٣١٣.

(٢) م. ن ج٣/ ٣٢١/ عرضت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ح٥/ ١٠٩.

همت طائفة منهم يزيلوك عن الحق بشهادتهم للخائنين حتى أطلعك الله على أسرارهم[١].

[٥٣] ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾

فإن قيل: فيجب أن يكون الإجماع الذي هو حجة إجماع المؤمنين دون غيرهم، ومن اعتبر ذلك إنما اعتبر إجماع الأمة.

قيل له: ليس يثبت عنهم أنهم أرادوا بالأمة المصدقين، لأنهم قد اختلفوا في ذلك، فيجب أن يكون الصحيح في إجماعٍ الذي هو حجة؛ أن يكون إجماع المؤمنين، فإن علمناهم بأعيانهم لم يعتبر إلاّ إجماعهم، ولو لم نعلمهم اعتبرنا إجماعهم بعلم دخولهم في جملتهم، ولم نعتبر لمن يعلم أنه ليس من المؤمنين من يلزم تكفيره كالمشبهة، والمجبرة، ولا من يلزم تضليله، وتفسيقه، كالخوارج ومن يجري مجراهم. وهذه الطريقة هي التي اعتبرها «أبو علي» في الشهداء الذين اعتمد على إجماعهم؛ وكل قائل بالإجماع إنما اعتبر في الإجماع الذي جعله حجة ما اقتضاه دليله، فمن عوّل على هذا الدليل اعتبر بإجماع المؤمنين على الوجه الذي ذكرناه، ومن اعتبر الشهداء فكمثل؛ لأن الشهداء هم المؤمنون؛ ومن اعتمد الخبر جعل الإجماع إجماع كل الأمة المصدقة بالرسول[٢].

[٥٤] – قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾

وقال الأزهري: الخليل الذي خص بالمحبة يقال: دعا فلان فخلل أي خص. واختار الجبائي هذا الوجه وقال: كل نبي فهو خليل الله، لأنه خصه بما لم

---

(١) م. ن م٣/ ج٥/ ١٠٩.

(٢) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٧/ ١٦٨ و٢٠٣ و٢٠٨ وعرضت النص كاملاً حتى يُفهم كلام الجبّائي. وأيضاً راجع سورة البقرة الآية ١٤٣ حيث يوجد استدلال الجبائي على صحة الإجماع. وأيضاً راجع سورة النساء الآية ٥٩ حول رأي الجبائي في إجماع عترة الرسول.

يخص به غيره[١].

[٥٥] – قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾

﴿ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾، يعني تذورا التي لا تميلون إليها كالمعلقة يعني كالتي هي لا ذات زوج، ولاهي أيم. وبه قال مجاهد وعبيدة، والحسن، وابن عباس، وقتادة، وابن زيد، والضحاك، وسفيان، والطبري، والجبائي، والبلخي وغيرهم[٢].

[٥٦] – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾

قبل في تأويل أمر من آمن – آمن يؤمن – بالله ورسوله ثلاثة أقوال:... والثاني – ما اختاره الجبائي، والزجاج، والبلخي، أن يكون ذلك خطاباً لجميع المؤمنين الذين هم مؤمنون على الحقيقة ظاهراً أو باطناً أمرهم الله تعالى أن يؤمنوا به في المستقبل بأن يستديموا الإيمان، ولا ينتقلوا عنه، لأن الإيمان الذي هو التصديق لا يبقى وإنما يستمر بأن يجدده الإنسان حالاً بعد حال وهذا أيضا وجه جيد[٣].

[٥٧] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ ﴾

وقال الجبائي، والبلخي: يجوز أن تكون الآية نزلت في قوم كانوا آمنوا ثم

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٣٤١.

(٢) م. ن ج٣/ ٣٤٩.

(٣) م. ن ج٣/ ٣٥٧–٣٥٨/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٥/ ١٢٥ (مع اختلاف يسير).

ارتدوا، ثم آمنوا ثم كفروا، ثم ازدادوا كفرا[١].

[٥٨] – قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾[٢]

أ – واستدل الجبائي بهذه الآية على انه لا يجوز على الأئمة المعصومين على مذهبنا التقية. (وقال: لأنهم إذا كانوا الحجة كانوا مثل النبي، وكما لا يجوز عليه التقية فكذا الإمام – على مذهبكم –)[٣].

ب – واستدل الجبائي أيضا بالآية على أن الأنبياء يجوز عليهم السهو والنسيان قال: بخلاف ما يقوله الرافضة بزعمهم من أنه لا يجوز عليهم شيء من ذلك[٤].

ت – وقال أيضا: في الآية دلالة على وجوب إنكار المنكر لأنه تعالى أمره بالإعراض عنهم على وجه الإنكار والازدراء لفعلهم وكل أحد يجب عليه ذلك اقتداء بالنبي[٥].

ث – ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴾ وروى عن ابن عباس أنه قال: أمر الله تعالى في هذه الآية بالاتفاق ونهى عن الاختلاف والفرقة والمراء والخصومة وبه قال الطبري، والبلخي، والجبائي وجماعة من المفسرين، وقال الجبائي: وأما الكون بالقرب منهم بحيث يسمع صوتهم ولا يقدر على إنكارهم فليس بمحظور وإنما المحظور مجالستهم من غير إظهار كراهية لما يسمعه أو يراه، قال: وفي الآية دلالة على بطلان قول نفاة الإعراض، وقولهم ليس هاهنا شيء غير الأجسام لأنه قال: يخوضوا في حديث غيره فأثبت غيراً لما كانوا فيه وذلك هو العرض[٦].

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٣٥٩.

(٢) لقد عالج الطوسي هذه الآية ضمن الآية ٦٨ من سورة الأنعام – وقد وردت هذه الآية تحت رقم ١٣٩(ج٤/ ١٦٥)في كتاب "التبيان" والصحيح هو ١٤٠ في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٦٥.

(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٦٥.

(٥) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٦٦.

(٦) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٥/ ١٢٧.

[٥٩] - قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾

﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ أي بالغلبة والقهر. وإن حملناه على دار الدنيا يمكن حمله على انه لا يجعل لهم عليهم سبيلاً بالحجة، وإن جاز إن يغلبوهم بالقوة، لكن المؤمنين منصورون بالحجة والدلالة. وبالتأويل الأول قال علي (عليه السلام)، والسدي، وأبو مالك، وابن عباس. قال السدي: السبيل - هاهنا - الحجة. وبالثاني قال: الزجاج، والجبائي، والبلخي. وقال الجبائي: ولو حملنا ذلك على الغلبة، كان أيضا صحيحاً، لأن غلبة الكفار للمؤمنين ليس مما فعله الله، لأن ذلك قبيح، والله لا يفعل القبيح. وليس كذلك غلبة المؤمنين للكفار، لأنه حسن وطاعة، فكان ذلك منسوبا إلى الله تعالى[١].

[٦٠] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾

قال الجبائي: لأنهم إذا قاموا إلى الصلاة، لم يذكروا غير تكبيرة الإحرام[٢].

[٦١] - قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾

قال الفراء: تقديره لا يحب الله أن يجهر بالسوء إلاّ المظلوم، فلا حرج عليه في الجهر أما بأن يدعو عليه، أو بأن يخبر بما فعله به، ويذمه عليه. وبه قال الجبائي قال: ولا يجوز من ليس بمظلوم أن يذكر أحدا بسوء، لأن الله (تعالى) أمره بالستر عليه والكتمان، وإنما يجب عليه أن ينكر عليه فيما بينه وبينه على

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٣٦٤/ عرضت النص كاملا حتى يُفهم كلام الجبائي. وأيضاً الطبرسي: مجمع البيان م٣/ج٥/ ١٢٨ (مع اختلاف يسير).

(٢) م. ن ج٣/ ٣٦٦.

وجه لا يفضحه، وإنما جاز ذلك للمظلوم، لأنه خصم يجوز له أن يدعي على خصمه ما ظلمه فيه، فإن أقام بذلك بينة استوفى له حقه، وإلا إبطال دعواه(١).

[٦٢] – قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا (١٥٣) ﴾

وقال الجبائي: كان سؤالهم على وجه التعنت وإلا فكان فيما أنزله الله من القرآن دلالة واضحة على نبوته(٢).

[٦٣] – قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) ﴾

أ – وقال الجبائي: وجه التشبيه إن رؤساء اليهود أخذوا إنسانا فقتلوه وصلبوه على موضع عال، ولم يمكنوا أحدا من الدنو منه فتغيرت حليته وتنكرت صورته.وقالوا: قتلنا عيسى، ليوهموا بذلك على عوامهم، لأنهم كانوا أحاطوا بالبيت الذي فيه عيسى فلما دخلوه كان رفع عيسى من بينهم، فخافوا أن يكون ذلك سبب إيمان اليهود به، ففعلوا ذلك. والذين اختلفوا غير الذين صلبوا من صلبوه، وهم باقي اليهود(٣).

ب – ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ ﴾ قيل: يعني بذلك عامتهم لأن علماءهم هم علموا أنه غير مقتول عن الجبائي(٤).

[٦٤] – قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟

---

(١) م. ن ج٣/ ٣٧١.

(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ٣٧٦.

(٣) م. ن ج٣/ ٣٨٣/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٣٦.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٣٦.

عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾

أ - ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾... قيل: للنصارى خاصة، عن أبي علي، وأبي مسلم[١].

ب - ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ ﴾ ... قال الجبائي: ذلك مجاز، وإنما أراد بالكلمة إنهم يهتدون بعيسى، كما يهتدون بكلامه. وكذلك يحيون به في دينهم كما يحيى الحي بالروح، فلذلك سماه روحا[٢].

ت - ﴿ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾... وقال الجبائي: معنى ألقاها إلى مريم خلقه في رحمها[٣].

ث- ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ فيه أقوال... الثاني: أن المراد به يحيي به الناس في دينهم كما يحيون بالأرواح عن الجبائي، فيكون المعنى أنه جعله نبيا يقتدى به ويستن بسنته ويهتدى بهداه[٤].

[٦٥] – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾

قال: الرد على ذوي الأرحام، رد على الأخت الباقي وهو اختيار الجبائي، وأكثر أهل العلم[٥].

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٤٤.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٤٤.
(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٠١/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ج٦/ ١٤٥.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٤٥.
(٥) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٠٨.

سورة المائدة

[١] – قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾

وقال الجبائي: أراد به الوفاء بالإيمان فيما يجوز الوفاء به. فأما ما كان يميناً بالمعصية، فعليه حنثه وعليه الكفارة(١).

[٢] – قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾

أ – أختلف في معنى شعائر الله على أقوال... سابعها: أن الشعائر هي العلامات المنصوبة للفرق بين الحل والحرم نهاهم الله سبحانه أن يتجاوزوها إلى مكة بغير إحرام، عن أبي علي الجبائي(٢).

ب – والشهر الحرام الذي عناه الله هاهنا قال قوم:هو رجب، وهو شهر كانت مضر تحرم فيه القتال. وقال قوم: هو ذو العقدة. ذكره عكرمة. وقال أبو علي الجبائي: هو اشهر الحرام كلها، نهاهم الله عن القتال فيها، وبه قال البلخي(٣).

ت – قال أبو علي الجبائي: القلائد هو ما قلده الهدي، نهاهم عن حلها، لأنه كان يجب أن يتصدق بها. قال: ويحتمل أن تكون عبارة عن الهدي المقلد(٤).

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤١٥.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٥٤.

(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤١٩/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٥٤.

(٤) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٢٠.

[٣] - قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾

أ - ﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ معناه إلاّ ما أدركتم زكاته، فذكيتموه من هذه الأشياء التي وصفها. وقال آخرون: هو استثناء من التحريم، لا من المحرمات، لأن الميتة لا زكاة لها، ولا الخنزير قالوا: والمعنى حرمت عليكم الميتة والدم وسائر ما ذكر إلاّ ما ذكيتم مما أحله الله لكم بالتذكية، فإنه حلال لكم، ذهب إليه مالك، وجماعة من أهل المدينة، والجبائي[(١)].

ب - وقوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ في تأويله ثلاثة أقوال: أحدها - قال ابن عباس، والسدي وأكثر المفسرين: إن معناه أكملت لكم فرائضي وحدودي وأمري ونهيي وحلالي وحرامي بتنزيلي ما أنزلت، وتبياني ما بينت لكم، فلا زيادة في ذلك، ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم. وكان ذلك اليوم عام حجة الوداع قالوا: ولم ينزل بعد هذا على النبي (صلى الله عليه وآله) شيء من الفرائض في تحليل شيء، ولا تحريمه وأنه (عليه السلام) مضى بعد ذلك بإحدى وثمانين ليلة. وهو اختيار الجبائي، والبلخي[(٢)].

[٤] - قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾[(٣)]

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٣٢/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٥٨ (عرضت كامل النص حتى يفهم كلام الجبائي).

(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٣٥/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٥٩.

(٣) وردت هذا الآية في كتاب التبيان تحت رقم ٥ ج٣/ ٤٣٨، والصحيح هو رقم ٤ في =

فمعنى الآية يسألك يا محمد أصحابك ما الذي أحل لهم أكله من المطاعم، فقل لهم: أحل لكم الطيبات منها وهي الحلال الذي أذن لكم ربكم في أكله من الذبائح على قول الطبري، والجبائي[١].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ ﴾

أ – قوله: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ المراد به ذبائحهم، وبه قال قوم من أصحابنا: فمن ذهب إليه الطبري، والبلخي، والجبائي، وأكثر الفقهاء، ثم اختلفوا... وقال مجاهد، وإبراهيم، وابن عباس، وقتادة، والسدي، والضحاك، وابن زيد، وأبو الدرداء: إن إطعام الذين أوتوا الكتاب ذبائحهم وغيرها من الأطعمة، وبه قال الطبري، والجبائي، والبلخي وغيرهم[٢].

ب – ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ معناه واحل لكم العقد على المحصنات أي العفايف من المؤمنات عن الحسن، والشعبي، وإبراهيم. وقيل: أراد الحرائر عن مجاهد، واختاره أبو علي فعلى هذا القول لا تدخل الإماء في الإباحة مع القدرة على طول الحرة[٣].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ

=

القرآن الكريم.

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٣٩.

(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٤٤–٤٤٥/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٦٢.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٦٢(عرضت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي).

أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

أ - فقال قوم: المراد به إذا أراد القيام إليها، وهو على غير طهر. وهو الذي اختاره الطبري، والبلخي، والجبائي، والزجاج وغيرهم[1].

ب - وقوله: ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ ﴾[2] عطف على الرؤوس فمن قرأ بالجر ذهب إلى انه يجب مسحهما كما وجب مسح الرأس، ومن نصبهما ذهب إلى انه معطوف على موضع الرؤوس، لأن موضعها نصب لوقوع المسح عليها، وانما جر الرؤوس لدخول الباء الموجبة للتبعيض على ما بيناه فالقراءتان جميعا تفيدان المسح على ما نذهب إليه. وممن قال بالمسح ابن عباس والحسن البصري وأبو علي الجبائي ومحمد بن جرير الطبري، وغيرهم ممن ذكرناهم في الخلاف، غير أنهم أوجبوا الجمع بين المسح والغسل المسح بالكتاب، والغسل بالسنة وخيرة الطبري في ذلك. وأوجبوا كلهم استيعاب جميع الرجل ظاهرا وباطنا[3].

[٧] - قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٤٧-٤٤٨.

(٢) قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص ويعقوب، والأعشى إلا النقار " وأرجلكم " - بالنصب - الباقون بالجر وقرأ لمستم بلا ألف حمزة والكسائي وخلف الباقون لامستم بألف هاهنا وفي النساء هذا خطاب للمؤمنين أمرهم الله إذا أرادوا القيام إلى الصلاة، وهم على غير طهر، أن يغسلوا وجوههم، ويفعلوا ما أمرهم الله به فيها. وحذف الإرادة، لأن في الكلام دلالة عليه، ومثله " فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله " ومعناه وإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ، وإذا قمت فيهم فأقمت لهم الصلاة ومعناه فأردت أن تقيم لهم الصلاة. ثم اختلفوا هل يجب ذلك كلما أراد القيام إلى الصلاة أو بعضها أو في أي حال هي؟. الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٤٧-٤٤٨.

(٣) م. ن ج٣/ ٤٥٢/ عرضت النص كاملا حتى يفهم كلام الجبائي/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ (مع اختلاف يسير).

قال البلخي، والجبائي: هو (أي الميثاق) ما أخذ عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند إسلامهم وبيعتهم بأن يطيعوا الله في كل ما يفرضه عليهم مما ساءهم أو سرهم. قال الجبائي: هو مبايعتهم له ليلة العقبة وبيعة الرضوان، وهو قول ابن عباس[١].

[٨] – قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٩ ﴾

... ويحتمل أن يكون موضع ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ في موضع الرفع، ويكون الموعود به محذوفاً، ويكون التقدير لهم مغفرة وأجر عظيم فيما وعدهم أولهم مغفرة وأجر عظيم هو الجنة. وهو معنى قول الحسن، والجبائي[٢].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١ ﴾

وقال أبو علي الجبائي: المعني بذلك ما لطف الله (تعالى) المسلمين من كف أعدائهم عنهم حين هموا باستئصالهم بأشياء شغلهم بها من الأمراض والقحط، وموت الأكابر، وهلاك المواشي وغير ذلك من الأسباب التي انصرفوا عندها عن قتل المؤمنين[٣].

[١٠] – قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١٢ ﴾

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٥٩.

(٢) م. ن ج٣/ ٤٦١-٤٦٢.

(٣) م. ن ج٣/ ٤٦٤.

وفي معنى قوله: ﴿ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗا ﴾ قولان: أحدهما - قال الحسن، والجبائي: أنه اخذ من كل سبط منهم ضميناً بما عقد عليهم بالميثاق من أمر دينهم[١].

[١١] - قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

أ - ﴿ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ ﴾ ... وقيل: معناه بيّنا عن حال قلوبهم وما هي عليها من القساوة وحكمنا بأنهم لا يؤمنون ولا تنجع فيهم موعظة، عن الجبائي[٢].

ب - وقال أبو علي: هو البيان عن حالهم، وجفا قلوبهم عن الإيمان بالله ورسوله، كما يقال: جعلته فاسقا مهتوكا: إذا أبان عن حاله للناس[٣].

ت - ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡ ﴾... وقيل: منسوخ بقوله وإما تخافن من قوم الخيانة فأنبذ إليهم على سواء، عن الجبائي[٤].

[١٢] - قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

وقوله: ﴿ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ﴾ ... قال مجاهد، وقتادة، وابن زيد، والسدي، والجبائي: معناه بين اليهود والنصارى[٥].

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٦٦/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٧١(مع اختلاف يسير).
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٧٢.
(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٦٨.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٧٣.
(٥) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٧٢/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٧٣ (مع اختلاف يسير).

[١٣] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾ ... وقيل: الملك هو الذي له ما استغنى به عن تكلف الأعمال، وتحمل المشاق، والتسكع في المعاش، عن أبي على الجبائي[١].

[١٤] – قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

وقال ابن عباس، ومجاهد: جعلوا ملوكاً بالمن والسلوى والحجر والغمام. وزاد الجبائي: وبغير ذلك من الأموال[٢].

[١٥] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾... وقيل: يخافون الجبارين، أي لم يمنعهم الخوف من الجبارين أن قالوا الحق أنعم الله عليهما بالتوفيق للطاعة، عن الجبائي[٣].

[١٦] – قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ فَٱذْهَبْ ﴾ يا موسى ﴿ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ ﴾ الجبارين ﴿ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ إلى أن تظفر بهم وترجع إلينا فحينئذ ندخل وإنما لم ينكر موسى عليهم قولهم اذهب أنت وربك لأمرين: إحدهما: أن الكلام كله يدل على الإنكار عليهم والتعجب من جهلهم في تلقيهم أمر ربهم بالرد له والمخالفة عليه. والآخر: إنهم إنما قالوا ذلك مجازاً بمعنى وربك معين لك على ما قاله أبو

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٧٨.
(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٨٢.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ج٦/ ١٨٠.

القاسم البلخي، والأول أليق بجهل أولئك القوم الحسن هذا القول منهم يدل على أنهم كانوا مشبهة، ولذلك عبدوا العجل ولو عرفوا الله تعالى حق معرفته لما عبدوا العجل، وقال الجبائي: إن كانوا قالوا ذلك على وجه الذهاب من مكان إلى مكان فإنه كفر، وإن قالوا على وجه الخلاف فإنه فسق[(١)].

[١٧] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝ ﴾

أ – وقوله ﴿ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ قيل: في الوجه الذي سأل الفرق بينه وبينهم قولان:... الثاني – قال أبو علي: إنما دعا بأن يفرق بينه وبينهم في الآخرة بأن يكون هؤلاء في النار، وأن يكون هؤلاء في الجنة. ولو دعا بالهلاك في الدنيا لأهلكهم الله[(٢)].

ب – ﴿ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ وقيل: في سؤال موسى الفرق بينه وبينهم قولان... الآخر: إنه سأله أن يفرق بينه وبينهم في الآخرة بأن يكون هؤلاء في النار، ويكون هو في الجنة، ولو دعا عليهم بالهلاك لأهلكوا، عن الجبائي[(٣)].

ت – ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ وفي كيفية التحريم قولان... وقيل: يجوز أن يكون تحريم تعبد، عن أبي علي الجبائي[(٤)].

[١٨] – قوله تعالى: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾[(٥)]

---

(١) الطوسي: التبيان ج ٣/ ٤٨٧ الطبرسي: مجمع البيان ٣/ ج٦/ ١/ ١٤١ (عرضت النص كاملا حتى يفهم كلام الجبائي).

(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٨٨.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٨١.

(٤) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٩٠ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ج٦/ ١٨١.

(٥) وردت هذه الآية في كتاب التبيان تحت رقم ٣١(ج٣/ ٤٩٤) والصحيح هو رقم ٢٨ في القرآن الكريم.

فإن قيل: لم قال ذلك وقد وجب بحكم العقل الدفع عن النفس وإن أدى إلى قتل المدفوع؟ ! قلنا: عنه جوابان:... الثاني - قال الحسن، ومجاهد، والجبائي: إنه كان كتب عليهم إذا أراد الرجل قتل رجل تركه ولم يمتنع منه(١).

[١٩] - قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾(٢)

وقال الجبائي، والزجاج: "وإثمك" الذي من أجله لم يتقبل قربانك. ويجوز أن يريد بإثمي الأول إثم قتلي إن قتلتني، وإثمك الذي قتلتني، فأضافه تارة إلى المفعول وأخرى إلى الفاعل، لأنه مصدر يصح ذلك فيه، كما تقول ضرب زيد عمرا وضرب عمرو زيد فتضيفه تارة إلى الفاعل وأخرى إلى المفعول(٣).

[٢٠] - قوله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝ ﴾

أ - ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ ﴾ قالوا: كان هابيل أول ميت من الناس فلذلك لم يدر قابيل كيف يواريه وكيف يدفنه حتى بعث الله غرابين أحدها حي والآخر ميت. وقيل: كانا حيين فقتل أحدها صاحبه ثم بحث الأرض ودفنها فيه ففعل قابيل به مثل ذلك عن ابن عباس، وابن مسعود وجماعة، وفي ذلك دلالة على فساد قول الحسن، والجبائي، وأبي مسلم، إن ابني آدم كانا من بني إسرائيل(٤).

... وكذلك أضاف سبحانه بعثة إلى نفسه ولم يقع اتفاقا كما قاله أبو مسلم ولكنه تعالى ألهمه، وقال الجبائي: كان ذلك معجزاً مثل حديث الهدهد وحمله

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٩٥.

(٢) وردت هذه الآية في كتاب التبيان تحت رقم ٣٢(ج٣/ ٤٩٦) والصحيح هو رقم ٢٩ في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ٤٩٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ج٦/ ١٨٤(مع اختلاف يسير).

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٨٥ (نقلت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي).

الكتاب ورده الجواب إلى سليمان ويجوز أن يزيد الله في فهم الغراب حتى يعرف هذا القدر كما نأمر صبياننا عنا[١].

ب - ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴾ على قتله ولكن لم يندم على الوجه الذي يكون توبة كمن يندم على الشرب لأنه يضدعه فلذلك لم يقبل ندمه، عن الجبائي[٢].

[٢١] - قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَـٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[٣]

﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ... من إشهار السيف وإخافة السبيل. وجزاءهم على قدر الاستحقاق إن قتل قتل وان أخذ المال وقتل قتل وصلب وان أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف. وان أخاف السبيل فقط فإنما عليه النفي لا غير هذا مذهبنا. وهو المروي عن أبي جعفر (عليه السلام)، وأبي عبد الله عليه السلام، وهو قول ابن عباس، وأبي مجلز، وسعيد بن جبير، والسدي، وقتادة، والربيع، وإبراهيم على خلاف عنه - وبه قال **أبو علي الجبائي**، والطبري[٤].

[٢٢] - قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا

---

(١) م. ن م٣/ ج٦/ ١٨٥ (نقلت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي).

(٢) م. ن م٣/ ج٦/ ١٨٥.

(٣) وردت هذه الآية في كتاب التبيان تحت رقم ٣٦ج٣/ ٤٩٦) والصحيح هو رقم ٣٢ في القرآن الكريم.

(٤) الطوسي: التبيان ج٣/ ٥٠٤-٥٠٥.

نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ ﴾[١]

وقال أبو علي الجبائي: الحرز أن يكون في بيت أو دار مغلق عليه وله من يراعيه ويحفظه، ومن سرق من غير حرز لا يجب عليه القطع[٢].

[٢٣] – قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾

أ – وقوله: ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ ﴾ في الفتنة ثلاثة أقوال:... الثالث – قال الحسن، وأبو علي، والبلخي، من يرد الله عذابه من قوله ﴿ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (الذاريات: ١٣) أي يعذبون[٣].

ب – ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ معناها أولئك اليهود لم يرد الله أن يطهر من عقوبات الكفر التي هي الختم والطبع والضيق قلوبهم كما طهر قلوب المؤمنين منها بأن كتب في قلوبهم الإيمان وشرح صدورهم للإسلام، عن الجبائي، والحسن[٤].

ت – وقوله "أولئك لم يرد الله أن يطهر قلوبهم" قيل فيه قولان: أحدهما – قال أبو علي وغيره: لم يرد الله أن يطهرها من الحرج والضيق الدال على

---

(١) وردت هذه الآية في كتاب التبيان تحت رقم ٤١ (ج٣/ ٥١٤).

(٢) الطوسي: التبيان ج٣/ ٥١٦–٥١٧) السادس – قال أصحاب الظاهر وابن الزبير يقطع في القليل والكثير، وقال أبو علي الجبائي الحرز أن يكون في بيت أو دار مغلق عليه وله من يراعيه ويحفظه.ومن سرق من غير حرز لا يجب عليه القطع.

(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ٥٢٣–٥٢٤.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٩٥.

دنس الكفر عقوبة لهم[(١)].

[٢٤] – قوله تعالى: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔاۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[(٢)]

أ – وفي اختيار الحكام، والأئمة الحكم بين أهل الذمة إذا احتكموا إليهم قولان: أحدهما – قال إبراهيم والشعبي، وقتادة، وعطاء، والزجاج، والطبري، وهو المروي عن علي عليه السلام، والظاهر في رواياتنا أنه حكم ثابت والتخيير حاصل. وقال الحسن، وعكرمة، ومجاهد، والسدي، والحكم، وجعفر بن مبشر، واختاره الجبائي: أنه منسوخ بقوله ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[(٣)]، فنسخ الاختيار وأوجب الحكم بينهم بالقسط، وهو العدل يقال: أقسط إقساطا إذا عدل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ يعني العادلين، وقسط يقسط قسوطا إذا جار. ومنه قوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾[(٤)] أي الجائرون[(٥)].

ب – ﴿ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ ﴾ وقيل: في اشتقاق السحت أقوال... ثانيها: إنه سمي سحتاً لأنه لا بركة فيه لأهله فيهلك هلاك الاستئصال، عن الجبائي[(٦)].

[٢٥] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

أ – اختلفوا: هل الآية على عمومها أم لا؟ فقال ابن مسعود، والحسن،

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٥٢٤.

(٢) وردت هذا الآية تحت رقم ٤٥ (ج٣/ ٥٢٧) والصحيح هو رقم ٤٢ في القرآن الكريم.

(٣) سورة المائدة آية ٤٩.

(٤) سورة الجن آية ١٥.

(٥) الطوسي: التبيان ج٣/ ٥٢٩-٥٣٠/ عرضت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي.

(٦) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٩٦.

وإبراهيم: هي على عمومها. وقال ابن عباس: هي في الجاحد لحكم الله، وقيل: في اليهود خاصة في قول الجبائي، لأنه قال: لا حجة للخوارج فيها من حيث هي خاصة في اليهود[١].

ب - ﴿ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا ﴾ وقيل: بما أمروا بحفظ ذلك والقيام به وترك تضييعه، عن الجبائي[٢].

[٢٦] - قوله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) ﴾

أ - ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم ﴾ وقيل: معناه على آثار الذين فرضنا عليهم الحكم الذي مضى ذكره، عن الجبائي[٣].

[٢٧] - قوله تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٤٧) ﴾

وقيل في معناه قولان... الثاني إنه استأنف لأهل الإنجيل غير الحكاية لأن أحكامه كانت حينئذ موافقة لأحكام القرآن لم بنسخ بعد عن أبي علي الجبائي[٤].

[٢٨] - قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) ﴾

أ - وزعم...(أي الجبّائي) ان معنى المهيمن أنه الأمين على الأشياء، وأن

---

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٥٣٤.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ١٩٨.

(٣) م. ن م٣/ ج٦/ ٢٠١.

(٤) م. ن م٣/ ج٦/ ٢٠١.

الهاء التي في المهيمن بدلٌ من الهمزة التي في الأمين، وكذلك معنى قوله: ﴿ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ ، يعني: أميناً عليه[1].

ب - ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ قال الجبائي: وهذا الناسخ للتخيير في الحكم أو الإعراض عنهم والترك[2].

ت - ﴿ لِكُلٍّ ﴾ قيل فيه قولان: ... قال قتادة وغيره، واختاره الجبائي: أنه شريعة التوراة، وشريعة الإنجيل، وشريعة القرآن[3].

ث - ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما - بادروا فوت الحظ بالتقدم في الخير. الثاني - بادروا الموت بالموت ذكره الجبائي[4].

[٢٩] - قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

وإنما كرر سبحانه الأمر بالحكم بينهم لأمرين: أحدهما: إنهما حكمان أمر بهما جميعاً لأنهم احتكموا إليه في الزنا المحصن ثم احتكموا إليه في قتل كان بينهم، عن الجبائي، وجماعة من المفسرين، وهو المروي عن أبي جعفر[5].

[٣٠] - قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡ ﴾ قيل في معناه أقوال - إحداها - أن معناه فأعلم يا محمد إنما يريد الله أن يعاقبهم ببعض إجرامهم

---

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ٢/ ١٩٣. وأيضاً بدوي: مذاهب الاسلاميين، ص ٣١٨.

(٢) م. ن م٣/ ج٦/ ٢٠٣.

(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ٥٤٤.

(٤) الطوسي: التبيان ج٣/ ٥٤٦.

(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ٢٠٤.

وذكر البعض والمراد به الكل كما يذكر العموم ويراد به الخصوص، عن الجبائي[١].

[٣١] – قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ ﴾ والمراد به اليهود، عن مجاهد، واختاره الجبائي قال: لأنهم كانوا إذا وجب الحكم على ضعفائهم ألزموهم إياه وإذا وجب على أقويائهم وأشرافهم لم يؤاخذوهم به فقيل لهم: أفحكم الجاهلية أي عبدة الأوثان تطلبون وأنتم أهل الكتاب[٢].

[٣٢] – قوله تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

أ – ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ ﴾ يعني فتح مكة عن السدي وقيل: بفتح بلاد المشركين، عن الجبائي[٣].

ب – ﴿ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ وقيل: هو أمر دون الفتح الأعظم أو موت هذا المنافق، عن الجبائي[٤].

[٣٣] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[٥]

أ – وقال الحسن، والجبائي: إنها نزلت في جميع المؤمنين[٦].

---

(١) م. ن م٣/ ج٦/ ٢٠٤.
(٢) م. ن م٣/ ج٦/ ٢٠٥.
(٣) م. ن م٣/ ج٦/ ٢٠٧.
(٤) م. ن م٣/ ج٦/ ٢٠٧.
(٥) وردت هذه الآية في كتاب التبيان تحت رقم ٥٨ (ج٣/ ٥٥٨) والصحيح هو رقم ٥٥ في القرآن الكريم.
(٦) الطوسي: التبيان ج٣/ ٥٥٩.

ب - وقد ذكر شيخنا أبو علي أنه قيل: إنها نزلت في جماعة من فضلاء أصحاب النبي ﷺ في حال كانوا في الصلاة وفي الركوع، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ في الحال ولم يعين أنهم يؤتون الزكاة في حال الركوع، بل أراد أن ذلك طريقتهم، وهم في الحال راكعون[١].

[٣٤] - قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ ﴾ وقيل: هو العجل الذي عبده اليهود، عن الجبائي[٢].

[٣٥] - قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ قيل: فيه أقوال: (أحدها) أنه على سبيل الاخبار أي غلت أيديهم في جهنم عن الحسن واختاره الجبائي، ومعناه شدت إلى أعناقهم وتأويله: إنهم جوزوا على هذا القول بهذا الجزاء فعلى هذا يكون في الكلام ضمير الفاء أو الواو وتقديره فغلت أيديهم أو غلت أيديهم لأن كلامهم قدرتهم واستؤنف بعده كلام آخر ومن عادتهم أنهم يحذفون فيما يجري هذا المجرى ومن ذلك قوله وإذ قال موسى لقومه يا قوم إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزواً والمراد فقالوا: لأن كلام موسى قد تم[٣].

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني... ج٢٠/ ١٣٧ القسم الأول في الإمامة.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ج٦/ ٢١٦.

(٣) م. ن م٣/ ج٦/ ٢٢٠.

[٣٦] – قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ يريد به القرآن، عن ابن عباس، واختاره الجبائي[1].

[٣٧] – قوله تعالى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[2]

وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ قيل في معناه قولان: ... قال الجبائي: إن الله يهدي إلى الثواب والجنة الكافرين[3].

[٣٨] – قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ ﴾ وقيل: معناه الأمر بإقامة التوراة والإنجيل وما فيهما وإنما كان ذلك قبل النسخ لهما، عن الجبائي[4].

[٣٩] – قوله تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ

---

(١) م. ن م٣/ ج٦/ ٢٢١.

(٢) وردت / هذه الآية في كتاب التبيان تحت رقم ٧٠ (ج٣/ ٥٨٧) والصحيح هو رقم ٦٧ في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ٥٨٨/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ٢٢٤.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٦/ ٢٢٤.

ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[1]

﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ ﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما – أنها كانت تصدق بآيات ربها ومنزلة ولدها، وتصدقه فيما أخبرها به بدلالة قوله ﴿ وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا ﴾[2] ذكر ذلك الحسن، والجبائي[3].

[٤٠] – قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[4]

قيل في معنى ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ الآية ثلاثة أقوال:... الثالث – قال أبو علي الجبائي: إنه إنما أظهر ذلك لئلا يوهموا الناس أن لهم منزلة بولادة الأنبياء تنجيهم من عقوبة المعاصي. واللعن هو الإبعاد من رحمة الله، فلعنه الله يعني أبعده الله من رحمته إلى عقوبته، ولا يجوز لعن من لا يستحق العقوبة من الأطفال والمجانين والبهائم، لأنه تعالى لا يبعد من رحمته من لا يستحق الإبعاد عنها[5].

[٤١] – قوله تعالى: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[6]

وقوله: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا

---

(١) وردت هذه الآية في كتاب التبيان تحت رقم ٧٨ (ج٣/ ٦٠٤) والصحيح هو رقم ٦٧ في القرآن الكريم.

(٢) سورة التحريم آية ١٢.

(٣) الطوسي: التبيان ج٣/ ٦٠٥/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج/ ٢٣٠.

(٤) وردت هذه الآية في كتاب التبيان تحت رقم ٨١ (ج٣/ ٦٠٨) والصحيح هو رقم ٦٧ في القرآن الكريم.

(٥) الطوسي: التبيان ج٣/ ٦٠٩.

(٦) وردت هذه الآية تحت رقم ٨٥ في كتاب التبيان(ج٤/ ٦١٣-٦١٤) والصحيح هو ٨٧ في كتاب القرآن الكريم.

نَصَرَىٰ ﴾ يعني الذين قدمنا ذكرهم - عن المفسرين. وقال الزجاج يجوز أن يكون أراد به النصارى، لأنهم كانوا أقل مظاهرة للمشركين، وبه قال الجبائي[١].

[٤٢] - قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿ مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ... وقيل: مع الذين يشهدون بتصديق نبيك وكتابك، عن الجبائي[٢].

[٤٣] - قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

أ - ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ قيل في معناه قولان: قال ابن عباس: يريد لا تحلفوا. وقال غيره: احفظوا أمانكم عن الحنث فلا تحنثوا، وهو اختيار الجبائي[٣].

ب - ولغو اليمين هو الحلف على وجه الغلط من غير قصد مثل قول القائل: لا والله وبلى والله على سبق اللسان، هذا هو المروي عن أبي جعفر، وأبي عبدالله عليه السلام، وهو قول أبي علي الجبائي[٤].

[٤٤] - قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ

(١) الطوسي: التبيان ج٣/ ٦١٤.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٧/ ٢٣٤.
(٣) م. ن م٣/ ج٧/ ٢٣٨.
(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٢.

فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾

أ -قال أبو علي: الآية تدل على تحريم قتل الصيد في حال الإحرام بالحج، والعمرة وحين الكون في الحرم[١].

ب - ﴿ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ ... أن المراد به صيد الحرم ينال بالأيدي والرماح لأنه يأنس بالناس ولا ينفر منهم فيه كما ينفر في الحل وذلك آية من آيات الله، عن أبي علي الجبائي[٢].

[٤٥] – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾

أ – وقاتل الصيد إذا كان محرماً لزمه الجزاء عامداً كان في القتل أو أخطأ أو ناسياً لا حرامه أو ذاكراً. وبه قال مجاهد، والحسن – بخلاف عنه – وابن جريج، وإبراهيم، وابن زيد، وأكثر الفقهاء، واختاره البلخي، والجبائي[٣].

ب – فصل: فيما نذكره من الجزء الخامس، وهو الأوّل من المجلّدة الثالثة من (تفسير الجبّائي) من الكرّاس الخامس منه بمعناه ؛ لأنّ لفظه فيه تطويل لا حاجة إليه، في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ فقال الجبّائي:

إنّه إذا اختلف العدلان في تقويم الجزاء، جاز العمل بكلّ واحد من حكمهما. وإذا كان يجب العمل بحكمَيْن مختلفَيْن فهذا أصل في إثبات صحّة سائر أحكام المجتهدين الذين قد أصابوا في أحكامهم، وإن كانت أحكامهم مختلفة. ولا يوجب اختلافها أن يكون الحقّ فيها واحداً دون سائرها[٤].

---

(١) م. ن ج٤/ ٢٥.

(٢) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٢/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٧/ ٢٤٤.

(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٥.

(٤) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٦٧.

[٤٦] – قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

﴿ ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴾ أي الحرام والحلال عن الحسن، والجبائي[١].

[٤٧] ـ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾

وتأوله شيخنا أبو علي، رحمه الله، على أنهم كانوا يسألونه عليه السلام، فيقول قائلهم: ممن ولدت، ومَن ولدي إذا نسب إلى غير أبيه؟ فكان تعالى ربما أخبر نبيّه بحاله، فيسوءه ذلك. فأمرهم تعالى بالكفّ عن مثل هذا السؤال، وأن ينسبوا إلى من وُلدوا على فراشه[٢].

[٤٨] – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[٣]

وقيل في معنى ﴿ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ قولان: أحدهما: قال ابن عباس، وأبو موسى الأشعري، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وشريح، وإبراهيم، وابن سيرين، ومجاهد، وابن زيد واختاره أبو علي الجبائي، وهو قول أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام: أنهما من غير أهل ملتكم[٤].

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٧/ ٢٤٩.
(٢) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ١٧٠.
(٣) وردت هذه الآية تحت رقم ١٠٩(ج٤/ ٤٢) في كتاب التبيان والصحيح هو ١٠٦ في كتاب القرآن الكريم.
(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ٤٤.

[٤٩] – قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

لغة: قال أبو علي: تقديره من الذين استحق عليهم الأوليان بالميت وصيته التي أوصى بها إلى غير أهل دينه، والمفعول محذوف وحذف المفعول في نحو هذا كثير[١].

[٥٠] – قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[٢]

أ –... واختلفوا في نسخ حكم الآيتين المتقدمتين مع هذه على قولين: فقال ابن عباس، وإبراهيم، وأبو علي الجبائي: هي منسوخة الحكم[٣].

ب – ووجه قول من قال: هي منسوخة أن اليمين لا يجب اليوم على الشاهدين بالحقوق. وإنما كان قبل الأمر بإشهاد العدول في قوله ﴿ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ (الطلاق: ٢) فنسخت هذه الآية ودلت على أن شهادة الذمي لا تقبل إلاّ على الذمي إذا ارتفعا إلى حكام المسلمين، لأن الذمي ليس بعدل ولا ممن يرضى من الشهداء، وهو قول أبي علي الجبائي.

[٥١] – قوله تعالى: ﴿ ۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾[٤]

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٧/ ٢٥٩.

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ١١١ في كتاب التبيان (ج٤/ ٥١) والصحيح هو ١٠٨ في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ٥١.

(٤) وردت هذه الآية تحت رقم ١١٢ في كتاب التبيان (ج٤/ ٥٢) والصحيح هو ١٠٩ في القرآن الكريم.

وقول الرسل ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال:...ثانيها - عيبهم وباطنهم وذلك هو الذي يقع عليه الجزاء عن الحسن في رواية أخرى، واختاره الجبائي، وأنكر القول الأول وقال: كيف يجوز ذهولهم من هول القيامة مع قوله: لا خوف عليهم ولا يحزنون[١].

الثالث- قال الحسن في رواية أخرى، وأبو علي الجبائي: إن معناه لا علم لنا بباطن ما أجاب به أممنا أن ذلك هو الذي يقع عليه الجزاء[٢].

[٥٢] - قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

قال أبو علي: إذكر نعمتي عليك اذ أوحيت إلى الحواريين الذين هم أنصارك[٣].

[٥٣] - قوله تعالى: ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[٤]

أ - ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا ﴾ قيل في معناه قولان: إحدهما: نتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيدا نعظمه نحن ومن يأتي بعدنا، عن السدي، وقتادة، وابن جريح، وهو قول أبي علي الجبائي[٥].

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٧/ ٢٦١/ القول الأول الذي أنكره الجبائي هو: إن للقيامة أهوالاً حتى تزول القلوب من مواضعها. فإذا رجعت القلوب إلى مواضعها شهدوا لمن صدقهم على من كذبهم، يريد أنه عذبت عنهم إفهامهم من هول يوم القيامة. فقالوا لا علم لنا عن عطاء عن ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي والكلبي وهو اختيار الفراء.

(٢) الطوسي: التبيان ج٤/ ٥٣.

(٣) م. ن ج٤/ ٥٧-٥٨.

(٤) وردت هذه الآية تحت رقم ١١٧ في كتاب التبيان (ج٤/ ٦١) والصحيح هو ١١٤ في القرآن الكريم.

(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٧/ ٢٦٥.

ب - ﴿ وَٱرْزُقْنَا ﴾ قيل في معناه - قولان: أحدهما - واجعل ذلك رزقاً لنا، الثاني - وارزقنا الشكر عليها - ذكرهما الجبائي - وإنما يكون الشكر رزقاً منه لنا لأنه لطف فيه ووفق له وإعانة عليه، كما يكون المال رزقاً لنا إذا ملكنا إياه لا بخلقه له(١).

[٥٤] - قوله تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾(٢)

أ - قال الجبائي: وفي الآية دلالة على أنه تعالى أمات عيسى عليه السلام وتوفاه عندما رفعه، لأنه بيّن انه كان شهيداً عليهم، وتوفيه إياه بعد أن كان بينهم إنما كان عند رفعه إياه إلى السماء عندما أرادوا قتله(٣).

ب - ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ أي قبضتنى إليك وأمتني، عن الجبائي(٤).

ج - ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ... قال الجبائي: وهذه الآية دلالة على أنه سبحانه أمات عيسى وتوفاه ثم رفعه إليه لأنه بين أنه كان شهيداً عليهم ما دام فيهم، فلما توفاه الله كان هو الشهيد العليم(٥).

[٥٥] - قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾(٦)

ومن ذهب إلى أن قول الله ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾ إخبار عما مضى وأن الله قال ذلك عندما رفعه إليه، قال: إنما عنى عيسى إن تعذبهم

---

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٦٢/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٧/ ٢٦٥ (مع اختلاف يسير).

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ١٢٠ في كتاب التبيان (ج٤/ ٦٢) والصحيح هو ١١٧ في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ٦٩.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٧/ ٢٦٩.

(٥) م. ن م٣/ ج٧/ ٢٦٩. وهو شبيه بما ورد عند الطوسي، الفقرة "أ" هنا.

(٦) وردت هذه الآية تحت رقم ١٢١ في كتاب التبيان (ج٤/ ٧٠) والصحيح هو ١١٨ في القرآن الكريم.

بمقامهم على معصيتك فإنهم عبادك وان تغفر لهم بتوبة تكون منهم، لأن القوم كانوا في الدنيا لأن عيسى لم يشك في الآخرة أنهم مشركون. وقد انقطعت التوبة، وإنما قال ذلك في الدنيا وجعل قول الله تعالى ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ جواباً للرسل حين سألهم ماذا أجبتم ﴿ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ (المائدة: ١٠٩) فصدقهم الله في ذلك. ومثل ذلك قال عمرو بن عبيد، والجبائي، والزجاج، وكلهم شرطوا التوبة[١].

سورة الأنعام

[١] – قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾

﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ قيل فيه أقوال: ... ثانيها: أنه الأجل الذي يحيا به أهل الدنيا إلى أن يموتوا ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ يعني الآخرة، لأنه أجل دائم ممدود لا آخر له وإنما قال ﴿ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ في السماء وهو الموضع الذي لا يملك فيه الحكم على الخلق سواه، عن الجبائي، وهو قول سعيد بن جبير، ومجاهد[٢].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لو نزل على نبيه كتاباً يعني صحيفة مكتوبة في قرطاس حتى يلمسوه بأيديهم ويدركوه بحواسهم، لأنهم سألوا النبي (صلى الله عليه وآله) أن يأتيهم بكتاب يقرؤونه من الله تعالى فلان ابن فلان أن آمن بمحمد، وأنه لو أجابهم إلى ذلك لما آمنوا، ونسبوه إلى السحر لعظم عنادهم وقساوة قلوبهم وعزمهم على أن لا يؤمنون على كل حال. وعرفه أن التماسهم

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٧١/ عرضت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٣/ ج٧/ ٢٧٣.

هذه الآيات ضرب من العنت ومتى فعلوا ذلك أصطلمهم واستأصلهم، وليس تقتضى المصلحة ذلك، لما علم في بقائهم من مصلحة للمؤمنين، وعلمه بمن يخرج من أصلابهم من المؤمنين وأن فيهم من يؤمن فيما بعد، فلا يجوز احترام من هذه صفته - عند أبي علي، والبلخي[١].

[٣] - قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾

وزعم (أي الجبّائي) أنه لا يجوز أن يوصف الباري بأنه فوق عباده على الحقيقة. فإن وجدنا ذلك في صفات الله تعالى فهو مجاز، وقد قال الله سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ ﴾. وأراد به القادر المستولي على العباد. فجعل قوله: ﴿ فَوْقَ ﴾ بدلاً من قوله: "مستعل"[٢].

[٤] - قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

أ - وقال الجبائي: قولهم ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ إخبار منهم أنهم لم يكونوا مشركين عند أنفسهم في دار الدنيا، لأنهم كانوا يظنون أنهم على الحق، فقال الله تعالى مكذبا لهم ﴿ ٱنظُرْ ﴾ يا محمد ﴿ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ ﴾ في دار الدنيا، لا أنهم كذبوا في الآخرة، لأنهم كانوا مشركين على الحقيقة، وان اعتقدوا أنهم على الحق[٣].

ب - فصل: فيما نذكره من الجزء السادس من (تفسير الجبّائي) من الوجهة الثانية، من القائمة التاسعة وبعضه من العاشرة، بمعناه لأجل طول لفظه، من تفسير قوله جلّ جلاله: ﴿ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾. فذكر أبو علي

---

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٨٢.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ٢/ ١٩١. وأيضاً بدوي: مذاهب الإسلاميين، ص ٣١٥ و٣١٦.

(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٠٠/ الطبرسي: مجمع البيان م٣/ج٧/ ٢٨٥(تفسير الآية: كيف كذبوا على أنفسهم). وأيضاً ابن طاووس: سعد السعود ص ٢٦٨ و٢٦٩ (الفقرة ب)، وأيضاً الرازي: التفسير الكبير ج ١٢ / ١٥١ (الفقرة ث).

الجبّائي ما معناه:

إنَ الكفّار مضطرّون يوم القيامة إلى الصدق، ولا يقع منهم كذبٌ ولا قبيحٌ ؛ لأنّ المعارف تكون ضروريّة، والتكليف مرتفع.

وقال أيضاً فيه ما لفظه: أنّما عنوا: ما كنّا مشركين عند أنفسنا في الدنيا، وإنّهم في هذا القول صادقون إذ كان لا يجوز أن يكونوا فيها كاذبين في الآخرة[1].

ث - اعلم أن هناك مسائل:... المسألة الثالثة: ظاهر الآية يقتضي: أنهم حلفوا في القيامة على أنهم ما كانوا مشركين، وهذا يقتضي إقدامهم على الكذب يوم القيامة، وللناس فيه قولان: الأول: وهو قول أبي علي الجبائي، والقاضي: أن أهل القيامة لا يجوز إقدامهم على الكذب واحتجا عليه بوجوه: الأول: أن أهل القيامة يعرفون الله تعالى بالاضطرار، إذ لو عرفوه بالاستدلال لصار موقف القيامة دار التكليف، وذلك باطل، وإذا كانوا عارفين بالله على سبيل الاضطرار، وجب أن يكونوا ملجئين إلى أن لا يفعلوا القبيح بمعنى أنهم يعلمون أنهم لو راموا فعل القبيح لمنعهم الله منه لأن مع زوال التكليف لو لم يحصل هذا المعنى لكان ذلك إطلاقهم في فعل القبيح، وأنه لا يجوز، فثبت أن أهل القيامة يعلمون الله بالاضطرار، وثبت أنه متى كان كذلك كانوا ملجئين إلى ترك القبيح، وذلك يقتضي أنه لا يقدم أحد من أهل القيامة على فعل القبيح. فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال: أنه لا يجوز منهم فعل القبيح، إذ كانوا عقلاء إلاّ أنا نقول: لم لا يجوز أن يقال: إنه وقع منهم هذا الكذب لأنهم لما عاينوا أهوال القيامة اضطربت عقولهم، فقالوا: هذا القول الكذب عند اختلال عقولهم، أو يقال: إنهم نسوا كونهم مشركين في الدنيا. ....

الحجة الثانية: أن القوم الذين أقدموا على ذلك الكذب إما أن يقال: إنهم ما كانوا عقلاء أو كانوا عقلاء، فإن قلنا إنهم ما كانوا عقلاء فهذا باطل لأنه لا يليق بحكمة الله تعالى أن يحكي كلام المجانين في معرض تمهيد العذر، وإن قلنا

---

(١) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٦٨ و٢٦٩. والجدير ذكره، أن فخر الدين الرازي ذكر ما يشبه ما أورده ابن طاووس عن الجبّائي حول هذه المسألة، المجلد السادس، ج١٢/ ١٥١. وكلام الرازي معروض في الفقرة (ث) هنا.

إنهم كانوا عقلاء فهم يعلمون أن الله تعالى عالم بأحوالهم، مطلع على أفعالهم ويعلمون أن تجويز الكذب على الله محال، وأنهم لا يستفيدون بذلك الكذب إلا زيادة المقت والغضب وإذا كان الأمر كذلك امتنع إقدامهم في مثل هذه الحالة على الكذب.

الحجة الثالثة: أنهم لو كذبوا في موقف القيامة ثم حلفوا على ذلك الكذب لكانوا قد أقدموا على هذين النوعين من القبح والذنب وذلك يوجب العقاب، فتصير الدار الآخرة دار التكليف، وقد أجمعوا على أنه ليس الأمر كذلك، وأما إن قيل: إنهم لا يستحقون على ذلك الكذب، وعلى ذلك الحلف الكاذب عقابا وذما، فهذا يقتضي حصول الاذن من الله تعالى في ارتكاب القبائح والذنوب، وأنه باطل، فثبت بهذه الوجوه أنه لا يجوز إقدام أهل القيامة على القبيح والكذب.

وإذا ثبت هذا: فعند ذلك قالوا يحمل قوله ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ أي ما كنا مشركين في اعتقادنا وظنوننا، وذلك لأن القوم كانوا يعتقدون في أنفسهم أنهم كانوا موحدين متباعدين من الشرك.

فإن قيل: فعلى هذا التقدير: يكونون صادقين فيما أخبروا عنه لأنهم أخبروا بأنهم كانوا غير مشركين عد أنفسهم، فلماذا قال الله تعالى ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ ولنا أنه ليس تحت قوله ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أنهم كذبوا فيما تقدم ذكره من قوله ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ حتى يلزمنا هذا السؤال بل يجوز أن يكون المراد انظر كيف كذبوا على أنفسهم في دار الدنيا في أمور كانوا يخبرون عنها كقولهم: إنهم على صواب وإن ما هم عليه ليس بشرك والكذب يصح عليهم في دار الدنيا، وإنما ينفى ذلك عنهم في الآخرة، والحاصل أن المقصود من قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ اختلاف الحالين، وأنهم في دار الدنيا كانوا يكذبون ولا يحترزون عنه وأنهم في الآخرة يحترزون عن الكذب ولكن حيث لا ينفعهم الصدق فلتعلق أحد الأمرين بالآخر أظهر الله تعالى للرسول ذلك وبين أن القوم لأجل شركهم كيف يكون حالهم في الآخرة عند الاعتذار مع أنهم كانوا في دار الدنيا يكذبون على أنفسهم ويزعمون أنهم على صواب. هذا جملة كلام القاضي في تقرير القول الذي

اختاره أبو علي الجبائي[١].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

أ – وقوله ﴿ وَهُمْ ﴾ كناية عن الكفار الذين تقدم ذكرهم عند أكثر المفسرين: **الجبائي**، والبلخي، وغيرهم[٢].

ب – وقيل: معناه ينهون الناس عن استماع القرآن لئلا يقع في قلوبهم صحته ويباعدونهم عن استماعه، عن قتادة، واختاره **الجبائي**[٣].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

أ – قرأ حمزة ويعقوب وحفص "**ولا نكذب.. وتكون**" بالنصب فيهما، وافقهم ابن عامر في "ونكون" الباقون بالرفع فيهما، فمن قرأ بالرفع احتملت قراءته أمرين: أحدهما – أن يكون معطوفا على نرد، فيكون قوله: "**نرد ولا نكذب.. ونكون**" داخلا في التمني ويكون قد تمني الرد وألا يكذب وأن يكون من المؤمنين، وهو اختيار البلخي، **والجبائي**، والزجاج[٤].

ب – فإن قيل: كيف يجوز أن يتمنوا الرد إلى الدنيا وقد علموا عند ذلك أنهم لا يردون؟ قيل عن ذلك أجوبة:... وقال **أبو علي الجبائي**، والزجاج: يجوز أن يقع منهم التمني للرد، ولأن يكونوا من المؤمنين، ولا مانع منه[٥].

[٧] – قوله تعالى: ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج١٢/ ١٥١-١٥٢ علماً أن مكان النقاط المتتالية هو ردّ للرازي على كلام القاضي والجبائي.

(٢) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٠٦.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٧/ ٢٨٧.

(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٠٨/ عرضت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي.

(٥) م. ن ج٤/ ١٠٨-١٠٩.

قال الجبّائي: لو كان الرد مقدوراً منهم، لكان عَوْدٌ مقدور[١].

[٨] – قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ قيل: معناه فلا يجزع في المواطن الصبر فيقارب حالك حال الجاهلين بأن تسلك سبيلهم، عن الجبائي[٢].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

في الكتاب قولان:... الثاني – ما فرطنا في القرآن من شيء يحتاج إليه في أمور الدين والدنيا إلاّ وقد بيّناه إما مجملاً أو مفصلاً، فما هو صريح يفيد لفظا، وما هو مجمل بينه على لسان نبيّه وأمر بإتباعه في قوله ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾[٣] ودل بالقرآن على صدق نبوته ووجوب أتباعه، فإذا لا يبقى أمر من أمور الدين والدنيا إلاّ وهو في القرآن – وهذا الوجه اختاره الجبائي[٤].

[١٠] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾

الجواب عن هذا من وجوه[٥]: الوجه الأول: قال الجبائي: معناه أنه تعالى يجعلهم صماً وبكماً يوم القيامة عند الحشر. ويكونون كذلك في الحقيقة بأن يجعلهم في الآخرة صماً وبكماً في الظلمات، ويضلهم بذلك عن الجنة وعن

---

(١) الأشعري: مقالات الاسلاميين، ١/ ٢٥٤. بدوي: مذاهب الاسلاميين، ص ٢٩٢.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٧/ ٢٩٦.

(٣) سورة الحشر آية ٧.

(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٢٨-١٢٩.

(٥) أي أن الضلال والهدى ليسا من الله تعالى.

طريقها ويصيرهم إلى النار، وأكد القاضي هذا القول[١]... والوجه الثاني: قال الجبائي أيضا: ويحتمل أنهم كذلك في الدنيا، فيكون توسعاً من حيث جعلوا بتكذيبهم بآيات الله تعالى في الظلمات لا يهتدون إلى منافع الدين، كالصم والبكم الذين لا يهتدون إلى منافع الدنيا. فشبههم من هذا الوجه بهم، وأجرى عليهم مثل صفاتهم على سبيل التشبيه[٢].

[١١] – قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾

وقال الجبائي: معنى ﴿ مُّبْلِسُونَ ﴾ آيسون[٣].

[١٢] – قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾

أ – ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ أي هل يستوي العارف بالله تعالى وبدينه العالم به مع الجاهل به وبدينه، فجعل الأعمى مثلا للجاهل والبصير مثلا للعارف بالله ونبيه، هذا قول الحسن، والجبائي[٤].

ب – ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ واستدل الجبائي، والبلخي، وغيرهما بهذه الآية على أن الملائكة أفضل من الأنبياء، لأنه قال ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ فلولا إن الملائكة أفضل وأعلى منزلة ما جاز ذلك[٥].

ت – قال الجبائي: الآية دالة على أن الملك أفضل من الأنبياء، لأن معنى الكلام لا أدعي منزلة فوق منزلتي، ولولا أن الملك أفضل وإلاّ لم يصح ذلك[٦].

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج١٢/ ١٨٢.
(٢) م. ن ج١٢/ ١٨٢.
(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٣٧.
(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٤٢ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٧/ ٣٠٤.
(٥) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٤٢. وأيضاً الرازي: التفسير الكبير ج١٢/ ١٩١.
(٦) الرازي: التفسير الكبير ج١٢/ ١٩١. وأيضاً الطوسي: التبيان ج٤/ ١٤٢.

ث - ﴿ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ وقيل: خزائن الله مقدوراته، عن الجبائي[١].

[١٣] – قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١) ﴾

أ - وقال الجبائي: أمر الله أن يخوف بالعقاب من هو خائف، لأنه لما أعلمهم إن الله يعذبهم بكفرهم إذا حشروا، كانوا يخافون الحشر لكونهم شاكين فيما أخبرهم به النبي (صلى الله عليه وآله) من الحشر والعذاب. وكانوا يخافون ذلك لشكهم فيه، وان كانوا غير مؤمنين[٢].

ب - وقوله: ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ قال الجبائي: راجعة إلى العذاب[٣].

[١٤] – قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ (٥٣) ﴾

أ - وقال الجبائي: معنى قوله ﴿ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ أي شددنا التكليف على أشراف العرب وكبرائهم بأن أمرناهم بالإيمان برسول الله وبتقديم هؤلاء الضعفاء على نفوسهم لتقدمهم إياهم في الإيمان، وكونهم أفضل عند الله. وهذا أمر كان شاقاً عليهم، فلذلك سماه الله فتنة[٤].

ب - أجاب الجبائي عنه، بأن الفتنة في التكليف من يوجب التشديد، وإنما فعلنا ذلك ليقولوا أهؤلاء؟ أي ليقول بعضهم لبعض استفهاماً لا إنكاراً ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ بالإيمان[٥]؟

[١٥] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٤) ﴾

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٧/ ٣٠٤.
(٢) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٤٣.
(٣) م. ن ج٤/ ١٤٣.
(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٤٦. وأيضاً الرازي: التفسير الكبير ج١٢/ ١٩٧.
(٥) الرازي: التفسير الكبير ج١٢/ ١٨٢. وأيضاً الطوسي: التبيان ج٤/ ١٤٦.

﴿ فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ ذكر فيه وجوه:... وثانيها: أن الله تعالى أمر نبيّه ﷺ أن يسلم عليهم تكرمة لهم، عن الجبائي[1].

[١٦] – قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾

إِنِّي ﴿ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ ... وقيل: على حجة من معجزة دالة على نبوتي وهي القرآن الكريم، عن الجبائي[2].

[١٧] – قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

أ – ﴿ يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما – قال الجبائي: يقبضكم بالنوم كما يقبضكم بالموت كقوله ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ ﴾ (الزمر: ٤٢) عن الزجاج، والجبائي[3].

ب – ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ أي ينبهكم من نومكم في النهار، عن الزجاج، والجبائي جعل انتباههم من النوم بعثا[4].

[١٨] – قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

قوله: تَوَفَّتْهُ ﴿ رُسُلُنَا ﴾ ... وقال الجبائي: لا يأخذون روحه قبل أجله ويبادرون إلى ما أمروا به عن غير تقصير، ولا تفريط[5].

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٧/ ٣٠٨.
(٢) م. ن م٤/ ج٧/ ٣١٠.
(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٥٦/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٧/ ٣١٢.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٧/ ٣١٢.
(٥) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٥٩.

[١٩] – قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾

احتج الجبائي بهذه الآية على حدوث كلام الله تعالى. قال: لو كان كلامه قديماً لوجب أن يكون متكلماً بالمحاسبة الآن وقبل خلقه، وذلك محال لأن المحاسبة تقتضي حكاية عمل تقدم[١].

[٢٠] – قوله تعالى: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ ﴾

أ – ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ ﴾ أي بما صرف من الآيات التي ذكرها في الآية الأولى – في قول البلخي، والجبائي –[٢].

ب – ﴿ لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ أي لم أؤمر بمنعكم من التكذيب بآيات الله وان أحفظكم من ذلك وأحول بينكم وبينه، لأن الوكيل على الشيء هو القائم بحفظه والذي يدفع الضرر عنه عن الجبائي[٣].

[٢١] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

أ – ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ أي بعد ذكرك نهينا وما يجب عليك من الأعراض، عن الجبائي[٤].

ب – ﴿ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قال الجبائي: وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول الإمامية في جواز التقية على الأنبياء والأئمة، وأن النسيان لا يجوز على الأنبياء[٥].

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج١٣/ ١٦.
(٢) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٦٣/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٧/ ٣١٦.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٧/ ٣١٦.
(٤) م. ن م٤/ ج٧/ ٣١٧.
(٥) م. ن م٤/ ج٧/ ٣١٧.

[٢٢] – قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

قال الجبائي، والزجاج وأكثر المفسرين: إن المراد ليس على المتقين من حساب الكافرين وما يخوض فيه المشركون، ولا من مكروه عاقبته شيء ﴿ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ ﴾ أي نهوا عن مجالستهم ليزدادوا تقى وأمروا إن يذكروهم وينبهوهم على خطأهم لكي يتقي المشركون إذا رأوا أعراض هؤلاء المؤمنين عنهم، وتركهم مجالستهم فلا يعودون لذلك[١].

[٢٣] – قوله تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ لكي لا تسلم نفس للهلكة بما كسبت أي بما عملت عن الحسن، ومجاهد، والسدي، واختاره الجبائي، والفراء[٢].

[٢٤] – قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[٣]

أ – وفي معنى 'بالحق' قولان: أحدهما – قال الحسن، والبلخي، والجبائي، والزجاج، والطبري: إن معناه خلقهما للحق لا للباطل. ومعناه خلقهما حقا وصواباً لا باطلاً وخطأ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ﴾[٤] وأدخلت الباء والألف واللام كما أدخلت في نظائرها يقولون:

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٦٦.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٧/ ٣١٨.
(٣) وردت هذه الآية في كتاب التبيان (ج٤/ ١٧١) تحت رقم ٧٢ والصحيح هو رقم ٧٣ في القرآن الكريم.
(٤) سورة ص آية ٢٧.

فلان يقول بالحق، بمعنى أنه يقول الحق، لا أن الحق معنى غير القول بل التقدير إن خلق الله السموات والأرض حكمة وصواب من حكم الله، وهو موصوف بالحكمة في خلقهما وخلق ما سواهما من جميع خلقه لا أن هناك حقاً سوى خلقهما خلقهما به، وذلك يدل على بطلان ما يقوله المجبرة: إن هذا كله باطل وسفه، وما يخالف الحكمة هو من فعل الله، تعالى الله عن ذلك[١].

ب - وفي معنى "الصُّور" قولان: أحدهما - ما عليه أكثر المفسرين من أنه اسم لقرن ينفخ فيه الملك فيكون منه الصوت الذي يصعق له أهل السموات وأهل الأرض، ثم ينفخ فيه نفخة أخرى للنشور، وهو الذي اختاره البلخي، **والجبائي**، والزجاج، والطبري، وأكثر المفسرين[٢].

[٢٥] - قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٧٤ ﴾

واختلفوا في معنى (آزر) هل هو اسم أو صفة؟ فقال السدي، ومحمد بن إسحاق، وسعيد بن عبد العزيز، **والجبائي**، والبلخي: انه اسم أبي إبراهيم، وهو تارخ كما قيل ليعقوب: إسرائيل، قالوا: ويجوز أن يكون لقباً غلب عليه[٣].

[٢٦] - قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥ ﴾

وقيل في معنى الملكوت أقوال: قال الزجاج، والفراء، والبلخي، **والجبائي**، والطبري، وهو قول عكرمة: إن الملكوت بمنزلة الملك غير أن هذه اللفظة ابلغ من الملك، لأن الواو والتاء يزادان للمبالغة. ومثل الملكوت الرغبوت والرهبوت ووزنه (فعلوت) وفى المثل (رهبوت خير من رغبوت) ومن روى (رهبوتي خير من رحموتي) معناه أن يكون له هيبة يرهب بها خير من أن يرحم[٤].

[٢٧] - قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ

---

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٧١-١٧٢.

(٢) م. ن ج٤/ ١٧٢-١٧٣.

(٣) م. ن ج٤/ ١٧٦.

(٤) م. ن ج٤/ ١٧٦-١٧٧.

أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

وقيل في معنى هذه الآية وجوه أربعة: الوجه الأول - ما قاله **الجبائي**: إن ما حكى الله عن إبراهيم في هذه الآية كان قبل بلوغه، وقبل كمال عقله ولزوم التكليف له، غير انه لمقاربته كمال العقل خطرت له الخواطر وحركته الشبهات والدواعي على الفكر فيما يشاهده من هذه الحوادث، فلما رأى الكوكب - وقيل: إنه الزهرة - وبأن نوره مع تنبيهه بالخواطر على الفكر فيه وفي غيره ظن أنه ربه، وأنه هو المحدث لما شاهده من الأجسام وغيرها ﴿ **فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ** ﴾ لأنه صار منتقلا من حال إلى حال وذلك مناف لصفات القديم ﴿ **فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا** ﴾ عند طلوعه رأى كبره وإشراق ما انبسط من نوره في الدنيا ﴿ **قَالَ هَـٰذَا رَبِّى** ﴾ فلما راعاه وجده يزول ويأفل، فصار عنده بحكم الكوكب الذي لا يجوز أن يكون بصفة الإله، لتغيره وانتقاله من حال إلى حال، ﴿ **فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً** ﴾ أي طالعة قد ملأت الدنيا نورا ورأى عظمها وكبرها ﴿ **قَالَ هَـٰذَا رَبِّى هَـٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ** ﴾ وزالت وغابت، فكانت شبيهة بالكوكب والقمر قال حينئذ لقومه ﴿ **إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾ فلما أكمل الله عقله ضبط بفكره النظر في حدوث الأجسام بأن وجودها غير منفكة من المعاني المحدثة، وأنه لا بد لها من محدث، قال حينئذ لقومه ﴿ **إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ** ﴾ ... إلى آخرها[1].

[٢٨] - قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

أ - تحتمل هذه الآية أن تكون إخبارا عن الله تعالى دون الحكاية عن إبراهيم بأنه قال تعالى: إن من عرف الله تعالى وصدق به وبما أوجب عليه ولم يخلط ذلك بظلم، فإن له الأمن من الله بحصول الثواب والأمان من العقاب وهو المحكوم له بالاهتداء - وهو قول ابن إسحاق، وابن زيد، والطبري، **والجبائي**،

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٨٢.

وابن جريج - والظلم المذكور في الآية هو الشرك عند أكثر المفسرين، وقال الجبائي، والبلخي وأكثر المعتزلة: انه يدخل فيه كل كبيرة تحبط ثواب الطاعة[١].

ب - ﴿ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ قال الجبائي والبلخي: يدخل في الظلم كل كبيرة تحبط ثواب الطاعة[٢].

ت - ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ واختلف في هذه الآية ... وقيل: أن هذا القول من الله تعالى جهة فصل القضاء بذلك بين إبراهيم عليه السلام وقومه، عن محمد بن إسحاق، وابن زيد، والجبائي[٣].

[٢٩] - قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

أ - ﴿ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ ﴾ وقيل: في معناه بنيل الثواب والكرامات، عن الجبائي[٤].

ب - قوله ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾ [٥] قال أبو علي الجبائي: الهاء لا يجوز أن تكون كناية عن إبراهيم، لأن فيمن عدد من الأنبياء لوطاً وهو كان ابن أخته، وقيل: ابن أخيه، ولم يكن من ذريته[٦].

ت - ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فبيّن أن ذلك جزاء ولا يليق إلاّ

---

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٩٠.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٧/ ٣٢٧.

(٣) م. ن م٤/ ج٧/ ٣٢٨.

(٤) م. ن م٤/ ج٧/ ٣٣٠.

(٥) تعددت الأقوال في "الهاء" إلى من ترجع، قيل: الهاء راجعة إلى نوح لأن الأنبياء المذكورين كلهم من ذريته. قال الزجاج: ويجوز أن يكون من ذريته إبراهيم لأن ذكرهما جميعا قد جرى، وأسماء الأنبياء التي جاءت بعد قوله "ونوحا هدينا من قبل" نسق على (نوح) نصب كلها، ولو رفعت على الابتداء كان صوابا. راجع الطوسي: التبيان ج٤/ ١٩٤.

(٦) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٩٤.

بالثواب الذي يختص به المحسنون دون الهداية التي هي الدلالة ويشترك فيها المؤمن والكافر، وهو قول أبي علي الجبائي، والبلخي[١].

[٣٠] – قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

وقيل في المعنيين بقوله ﴿ لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها – انه عنى بذلك الأنبياء الذين جرى ذكرهم آمنوا بما أتى به النبي (صلى الله عليه وآله) في وقت مبعثهم وهو قول الحسن، والزجاج، والطبري، والجبائي[٢].

[٣١] – قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

فعلى ما اخترنا يكون قوله ﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ متوجهاً إلى اليهود والنصارى، لأنهم المقرون بذلك دون قريش ومشركي السرب، ويجوز أن يكون متناولاً للمشركين أيضاً، ويكون على وجه الاحتجاج عليهم، والتنبيه لهم على ما ظهر من معجزات موسى وظهور نبوته، وهذا الذي اخترناه قول مجاهد، واختاره الطبري، والجبائي[٣].

[٣٢] – قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ

---

(١) م. ن ج٤/ ١٩٥.

(٢) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٩٥/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٧/ ٣٣١ (مع اختلاف يسير).

(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٩٩–٢٠٠.

ءَايَـٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

وان قوله ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ ﴾ نزلت في عبدا لله بن سعد بن أبي سرح، فإنه كان يكتب الوحي للنبي (صلى الله عليه وآله) وكان إذا قال له: اكتب عليماً حكيماً، كتب غفوراً رحيماً. وإذا قال: اكتب غفوراً رحيماً، كتب حكيماً، وارتد ولحق بمكة. وقال: إني انزل مثل ما أنزل الله، ذهب إليه عكرمة، وابن عباس، ومجاهد، والسدي، والجبائي والفراء، والزجاج، وغيرهم[1].

[٣٣] – قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَـٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَـٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

أ – ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ وقال الجبائي: معناه جئتم فرادى واحدا واحدا[2]، أي وحدانا لامال لكم ولاخول ولا ولد ولا حشم، عن الجبائي[3].

ب – ﴿ كَمَا خَلَقۡنَـٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾ أي بلا ناصر ولامعين كما خلقكم في بطون أمهاتكم، ولا أحد معكم[4].

[٣٤] – قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾

أ – ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ﴾ وقال قوم: أراد بإخراج الحي من الميت إخراج السنبل وهي حي من الحب وهو ميت، ومخرج الحب الميت من السنبل الحي، والشجر الحي من النوى الميت، والنوى الميت من الشجر الحي. والعرب تسمي الشجر ما دام غضاً قائماً بأنه حي، فإذا يبس أو

---

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٠٢.

(٢) م. ن ج٤/ ٢٠٤-٢٠٧.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٧/ ٣٣٧.

(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٠٤-٢٠٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٧/ ٣٣٧ (مع اختلاف يسير).

قطع من أصله أو قلع سموه ميتاً، ذهب إليه السدي، والطبري، **والجبائي**[١].

ب - ... وقيل: في معناه يخرج الطير من البيض من الطير، عن **الجبائي**[٢].

[٣٥] - قوله تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾

وقوله ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ﴾ واختلفوا في معناه، فقال ابن عباس، والسدي، والربيع، وقتادة، ومجاهد، **والجبائي**: أنهما يجريان في أفلاكهما بحساب، تقطع الشمس الفلك في سنة ويقطعه القمر في شهر قدره الله تعالى به، فهو قوله ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ ﴾[٣] وقوله: ﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٤][٥].

[٣٦] - قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

أ - وقوله ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ ... قال **الجبائي**: دانية أي متدانية في حلوق النخل متكور بها[٦].

ب - ﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ﴾ ... وقال **الجبائي**: مشتبهاً ما كان من جنس واحد، وغير متشابه إذا اختلف جنسه[٧]. والمعنى

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٠٩.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٧/ ٣٣٨.
(٣) سورة الرحمن آية ٥.
(٤) سورة يس آية ٤٠.
(٥) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢١١.
(٦) م. ن ج٤/ ٢١٧.
(٧) م. ن ج٤/ ٢١٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٧/ ٣٤١.

وشجر الرمان والزيتون، فاكتفى بذكر ثمره عن ذكر شجره، كما قال "واسأل القرية" فاكتفى بذكر القرية عن ذكر أهلها لدلالة الحال عليه[١].

ت - وفي الآية مسائل: المسألة الأولى: ظاهر قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ يقتضي نزول المطر من السماء، وعند هذا اختلف الناس، فقال **أبو علي الجبائي** في «تفسيره»: إنه تعالى ينزل الماء من السماء إلى السحاب، ومن السحاب إلى الأرض. قال: لأن ظاهر النص يقتضي نزول المطر من السماء، والعدول عن الظاهر إلى التأويل، إنما يحتاج إليه عند قيام الدليل على أن إجراء اللفظ على ظاهره غير ممكن، وفي هذا الموضع لم يقم دليل على امتناع نزول المطر من السماء، فوجب إجراء اللفظ على ظاهره.

وأما قول من يقول: إن البخارات الكثيرة تجتمع في باطن الأرض. ثم تصعد وترتفع إلى الهواء، فينعقد الغيم منها ويتقاطر، وذلك هو المطر، فقد احتج **الجبائي** على فساده من وجوه: الأول: أن البرد قد يوجد في وقت الحر، بل في صميم الصيف، ونجد المطر في أبرد وقت ينزل غير جامد، وذلك يبطل قولهم.

ولقائل أن يقول: إن القوم يجيبون عنه فيقولون: لا شك أن البخار أجزاء مائية وطبيعتها البرد، ففي وقت الصيف يستولي الحر على ظاهر السحاب، فيهرب البرد إلى باطنه، فيقوى البرد هناك بسبب الاجتماع، فيحدث البرد، وأما في وقت برد الهواء يستولي البرد على ظاهر السحاب، فلا يقوى البرد في باطنه، فلا جرم لا ينعقد جمدا بل ينزل ماء، هذا ما قالوه. ويمكن أن يجاب عنه بأن الطبقة العالية من الهواء باردة جدا عندكم، فإذا كان اليوم يوماً بارداً شديد البرد في صميم الشتاء، فتلك الطبقة باردة جدا، والهواء المحيط بالأرض أيضا بارد جدا، فوجب أن يشتد البرد، وأن لا يحدث المطر في الشتاء البتة، وحيث شاهدنا أنه قد يحدث فسد قولكم، والله أعلم.

الحجة الثانية: مما ذكره **الجبائي** أنه قال: إن البخارات إذا ارتفعت وتصاعدت تفرقت وإذا تفرقت لم يتولد منها قطرات الماء، بل البخار إنما يجتمع إذا اتصل بسقف متصل أملس كسقوف الحمامات المزججة. أما إذا لم يكن

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢١٧.

كذلك لم يسل منه ماء كثير، فإذا تصاعدت البخارات في الهواء، وليس فوقها سطح أملس متصل به تلك البخارات، وجب أن لا يحصل منها شيء من الماء. ولقائل أن يقول: القوم يجيبون عنه: بأن هذه البخارات إذا تصاعدت وتفرقت، فإذا وصلت عند صعودها وتفرقها إلى الطبقة الباردة من الهواء بردت، والبرد يوجب الثقل والنزول، فبسبب قوة ذلك البرد عادت من الصعود إلى النزول، والعالم كروي الشكل، فلما رجعت من الصعود إلى النزول، فقد رجعت من فضاء المحيط إلى ضيق المركز، فتلك الذرات بهذا السبب تلاصقت وتواصلت، فحصل من اتصال بعض تلك الذرات بعض قطرات الأمطار.

الحجة الثالثة: ما ذكره الجبائي قال: لو كان تولد المطر من صعود البخارات، فالبخارات دائمة الارتفاع من البحار، فوجب أن يدوم هناك نزول المطر، وحيث لم يكن الأمر كذلك، علمنا فساد قولهم. قال: فثبت بهذه الوجوه، أنه ليس تولد المطر من بخار الأرض، ثم قال: والقوم إنما احتاجوا إلى هذا القول، لأنهم اعتقدوا أن الأجسام قديمة، وإذا كانت قديمة امتنع دخول الزيادة والنقصان فيها، وحينئذ لا معنى لحدوث الحوادث إلاّ اتصاف تلك الذرات بصفة بعد أن كانت موصوفة بصفات أخرى، فلهذا السبب احتالوا في تكوين كل شيء عن مادة معينة، وأما المسلمون. فلما اعتقدوا أن الأجسام محدثة، وأن خالق العالم فاعل مختار قادر على خلق الأجسام كيف شاء وأراد، فعند هذا لا حاجة إلى استخراج هذه التكلفات، فثبت أن ظاهر القرآن يدل في هذه الآية على أن الماء إنما ينزل من السماء، ولا دليل على امتناع هذا الظاهر، فوجب القول بحمله على ظاهره، ومما يؤكد ما قلناه: أن جميع الآيات ناطقة بنزول المطر من السماء. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ (الفرقان: ٤٨) وقال: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ (الأنفال: ١١) وقال: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ (النور: ٤٣) فثبت أن الحق، أنه تعالى ينزل المطر من السماء بمعنى أنه يخلق هذه الأجسام في السماء. ثم ينزلها إلى السحاب. ثم من السحاب إلى الأرض[1].

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج١٣/ ٨٦-٨٧.

[٣٧] – قوله تعالى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾

وقال الشعبي: قالت عائشة: من قال إن أحدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله، وقرأت الآية، وهو قول السدي وجماعة أهل العدل من المفسرين كالحسن، والبلخي، والجبائي، والرماني، وغيرهم[١].

[٣٨] – قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

﴿ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ ﴾ وفيه مباحث... البحث الرابع:..... وأما المعتزلة فقد تحيروا. قال الجبائي والقاضي: وليس فيه إلاّ أحد وجهين: الأول: أن يحمل هذا الإثبات على النفي، والتقدير: وكذلك نصرف الآيات لئلا يقولوا درست. ونظيره قوله تعالى: ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ ﴾ (النساء: ١٧٦) ومعناه: لئلا تضلوا. والثاني: أن تحمل هذه اللام على لام العاقبة. والتقدير: أن عاقبة أمرهم عند تصريفنا هذه الآيات أن يقولوا هذا القول مستندين إلى اختيارهم، عادلين عما يلزم من النظر في هذه الدلائل. هذا غاية كلام القوم في هذا الباب[٢].

[٣٩] – قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

وإنما أعاد قول ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ ﴾ لأن المعنى أدعوهم إلى انه لا إله إلاّ هو، فعلى هذا ليس بتكرار، هذا قول الحسن. وقال الجبائي: لأنه بمعنى الزمه وحده[٣].

[٤٠] – قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٢٦.
(٢) الرازي: التفسير الكبير ج١٣/ ١١١-١١٢.
(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٣٠.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ ﴾ . ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ ﴾[1]. ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾[2] فقد تأوله شيخنا أبو علي رحمه الله على أن المراد به: لو شاء أن يحول بينهم وبين التكليف والتمكين لما فعلوا ذلك، وجوَّز أن يراد به: ولو شاء أن يلجئهم إلى ترك ما ذكروه في الآية لما فعلوه[3].

[٤١] – قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

وقوله ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ ... قال الحسن، والجبائي، والطبري، والرماني: أنا كما أمرناكم بحسن الدعاء إلى الله تعالى وتزيين الحق في قلوب المدعوين، كذلك زينا للأمم المتقدمين أعمالهم التي أمرناهم بها ودعوناهم إليها بأن رغبناهم في الثواب، وحذرناهم من العقاب ويسمى ما يجب على الإنسان أن يعمله بأنه عمله كما يقول القائل لولده أو غلامه: اعمل عملك يريد به ما ينبغي له أن يفعله، لأن ما وجد وتقضى لا يصح الأمر بأن يفعله[4].

[٤٢] – قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

قال الجبّائي، والقاضي: هذه الآية تدل على أحكام كثيرة متعلّقة بنصرة الاعتزال:

الحكم الأول: أنها تدل على أنه لو كان في المعلوم لطف يؤمنون عنده لفعله لا محالة. إذ لو جاز ان لا يفعله لم يكن لهذا الجواب فائدة، لأنه إذا كان تعالى لا يجيبهم إلى مطلوبهم سواء آمنوا أو لم يؤمنوا لم يكن تعليق ترك الإجابة بأنهم لم يؤمنون عنده منتظماً مستقيماً، فهذه الآية تدل على أنه تعالى يجب عليه

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٣.

(٢) سورة الأنعام ١١٢.

(٣) القاضي عبد الجبار: المغني..، ج٦ كتاب الإرادة، ص ٣١٩.

(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٣٣/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٧/ ٣٤٧ (مع اختلاف يسير).

أن يفعل كل ما هو في مقدوره من الألطاف والحكمة.

الحكم الثاني: أن هذا الكلام إنما يستقيم لو كان لإظهار هذه المعجزات أثر في حملهم على الإيمان، وعلى قول المجبرة ذلك باطل، لأن عندهم الإيمان إنما يحصل بخلق الله تعالى، فإذا خلقه حصل، وإذا لم يخلقه ، وكلفه في الحقيقة باق[1].

[٤٣] – قوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

أ – أخبر الله تعالى أنه يقلب الله أفئدة هؤلاء الكفار، وأبصارهم عقوبة لهم وفي كيفية تقليبها قيل قولان:

قال أبو علي الجبائي: انه يقلبها في جهنم على لهب النار وحر الجمر، وجمع بين صفتهم في الدنيا وصفتهم في الآخرة، كما قال ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ ﴾[2] لأن قوله ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ ﴾ يعني في الآخرة، و ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ في الدنيا[3].

ب – وقيل: معناه يجازيهم في الآخرة كما لم يؤمنوا به في الدنيا عن الجبائي[4].

[٤٤] – قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوٓا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

أ – ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ... قال أبو علي الجبائي: إلاّ أن يشاء الله أن يلجئهم بأن يخلق فيهم العلم الضروري بأنهم أن راموا خلافه منعوا منه كما أن

(١) الرازي: التفسير الكبير ج١٣/ ١١٩ و١٢٠.

(٢) سورة الغاشية آية ١-٤.

(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٣٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٧/ ٣٤٩.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٧/ ٣٥٠.

الإنسان ملجأ إلى ترك قتل بعض الملوك بمثل هذا العلم. وإنما قلنا: ذلك، لأن الله تعالى قد شاء منهم الإيمان على وجه الاختيار، لأنه أمرهم به وكلفهم إياه، وذلك لا يتم إلاّ بأن يشاء منهم الإيمان، ولو أراد الله من الكفار الكفر للزم أن يكونوا مطيعين إذا كفروا، لأن الطاعة هي فعل ما أريد من المكلف. وللزم أيضا أن يصح أن يأمرهم. ولجاز أن يأمرنا بأن نريد منهم الكفر كما أراد هو تعالى وفي الآية دلالة على إن إرادة الله محدثة، لأن الاستثناء يدل على ذلك لأنها لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء، كما لا يجوز أن يقول القائل: لا يدخل زيد الدار إلاّ أن يقدر الله أو إلاّ أن يعلم الله لحصول هذه الصفات فيما لم يزل[1].

ب - أما قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ... قال الجبائي قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ يدل على حدوث مشيئة الله تعالى، لأنها لو كانت قديمة لم يجز أن يقال ذلك، كما لا يقال لا يذهب زيد إلى البصرة إلاّ أن يوحد الله تعالى وتقريره، أنا إذا قلنا: لا يكون كذلك إلاّ أن يشاء الله فهذا يقتضي تعليق حدوث هذا الجزاء على حصول المشيئة فلو كانت المشيئة قديمة لكان الشرط قديما، ويلزم من حصول الشرط حصول المشروط، فيلزم كون الجزاء قديما. والحس دل على أنه محدث فوجب كون الشرط حادثا، وإذا كان الشرط هو المشيئة لزم القول بكون المشيئة حادثة. هذا تقرير هذا الكلام[2].

[٤٥] - قوله تعالى: ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

في قوله ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ ﴾... وقال الجبائي: إن هذه لام الأمر، والمراد بها التهديد، كما قال ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ ﴾[3] وقال ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾[4] قال: لأن علامة

---

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٤٠-٢٤١/ أظن هذا النص للجبائي، لأن الطوسي عرضه متكاملاً. وأيضاً الرازي: التفسير الكبير ج١٣/ ٢٤٠ راجع نص الطوسي في الفقرة "أ" هنا.

(٢) الرازي: التفسير الكبير ج١٣/ ١٢٤.

(٣) سورة الإسراء آية ٦٤.

(٤) سورة حم، السجدة (فصلت) آية ٤٠.

النصب والجزم تتفق في سقوط النون في قوله "وليرضوه وليقترفوا"[(١)].

[٤٦] – قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) ﴾

أ – "وقد فصل لكم ما حرم عليكم"... وقال الجبائي: في الآية دلالة على أن ما يكره عليه من أكل هذه الأجناس أنه يجوز له أكله، لأن المكره يخاف على نفسه مثل المضطر[(٢)].

[٤٧] – قوله تعالى: ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) ﴾

وقال الجبائي: الظاهر أفعال الجوارح، والباطن أفعال القلوب[(٣)].

[٤٨] – قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) ﴾

وقال ابن سيرين: لا يجوز أن يأكل منها (أي من الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها). وبه قال الجبائي[(٤)].

[٤٩] – قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) ﴾

أ – بيّن الله تعالى أن ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا ﴾ يعني كافراً ﴿ فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ يعني

---

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٤٣.

(٢) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٥٤. وأيضاً الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٨/ ٣٥٧.

(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٥٥.

(٤) م. ن ج٤/ ٢٥٦/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٨/ ٣٥٨ (مع اختلاف يسير). وما بين المعكوفتين زيادة مني حتى يتوضّح المعنى.

وفقناه للإيمان، فآمن أو صادفناه مؤمناً بأن آمن، لأن الأحياء بعد الإماتة - هاهنا - هو الإخراج من الكفر إلى الإيمان عند جميع أهل العلم: كابن عباس، والحسن، ومجاهد، والبلخي، **والجبائي**، وغيرهم[١].

ب - قوله ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ ... وإنما زين الله تعالى الإيمان عند المؤمنين، وزين الغواة من الشياطين، وغيرهم الكفر عند الكافرين وهو قول الحسن، وأبي علي[٢]، والرماني، والبلخي، وغيرهم[٣].

[٥٠] - قوله تعالى: ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

وقيل في معنى ﴿ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ هاهنا قولان: أحدهما - قال الحسن، والسدي: انه الله وداره الجنة، والثاني - قال الزجاج، **والجبائي**: إنها دار السلامة الدائمة من كل آفة وبلية[٤].

[٥١] - قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾

أ - وقوله ﴿ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ ﴾ قيل في معناه قولان:... الثاني:... وقال **أبو علي**: في الآية دلالة على انه لا أجل إلاّ واحد، قال: لأنه لو كان له أجلان فكان إذا اقتطع دونه بأنه قتل ظلماً لم يكن بلغ أجله، والآية تتضمن إنهم اجمع يقولون: بلغنا أجلنا الذي أجلت لنا[٥].

---

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٥٩.
(٢) أبو علي هنا، هو الجبائي لأن الطوسي عندما يذكر الحسن والرماني والبلخي هكذا يذكر معهم الجبائي راجع ج٤/ ٢٢٦.
(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٦٠.
(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٧١/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٣٦٤.
(٥) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٧٣ ٣٩١/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٣٦٥.

ب - وقوله ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ قيل: في معنى هذا الاستثناء ثلاثة أقوال:

أحدها - ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ من الفائت قبل ذلك من الاستحقاق من وقت الحشر إلى زمان المعاقبة، وتقديره: خالدين فيها على مقادير الاستحقاق إلاّ ما شاء الله من الفائت قبل ذلك، لأن ما فات يجوز إسقاطه بالعفو عنه. والفائت من الثواب لا يجوز تركه، لأنه بخس لحقه، ذكره الرماني، والبلخي، والطبري، والزجاج، والجبائي(١).

[٥٢] - قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾

وقيل: في كيفية تولية الله الظالمين بعضهم بعضاً أقوال:... وقال الجبائي: المعنى إنا كما وكلنا هؤلاء الظالمين من الجن والأنس بعضهم إلى بعض يوم القيامة وتبرأنا منهم كذلك نكل الظالمين بعضهم إلى بعض يوم القيامة ونكل الأتباع إلى المتبوعين، ونقول للأتباع قولوا للمتبوعين حتى يخلصوكم من العذاب(٢).

[٥٣] - قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

أ - وقال الجبائي، والحسين بن علي المغربي: المعنى ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ ﴾ يعني معشر المكلفين والمخلوقين ﴿ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ يعني من المكلفين.

وهذا إخبار وحكاية عما يقال لهم في وقت حضورهم في الآخرة، وليس بخطاب لهم في دار الدنيا، وهم غير حضور، فيكون قبيحا(٣).

ب ـ وتعلق أيضاً (أي الجاحظ) بقوله بعد أن ذكر معشر الجن والإنس: ﴿ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ﴾. قال: فدل ذلك على أنهم كانوا يعلمون

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٧٤.
(٢) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٧٥.
(٣) م. ن ج٤/ ٢٧٧.

ويعاندون. وأجاب، رحمه الله[1]، عن ذلك، بأن القضية هي في الآخرة، لأنه تعالى قال: ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ﴾ إلى آخر الآية. فإذا كانت القضية في الآخرة، وهم هناك عارفون بالله، سبحانه، فلا دلالة في الآية على ما قاله؛ بل تدل على ما نقول، لأنهم قالوا مع ذلك أنهم كانوا كافرين، فشهدوا مع هذه الشهادة أنهم كانوا في دار الدنيا كفاراً[2].

[٥٤] – قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾

وقوله ﴿ بِظُلْمٍ ﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما ما ذكره الفراء، والجبائي: أنه بظلم منه على غفلة من غير تنبيه وتذكير ومثله قوله ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[3] [4].

[٥٥] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَـَٔاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

وقال الجبائي: إن معناه ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ ﴾ من الثواب والعقاب، فإن الله يأتي به[5].

[٥٦] – قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

---

(١) الذي أجاب هو أبو علي الجبائي، وجوابه على الجاحظ، وهذا الجواب هو مقطع من أجوبة عديدة ردّ بها الجبائي على الجاحظ. راجع: القاضي: المغني... ج١٢/ من ص ٣٣٠ حتى ص٣٤١.

(٢) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ٣٣٦ و٣٣٧.

(٣) سورة هود آية ١١٨.

(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٨٢/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٨/٣٦٧(مع اختلاف يسير).

(٥) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٨٢.

قال أبو عبيدة: ﴿ مَكَانَتِكُمْ ﴾ أي على حيالكم[١]، عن الجبائي أي أقيموا على حالتكم التي أنتم عليها فأني مجازيكم[٢].

[٥٧] – قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

وقيل: في الأنعام الأولى قولان: أحدهما - قال الجبائي: التي ذكرها أولا فهو ما جعلوه لأوثانهم كما جعلوا الحرث للنفقة عليها في خدامها وما ينوب من أمرها[٣].

[٥٨] – قوله تعالى: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾

وقوله ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾ .... قال الجبائي وجماعة: إن ذلك يدل على جواز الأكل من ثمره، وان كان فيه حق للفقراء[٤].

[٥٩] – قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾

وقال الجبائي في 'التفسير'، وأبو بكر الرازي في 'أحكام القرآن': إن الفرش ما يفترش من البسط، والزرابي[٥].

[٦٠] – قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ

---

(١) م. ن ج٤/ ٢٨٣.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٣٦٩.
(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٨٩.
(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٩٥.
(٥) م. ن ج٤/ ٢٩٧.

ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

أ - واختلفوا في معنى ﴿ كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ ... وقال أبو علي الجبائي: يدخل في ذلك جميع أنواع السباع، والكلاب، والسنانير، وسائر ما يصطاد بظفره من الطير(١).

ب - واختلفوا في معنى الحوايا... وقال الجبائي: الحوايا الأمعاء التي عليها الشحم من داخلها. وحوايا جمع حوية وحاوية(٢).

ت - ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ قيل: هي الأمعاء التي عليها الشحوم، عن الجبائي(٣).

ث - ﴿ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ وهو شحم الجنب والالية، لأنه على العصص - في قول ابن جريج، والسدي - وقال الجبائي: الالية تدخل في ذلك، لأنها لم تستثن وما اعتد بعظم العصص(٤).

[٦١] - قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

أ - المعنى بقوله ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ ﴾ ... إنه يرجع إلى جميع المشركين في قول الجبائي وغيره على ظاهر الآية(٥).

ب - ﴿ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ ﴾ واقتضى ذكر الرحمة حد أمرين: الأول - أنه برحمته أمهلهم مع تكذيبهم، بالمؤاخذة عاجلاً - في قول أبي علي الجبائي -(٦).

[٦٢] - قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ

---

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٣٠٥/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٣٧٩.
(٢) الطوسي: التبيان ج٤/ ٣٠٦.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٣٧٩.
(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ٣٠٦/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٨/ ٣٧٩ (نقلت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي).
(٥) الطوسي: التبيان ج٤/ ٣٠٧.
(٦) م. ن ج٤/ ٣٠٧- ٣٠٨.

يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾

﴿ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ ... قيل في معناه أقوال... ثانيها: بأن يأخذ القيم عليه بالأكل بالمعروف دون الكوسة، عن ابن زيد، والجبائي(١).

[٦٣] - قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ قيل فيه وجوه...، خامسها: أن معناه تماما على الذي أحسن إليه سبحانه إلى موسى بالنبوة وغيرها من الكرامة، عن الجبائي(٢).

[٦٤] - قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

قال شيخنا أبو علي رحمه الله: أن الإيمان منه ما يقع على طريق الالجاء والاكراه، ولا يستحق به فاعله ثواباً، وذلك نحو ما أراده الله سبحانه بقوله: ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ ﴾ فبيّن تعالى أنهم عند مجيء الآيات يؤمنون على جهة الالجاء، ولا يستحقون به ثواباً ولا نفعا. وقال تعالى مخبراً عن فرعون لما أدركه الغرق: ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ (٣) فبيّن أنه لا يدفع ايمانه عند معاينة سبب الموت،

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٣٨٤.

(٢) م. ن م٤/ ج٨/ ٣٨٦.

(٣) سورة يونس آية ٩٠ - ٩١.

وانْ كان ما فعله منه إيمانا[١].

[٦٥] – قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

فقال بعضهم: هذه العشرة تفضّل والثواب غيرها، وهو قول **الجبائي**، قال: لأنه لو كان الواحد ثواباً وكانت التسعة تفضّلاً لزم أن يكون الثواب دون التفضّل، وذلك لا يجوز، لأنه لو جاز أن يكون التفضّل مساوياً للثواب في الكثرة والشرف، لم يبق في التكليف فائدة أصلاً فيصير عبثاً وقبيحاً، ولما بطل ذلك علمنا أن الثواب يجب أن يكون أعظم في القدر وفي التعظيم من التفضّل[٢].

[٦٦] – قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾

أ – ﴿ حَنِيفٗا ﴾ ... وقيل: مستقيمًا وإنما جاء أحنف على التفاؤل، عن **الجبائي**[٣].

[٦٧] – قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾

أ – وقيل في معنى ﴿ وَنُسُكِي ﴾ ثلاثة أقوال:... وقال الزجاج، **والجبائي**: "نسكي" عبادتي[٤].

ب – ﴿ وَنُسُكِي ﴾ ... قيل: عبادتي، عن **الجبائي**[٥].

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج ٦، ص ٢٦٤.
(٢) الرازي: التفسير الكبير ج١٤/ ٨.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٣٩١.
(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ٣٣٥.
(٥) م. ن م٤/ ج٨/ ٣٩١.

سورة الأعراف

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ ﴾

أ – وقيل في معنى "الوزن" في الآية أربعة أقوال: قال الحسن: موازين الآخرة لها كفتان، فالحسنات والسيئات توضعان فيهما وتوزنان. ثم اختلفوا، فقال بعضهم: إنما توضع صحائف الأعمال فتوزن، وهو قول عبدالله بن عمر. وقال أبو علي: انما تتفضل كفة الحسنات من كفة السيئات بعلامة يراها الناس يومئذ[١].

ب – ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ ﴾ ذكر فيه أقوال... ثانيها أن الله ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة فتوزن به أعمال العباد الحسنات والسيئات عن ابن عباس، والحسن وبه قال **الجبائي**: ثم اختلفوا في كيفية الوزن، لأن الأعمال أعراض لا يجوز عليها الإعادة ولا يكون لها وزن ولا تقوم بأنفسها، فقيل: توزن صحائف الأعمال، عن عبد الله بن عمر وجماعة، وقيل: يظهر علامات للحسنات وعلامات للسيئات في الكفتين فيراها الناس، عن **الجبائي**[٢].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾[٣]

فإن قيل: كيف قال ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ مع أن القول للملائكة كان قبل خلقنا وتصويرنا؟ قلنا عن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها – قال الحسن، **وأبو علي الجبائي**: المراد به خلقنا إياكم ثم صوّرنا

---

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٣٥١. وأيضاً الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٨/ ٣٩٩. مع الإشارة، أن ما يذكره الطوسي عن الحسن، يذهب الطبرسي إلى أن الجبائي قال به. راجع الفقرة "ب" هنا.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٣٩٩ (نقلت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي).

(٣) وردت هذه الآية تحت رقم ١٠ في كتاب التبيان (ج٤/ ٣٥٥) والصحيح هو الآية ١١ في القرآن الكريم.

إياكم. ثم قلنا للملائكة، وهذا كما يذكر المخاطب ويراد به أسلافه[١].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[٢]

قال الجبائي: إن الطين خير من النار، لأنها أكثر منفعة للخلق من حيث أن الأرض مستقر الخلق وفيها معايشهم، ومنها تخرج أنواع أرزاقهم لأن الخيرية في الأرض أو النار، إنما يراد بهما كثرة المنافع، دون كثرة الثواب، لأن الثواب لا يكون إلاّ للمكلف المأمور، وهذان جمادان[٣].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ أي من الأذلاء بالمعصية في الدنيا لأن العاصي ذليل عند من عصاه أو بالعذاب في الآخرة لأن المعذب ذليل وهذا الكلام إنما صدر من الله سبحانه على لسان بعض الملائكة، عن الجبائي[٤].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

أ – قالت المعتزلة: اختلف شيوخنا في هذه المسألة[٥]. فقال الجبائي: إنه لا يختلف الحال بسبب وجوده وعدمه، ولا يضل بقوله أحد إلاّ من لو فرضنا عدم إبليس لكان يضل أيضا، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾

---

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٣٥٦.

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ١١ في كتاب التبيان (ج٤/ ٣٥٧) والصحيح هو الآية ١٢ في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ٣٥٩.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٤٠٢.

(٥) في مسألة رعاية الله مصالح العباد.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦٣﴾ (الصافات: ١٦٢ ـ ١٦٣) ولأنه لو ضل به أحد لكان بقاؤه مفسدة[١].

ب - وقيل في معنى 'أغويتني' ثلاثة أقوال: أحدها - قال أبو علي، والبلخي: معناه بما خيبتني من جنتك، كما قال الشاعر:

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

أي من يخب[٢].

ت - وقوله ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال: ... الثالث - قال البلخي، وأبو علي: من كل جهة يمكن الاحتيال عليهم بها[٣].

ث - ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ هذا إخبار من إبليس أن الله تعالى لا يجد أكثر خلقه شاكرين،... وهو اختيار الجبائي[٤].

[٦] - قوله تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩﴾

فأبو علي: ذهب إلى أن ذلك وقع منه نسيانا[٥].

[٧] - قوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٢﴾[٦]

أنهما تأولا فأخطئا، على ما قال البلخي، والرماني، أو وقع منهما سهواً

(١) الرازي: التفسير الكبير ج١٤/ ٣٣.
(٢) الطوسي: التبيان ج٤/ ٣٦٣.
(٣) م. ن ج٢٤/ ٣٦٤-٣٦٥.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٤٠٤ (نقلت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي).
(٥) الطوسي: التبيان ٤/ ٣٦٨.
(٦) وردت هذه الآية تحت رقم ٢١ في كتاب التبيان (ج٤/ ٣٧١) والصحيح هو الآية ٢٢في القرآن الكريم.

على ما قاله الجبائي[1].

[٨] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]

فقال السدي، وأبو علي الجبائي، وأبو بكر ابن الإخشيد: إن المراد بالخطاب آدم وحواء وابليس، جمع بينهم في الذكر، وان كان الخطاب لهم وقع في أوقات متفرقة، لأن إبليس أمر بالهبوط حين امتنع من السجود، وآدم وحواء حين أكلا من الشجرة، وانتزع لباسهما[3].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[4]

قال الجبائي: في الآية دلالة على أن الله (عز وجل) يخرج العباد يوم القيامة من هذه الأرض التي حيوا فيها بعد موتهم، وأنه يفنيها بعد إن يخرج العباد منها في يوم الحشر، وإذا أراد إفناءها زجرهم عنها زجرة فيصيرون إلى أرض أخرى وهذا معنى قوله ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾[5][6].

[١٠] – قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

أ – وإنما قال ﴿ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾ لأحد أمرين. أحدهما – لأنه ينبت

---

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٣٧٣.

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ٢٣ في كتاب التبيان (ج٤/ ٣٧٥) والصحيح هو الآية ٢٤ في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ٣٧٥.

(٤) وردت هذه الآية تحت رقم ٢٤ في كتاب التبيان (ج٤/ ٣٧٦) والصحيح هو الآية ٢٥ في القرآن الكريم.

(٥) سورة النازعات آية ١٤.

(٦) الطوسي: التبيان ج٤/ ٣٧٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٤٠٨.

بالمطر الذي ينزل من السماء، في قول الحسن، والجبائي[١].

ب - ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ ... قال **الجبائي**: هو الذي يقتصر عليه من أراد التواضع والنسك في العبادة من لبس الصوف والخشن من الثياب[٢].

ت - ﴿ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾ ... قيل: إنه أنزل ذلك مع آدم وحواء حين أمرا بالانهباط، عن **الجبائي**[٣].

[١١] - قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

- ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ ... قال **الجبائي**: أن يرى الشياطين والجن لأن الله عز اسمه قال: لا ترونهم وإنما يجوز أن يروا في زمن الأنبياء بأن يكشف الله أجسادهم على الأنبياء كما يجوز أن يرى الناس الملائكة في زمن الأنبياء[٤].

[١٢] - قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾... أن معناه أقيموا وجوهكم إلى الجهة التي أمركم الله بالتوجه إليها في صلاتكم وهي الكعبة والمراد بالمسجد أوقات الصلاة، عن **الجبائي** وغيره[٥].

[١٣] - قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

---

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٣٧٧.

(٢) الطوسي: التبيان ج٤/ ٣٧٩/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٨/ ٤٠٩ (مع اختلاف يسير).

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٨/ ٤٠٩.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٨/ ٤١٠.

(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٨/ ٤١١.

﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ ﴾ ... وقيل: معناه هي في الحياة الدنيا آمنوا غير خالصة من الهموم والأحزان والمشقة وهي خالصة يوم القيمة من ذلك، عن الجبائي[1].

[١٤] – قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

أ – ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَٰحِشَ ﴾ أي جميع القبائح والكبائر، عن الجبائي، وأبي مسلم[2].

ب – ﴿ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ ﴾ قيل: هو الذنوب والمعاصي، عن الجبائي[3].

ت – ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾... وقال الجبائي: المراد بالأجل هنا أجل العمر الذي هو مدة الحياة وهذا أقوى لأنه يعم جميع الأمم[4].

[١٥] – قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[5]

وقال أبو علي الجبائي: في الآية دلالة على أن الأجل واحد، لأنه لا يجوز أن يكون الظالم بقتل الإنسان قد اقتطعه عن أجله[6].

[١٦] – قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[7]

---

(١) م. ن م٤/ ج٨/ ٤١٣.

(٢) م. ن م٤/ ج٨/ ٤١٤.

(٣) م. ن م٤/ ج٨/ ٤١٤.

(٤) م. ن م٤/ ج٨/ ٤١٥.

(٥) وردت هذه الآية تحت رقم ٣٣ في كتاب التبيان (ج٤/ ٣٩١) والصحيح هو الآية ٣٣في القرآن الكريم.

(٦) الطوسي: التبيان ج٤/ ٢٧٣ و٣٩١.

(٧) وردت هذه الآية تحت رقم ٣٤ في كتاب التبيان (ج٤/ ٣٩٢) والصحيح هو الآية ٣٥في القرآن الكريم.

﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وظاهر الآية يدل على أن من اتقى معاصي الله واجتنبها، وأصلح بأن فعل الصالحات، لا خوف عليهم في الآخرة – وهو قول الجبائي –(١).

[١٧] – قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾(٢)

﴿ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ قال الجبائي: لمساواتكم لنا في الكفر(٣).

[١٨] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ... وقيل: لا تفتح لهم أبواب السماء لدخول الجنة في السماء، عن الجبائي(٤).

[١٩] – قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾(٥)

أ – وقيل في ما ينزع الغل من قلوبهم قولان: أحدهما – قال أبو علي:

---

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٣٩٣.

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ٣٨ في كتاب التبيان (ج٤/ ٣٩٨) والصحيح هو الآية ٣٩في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ٣٩٨.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٤١٨.

(٥) وردت هذه الآية تحت رقم ٤٢ في كتاب التبيان (ج٤/ ٤٠٣) والصحيح هو الآية ٤٣في القرآن الكريم.

بلطف الله لهم في التوبة حتى تذهب صفة العداوة[١].

ب - قال **الجبائي**: هذا يدل على بطلان مذهب المجبرة في أن الله تعالى كلف العبد بما لا يقدر عليه، لأن الله تعالى كذبهم في ذلك، وإذا ثبت هذا الأصل بطل قولهم في خلق الأعمال، لأنه لو كان خالق أعمال العباد هو الله تعالى، لكان ذلك تكليف ما لا يطاق، لأنه تعالى أن كلفه بذلك الفعل حال ما خلقه فيه، فذلك تكليفه بما لا يطاق، لأنه أمر بتحصيل الحاصل، وذلك غير مقدور، وإن كلفه به حال ما لم يخلق من ذلك الفعل فيه كان ذلك أيضا تكليف ما لا يطاق، لأن على هذا التقدير: لا قدرة للعبد على تكوين ذلك الفعل وتحصيله، قالوا: وأيضا إذا ثبت هذا الأصل ظهر أن الاستطاعة قبل الفعل إذ لو كانت حاصلة مع الفعل، والكافر لا قدرة له على الإيمان مع أنه مأمور به. فكان هذا تكليف ما لا يطاق، ولما دلت هذه الآية على نفي التكليف بما لا يطاق، ثبت فساد هذين الأصلين[٢].

[٢٠] - قوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

أ - الأعراف شرف ذلك السور، عن **الجبائي**[٣].

ب - واختلفوا في الذين هم ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ ﴾ على أربعة أقوال:...

الرابع - قال الفراء، والزجاج، وغيرهما: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فأدخلهم الله تعالى الجنة متفضلا عليهم. وطعن الرماني، **والجبائي** على هذا الوجه بأن قالا: الإجماع منعقد على انه لا يدخل الجنة من المكلفين إلاّ المطيع الله[٤].

---

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٤٠٤.

(٢) الرازي: التفسير الكبير ج١٤/ ٦٥- ٦٦.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٨/ ٤٢٣. وقيل: الأعراف: سور بين الجنة والنار عند ابن عباس، ومجاهد، والسدي، م. ن.

(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ٤١١. وأيضاً الرازي: التفسير الكبير ج١٤/ ٧٣ وراجع نص الرازي هنا في الفقرة "ج".

ت – قيل: أنهم الشهداء وهم عدول الآخرة، عن الجبائي[(١)].

ث – ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴾ قيل في الطامعين قولان: أحدهما – قال ابن عباس، وابن مسعود، والحسن، وقتادة: إنهم أصحاب الأعراف. وقال أبو مجلز: هم أهل الجنة الذين ما دخلوها بعد. والطمع –هاهنا – هو يقين بلا شك، لأنهم عالمون بذلك ضرورة. وهو مثل قول إبراهيم ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾[(٢)] ولم يكن إبراهيم عليه السلام شاكا في ذلك بل كان عالماً قاطعاً، وإنما حسن ذلك لعظم شأن المتوقع في جلالة النعمة به، وهو قول الحسن، وأبي علي الجبائي، وأكثر المفسرين[(٣)].

ج – وطعن الجبائي، والقاضي في هذا القول[(٤)]. واحتجوا على فساده بوجهين: الأول: أن قالوا أن قوله تعالى: ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٣) يدل على أن كل من دخل الجنة فإنه لا بد وأن يكون مستحقا لدخولها، وذلك يمنع من القول بوجود أقوام لا يستحقون الجنة ولا النار، ثم إنهم يدخلون الجنة بمحض التفضل لا بسبب الاستحقاق. وثانيهما: إن كونهم من أصحاب الأعراف يدل على أنه تعالى ميزهم من جميع أهل القيامة بأن أجلسهم على الأماكن العالية المشرفة على أهل الجنة، وأهل النار، وذلك تشريف عظيم، ومثل هذا التشريف لا يليق إلاّ بالإشراف ولا شك

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٤٢٣.

(٢) سورة الشعراء آية ٨٢.

(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ٤١٢-٤١٣/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٤٢٤(التفسير القائل بأن الطمع هو اليقين).

(٤) القول هو: أن من يقول أصحاب الأعراف أقوام يكونون في الدرجة النازلة من أهل الثواب والقائلون بهذا القول ذكروا وجوها: أحدها: أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فلا جرم ما كانوا من أهل الجنة ولا من أهل النار فأوقفهم الله تعالى على هذه الأعراف لكونها درجة متوسطة بين الجنة وبين النار. ثم يدخلهم الله تعالى الجنة بفضله ورحمته وهم آخر قوم يدخلون الجنة، وهذا قول حذيفة وابن مسعود رضي الله عنهما واختيار الفراء. (راجع الرازي: التفسير الكبير ج١٤/ ٧٣).

أن الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم فدرجتهم قاصرة، فلا يليق بهم ذلك التشريف[١].

[٢١] - قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

أ - ﴿ يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ ﴾ قيل: بعلاماتهم التي جعلها الله تعالى لهم من سواد الوجوه وتشويه الخلق وزرقة العين، عن الجبائي[٢].

ب - ﴿ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ قيل في معناه: ما نفعكم جماعتكم التي استندتم إليها وتجبركم عن الانقياد لأنبياء الله في الدنيا، عن الجبائي[٣].

[٢٢] - قوله تعالى: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[٤]

قيل في القائل لهذا القول الذي هو ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ ﴾ قولان: أحدهما - قال الحسن، وأبو مجلز، والجبائي وأكثر المفسرين: أنهم أصحاب الأعراف يقولون للكفار مشيرين إلى أهل الجنة ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ﴾ وهذا يدل على أن الواقفين على الأعراف هم ذووا المنازل الرفيعة والمراتب السنية[٥].

[٢٣] - قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج١٤/ ٧٣. وأيضاً الطوسي: التبيان ٤/ ٤١١ باختصار، وراجع نص الطوسي هنا في الفقرتين "أ" و"ب".

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٤٢٤.

(٣) م. ن م٤/ ج٨/ ٤٢٤.

(٤) وردت هذه الآية تحت رقم ٤٨ في كتاب التبيان (ج٤/ ٤١٣) والصحيح هو الآية ٤٩ في القرآن الكريم.

(٥) الطوسي: التبيان ج٤/ ٤١٥.

تَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[1]

وقوله ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ ﴾ قيل في معناه قولان:... الثاني - أنه يعاملهم معاملة المنسيين في النار، لأنه لا يجاب لهم دعوة ولا يرحم لهم عبرة - في قول الجبائي -[2].

[٢٤] - قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

أ - النسيان ذهاب المعنى عن النفس، واختلف المتكلمون فيه، فقال أبو علي الجبائي: أنه معنى[3].

ب - ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ ﴾ قيل: أن تأويله ما وعدوا به من البعث والنشور والحساب والعقاب، عن الجبائي[4].

[٢٥] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾

أ - ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ قيل في معناه: ثم استوى عليه بأن رفعه، عن الجبائي[5].

---

(١) وردت هذه الآية تحت رقم ٥٠ في كتاب التبيان (ج٤/ ٤١٧) والصحيح هو الآية ٥١ في القرآن الكريم.

(٢) الطوسي: التبيان ج٤/ ٤١٨/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٤٢٥.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٤٢٦.

(٤) م. ن م٤/ ج٨/ ٤٢٦.

(٥) م. ن م٤/ ج٨/ ٤٢٨.

ب - احتج أصحابنا بهذه الآية على أن كلام الله قديم. قالوا: إنه تعالى ميز بين الخلق وبين الأمر، ولو كان الأمر مخلوقا لما صح هذا التمييز. أجاب الجبائي: عنه بأنه لا يلزم من أفراد الأمر بالذكر عقيب الخلق أن لا يكون الأمر داخلا في الخلق فإنه تعالى قال: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (الحجر: ١) وآيات الكتاب داخلة في القرآن وقال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ (النحل: ٩٠) مع أن الإحسان داخل في العدل وقال: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ (البقرة: ٩٨) وهما داخلان تحت الملائكة[١].

[٢٦] - قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ ﴾ أي الجماعة من قومه، عن الجبائي[٢].

[٢٧] - قوله تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿ أَمِينٌ ﴾، أي ثقة مامون في تأدية الرسالة فلا أكذب ولا أغير، عن الضحاك، والجبائي[٣].

[٢٨] - قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[٤]

وقوله ﴿ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ قال الحسن: معناه انتظروا عذاب الله فإنه نازل بكم، فإني معكم من المنتظرين لنزوله بكم، وهو قول الجبائي، وغيره من المفسرين[٥].

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج١٤/ ١٠٠.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٨/ ٤٣٤.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٨/ ٤٣٧.

(٤) وردت هذه الآية تحت رقم ٧٠ في كتاب التبيان (ج٤/ ٤٤٦) والصحيح هو الآية ٧١في القرآن الكريم.

(٥) الطوسي: التبيان ج٤/ ٤٤٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٤٣٨.

[٢٩] – قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾

﴿ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ ﴾ قيل: إنما أضافها إلى الله لأنه لم يكن لها مالك سواه تعالى، عن الجبائي[١].

[٣٠] – قوله تعالى: ﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) ﴾[٢]

أ – ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ ﴾ قيل: في معنى هذه المشيئة مع حصول العلم بأنه سبحانه لا يشاء عبادة الأصنام أقوال: (أحدها): أن المراد بالملة الشريعة وليس المراد بها ما يرجع إلى الاعتقاد في الله سبحانه وصفاته مما لا يجوز أن تختلف العبادة فيه، وفي شريعتهم أشياء يجوز أن يتعبد الله تعالى بها فكأنه قال: ليس لنا أن نعود في ملتكم إلاّ أن يشاء الله أن يتعبد نابها وينقلنا إليها وينسخ ما نحن فيه من الشريعة، عن الجبائي، والقاضي[٣].

ب – وقال الجبائي: معنى ﴿ افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا ﴾ انزل بهم ما يستحقون من العقوبة لكفرهم بالله وظلمهم المؤمنين[٤].

ج – أما قوله ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ ﴾ ... قال القاضي: قد نقلنا

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٨/ ٤٤٠.

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ٨٨ في كتاب التبيان (ج٤/ ٤٦٦) والصحيح هو الآية ٨٩في القرآن الكريم.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٨/ ٤٤٩ (يقول الطبرسي أن البعض رد 'الهاء' في قوله فيها إلى القرية لا إلى الملة.

(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ٤٦٩.

عن أبي علي الجبائي أن قول شعيب ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ﴾ معناه: إلاّ أن يخلق المصلحة في تلك العبادات، فحينئذ يكلفنا بها، والعالم بالمصالح ليس إلاّ من وسع علمه كل شيء، فلذلك أتبعه بهذا القول[1].

[٣١] – قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

أ – ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ ﴾ من القرى التي أهلكناها بالعذاب وقيل: في سائر القرى، عن الجبائي[2].

ب – ﴿ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ ﴾ ... قال الجبائي: جرى في هذا الموضع على سبيل التوسع والمجاز[3].

[٣٢] – قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِ ﴾ أي أفبعد هذا كله أمنوا عذاب الله أن يأتيهم من حيث لا يشعرون، عن الجبائي. قال: دخلت الفاء للتعقيب وسمي مكرا لنزوله بهم من حيث لا يعلمون: كما أن المكر ينزل بالممكور به من جهة الماكر من حيث لا يعلمه[4].

[٣٣] – قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

وحكي عن البكرية[5] في تأويل هذه الآية أن معنى الأية لو نشاء طبعنا

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج١٤/ ١٤٦.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٤٥١.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٤٥١.
(٤) م. ن م٤/ ج٩/ ٤٥٣.
(٥) البكرية: أتباع بكر، وهو ابن أخت عبد الواحد بن زيد. كان يقول: إن الإنسان هو الرّوح دون الجسد الذي فيه الروح. وكان يقول أيضاً: أن الله تعالى يُرى في القيامة في صورة يخلقها، ويكلّم عباده من تلك الصورة. وإن صاحب الكبيرة منافق وعابد للشيطان. وقال في عليّ وطلحة والزبير: إن ذنوبهم كانت كفراً وشركاً، غير أنهم كان =

على قلوبهم، وأنكر أبو علي ذلك، وقال: هذا غلط، لأن معنى قوله: إني لو شئت أصبتهم بعقاب ذنوبهم وأهلكتهم كما أهلكت الأمم قبلهم بعقوبة ذنوبهم، فلا يجوز أن يعني اني لو شئت أهلكتهم فلا يتهيأ لهم أن يسمعوا بعد إهلاكهم، لأن من المعلوم للعقلاء أجمع أن الموتى لا يسمعون، ولا يقبلون الإيمان.[1]

[٣٤] - قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾[2]

وقوله ﴿ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ قيل في معناه قولان:... الثاني - إن عتوهم في كفرهم وتمردهم فيه يحملهم على أن لا يتركوه إلى الأيمان - في قول الحسن، والجبائي - فالآية على هذا مخصوصة بمن علم من حاله انه لا يؤمن[3].

[٣٥] - قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

=

مغفوراً لهم، لأنهم من أهل بدر، وأهل بدر مغفور لهم حسبما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ. وكان يقول أيضاً: الأطفال في المهد يألمون وإن قُطعوا أو حرقوا. وإن بكاءهم وصياحهم دليل على تألمهم. وأبدع في الفقه تحريم أكل الثوم والبصل. وأوجب الوضوء من قرقرة البطن.

كان عبد الواحد - خال بكر - رجلاً زاهداً صوفياً، ويُعدّ من أصحاب الحسن البصري. وذكر صاحب 'الميزان' أن بكراً هو بكر بن زياد الباهلي. راجع: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٢٩ و١٣٠. ومقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ٣١٧ وموسوعة الفرق الإسلامية للدكتور محمد جواد مشكور ص ١٦٠.

(١) الطوسي: التبيان ٤/ ٤٨٣.

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ١٠٠ في كتاب التبيان (ج٤/ ٤٨٤) والصحيح هو الآية ١٠١في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ٤٨٤-٤٨٥.

﴿ فَظَلَمُواْ بِهَا ﴾ أي ظلموا أنفسهم بجحدها، عن الحسن، والجبائي[1].

[٣٦] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[2]

أ – يحتمل أيضاً أن يكون قول فرعون لقومه، فيكون تقديره: قال فرعون لهم: فماذا تأمرون؟ وهو قول الفراء، والجبائي[3].

ب – ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك لفرعون على خطاب الملوك، ويحتمل أن يكون من كلام فرعون والتقدير قال فرعون:

فماذا تأمرون؟ خطاباً لقومه، فعلى هذا تقول قلت لجاريتك قومي أنا قائمة، وتقديره قالت: أنا قائمة، وهو قول الفراء، وأبي علي الجبائي[4].

[٣٧] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾[5]

أ – فصل: فيما نذكره من الوجهة الأُولى، من القائمة الأوّلة، من الكرّاس الخامس من الجزء السابع، وهو أوّل المجلّدة الرابعة بلفظه:

وأمّا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُواْ ﴾ فإنّما عنى به أنّ موسى قال لهم ﴿ أَلْقُواْ ﴾ وهو يعني الحبال والعصيّ التي أرادوا مغالبة موسى، لا على سبيل الأمر بذلك. ولم يرد أن يلقوا أيضاً ؛ لأنّ الإلقاء كان كفراً منهم، وطلباً لمغالبة موسى وإبطال أمره، والأنبياء لا يجوز أن تأمر بالكفر ولا أن تريده. ولكن معناه: أنّكم إن كنتم محقّين فيما تقولون فألقوا ؛ فإذا كان في قوله هذه

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٩/ ٤٥٧.

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ١١٠ في كتاب التبيان (ج٤/ ٤٩٢) والصحيح هو الآية ١١٠في القرآن الكريم.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٩/ ٤٦٠. وأيضاً الطوسي: التبيان ٤/ ٤٩٤ (الفقرة "ب" هنا).

(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ٤٩٤.

(٥) وردت هاتان الآيتان تحت رقم ١١٤ و١١٥ في كتاب التبيان (ج٤/ ٥٠٠) والصحيح هو ١١٥ و١١٦ في القرآن الكريم.

الشريطة، خرج ذلك من أن يكون أمراً[١].

ب – وقال الجبائي: هذا على وجه الزجر لهم والتشديد، وليس بأمر[٢].

[٣٨] – قوله تعالى: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾

﴿ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أي بطل تمويهاتهم، عن الجبائي[٣].

[٣٩] – قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾

﴿ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ﴾ ... قيل: هي أرض مصر، عن الجبائي[٤].

[٤٠] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴾

أ – ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ هذا حكاية عما أجابهم به موسى عليه السلام أي تجهلون ربكم وعظمته وصفاته ولو عرفتموه حق معرفته لما قلتم هذا القول، عن الجبائي[٥].

ب – ﴿ وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي على عالمي زمانكم، عن

---

(١) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠. وأيضاً الطوسي: التبيان ج٤/ ٥٠٢ (الفقرة "ب" هنا)

(٢) الطوسي: التبيان ج٤/ ٥٠٢ (مختصر)، وهو شبيه بما ورد عند ابن طاووس، الفقرة "أ" هنا.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٤٦٢.

(٤) م. ن م٤/ ج٩/ ٤٧٠.

(٥) م. ن م٤/ ج٩/ ٤٧٢.

الحسن، والجبائي[1].

[٤١] – قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾[2]

أ – واختلف المفسرون في وجه مسألة موسى عليه السلام ذلك مع أن الرؤية بالحاسة لا تجوز عليه تعالى على ثلاثة أقوال:

أحدها – أنه سأل الرؤية لقومه حين، قالوا له ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾[3] بدلالة قوله ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾[4].

فإن قيل: على هذا ينبغي أن يجوزوا أن يسأل الله تعالى هل هو جسم أم لا أو يسأله الصعود والنزول، وغير ذلك مما لا يجوز عليه؟ ! قلنا عنه جوابان: أحدهما – أنه يجوز ذلك إذا علم أن في ورود الجواب من جهة الله مصلحة، وأنه أقرب إلى زوال الشبهة عن القوم بأن ذلك لا يجوز عليه تعالى، كما جاز ذلك في مسألة الرؤية. وقال الجبائي: إنهم سألوا الله تعالى قبل ذلك هل يجوز عليه تعالى النوم أم لا؟ وقالوا له: سل الله أن يبين لنا ذلك، فسأل الله تعالى ذلك، فأمره بأن يأخذ قدحين يملأ أحدهما ماء، والأخر دهنا، ففعل وألقى عليه النعاس، فضرب أحدهما على الأخر فانكسرا، فأوحى الله تعالى إليه أن لو جاز عليه تعالى النوم لاضطراب أمر العالم، كما اضطرب القدحان في مدة حتى تكسرا[5].

---

(١) م. ن م٤/ ج٩/ ٤٧٢.

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ١٤٢ في كتاب التبيان (ج٤/٥٣٣) والصحيح هو الآية ١٤٣في القرآن الكريم/ وكذلك آخر الآية كان 'فإن استقر المؤمنين' والصحيح ما ذكر أعلاه.

(٣) سورة البقرة آية ٥٥.

(٤) سورة الأعراف آية ١٥٥.

(٥) الطوسي: التبيان ج٤/ ٥٣٤-٥٣٥/ عرضت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي.

ب - وقوله ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ ﴾ قيل في معنى ذلك قولان: أحدهما - قال ابن عباس، والحسن، وابن زيد، **وأبو علي الجبائي**: إنه وقع مغشياً عليه من غير أن يكون قد مات بدلالة قوله ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ ﴾ ولا يقال للميت إذا عاش: أفاق، وإنما يقال: عاش أو حيي[1].

ت - وقوله ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما - قال **الجبائي**: أنا أول المؤمنين بأنه لا يراك شيء من خلقك فأنا أول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية[2].

ث - الجواب:... إن هذه الآية أحد ما يعتمد عليه في أنه تعالى لا يجوز أن يرى، وهذا الجواب هو الذي يختاره شيخانا **أبو علي** وأبو هاشم رحمهما الله، وإن كان شيخنا **أبو علي** رحمه الله قد ذكر في الجواب عنها[3] وجهاً آخر، وهو جواب أكثر شيوخنا المتقدمين، وهو أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى أن يعلمه نفسه ضرورة بإظهار علم من أعلام الآخرة، ليعرف الله عند مشاهدته ضرورة، فتزول عنه الدواعي إلى الشك، ويستغني عن النظر والاستدلال، وتكون المحنة في التكليف عليه أخف، كما سأل إبراهيم عليه السلام أن يريه الله كيف يحيي الموتى لتخفيف المحنة، وإن كان قد عرف ذلك قبل أن أراه الله، لكن ما سأل إبراهيم هو من القبيل الذي يثبت التكليف معه فلذلك أجابه، وما سأل موسى عليه السلام لو أجيب لزال معه التكليف، فلما لم يجبه تعالى إلى ذلك، لأن التكليف يمنع منه، علم موسى عليه السلام أنه أخطأ في المسألة، فتاب من مسألته.

وقوله تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾[4]، أراد لن تعلمني على الوجه الذي طلبت

---

(١) الطوسي: التبيان ج٤/ ٥٣٧.

(٢) الطوسي: التبيان ج٤/ ٥٣٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٤٧٦.

(٣) الجواب هو على على الشبهة التالية: استدلوا على أنه سبحانه يرى بالأبصار بقوله تعالى في قصة موسى ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ قالوا: فلم لو تصح رؤيته لم يصح من موسى أن يسأل ذلك... القاضي: المغني... ج٤/ ٢١٧.

(٤) سورة الأعراف: آية ١٤٣.

العلم بي. وقوله: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ ﴾ [(١)] تأكيد لنفي ما سأل عنه. وقوله: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾ [(٢)] أراد فلما أظهر لأهل الجبل بما أحدثه من تصديع الجبل أن إظهار هذه الأعلام في حال التكليف غير ممكن، علم موسى أنه أخطأ فيما أقدم عليه وتاب. وإنما أظهر ما هو من جنس الأعلام التي تشاهد في الآخرة مثبتاً بذلك أن إظهار أمثاله، ليعلم عنده باضطرار، لا يصح مع التكليف، وإلا لم يكن لإظهار ذلك معنى. وهذا الجواب يسقط استدلالهم...

وقال شيخنا أبو علي رحمه الله: إن بعض أهل التوحيد أجاب في ذلك بأن موسى يجوز أن يكون في وقت سؤاله كان شاكاً في جواز الرؤية على الله، فسأل موسى ذلك لنفسه، فبين الله تعالى أن ذلك لا يجوز عليه بقوله: «لن تراني»[(٣)] وبتقطيع الجبل. وقال: إن غلطه هذا لا يمتنع أن يكون صغيراً، لأن ذلك بمنزلة إجازة المجيز للرؤية على بعض ما لا يرى من الأعراض مع علمه به وسائر صفاته، والقول بذلك لا يؤدي إلى الجهل بالتوحيد والعدل، فلا يمتنع مثله على بعض الأنبياء إذا علم الله تعالى أن ذلك لا يؤدي إلى فساد وتنفير.

وقال رحمه الله لمن استدل بهذا الدليل: أتقولون إن موسى عليه السلام أصاب فيما سأل أو أخطأ؛ فإن قالوا: أصاب قيل لهم: فماذا تاب، ولا يمكنهم دفع توبته مما سأل. فإن قالوا: تاب، لأنه سأل في وقت لم يجب أن يسأل، أو لأنه سأل قبل أن يؤذن له فيه، قيل لهم: فإذا صح أن يسأل ذلك، ويكون غالطاً في المسألة، لم لا يصح أن يسأل الرؤية ويكون غالطاً في نفس جواز الرؤية، هل يصح على الله أم لا؟ فكيف يصح منكم بأنه تعالى يصح أن يرى من حيث سأل موسى ﷺ عن ذلك؛ وقد بينا من قبل أنه لا يجب، من حيث جاز أن يسأل الرؤية عن نفسه أو غيره، مع علمه بأنه جل وعز لا يرى، أن يسأل سائر ما يستحيل عليه من التشبيه والجبر، وبينا الفصل فيه، وذكرنا أن في شيوخنا من

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٤٣.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٤٣.

(٣) سورة الأعراف: آية ١٤٣.

يجوز أن يسأل عن ذلك على لسان قومه، وسوى بينه وبين الرؤية، وهذه الجملة تسقط تعلقهم بهذه الآية[١].

[٤٢] – قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[٢]

أ – وقال الجبائي: المكتوب في الألواح التوراة، فيها إخبار الأمم الماضية، وفصل فيها الحرام والحلال[٣].

ب – وقوله عز وجل ﴿ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ قال الحسن، ومجاهد، والجبائي: يعني به جهنم، والمراد به فليكن منكم على ذكر لتحذروا أن تكونوا منهم[٤].

[٤٣] – قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[٥]

أ – ... قال الجبائي: لا يجوز أن يكون المراد منه أنه تعالى يصرفهم عن الإيمان بآياته لأن قوله ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ يتناول المستقبل، وقد بيّن تعالى أنهم كفروا فكذبوا من قبل هذا الصرف، لأنه تعالى وصفهم بكونهم متكبرين في الأرض بغير الحق ، وبأنهم إن يردوا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا، فثبت أن الآية دالة على أن الكفر قد حصل لهم في الزمان

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني... ج٤/ ٢١٨ و٢١٩ و٢٢٠.

(٢) هذه الآية تحت رقم ١٤٤ في كتاب التبيان (ج٤/ ٥٣٩) والصحيح هو الآية ١٤٥في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٤/ ٥٣٩.

(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ٥٤٠/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٤٧٧.

(٥) وردت هذه الآية تحت رقم ١٤٥ في كتاب التبيان (ج٤/ ٥٤٠) والصحيح هو الآية ١٤٦في القرآن الكريم.

الماضي، فهذا يدل على أنه ليس المراد من هذا الصرف الكفر بالله[١].

ب - وقال الجبائي، والرماني: معنى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ﴾ أي سأصرف عن آياتي من العز والكرامة بالدلالة التي كسبت الرفعة في الدنيا والآخرة[٢].

[٤٤] - قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾[٣]

أ - وفي كيفية خوار العجل مع أنه مصوغ من الذهب خلاف... وقال الجبائي، والبلخي: إنما احتال بإدخال الريح فيه حتى سمع له كالخوار، كما قد يحتال قوم اليوم كذلك[٤].

ب - وفي كيفية خوار العجل مع أنه مصوغ من ذهب خلاف... وقيل: أنه احتال بإدخال الريح كما يعمل هذه الآلات التي تصوت بالحيل، عن الزجاج، والجبائي، والبلخي[٥].

[٤٥] - قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[٦]

وقال الحسن: كلهم عبدوا العجل إلاّ هارون بدلالة قول موسى ﴿ رَبِّ

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج١٥/ ٣.

(٢) الطوسي: التبيان ج٤/ ٥٤١/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٩/ ٤٧٧ (مع اختلاف يسير).

(٣) وردت هذه الآية تحت رقم ١٤٧ في كتاب التبيان (ج٤/ ٥٤٤) والصحيح هو الآية ١٤٨في القرآن الكريم.

(٤) الطوسي: التبيان ج٤/ ٥٤٥.

(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٩/ ٤٨٢.

(٦) وردت هذه الآية تحت رقم ١٤٨ في كتاب التبيان ج٤/ ٥٤٥) والصحيح هو الآية ١٤٩في القرآن الكريم.

﴿ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي ﴾ [(١)] ولو كان هناك مؤمن غيرهما لدعا له، وقال الجبائي: إنما عبد بعضهم بدلالة ما ورد من الأخبار عن النبي (صلى الله عليه وآله) فيما روي عنه في هذا المعنى[(٢)].

[٤٦] – قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

أ – وقوله ﴿ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ ﴾ ... قال الجبائي: معناه أعجلتم منه ما وعدكم من ثوابه ورحمته، فلما لم تروه فعل بكم ذلك كفرتم، واستبدلتم به عبادة العجل، والعجلة التقدم بالشيء، قبل وقته، والسرعة عمله في أول وقته، ولذلك صارت العجلة مذمومة، والسرعة محمودة ويقال: عجلته أي سبقته وأعجلته استحثثته[(٣)].

ب – ﴿ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي ﴾ قيل: إنه عليه السلام بيّن بهذا لبني إسرائيل أنه لم يجر رأسه إليه لعصيان وجد منه وإنما فعله كما يفعل الإنسان بنفسه عند شدة غضبه على غيره، عن الجبائي[(٤)].

[٤٧] – قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

﴿ وَفِي نُسۡخَتِهَا ﴾ أي وفيما نسخ فيها وكتب، عن الجبائي، وأبي مسلم[(٥)].

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥١.

(٢) الطوسي: التبيان ج٤/٥٤٦. ومن المؤسف حقاً، أن الطوسي لم يبيّن لنا الأحاديث النبوية التي استدلّ بها الجبائي.

(٣) الطوسي: التبيان ج٤/٥٤٨/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٩/ ٤٨٢(مع اختلاف يسير).

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٤٨٣.

(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٤٨٣.

[٤٨] – قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[1]

وقال أبو وجرة: - هدنا - بكسر الهاء من هاد يهيد، وهو شاذ، وثوب مهود أي مرقع ذكره الجبائي، وليس اليهود مشتقًا منه، بل إنما قيل: يهودي، لأنه نسب إلى يهوذا، لكن العرب غيرته في النسب[2].

[٤٩] – قوله تعالى: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[3]

قال ابن عباس، والسدي: قوم وراء الصين.... وأنكر الجبائي قول ابن عباس، وقال: شرع موسى (عليه السلام)، منسوخ بشرع عيسى (عليه السلام) وشرع محمد (صلى الله عليه وآله)، فلو كانوا باقين لكفروا بنبوة محمد، وقال الجبائي: يحتمل ذلك وجهين: أحدهما - إنهم كانوا قومًا متمسكين بالحق في وقت ضلالتهم بقتل أنبيائهم، والأخر - إنهم الذين آمنوا بالنبي (صلى الله عليه وآله) مثل ابن سلام، وابن صوريا، وغيرهما.

[٥٠] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾[4]

أ - هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) يقول: اذكر يا محمد إذ قيل: لبني اسرائيل: اسكنوا هذه القرية وهي بيت المقدس، على

---

(١) وردت هذه الآية تحت رقم ١٥٥ في كتاب التبيان (ج٤/ ٥٤٥) والصحيح هو الآية ١٥٦في القرآن الكريم.

(٢) الطوسي: التبيان ج٤/ ٥٥٧.

(٣) وردت هذه الآية تحت رقم ١٥٨ في كتاب التبيان (ج٥/ ٥) والصحيح هو الآية ١٥٩في القرآن الكريم.

(٤) وردت هذه الآية تحت رقم ١٦٠ في كتاب التبيان (ج٥/ ٩) والصحيح هو الآية ١٦١في القرآن الكريم.

قول الجبائي وغيره من المفسرين[١].

ب - وقوله تعالى: ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ يعني متواضعين وكانوا أمروا بأن يدخلوا باباً منه معيناً في هذا الموضع كانوا فيه - في قول الجبائي -[٢].

[٥١] - قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[٣]

وقال قتادة عن ابن عباس: هم ثلاث فرق التي وعظت والموعظة، فنجت الأولى وهلكت الثانية، والله اعلم ما فعلت الفرقة الثالثة، وهم الذين قالوا: لم تعظون، واختاره الجبائي[٤].

[٥٢] - قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾[٥]

أ - ﴿ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ أي بفسقهم وذلك العذاب لحقهم قبل أن مسخوا قردة، عن الجبائي، ولم يذكر حال الفرقة الثالثة هل كانت من الناجية أم من الهالكة؟ وروى عن ابن عباس فيهم ثلاثة أقول... الثالث - التوقف فيه روى عن عكرمة قال: دخلت على ابن عباس وبين يديه المصحف وهو يبكي ويقرأ هذه الآية ثم قال: قد علمت أن الله تعالى أهلك الذين أخذوا الحيتان وأنجى الذين نهوهم ولا أدري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية وهذه حالنا، واختاره الجبائي[٦].

ب - قال الجبائي العذاب الشديد لحقهم قبل أن يمسخوا قردة خاسئين[٧].

---

(١) الطوسي: التبيان ج٥/ ١٠.
(٢) الطوسي: التبيان ج٥/ ١٠.
(٣) وردت هذه الآية تحت رقم ١٦٣ في كتاب التبيان (ج٥/ ١٣) والصحيح هو الآية ١٦٤ في القرآن الكريم.
(٤) الطوسي: التبيان ج٥/ ١٤.
(٥) وردت هذه الآية تحت رقم ١٦٤ في كتاب التبيان (ج٥/ ١٤) والصحيح هو الآية ١٦٥ في القرآن الكريم.
(٦) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٩/ ٤٩٣.
(٧) الطوسي التبيان ج٥/ ١٦.

[٥٣] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ (١)

وقول ﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾ قال الحسن: معناه علموا. وقال الجبائي والرماني: هو الظن بعينه، لأنه قوي في نفوسهم ذلك(٢).

[٥٤] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (٣)

أ – أنه تعالى إنما عنى بذلك جماعة من ذرية آدم خلقهم وأكمل عقولهم وقررهم على ألسن رسله ﷺ بمعرفته وبما يجب من طاعته، فأقروا بذلك وأشهدهم على أنفسهم به لئلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو يقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبل فقلدناهم في ذلك، فنبّه سبحانه على انه لا يعاقب من له عذر رحمة منه لخلقة وكرماً، وهذا يكون في قوم خاص من بني آدم فقد خرجوا من ذلك، وهذا اختيار الجبائي، والقاضي(٤).

ب – وقال الجبائي: أخذه ذرياتهم من ظهورهم انه خلقهم من ظهور الآباء، ثم خلقهم في أرحام الأمهات، ثم نقلهم من خلقة إلى خلقة، وصورة إلى صورة، ثم صاروا حيواناً بأن أحياهم الله في الأرحام، وأتم خلقهم، ثم أخرجهم من الأرحام بالولادة(٥).

[٥٥] – قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا

---

(١) وردت هذه الآية تحت رقم ١٧٠ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٤) والصحيح هو الآية ١٧١ في القرآن الكريم.

(٢) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٤-٢٥/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٩/ ٤٩٦ (مع اختلاف يسير).

(٣) وردت هذه الآية تحت رقم ١٧١ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٥) والصحيح هو الآية ١٧٢ في القرآن الكريم.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٩/ ٤٩٨.

(٥) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٧.

فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[١]

أ - وقال الجبائي: أراد به المرتد الذي كان الله آتاه العلم به وبآياته فكفر به وبآياته وبدينه من بعد ان كان به عارفاً فانسلخ من العلم بذلك ومن الإيمان[٢].

ب - ﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ أي ... من الخائنين، عن الجبائي[٣].

[٥٦] - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[٤]

أ - ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾ فقال الجبائي: المعنى لو شئنا لرفعناه بإيمانه ومعرفته قبل أن يكفر لكن أبقيناه ليزداد الإيمان، فكفر[٥].

ب - وقالت المعتزلة: لفظ الآية يحتمل وجوهاً أخرى سوى هذا الوجه[٦]، فالأول: قال الجبائي: فعناه لو شئنا لرفعناه بأعماله ، بأن نكرمه ، ونزيل التكليف عنه قبل ذلك الكفر حتى تسلم له الرفعة لكنا رفعناه بزيادة التكليف بمنزلة زائدة، فأبى أن يستمر على الإيمان[٧].

ج - وقال الجبائي: إنما شبهه بالكلب لأنه لما كفر بعد إيمانه صار يعادي المؤمنين ويؤذيهم، كما أن الكلب يؤذي الناس طردته أو لم تطرده فإنه لا يسلم

---

(١) وردت هذه الآية تحت رقم ١٧٤ في كتاب التبيان (ج٥/ ٣١) والصحيح هو الآية ١٧٥ في القرآن الكريم.

(٢) الطوسي: التبيان ج٥/ ٣١.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٩/ ٤٩٩.

(٤) وردت هذه الآية تحت رقم ١٧٥ في كتاب التبيان (ج٥/ ٣٢) والصحيح هو الآية ١٧٦ في القرآن الكريم.

(٥) الطوسي التبيان ج٥/ ٣٣ / الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٥٠٠(مع اختلاف يسير).

(٦) الوجه المذكور هو: أنه تعالى قد لا يريد الإيمان، وقد يريد الكفر.

(٧) الرازي: التفسير الكبير ج١٥/ ٤٦.

من أذاه[١].

[٥٧] – قوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾[٢]

أ – ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ ﴾ قال الجبائي: معنى الآية من يهديه الله إلى نيل الثواب. كما يهدي المؤمن إلى ذلك والى دخول الجنة فهو المهتدي للإيمان والخير، لأن المهتدي هو المؤمن فقد صار مهتدياً إلى الإيمان والى نيل الثواب. ومن يضله الله عن الجنة وعن نيل ثوابها عقوبة على كفره أو فسقه[٣].

[٥٨] – قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[٤]

وقال الجبائي: يحتمل أن يكون أراد تسميتهم المسيح بأنه ابن الله وعزيرا بأنه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[٥].

[٥٩] – قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾

قال الجبائي: هذه الآية تدل على أنه لا يخلو زمان البتة عمن يقوم بالحق ويعمل به ويهدي إليه وأنهم لا يجتمعون في شيء من الأزمنة على الباطل، لأنه لا يخلو: إما أن يكون المراد زمان وجود محمد ﷺ، وهو الزمان الذي نزلت فيه هذه الآية. أو المراد أنه قد حصل زمان من الأزمنة حصل فيه قوم بالصفة المذكورة، أو المراد ما ذكرنا أنه لا يخلو زمان من الأزمنة عن قوم موصوفين بهذه الصفة والأول باطل. لأنه قد كان ظاهرا لكل الناس أن محمدا وأصحابه على

---

(١) الطوسي: التبيان ج٥/ ٣٤.

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ١٧٧ في كتاب التبيان (ج٥/ ٣٥) والصحيح هو الآية ١٧٨ في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٥/ ٣٥ / الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٩/ ٥٠١.

(٤) وردت هذه الآية تحت رقم ١٧٩ في كتاب التبيان (ج٥/ ٣٩) والصحيح هو الآية ١٨٠ في القرآن الكريم.

(٥) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٠/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٩/ ٥٠٣ (مع اختلاف يسير).

الحق، فحمل الآية على هذا المعنى يخرجه عن الفائدة، والثاني باطل أيضا، لأن كل أحد يعلم بالضرورة أنه قد حصل زمان ما في الأزمنة الماضية حصل فيه جميع من المحقين، فلم يبق إلاّ القسم الثالث. وهو أدل على أنه ما خلا زمان عن قوم من المحقين وأن إجماعهم حجة، وعلى هذا التقدير فهذا يدل على أن إجماع سائر الأمم حجة[1].

[٦٠] - قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[2]

أ - ﴿ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ ذكر فيه وجوه... ثالثها: ثقل وقوعها على أهل السموات والأرض لعظمها وشدتها ولما فيها من المحاسبة والمجازاة، عن الجبائي، وأبي مسلم، وجماعة[3].

ب - ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾... وقال الجبائي: معناه ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لم أخفى الله تعالى علم ذلك على التعيين على الخلق. والوجه فيه انه ازجر لهم عن معاصيه لأنهم إذا جوزوا في كل وقت قيام الساعة وزوال التكليف كان ذلك صارفاً لهم عن فعل القبيح خوفاً من فوات وقت التوبة. وقوله في أول الآية ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ يعني علم وقت قيامها. وقوله في آخرها ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ معناه علم كيفيتها وشرح هيئتها وتفصيل ما فيها لا يعلمه إلاّ الله، فلا تكون تكراراً لغير فائدة... وقال الجبائي: وفي الآية دليل على بطلان قول الرافضة من أن الأئمة معصومون منصوص عليهم واحداً بعد الآخر إلى يوم القيامة، لأن على هذا لا بدّ أن يعلم

(١) الرازي: التفسير الكبير ج١٥/ ٦٠.

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ١٨٦ في كتاب التبيان (ج٥/ ٤٧) والصحيح هو الآية ١٨٧ في القرآن الكريم.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٥٠٦.

آخر الأئمة أن القيامة تقوم بعده ويزول التكليف عند الخلق وذلك خلاف قوله ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[١].

[٦١] – قوله تعالى: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

أ – أليس أن الجبائي، والكعبي، والقاضي، قالوا في قوله تعالى ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ فقالوا: هذه الضمائر من أول الآية إلى قوله: ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ ﴾ عائدة إلى آدم وحواء، وأما في قوله: ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ عائدة إلى غيرهما، فهذا ما اتفقوا عليه في تفاسيرهم[٢].

ب – ﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا ﴾ قيل: نسلاً صالحاً أي معافى سليماً صحيح الخلقة، عن الجبائي[٣].

[٦٢] – قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾

﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ ﴾ اختلف في من يرجع الضمير الذي في جعلا إليه وجوه: أحدها إنه يرجع إلى النسل الصالح أي المعافى في الخلق والبدن لا في الدين، وإنما ثنى لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكر وأنثى، يعني أن هذا النسل هم الذين ذكر وأنثى جعلا له شركاء فيما اعطاهما من النعمة فأضافا تلك النعم إلى الذين اتخذوهم آلهة مع الله تعالى من الأصنام والأوثان،

(١) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٧. وأيضاً الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٥٠٧.
(٢) الرازي: التفسير الكبير ج١٩/ ١٣٠.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٥٠٨.

عن الجبائي[١].

[٦٣] – قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾

﴿ إِلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ أي إلى الرشد والمنافع، عن الجبائي، والفراء[٢].

[٦٤] – قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾[٣]

قال الجبائي: جعل الله انفتاح عيونهم في مقابلتهم نظرا منهم إليهم مجازاً، لأن النظر حقيقة تقلب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلبا لرؤيته وذلك لا يتأتى في الجماد[٤].

[٦٥] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾[٥]

أ – ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ﴾ قيل: معناه إذا لم تأتهم بآية مقترحة قالوا هلا اخترتها من قبل نفسك فتسأل ربك أن يأتيك بها، عن ابن عباس، والجبائي، وأبي مسلم[٦].

ب – وقال الجبائي: قوله ﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ ﴾ إشارة إلى الأدلة الدالة على توحيده وصفاته وعدله وحكمته، وصحة نبوة النبي، وصحة ما أتى به النبي

---

(١) م. ن م٤/ج٩/ ٥٠٩.

(٢) م. ن م٤/ج٩/ ٥١٢.

(٣) وردت هذه الآية تحت رقم ١٩٧ في كتاب التبيان (ج٥/ ٦١) والصحيح هو الآية ١٩٨ في القرآن الكريم.

(٤) الطوسي: التبيان ج٥/ ٦١.

(٥) وردت هذه الآية تحت رقم ٢٠٢ في كتاب التبيان (ج٥/ ٦٦) والصحيح هو الآية ٢٠٣ في القرآن الكريم.

(٦) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٩/ ٥١٤.

(صلى الله عليه وآله)[١].

[٦٦] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[٢]

أ – واختلفوا في الوقت الذي أمروا بالانصاف والاستماع فقال قوم: أمروا حال كون المصلي في الصلاة خلف الإمام الذي يأتم به، وهو يسمع قراءة الإمام. فعليه أن ينصت ولا يقرأ ويتسمّع لقراءته. ومنهم من قال: لأنهم كانوا يتكلمون في صلاتهم ويسلم بعضهم على بعض، وإذا دخل داخل وهم في الصلاة قال لهم: كم صليتم؟ فيخبرونه، وكان مباحاً فنسخ ذلك، ذهب إليه عبدالله بن مسعود، وأبو هريرة، والزهري، وعطاء وعبيد الله بن أبي عمير، ومجاهد، وقتادة، وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، والضحاك، وإبراهيم، وعامر الشعبي، وابن عباس، وابن زيد، واختاره **الجبائي**.

... وقال **الجبائي**: يحتمل أن يكون أراد الاستماع إذا قرأ النبي (صلى الله عليه وآله) عليهم ذلك، فإنه كان فيهم من المنافقين من لا يستمع[٣].

ب – قال **الجبائي**: إنها نزلت في ابتداء التبليغ ليعلموا أو يتفهموا[٤].

[٦٧] – قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[٥]

أ – وقال **الجبائي**: في الآية دليل على أن الذين يرفعون أصواتهم بالدعاء ويجهرون بها مخطئون على خلاف الصواب[٦].

ب – ﴿ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ يعنى بتضرع وخوف يعنى في الدعاء، فإن الدعاء

---

(١) الطوسي: التبيان ج٥/ ٦٧.
(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ٢٠٣في كتاب التبيان (ج٥/ ٦٧) والصحيح هو الآية ٢٠٤ في القرآن الكريم.
(٣) الطوسي: التبيان ج٥/ ٦٧. عرضت النص كاملاً حتى يُفهم كلام الجبائي.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ م٩/ ٥١٥.
(٥) وردت هذه الآية تحت رقم ٢٠٤في كتاب التبيان (ج٥/ ٦٨) والصحيح هو الآية ٢٠٥ في القرآن الكريم.
(٦) الطوسي: التبيان ج٥/ ٦٩.

بالتضرع والخوف من الله تعالى أقرب إلى الإجابة وإنما خص الذكر بالنفس لأنه أبعد من الرياء، عن الجبائي[(١)].

[٦٨] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾[(٢)]

قال الجبائي: معنى ﴿ عِندَ رَبِّكَ ﴾ إنهم في المكان الذي لا يملك فيه الحكم بين الخلق سواه، لأنه ملك عباده الحكم في الأرض على وجه حسن. قال: ويجوز أن يكون المراد بذلك أنهم رسله الذين يبعثهم في أمور الانس، وإذا كانوا رسله جاز أن ينسبهم إلى نفسه فيقول: إنهم عنده، كما يقال: عند الخليفة جيش كثير، ولا يراد به في مكانه، ولا بالقرب منه، وإنما يراد أنهم أصحابه وإن كانوا متفرقين في البلاد[(٣)].

سورة الأنفال

[١] – قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾

وقال الزجاج: كانت الغنائم قبل النبي (صلى الله عليه وآله) حراماً، فسألوا النبي عن ذلك، فنزلت الآية، وهذا بعيد. واختلفوا هل هي منسوخة أم لا؟ فقال قوم: هي منسوخة بقوله ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ ﴾ (الأنفال: ٤١) الآية وروي ذلك عن مجاهد، وعكرمة، والسدي، وعامر الشعبي، واختاره الجبائي[(٤)].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٥١٥.
(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ٢٠٥في كتاب التبيان (ج٥/ ٦٩) والصحيح هو الآية ٢٠٦ في القرآن الكريم.
(٣) الطوسي: التبيان ج٥/ ٧٠.
(٤) الطوسي: التبيان ج٥/ ٧٣-٧٤.

بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾[1]

وقيل في معنى ﴿ مُرْدِفِينَ ﴾ ثلاثة أقوال: قال ابن عباس: مع كل ملك ردفًا له، وقال الجبائي: هم ألفان لأن مع كل واحد ردفا له[2].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

وهل قاتلت الملائكة يوم بدر؟ قيل فيه قولان: قال أبو علي الجبائي: ما قاتلت، وإنما أراد الله بالإمداد البشارة بالنصر واطمئنان القلب ليزول عنهم الخوف الذي كان بهم، قال: لأن ملكاً واحداً يقدر أن يدمر على جميع المشركين كما أهلك جبرائيل قريات لوط[3].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ قيل: أنه عام في جميع الأوقات وإنّ من فرّ من الزحف إذا لم يزيدوا على ضعفي المسلمين لحقه الوعيد، عن ابن عباس في رواية أخرى، وهو قول الجبائي، وأبي مسلم[4].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

أ – ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُۖ ﴾ قيل: أنه خطاب للمؤمنين عن عطاء، وأبي علي الجبائي، ومعناه أن تستنصروا على أعدائكم فقد جاءكم

---

(١) وردت هذه الآية تحت رقم ٢ في كتاب التبيان (ج٥/ ٨٢) والصحيح ٩ في القرآن الكريم.

(٢) الطوسي: التبيان ج٥/ ٨٣.

(٣) الطوسي: التبيان ج٥/ ٨٥/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٩/ ٥٢٥.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٩/ ٥٣٠.

النصر بالنبي[١].

ب - ﴿ وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قيل: معناه وإن تنهوا أيها المسلمون عما كان منكم في الغنائم وفي الأسرى من مخالفة الرسول فهو خير لكم وان تعودوا إلى ذلك الصنيع نعد إلى الإنكار عليكم وترك نصرتكم ولن يغنى عنكم حينئذ جمعكم شيئاً إذ منعناكم النصر، عن عطاء، والجبائي[٢].

[٦] - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ ﴾ قيل: معناه لأسمعهم قول قصي بن كلاب، فإنهم قالوا: أحيِّ لنا قصي بن كلاب ليشهد بنبوتك، عن الجبائي[٣].

[٧] - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

أ - وقوله ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ ﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال: أحدها - دعاكم إلى إحياء أمركم بجهاد عدوكم مع نصر الله إياكم، وهو قول ابن إسحاق، والفراء، والجبائي[٤].

ب - ﴿ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ أي يحول بين المرء بين الانتفاع بقلبه بالموت فلا يمكنه استدراك ما فات، فبادروا إلى الطاعات قبل الحيلولة ودعوا التسويف، عن الجبائي قال فيه: وفيه حث على الطاعة قبل

---

(١) م. ن، مع الإشارة أن الطوسي لم يشر إلى أن هذا القول للجبائي. الطوسي/ التبيان ج٥/ ٩٥.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٩/ ٥٣١. وأيضاً الطوسي: التبيان ج٥/ ٩٥ وردت قال أبو علي... مع اختلاف يسير.

(٣) م. ن، م٤/ ج٩/ ٥٣٣.

(٤) الطوسي: التبيان ج٥/ ١٠١/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٩/ ٥٣٣(مع اختلاف يسير).

حلول المانع[١].

ت - قال الجبائي: إن من حال الله بينه وبين الإيمان فهو عاجز، وأمر العاجز سفه، ولو جاز ذلك لجاز أن يأمرنا الله بصعود السماء، وقد أجمعوا على أن الزمن لا يؤمر بالصلاة قائما، فكيف يجوز ذلك على الله تعالى؟ وقد قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦) وقال في المظاهر: ﴿ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ (المجادلة: ٤) فأسقط فرض الصوم عمن لا يستطيعه[٢].

[٨] - قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾

أ - ﴿ وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ اختلف في معنى الفتنة هاهنا، فقيل: هي العذاب [أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب، والخطاب لأصحاب النبي خاصة، عن ابن عباس، والجبائي][٣].

[٩] - قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

وقال الجبائي: نهاهم أن يخونوا الغنائم[٤].

[١٠] - قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَتَّقُوا ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾

وقال الجبائي: يجعل لكم نصراً وعزاً وثواباً لكم، وعلى أعدائكم خذلاناً وذلاً وعقاباً كل ذلك يفرق بينكم وبينهم في الدنيا والآخرة[٥].

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٥٣٤.

(٢) الرازي: التفسير الكبير ج١٥/ ١١٩.

(٣) الطوسي التبيان ج٥/ ١٠٣. وأيضاً الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٥٣٤. وما بين المعكوفتين لم يرد عند الطوسي

(٤) الطوسي: التبيان ج٥/ ١٠٥.

(٥) الطوسي: التبيان ج٥/ ١٠٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٥٣٦ (مع اختلاف =

وقوله ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما - قال الجبائي: معناه أن من ابتدأكم بالفضل العظيم لأنه كريم لنفسه لا منعكم ما استحقيتموه بطاعاتكم له[1].

[١١] - قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

أ - قال أبو علي الجبائي: معناه ليجرحوك، يقال: أثبته في الحرب إذا جرحه جراحة ثقيلة[2].

ب - قيل: معناه ليثخنوك بالجراحة والضرب، عن أبان بن تغلب، والجبائي، وأبو حاتم[3].

ت - ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ قيل: يحتالون في أمرك من حيث لا تشعر، فأحلّ الله بهم ما أراد من عذابه من حيث لا يشعرون، عن الجبائي[4].

[١٢] - قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

وقال الجبائي: ذلك دليل على اعتقادهم خلاف الحق الذي أتى به النبي (صلى الله عليه وآله) وهو حجة أهل المعارف، لأنهم لو عرفوا بطلان ما هم عليه، لما قالوا مثل هذا القول[5].

[١٣] - قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

وقوله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ قيل في معناه أقوال:

=

يسير).

(١) الطوسي: التبيان ج٥/ ١٠٨.

(٢) م. ن ج٥/ ١٠٩.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٥٣٧.

(٤) م. ن م٤/ ج٩/ ٥٣٧.

(٥) الطوسي: التبيان ج٥/ ١١١.

أحدها - أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما خرج من مكة بقي فيها بقية من المؤمنين يستغفرون، وهو قول ابن عباس، وعطية، وأبي مالك، والضحاك، واختاره الجبائي[١].

[١٤] - قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

يُسْأَل فيقال كيف يجمع الله بين الآيتين[٢] وفي الأول نفي تعذيبهم وفي الثانية إثبات ذلك؟ وجوابه من ثلاث أوجه... الآخر أنه أراد وماهم أن لا يعذبهم الله في الآخرة ويريد بالأول عذاب الدنيا، عن الجبائي[٣].

[١٥] - قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

أ - وقال **أبو علي الجبائي**: كان بعضهم يتصدى لبعض ليراه بذلك الفعل، وكان يصفر له[٤].

وقال **أبو علي الجبائي**: يقال لهم في الآخرة **﴿ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾** في دار الدنيا، وهو قول البلخي. والمعنى، باشروه وليس المراد به من ذوق الفم[٥].

[١٦] - قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

(١) الطوسي: التبيان ج٥/ ١١٣/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ج٩/ ٥٣٩ (مع اختلاف يسير).

(٢) الآيتان: الأولى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ والثانية ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٥٤٠.

(٤) الطوسي: التبيان ج ٥/ ١١٦.

(٥) الطوسي: التبيان ج٥/ ١١٧.

قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾

وقال **أبو علي الجبائي**: إن الأئمة الأربعة جعلوا سهم الرسول وذي القربى في الكراع والسلاح، وأجمعوا على أن سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل شائع في الناس[١].

[١٧] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾[٢]

أ – وقال **أبو علي الجبائي**: حوله الله على صورة إنسان علماً للنبي (صلى الله عليه وآله) بما يخبر به عنه[٣].

ب – قيل: أن إبليس لا يجوز أن يقدر على خلع صورته ولبس صورة سراقة، ولكن الله تعالى جعل إبليس في صورة سراقة علماً أن النبي وإنما فعل ذلك لأنه علم أنه لولم يدع المشركين إنسان إلى قتال المسلمين لخوفهم من بنى كنانة فصوره سراقة حتى تم المراد في إعزاز الدين، عن **الجبائي**، وجماعة[٤].

[١٨] – قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[٥]

وقال **الجبائي**: معناه لا يعجزونك حتى يظفرك الله بهم[٦].

[١٩] – قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن

---

(١) م. ن ج٥/ ١٢٤.

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم٤٩ في كتاب التبيان (ج٥/ ١٣٤) والصحيح ٤٨ في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٥/ ١٣٥.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٥٤٩.

(٥) وردت هذه الآية تحت رقم٦٠ في كتاب التبيان (ج٥/ ١٤٦) والصحيح ٦٠ في القرآن الكريم.

(٦) الطوسي: التبيان ج٥/ ١٤٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٥٥٥.

رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[1]

وقيل في المعنيين بذلك خمسة أقوال:... قال الجبائي: كل من لا تعرفون عداوته داخل فيه[2].

[٢٠] – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

وقوله ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾ يحتمل إعرابه وجهين: أحدهما – أن يكون نصباً. والمعنى ويكفي من اتبعك على التأويل، لأن الكاف في موضع خفض بالإضافة، لكنه معقول به في المعنى. فعطف على المعنى، وليس ذلك بكثير.

وأجاز الفراء الرفع لقوله ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ ﴾ ومثله قوله ﴿ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ ﴾[3] وقال الشاعر:

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا   فحسبك والضحاك سيف مهند[4]

وهو معنى قول الشعبي، وابن زيد. وقال الحسن: هو عطف على اسم الله، فيكون رفعا. والكسائي، والفراء، والزجاج أجازوا الوجهين وحمل عليهما معاً أبو علي الجبائي[5].

[٢١] – قوله تعالى: ﴿ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

هذه الآية نسخت حكم ما تقدمها، لأن في الأولى كان وجوب ثبات الواحد للعشرة والعشرة للمئة، فلما علم الله تعالى إن ذلك يشق عليهم وتغيرت

---

(١) وردت هذه الآية تحت رقم٦٠ في كتاب التبيان (ج٥/ ١٤٦) والصحيح ٦٠ في القرآن الكريم.
(٢) الطوسي التبيان ج٥/ ١٤٨.
(٣) سورة العنكبوت آية ٣٣.
(٤) القرطبي ٨ / ٤٢ ومعاني القرآن ١ / ٤١٧ وتفسير القاسمي ٨ / ٣٠٣.
(٥) الطوسي: التبيان ج٥/ ١٥٢. عرضت النص كاملاً حتى يُفهم كلام الجبائي

المصلحة في ذلك نقلهم إلى ثبات الواحد للاثنين والمئة للمئتين، فخفف ذلك عنهم، وهو قول ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، ومجاهد، والسدي، وعطاء، والبلخي، والجبائي، والرماني، وجميع المفسرين[١].

[٢٢] – قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾

أ – فصل: فيما نذكره من الجزء الثامن، من الوجهة الثانية، من القائمة العاشرة، من الكرّاس الثالث من (تفسير **الجبّائي**) بلفظه فيما نذكر منه:وأمّا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾** ﴾ فإنّما عنى بها الأسر الذي كان من أصحاب الرسول ﷺ يوم بدر ؛ لأنّهم كانوا أسروا المشركين طمعاً في الفداء ولم يقتلوهم كما أمر الله عز وجلّ"[٢].

ب – واحتجّ **الجبائي**، والقاضي بهذه الآية على فساد قول من يقول: لا كائن من العبد إلاّ والله يريده، لأن هذا الأسر وقع منهم على هذا الوجه، ونصّ الله على أنه لا يريده بل يريد منهم ما يؤدي إلى ثواب الآخرة، وهو الطاعة دون ما يكون فيه عصيان[٣].

[٢٣] – قوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

وقال **الجبائي**: والمعنى ﴿ **لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ** ﴾ وهو القرآن الذي آمنتم به واستحقيتم، لذلك غفران الصغائر لمسكم فيما أخذتم به من الفداء عذاب عظيم. ولا يجوز أن يكون المراد به إلاّ الصغائر لأنهم قبل الغفران لم يكونوا فساقا إجماعاً. قال **الجبائي**: وقد كان من النبي (صلى الله عليه وآله) في هذا معصية إجماعاً من غير تعيين ما هي[٤].

---

(١) م. ن ج٥/ ١٥٤.

(٢) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٧٠.

(٣) الرازي: التفسير الكبير ج١٥/ ١٦٠.

(٤) الطوسي: التبيان ج٥/ ١٥٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٤/ ج٩/ ٥٥٩.

[٢٤] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾

قال أبو علي الجبائي: معناه أنهم المؤمنون حقاً، لأن الله حقق إيمانهم بالبشارة التي بشرهم بها، ولو لم يهاجروا ولم ينصروا لم يكن مثل هذا[١].

سورة التوبة

[١] – قوله تعالى: ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ ﴾

وقال أبو علي الجبائي: كان يوم النحر لعشرين من ذي القعدة إلى عشرين من ربيع الأول، لأن الحج كان تلك السنة في ذلك الوقت ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة وفيها حجة الوداع، وكان سبب ذلك النسيء الذي كان في الجاهلية، وقرأ براءة على الناس يوم النحر بمكة علي بن أبي طالب (عليه السلام) لأن أبا بكر كان على الموسم في تلك السنة فاتبعه النبي (صلى الله عليه وآله) بعلي (عليه السلام)، وقال: لا يبلغ عني إلاّ رجل مني - في قول الحسن، وقتادة، ومجاهد، والجبائي[٢].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾

الأذان: الإعلام في قول ابن زيد، والزجاج، والجبائي، تقول: أذنني فلان كذا فأذنت أي أعلمني فعلمت[٣].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾

(١) الطوسي: التبيان ج٥/ ١٦٤.

(٢) الطوسي التبيان ج٥/ ١٦٩/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٠/ ٣(مع اختلاف يسير).

(٣) الطوسي التبيان ج٥/ ١٧٠.

واعلم أن أبا علي الجبائي لقوة هذا الإلزام[١] ارتكب مذهباً عجيباً فقال: كلام الله شيء مغاير للحروف والأصوات وهو باق مع قراءة كل قارىء، وقد أطبق المعتزلة على سقوط هذا المذهب والله أعلم[٢].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾

﴿ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ قال الجبائي: أراد كلهم فاسقون لكنه وضع الخصوص موضع العموم[٣].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٤]

أ – قال أبو علي الجبائي: نزلت في قوم من اليهود دخلوا في العهد فيما دلت عليه هذه الصفة[٥].

ب – قيل: ورد في اليهود الذين كانوا يأخذون الرشا من العوام على الحكم بالباطل، عن الجبائي[٦].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[٧]

---

(١) الإلزام هو: والجواب الصحيح عن كلام المعتزلة أن نقول: هذا الذي نسمعه ليس عين كلام الله على مذهبكم، لأن كلام الله ليس إلا الحروف والأصوات التي خلقها أولاً، بل تلك الحروف والأصوات انقضت وهذه التي نسمعها حروف وأصوات فعلها الإنسان، فما ألزمتموه علينا فهو لازم عليكم.(راجع الرازي: التفسير الكبير ج١٥/ ١٨٢).

(٢) الرازي: التفسير الكبير ج١٥/ ١٨٢.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/ ٩.

(٤) وردت هذه الآية تحت رقم ١٠ في كتاب التبيان (ج٥/ ١٧٩) والصحيح هو رقم ٩ في القرآن الكريم.

(٥) الطوسي: التبيان ج٥/ ١٧٩.

(٦) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/ ١٠.

(٧) وردت هذه الآية تحت رقم ١١ في كتاب التبيان (ج٥/ ١٧٩) والصحيح هو رقم ١٠ في القرآن الكريم.

قال الجبائي: لأنه في صفة اليهود خاصة، والأول في صفة الناقضين عامة، وإنما ذموا بترك المراقبة، لأن مع تركها الغالب أن يقع إخلال بما تقدم من العقد، فلزمت المراقبة لهذه العلة[١].

[٧] – قوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[٢]

أ – ﴿ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ ﴾ واختلف في هؤلاء فقيل: هم اليهود الذين نقضوا العهد وخرجوا مع الأحزاب وهموا بإخراج الرسول من المدينة كما أخرجه المشركون من مكة، عن الجبائي، والقاضي[٣].

ب – ﴿ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ ﴾ أي بدؤكم بنقض العهد، عن ابن إسحاق، والجبائي[٤].

ت – ومعنى ﴿ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ ﴾ بدؤوا حلفاء النبي (صلى الله عليه وآله) بالقتال من خزاعة، في قول الزجاج، وقال ابن إسحاق، والجبائي: بدؤوا بنقض العهد[٥].

[٨] – قوله تعالى: ﴿ قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

أجاب الجبائي[٦] عنه فقال: لو جاز أن يقال إنه تعالى يعذب الكفار بأيدي المؤمنين لجاز أن يقال: إنه يعذب المؤمنين بأيدي الكافرين، ولجاز أن يقال إنه

(١) الطوسي: التبيان ج٥/ ١٨٠.
(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ١٤ في كتاب التبيان (ج٥/ ١٨٣) والصحيح هو رقم ١٣ في القرآن الكريم.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/ ١١.
(٤) م. ن م٥/ج١٠/ ١١.
(٥) الطوسي التبيان ج٥/ ١٨٣.
(٦) أجاب الجبائي على من قال: بأن فعل العبد مخلوق لله تعالى.

يكذب أنبياءه على ألسنة الكفار ويلعن المؤمنين على ألسنتهم، لأنه تعالى خالق لذلك، فلما لم يجز ذلك عند المجبرة، علم أنه تعالى لم يخلق أعمال العباد وإنما نسب ما ذكرناه إلى نفسه على سبيل التوسع من حيث أنه حصل بأمره وألطافه، كما يضيف جميع الطاعات إليه بهذا التفسير[١].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٦ ﴾[٢]

وقال الجبائي: اتخاذ الوليجة من دون الله ودون رسوله هو النفاق[٣].

[١٠] – قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُولَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ۝١٧ ﴾[٤]

أ – قال الحسن: أراد به المسجد الحرام، وبه قال الجبائي[٥].

ب – اختلف في العمارة للمسجد... وقيل: هي باستصلاحه ورم ما استرم منه لأنه إنما يعمر للعبادة، عن الجبائي[٦].

[١١] – قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج١٦/٣.

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ١٧ في كتاب التبيان (ج٥/١٨٦) والصحيح هو ١٦ في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٥/١٨٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/١٢ (مع اختلاف يسير).

(٤) وردت هذه الآية تحت رقم ١٨ في كتاب التبيان (ج٥/١٨٧–١٨٨) والصحيح هو ١٧ في القرآن الكريم.

(٥) الطوسي: التبيان ج٥/١٨٨.

(٦) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/١٣.

وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١)

أ - وقال الجبائي: هو خطاب للمؤمنين أجمع وتحذير لهم من ترك الجهاد وحث لهم عليه (٢).

ب - ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ أي ... بعقوبتكم على اختياركم هذا الأشياء على الجهاد وطاعة الله أما عاجلا وأما آجلاً وفيه وعيد شديد، عن الحسن، والجبائي (٣).

[١٢] - قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٤)

وقوله ﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ ... وقال الجبائي: إنما نزلت الملائكة يوم حنين من جهة الخاطر الذي يشجع قلوبهم ويجبن عنهم أعداءهم، ولم تقاتل إلاّ يوم بدر خاصة (٥).

[١٣] - قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ ﴾ قيل: منعوا من الدخول أصلاً في المسجد، ومنعوا من حضور الموسم ودخول الحرم، عن

---

(١) وردت هذه الآية تحت رقم ٢٥ في كتاب التبيان (ج٥/ ١٩٥) والصحيح هو ٢٤ في القرآن الكريم.

(٢) الطوسي: التبيان ج٥/ ١٩٦.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/ ١٦.

(٤) وردت هذه الآية تحت رقم ٢٧ في كتاب التبيان (ج٥/ ١٩٨) والصحيح هو ٢٦ في القرآن الكريم.

(٥) الطوسي: التبيان ج٤/ ١٩٩/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/ ١٨ (مع اختلاف يسير).

الجبائي(١).

[١٤] – قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾(٢)

أ – قال الجبائي: لأنهم يضيفون إليه ما لا يليق به فكأنهم لا يعرفونه، وإنما جمعت هذا الأوصاف لهم ولم يذكروا بالكفار من أهل الكتاب للتحريض على قتالهم لما هم عليه من صفات الذم التي توجب البراءة منهم والعداوة لهم(٣).

ب – قال أبو علي: معناه يعطونا من أيديهم يجيئون بها بنفوسهم لا ينوب عنهم فيها غيرهم إذا قدروا عليه. فيكون أذل لهم(٤).

[١٥] – قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾(٥)

أ – قال الجبائي: نور الله: الدلالة والبرهان، لأنه يهتدي بها كما يهتدي بالأنوار(٦).

ب – ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ ﴾ وهو القرآن والإسلام عن أكثر المفسرين، وقيل: نور الله الدلالة والبرهان، لأنهما يهتدى بهما كما يهتدى بالأنوار، عن الجبائي(٧).

[١٦] – قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٠/ ٢٠.

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ٣٠ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٠١) والصحيح هو ٢٩ في القرآن الكريم.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٠/ ٢١.

(٤) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٠٣.

(٥) وردت هذه الآية تحت رقم ٣٣ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٠٧) والصحيح هو ٣٢ في القرآن الكريم.

(٦) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٠٧–٢٠٨. وأيضاً الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٠/ ٢٤ (الفقرة "ب" هنا).

(٧) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٠/ ٢٤.

لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١)

أ - هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين يعلمهم أن كثيراً من أحبار اليهود وعلمائهم ورؤسائهم، وكثيراً من رهبان النصارى ليأكلون أموال الناس بالباطل من حيث كانوا يأخذون الرشا في الأحكام - في قول إسحاق، **والجبائي** - وأكل المال بالباطل تملكه من الجهات التي يحرم منها اخذه(٢).

ب - وقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ معناه الذين يخبؤن أموالهم من غير أن يخرجوا زكاتها، لأنهم لو اخرجوا زكاتها وكنزوا ما بقي لم يكونوا ملومين بلا خلاف. وهو قول ابن عباس، وجابر، وابن عمر، والحسن، والسدي، **والجبائي**(٣).

ت - وقال **الجبائي** وغيره: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ﴾ نزلت في مانعي الزكاة من أهل الصلاة(٤).

[١٧] - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٥)

أ - والآية مخصوصة بقوم من المؤمنين دون جميعهم، لأن من المعلوم أن جميعهم لم يكن بهذه الصفة من التثاقل في الجهاد، وهو قول **الجبائي**، وغيره(٦).

---

(١) وردت هذه الآية تحت رقم ٣٥ في كتاب التبيان (ج٥/٢٠٩) والصحيح هو ٣٤ في القرآن الكريم.

(٢) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢١٠/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/ ٢٥ (مع اختلاف يسير).

(٣) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢١٠.

(٤) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢١١/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٠/ ٢٦.

(٥) وردت هذه الآية تحت رقم ٣٩ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢١٨) والصحيح هو ٣٨ في القرآن الكريم.

(٦) الطوسي التبيان ج٥/ ٢١٩.

ب - ﴿ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي تثاقلتم وملتم إلى الإقامة في الأرض التي أنتم عليها، قال الجبائي: هذا الاستبطاء مخصوص بنفر من المؤمنين، لأن جميعهم لم يتثاقلوا عن الجهاد فهو عموم أريد به الخصوص(١).

[١٨] - قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

أ - ﴿ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ قيل: هم الذين أسلموا بعد نزول هذه الآية، عن الجبائي(٢).

ب - قال الجبائي: هذه الآية تدل على وعيد أهل الصلاة حيث بيّن أن المؤمنين إنْ لم ينفروا يعذبهم عذاباً أليماً وهو عذاب النار. فإن ترك الجهاد لا يكون إلاّ من المؤمنين، فبطل بذلك قول المرجئة إن أهل الصلاة لا وعيد لهم. وإذا ثبت الوعيد لهم في ترك الجهاد فكذا في غيره، لأنه لا قائل بالفرق(٣).

[١٩] - قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾(٤)

أ - وقوله ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ قيل فيمن تعود الهاء إليه قولان: أحدهما - قال الزجاج: إنها تعود إلى النبي (صلى الله عليه وآله). والثاني - قال الجبائي: تعود على أبي بكر، لأنه كان الخائف واحتاج إلى الأمن، لأن من وعد بالنصر فهو ساكن القلب(٥).

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٠/ ٣٠.

(٢) م.ن م٥/ ج١٠/ ٣١.

(٣) الرازي: التفسير الكبير ج١٦/ ٥٠.

(٤) وردت هذه الآية تحت رقم ٤١ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٢٠) والصحيح هو ٤٠ في القرآن الكريم.

(٥) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٢١.

ب - أن أبا علي الجبائي لما حكى عنهم تلك الشبهة[1]، قال: فيقال لهم: يجب في قوله تعالى لموسى عليه السلام ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [طه: ٦٨] أن يدل على أنه كان عاصياً في خوفه، وذلك طعن في الأنبياء. ويجب في قوله تعالى في إبراهيم حيث قالت الملائكة له ﴿ لَا تَخَفْ ﴾ في قصة العجل المشوي مثل ذلك، وفي قولهم للوط ﴿ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ ﴾ [العنكبوت: ٣٣] مثل ذلك[2].

[٢٠] - قوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[3]

أ - قيل في معنى ﴿ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ثمانية أقوال: أحدها - قال الحسن، ومجاهد، والضحاك، والجبائي: إن معناه شباناً وشيوخاً[4].

ب - وقال أبو علي: معناه ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ صدق الله فيما وعد به من الثواب الدائم[5].

[٢١] - قوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[6]

أ - وقال أبو على الجبائي: في الآية دلالة على أن النبي (صلى الله عليه

---

(١) الشبهة هي: أن الروافض.... قالوا إنه عليه الصلاة والسلام قال لأبي بكر: (لا تحزن) فذلك الحزن إن كان حقاً فكيف نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عنه؟ وإن كان خطأ. لزم أن يكون أبو بكر مذنباً وعاصياً في ذلك الحزن. راجع الرازي: التفسير الكبير ج١٦/ ٥٤.

(٢) الرازي التفسير الكبير ج١٦/ ٥٥.

(٣) وردت هذه الآية تحت رقم ٤٢ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٢٣) والصحيح هو ٤١ في القرآن الكريم.

(٤) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٢٣.

(٥) م. ن ج٥/ ٢٢٤.

(٦) وردت هذه الآية تحت رقم ٤٤ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٢٦) والصحيح هو ٤٣ في القرآن الكريم.

وآله) كان وقع منه ذنب في هذا الإذن. قال: لأنه لا يجوز أن يقال: لم فعلت ما جعلت لك فعله؟ كما لا يجوز أن يقول: لم فعلت ما أمرتك بفعله؟[١].

ب - هل كان هذا الإذن قبيحاً أم لا ؟ قال الجبائي: كان قبيحاً ووقع صغيرا" لأنه لا يقال في المباح: لم فعلته[٢]؟

[٢٢] - قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٣]

ومعنى قوله ﴿ أَن يُجَـٰهِدُوا ﴾ فيه حذف وتقديره، لأن لا يجاهدوا بحذف (لا) لأن ذمهم قد دل عليه - هذا قول أبي علي الجبائي -[٤].

[٢٣] - قوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[٥]

﴿ لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ وقيل في معناه قولان: ... الثاني - قال الجبائي، والزجاج: يحتمل أن يكون معناه لن يصيبنا في عاقبة أمرنا إلاّ ما كتب الله لنا في القرآن من النصر الذي وعدنا[٦].

[٢٤] - قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[٧]

قال الجبائي: تقديره إنما يريد الله ليعذبهم في الحياة الدنيا عند تمكن

(١) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٢٦-٢٢٧.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/ ٣٣.
(٣) وردت هذه الآية تحت رقم ٤٥ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٢٧) والصحيح هو ٤٤ في القرآن الكريم.
(٤) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٢٧-٢٢٨.
(٥) وردت هذه الآية تحت رقم ٥٢ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٣٤) والصحيح هو ٥١ في القرآن الكريم.
(٦) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٣٤/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/ ٣٧(لوروده عند الجبائي فقط).
(٧) وردت هذه الآية تحت رقم ٥٥ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٣٨) والصحيح هو ٥٥ في القرآن الكريم.

المؤمنين من أخذها وغنمها فيتحسرون عليها، ويكون ذلك جزاء على كفرهم نعم الله تعالى بها[١].

[٢٥] – قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[٢]

أ – ﴿ وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ كان هؤلاء قوماً من الأشراف في زمن النبي وكان يعطيهم سهماً من الزكاة ليتألفهم به على الإسلام ويستعين بهم على قتال العدو، ثم اختلاف في هذا السهم هل هو ثابت بعد النبي أم لا؟ فقيل: هو ثابت في كل زمان عن الشافعي، وأختاره الجبائي[٣].

ب – ومن الناس من قال: لا فرق بين الفقراء والمساكين، والله تعالى وصفهم بهذين الوصفين والمقصود شيء واحد، وهو قول أبي يوسف، ومحمد رحمهما الله، واختيار أبي علي الجبائي[٤].

[٢٦] – قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾[٥]

وقال الجبائي: معناه ألم يخبرهم النبي (صلى الله عليه وآله) بذلك[٦].

[٢٧] – قوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم

---

(١) الطوسي: التبيان ج٥/٢٣٨-٢٣٩/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/٣٩. (مع اختلاف يسير).

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ٦١ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٤٣) والصحيح هو ٦٠ في القرآن الكريم.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٠/ ٤٢/ الطوسي التبيان ج٥/ ٢٤٤.

(٤) الرازي: التفسير الكبير ج١٦/ ٨٥.

(٥) وردت هذه الآية تحت رقم ٦٤ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٤٩) والصحيح هو ٦٣ في القرآن الكريم.

(٦) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٤٩/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/ ٤٥.

بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1]

أ - قيل في معنى يحذر المنافقون قولان: أحدهما - قال الحسن، ومجاهد، واختاره الجبائي: إن معناه الخبر عنهم بأنهم كانوا يحذرون أن تنزل فيهم آية يفتضحون بها لأنهم كانوا شاكين، حتى قال بعضهم: لوددت أن اضرب كل واحد منكم مئة ولا نزل فيكم قرآن، ذكره أبو جعفر وقال: نزلت في رجل يقال له: مخشي بن الحمير الأشجعي[2].

ب - ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ فيه قولان: - أحدهما - أنه إخبار بأنهم يخافون أن يفشوا سرائرهم ويحذرون ذلك، عن الحسن، ومجاهد، والجبائي[3].

[٢٨] - قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[4]

وقال الجبائي: أراد به إمساك الأيدي عن الجهاد في سبيل الله[5].

[٢٩] - قوله تعالى: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أي وعدكم على النفاق والاستهزاء كما وعد

---

(١) وردت هذه الآية تحت رقم ٦٥ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٥٠) والصحيح هو ٦٤ في القرآن الكريم.

(٢) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٥٠.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/ ٤٦.

(٤) وردت هذه الآية تحت رقم ٦٨ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٥٣) والصحيح هو ٦٧ في القرآن الكريم.

(٥) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٥٣/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٠/ ٤٨.

الذين من قبلكم من الكفار الذين فعلوا مثل فعلكم، عن الزجاج، والجبائي[(١)].

[٣٠] – قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾

﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ﴾ قال الجبائي: إنما صار الرضوان أكبر من الثواب، لأنه لا يوجد شيء منه إلاّ بالرضوان، وهو الداعي إليه الموجب له[(٢)].

[٣١] – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[(٣)]

فقال ابن عباس: جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان والوعظ والتخويف، وهو قول الجبائي[(٤)].

[٣٢] – قوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

﴿ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ ﴾ قيل فيه ثلاث أقوال... ثالثها إنهم هموا بالفساد والتضريب بين أصحابه ولم ينالوا ذلك، عن الجبائي[(٥)].

[٣٣] – قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[(٦)]

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/٤٨.
(٢) م. ن م٥/ج١٠/ ٥٠.
(٣) وردت هذه الآية تحت رقم ٧٤ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٥٩) والصحيح هو ٧٣ في القرآن الكريم.
(٤) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٥٩.
(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/ ٥١.
(٦) وردت هذه الآية تحت رقم ٧٦ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٦٢) والصحيح هو ٧٥ في =

قال الجبائي: كانوا عارفين، وإنما كفروا بالنبي (صلى الله عليه وآله)[(١)].

[٣٤] – قوله تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[(٢)]

وقال الجبائي: هم كل من تأخر لمرض أو نقص[(٣)].

[٣٥] – قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

﴿ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ يجوز أن يكون الآيتان في فريقين من المنافقين فيكون كما يقول القائل: لا تعجبك حال زيد ولا تعجبك حال عمرو، عن الجبائي[(٤)].

[٣٦] – قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ ﴾[(٥)]

أ – واختلفوا في معنى ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾ على قولين: قال قتادة واختاره الجبائي: انه من عذر في الأمر تعذيرا إذا قصر[(٦)].

ب – ﴿ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ في التخلف، عن الجبائي[(٧)].

=

القرآن الكريم.

(١) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٦٣.

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ٨٤ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٧٠) والصحيح هو ٨٣ في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٧١/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/ ٥٦ – قول الجبائي – (مع اختلاف يسير).

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/ ٥٧.

(٥) وردت هذه الآية تحت رقم ٩١ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٧٧) والصحيح هو ٩٠ في القرآن الكريم.

(٦) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٧٨.

(٧) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٠/ ٥٩.

[٣٧] – قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾

قيل: صلوات معطوف على قربات على معنى يطلبون بالإنفاق قربة الله وصلوات الرسول، عن الجبائي[١].

[٣٨] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[٢]

وقوله ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ، قال أبو علي الجبائي: نزلت في الذين أسلموا قبل الهجرة[٣].

[٣٩] – قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[٤]

وقوله ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ قيل في معناه أقوال: أحدها – قال الحسن، وقتادة، والجبائي: يعني في الدنيا وفي القبر[٥].

[٤٠] – قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾[٦]

---

(١) م. ن م٥/ ج١١/ ٦٣.

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ١٠١ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٨٦) والصحيح هو ١٠٠ في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٨٨/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١١/ ٦٤.

(٤) وردت هذه الآية تحت رقم ١٠٢ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٨٨) والصحيح هو ١٠١ في القرآن الكريم.

(٥) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٨٩.

(٦) وردت هذه الآية تحت رقم ١٠٤ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٩١) والصحيح هو ١٠٣ في =

وقوله ﴿ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم ﴾ .... وقيل في هذه الصدقة قولان: قال الحسن: إنها هي كفارة الذنوب التي أصابوها، وقال أبو علي: هي الزكاة الواجبة[1].

[٤١] – قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾[2]

وقال أبو علي الجبائي: جعل الله أخذ النبي (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين للصدقة أخذا من الله على وجه التشبيه والمجاز، ومن حيث كان بأمره[3].

[٤٢] – قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾

وقد قال أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي في تأويل الآية التي في سورة التوبة ما نحن ذاكروه ومنبّهون على خلافه. قال بعد أن ذكر أن الاستغفار إنما كان لأجل الموعدة من الأب بالإيمان: إنّ الله تعالى إنما ذكر قصة إبراهيم عليه السلام بعد قوله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ لئلا يتوهم أحد أن الله كان جعل لإبراهيم عليه السلام من ذلك ما لم يجعله للنبي ﷺ لأن هذا الذي لم يجعله للنبي ﷺ لا يجوز أن يجعله للأحد، لأنه ترك الرضا بأفعال الله تعالى وأحكامه[4].

=

القرآن الكريم.

(١) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٩٣ / الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١١/ ٦٨.

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ١٠٥ في كتاب التبيان (ج٥/ ٢٩٣) والصحيح هو ١٠٤ في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٩٤/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١١/ ٦٨ (مع اختلاف يسير).

(٤) الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء والأئمة ص٨٠.

[٤٣] – قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾[1]

قيل في معنى "أواه"... وقال أبو علي الجبائي: لما آيس من فلاحه عند تصميمه على بعد الوعد في الإيمان بالله الذي كان وعد بإظهاره في وقت بعينه[2].

[٤٤] – قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[3]

وقال أبو علي الجبائي: تنفر الطائفة من كل ناحية إلى النبي (صلى الله عليه وآله) لتسمع كلامه وتتفقه عنه، ثم يبينوا ذلك لقومهم إذا رجعوا إليهم[4].

[٤٥] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[5]

وقال الجبائي: يقول المنافقون لضعفه المؤمنين على وجه الاستهزاء[6].

[٤٦] – قوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ

---

(١) وردت هذه الآية تحت رقم ١١٥ في كتاب التبيان (ج٥/ ٣٠٨) والصحيح هو ١١٤ في القرآن الكريم.

(٢) الطوسي: التبيان ج٥/ ٣١٠-٣١١.

(٣) وردت هذه الآية تحت رقم ١٢٣ في كتاب التبيان (ج٥/ ٣١١) والصحيح هو ١٢٢ في القرآن الكريم.

(٤) الطوسي: التبيان ج٥/ ٣٢٢/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١١/ ٨٣/ (مع اختلاف يسير).

(٥) وردت هذه الآية تحت رقم ١٢٥ في كتاب التبيان (ج٥/ ٣٢٤) والصحيح هو ١٢٤ في القرآن الكريم.

(٦) الطوسي: التبيان ج٥/ ٣٢٥.

مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[1]

وقال الجبائي: هي بالمرض الذي ينزل بهم[2].

سورة يونس

[١] – قوله تعالى: ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾

وقال الزجاج: المعنى الآيات التي تقدم ذكرها، وهو قول الجبائي[3].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾

أ – ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ قيل: معناه من تحت بساتينهم وأسرتهم وقصورهم، عن الجبائي[4].

ب – هل يقال إن الله هَدَى الكافرين ؟ وقال قائلون: لا نقول: إن الله هدى بأن سمّى وحَكَم، ولكن نقول: هدى الخلق أجمعين بأن دلهم وبيّن لهم، وأنه هدى المؤمنين بما يزيدهم من ألطافه، وذلك ثواب يفعله بهم في الدنيا، وإنه يهديهم في الآخرة إلى الجنة، وذلك ثواب من الله سبحانه لهم كما قال ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ . وهذا قول الجبّائي[5].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

---

(١) وردت هذه الآية تحت رقم ١٢٧ في كتاب التبيان (ج٥/ ٣٢٦) والصحيح هو ١٢٦ في القرآن الكريم.

(٢) الطوسي: التبيان ج٥/ ٣٢٧.

(٣) الطوسي: التبيان ج٥/ ٣٣١.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١١/ ٩٣.

(٥) الأشعري: مقالات الاسلاميين، ج١، ص ٢٩٨. ويذكر الأشعري أن للمعتزلة فيه قولان. وأيضاً بدوي: مذاهب الإسلاميين، ص ٢٩٦.

﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ليس المراد أن ذلك يكون آخر كلامهم حتى لا يتكلموا بعده بشيء، بل المراد أنهم يجعلون هذا آخر كلامهم في كل ما ذكروه، عن الحسن، والجبائي[1].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾

وقوله ﴿ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ ﴾ قال الجبائي: معناه إنهم يطلبون الخير قبل حينه، وسبيله في أنه لا ينبغي أن يكون كسبيل الشر من الإهلاك بالعقاب قبل حينه لما فيه من الاقتطاع عن التوبة واللطف[2].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

قوله ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ قال أبو علي الجبائي: الشياطين الذين دعوا المسرفين إلى المعاصي واغووهم بها وبترك شكر نعم الله زينوا لهؤلاء المسرفين ما كانوا يعملونه من المعاصي والإعراض عن ذكر نعمه وأداء شكره. والغرض بذلك انه ينبغي لمن وهب الله له العافية بعد المرض أن يتذكر حسن صنع الله إليه وجزيل نعمه عليه، فيشكره على ذلك ويسأله إدامة ذلك عليه[3].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

أ – وقال الجبائي: إنهم كانوا على الإسلام، في عهد آدم وولده وأنكر

---

(١) م. ن م٥/ ج١١/ ٩٣.
(٢) الطوسي: التبيان ج٥/ ٣٤٦.
(٣) الطوسي: التبيان ج٥/ ٣٤٧.

الأول[١]. قال: لأن الله تعالى قال ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[٢] فلو كانوا كلهم على الكفر لما كان فيهم شهيداً أصلاً[٣].

ب - فيه أقوال - أحدها - أن الناس كانوا جميعاً على الحق وعلى دين واحد، فاختلفوا في الدين الذي كانوا مجتمعين عليه ثم قيل: أنهم اختلفوا على عهد آدم وولده، عن ابن عباس، والسدى، ومجاهد، والجبائي، وأبي مسلم[٤].

[٧] - قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

قال الجبائي: أما كونه تعالى مسيراً لهم في البحر على الحقيقة فالأمر كذلك، وأما سيرهم في البرّ فإنما أضيف إلى الله تعالى على التوسع، فما كان منه طاعة فبأمره وتسهيله، وما كان منه فلأنه تعالى هو الذي أقدره عليه[٥].

[٨] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

وقيل: في المشبه والمشبه به في الآية ثلاثة أقوال:

---

(١) القول الذي أنكره الجبائي هو للحسن الذي قال: بأنهم كانوا على الشرك. الطوسي: التبيان ٥/ ٣٥٦.

(٢) سورة النساء آية ٤١.

(٣) الطوسي: التبيان ج٥/ ٣٥٦.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١١/ ٩٩.

(٥) الرازي: التفسير الكبير ج١٧/ ٥٥.

أحدها - قال الجبائي: إنه تعالى شبه الحياة الدنيا بالنبات على ما وصفه الله تعالى في الاغترار به والمصير إلى الزوال كالنبات الذي يصير إلى مثل ذلك[١].

[٩] - قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

أ - ﴿ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ قال الجبائي، والزجاج: معناه دار السلامة[٢].

ب - ﴿ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ قيل: دار السلام الدار التي يسلم فيها من الآفات، عن الجبائي[٣].

ت - ﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ قيل في الهداية هاهنا ثلاثة أقوال:... الثالث - قال أبو علي: يريد به نصب الأدلة لجميع المكلفين دون الأطفال والمجانين[٤].

[١٠] - قوله تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

أ - قال الجبائي: الحسن عبارة عن الثواب المستحق، والزيادة هي ما يزيده الله تعالى على هذا الثواب من التفضّل. قال: والذي على صحته: القرآن، وأقوال المفسرين.

أما القرآن : فقوله تعالى ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ ﴾ [فاطر: ٣٠].

وأما أقوال المفسرين: فنقل عن علي رضي الله عنه أنه قال: الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة. وعن ابن عباس: أن الحسن هي الحسنة، والزيادة عشر أمثالها. وعن الحسن: عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. وعن مجاهد: الزيادة مغفرة الله ورضوانه. وعن يزيد ين سمرة: الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ما

---

(١) الطوسي: التبيان ج٥/ ٣٦٣/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١١/ ١٠٢(مع اختلاف يسير).

(٢) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٦٤.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١١/ ١٠٣.

(٤) الطوسي: التبيان ج٥/ ٢٦٤. وأيضاً الطبرسي: مجمع البيان م٥ / ١١/ ١٠٣.

تريدون أن أمطركم ، فلا يريدون شيئاً إلاّ أمطرتهم[(١)].

ب - قالوا: قد قال جل وعز: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾. قالوا: وقد روي عن أبي بكر رحمه الله، وعن صهيب، أن تأويل قوله ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ النظر إلى وجه الله، فوجب أن يدل ذلك على ما نقوله من صحة رؤيته تعالى.

الجواب:

إن ما تأولوا الآية عليه لا يدل الظاهر عليه، لأن قوله: ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ لا ينبىء بنفسه عن المراد به، ويحتمل وجوهاً كثيرة، وما رووه من أخبار الآحاد، فلا يصح قبول ذلك فيما طريقه العلم، لما سنذكره من بعد، فالتعلق بما قالوه لا يصح.

وقال شيخنا أبو علي رحمه الله: إن ذلك لا يصح، ولا يثبت عند الرواة، ولو صح لكان معارضاً بما روي عن علي عليه السلام وغيره أنهم قالوا في تفسير الزيادة: إنها في تضعيف الحسنات، وهو الذي أراده عز وجل بقوله: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[(٢)]، وقال بعضهم هو التفضل الذي وعد الله المؤمنين به بقوله: ﴿ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾[(٣)]. فإذا كان تأويله مختلفاً فيه، فلم صار ما ذكروه بأن يكون هو المراد أولى مما قلناه؟ وليس لهم أن يقولوا إن المراد بالزيادة كلا الأمرين؛ لأن ذلك ليس بمذهب لأحد، ولأن الدلالة قد دلت على أن رؤيته تعالى لا تصح، فلا يجوز أن يكون مراداً بالآية، فيجب أن يكون المراد هو الوجه الآخر، وأن يكون ما رووه عن أبي بكر رحمه الله في ذلك باطلاً[(٤)].

[١١] - قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ

(١) الرازي: التفسير الكبير ج١٧/ ٦٣ و٦٤.

(٢) سورة الأنعام: آية ١٦٠.

(٣) سورة النساء: آية ١٧٣.

(٤) القاضي عبد الجبار: المغني... ج٤/ ٢٢٢ و٢٢٣.

﴿أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾

أ - ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ ... أن المراد أنكم لم تعبدونا بأمرنا ودعائنا ولم يرد أنهم لم يعبدوهم أصلا لأن ذلك كذب لا يجوز أن يقع في الآخرة لكونهم ملجئين إلى ترك القبيح، عن **الجبائي**[1].

ب - وقال **الجبائي**: معناه وجدانكم إياهم على الكفر والإصرار عليه دليل على أن ما أخبر الله تعالى عنهم بأنهم لا يؤمنون حق وصدق[2].

ت - فصل: فيما نذكره من الجزء التاسع، وهو أوّل المجلّد الخامس من (تفسير **الجبّائي**) من الوجهة الثانية، من القائمة الخامسة، من الكرّاس الثاني منه بلفظ ما ننقله منه: وأمّا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فقال **الجبّائي**:

وعنى بقوله: ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ أنّ شركاءهم انتفوا منهم وقالوا: ما كنتم تعبدوننا بأمرنا وإرادتنا ؛ لأنّ الآخرة لا يكون فيها كذب ؛ لأنّ التكليف فيها زائل فلا بدّ من أن يُلْجِئَ الله فيها العقلاء إلى ترك ما قبّحه في عقولهم من الكذب وغيره، ولولا ذلك لما جاز أن يزيل التكليف عن العقلاء ؛ لأنّ ذلك يؤدّي إلى إباحة الكذب والقبائح، وهذا لا يجوز على الله تعالى ؛ فصحّ أنّ معنى قول شركائهم ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ هو على المعنى الذي ذكرناه[3].

[١٢] - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قيل: إنها اتصلت بقوله ومنهم من يستمعون إليك ومنهم من ينظر إليك فكأنه قال إن الله لا يمنعهم الانتفاع بما كلفهم بل مكنهم وبين لهم وهداهم وأزاح

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١١/ ١٠٦.

(٢) الطوسي: التبيان ج٥/ ٣٧٤.

(٣) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٧١.

علتهم ولكن ظلموا هم أنفسهم بترك الانتفاع، عن الجبائي، وأبي مسلم(١).

[١٣] – قوله تعالى: ﴿ ۞ وَيَسْتَنْبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

﴿ أَحَقٌّ هُوَ ﴾ قيل: أحق ما تعدنا من البعث والقيامة والعذاب، عن الجبائي(٢).

[١٤] – قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ ﴾ قيل: أسروا أي أظهروا، عن أبي عبيدة، والجبائي(٣).

[١٥] – قوله تعالى: ﴿ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ... قال الجبائي: وفي هذه الآية دلالة على أنه لا يقدر على الحياة إلاّ الله تعالى تمدح بكونه قادراً على الإحياء والإماتة(٤).

[١٦] – قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

قال الجبائي: هذه الآية تدل على أن المؤمنين المستحقين للثواب لا يخافون يوم القيامة أصلا بخلاف ما يقول قوم: أنهم يخافون إلى أن يجوزوا الصراط(٥).

[١٧] – قوله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١١/ ١١٢.
(٢) م. ن م٥/ ج١١/ ١١٦.
(٣) م. ن م٥/ ج١١/ ١١٦.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١١/ ١١٦.
(٥) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٠١.

وقوله ﴿ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ ... قال قتادة، والزهري، والضحاك، والجبائي: هو بشارة الملائكة (عليهم السلام) إنها الرؤيا الصادقة الصالحة يراها الرجل أو يرى له[١].

[١٨] – قوله تعالى: ﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

﴿ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ ... أن معناه بكلامه الذي يتبين به معاني الآيات التي أتاها نبيّه، عن الجبائي[٢].

[١٩] – قوله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ ﴾ ... هم جماعة من بني اسرائيل أخذهم فرعون لتعلم السحر وجعلهم فرعون من أصحابه فآمنوا بموسى، عن الجبائي[٣].

[٢٠] – قوله تعالى: ﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

ومعنى ﴿ لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قال أبو الضحى، والجبائي معناه: لا يظهروا علينا فيروا أنهم خير منا[٤].

[٢١] – قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾

---

(١) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٠٣/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١١/ ١٢٠ (مع اختلاف يسير).

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١١/ ١٢٦.

(٣) م. ن م٥/ ج١١/ ١٢٧.

(٤) الطوسي: التبيان ج ٥/ ٤٢١.

أ - حكى الجبائي عن قوم: أن المراد بذلك الاستفهام والإنكار كأنه قال: إنك لا تفعل ذلك ليضلوا عن سبيلك[١].

ب - .... يُحمل قوله ﴿ لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ﴾ على أن المراد لئلا يضلوا عن سبيلك . فتقول : إن هذا التأويل ذكره أبو علي في تفسيره. وأقول: إنه لما شرع في تفسير قوله تعالى ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩] ، ثم نقل عن بعض أصحابنا أنه قرأ "فمن نفسك" على سبيل الاستفهام بمعنى الانكار، ثم إنه استبعد هذه القراءة وقال: إنها تقتضي تحريف القرآن وتغييره وتفتح باب تأويلات الباطنية، وبالغ في إنكار تلك القراءة[٢].

ت - فإن قيل: فما معنى قوله تعالى حاكيًا عن موسى عليه السلام: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلاً فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ (الجواب): قلنا: أما قوله تعالى ﴿ لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ﴾ ففيه وجوه:... ورابعها: أن يكون أراد الاستفهام، فحذف حرفه المختص به، وقد حذف حرف الاستفهام في أماكن كثيرة من القرآن... وقد سأل أبو علي الجبائي نفسه عن هذا السؤال في التفسير، وأجاب عنه بأن في الآية ما يدل على حذف حرف الاستفهام، وهو دليل العقل الدال على أن الله تعالى لا يضل العباد عن الدين. ودليل العقل أقوى مما يكون في الكلام دالا على حرف الاستفهام[٣].

ث - ﴿ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ وقد ذكر أبو علي الجبائي: أن قوماً من أهل اللغة قالوا: أنه تعالى نصب قوله تعالى: ﴿ فَلَا يُؤْمِنُواْ ﴾ وحذف

---

(١) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٢٣. وأيضاً الرازي: التفسير الكبير ج١٧/ ١٢٢ ويشير الرازي إلى أن الجبّائي في تفسيره حكى عن بعض أصحابنا... (يُقصد بذلك عن الشوافع لأن الرازي كان شافعياً). والملفت أن الطوسي كما هو ملاحظ في النص يقول: بأن الجبائي حكى عن قوم ولم يبيّن هويتهم. ولعله يقصد بهم ما بيّنه الرازي.

(٢) الرازي: التفسير الكبير ج١٧/ ١٢٢.

(٣) الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء والأئمة ص ١٣٤.

منه النون. وهو يريد في المعنى "ولا يؤمنون" على سبيل الخبر عنهم، لأن قوله تعالى ﴿ فَلَا يُؤْمِنُواْ ﴾ وقع موقع جواب الأمر الذي هو قوله: ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ فلما وقع موقع جواب الأمر وفيه الفاء، نصبه بإضمار أن، لأن جواب الأمر بالفاء منصوب في اللغة. فنصب هذا لما أجراه مجرى الجواب، وان لم يكن في الحقيقة جواباً. ومثله قول القائل "انظر إلى الشمس تغرب" (بالجزم)، وتغرب ليس هو جواب الأمر على الحقيقة، لأنها لا تغرب لنظر هذا الناظر، ولكن لما وقع موقع الجواب أجراه مجراه في الجزم، وان لم يكن جواباً في الحقيقة[1].

[٢٢] - قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

واختلفوا في: هل يجوز أن يجيب الله تعالى دعوة الكافر أم لا؟ فقال **أبو علي الجبائي**: لا يجوز لأن إجابته إكرام له كما يقولون: فلان مجاب الدعوة، أي هو رجل صالح. والكافر ليس بهذه المنزلة[2].

[٢٣] - قوله تعالى: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

اختلفوا فيمن القائل هذا القول، فقال **الجبائي**: إن القائل له ملك قال ذلك بأمر الله[3].

[٢٤] - قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾

وقال **الجبائي**: المراد بأهل القرية - على قول كثير من أهل التأويل -

---

(١) م. ن ١٣٤-١٣٥.

(٢) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٢٤.

(٣) الطوسي: التبيان ج٥/٤٢٨.

ثمود الذين أهلكهم الله بكفرهم[١].

[٢٥] - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

أ - وقد استدل شيخنا أبو علي رحمه الله على أن الإرادة محدثة لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ ﴾ لأنه لا يصح أن يقال: لو شاء أنْ يؤمن الكفار لآمنوا، وذلك مستحيل فيه. وإنما يقال ذلك إذا صحَّ أنْ يشاءَ ذلك منهم، وهذا يوجب كون الإرادة محدثة، مقدورة له، يصح أن يفعلها ويصح أن لا يفعلها. ولولا أنَّ الأمر كذلك، لم يكن قوله: 'لو شاء لآمنَ' مدحاً له، بل كان إلى الذم أقرب. ألا ترى أنَّ قائلاً لو قال: أن زيداً وصل إلى ملك الروم لقتله، لكنه لا يقدر على الوصول إليه، ولا يمكنه ذلك، لكان قد ذمَّه بذلك، وحكم بعجزه.فكذلك مَن قال: انه سبحانه لا يصح أن يشاء من الكافر أن يؤمن، فقد وصفه بالضعف. ويجب أن يجري ذلك منهم مجرى قولنا للمؤمن: لو كان صحيح الرجلين لمشى، وهو لا يمكنه تصحيح رجليه، والمشي يَعُدُّه في أن ذلك ذم ونقص. ولا يمكنه أن يقول أن هذه الآية ليست بمدح، لأنَّ في ذلك خروجاً من الإجماع[٢].

ب - أجاب الجبائي[٣]، والقاضي، وغيرهما: بأن المراد مشيئة الإلجاء، أي لو شاء الله أن يلجئهم إلى الإيمان لقدر عليه ولصحّ ذلك منه، ولكنه ما فعل ذلك، لأن الإيمان الصادر من العبد على سبيل الإلجاء لا ينفعه ولا يفيده فائدة. ثم قال الجبائي: ومعنى إلجاء الله تعالى إياهم إلى ذلك، أن يعرفهم اضطراراً أنهم لو حاولوا تركه، حال الله بينهم وبين ذلك وعند هذا لا بدّ وأن يفعلوا ما ألجئوا إليه كما أن من علم منا أنه إن حاول قتل ملك فإنه يمنعه منه قهراً لم يكن تركه لذلك الفعل سبباً لاستحقاق المدح والثواب فكذا ههنا[٤].

(١) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٣٤/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ١٣٥ (مع اختلاف يسير).
(٢) القاضي عبد الجبار: المغني..، ج٦، ص ١٤٣.
(٣) الذي أجاب عنه الجبائي هو: أن الله تعالى ما أراد إيمان الكل.
(٤) الرازي: التفسير الكبير ج١٧/ ١٣٣.

[٢٦] – قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

وقال الحسن، وأبو علي الجبائي: إذنه هاهنا أمره كما قال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ ﴾ [١] وحقيقة إطلاقه في الفعل بالأمر، وقد يكون الإذن بالإطلاق في الفعل برفع التبعة[٢].

[٢٧] – قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

ومعنى قوله ﴿ حَقًّا عَلَيْنَا ﴾ يحتمل أمرين: أحدهما – أن يكون معناه واجباً علينا ننجي المؤمنين من عقاب الكفار، ذكره الجبائي[٣].

سورة هود

[١] – قوله تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾

أ – وقال الجبائي: في الآية دلالة على أن كلام الله محدث بأنه وصفه بأنه أحكمت آياته، والأحكام من صفات الأفعال، ولا يجوز أن تكون أحكامه غيره لأنه لو كان أحكامه غيره لكان قبل أن يحكمه غير محكم، ولو كان كذلك لكان باطلاً، لأن الكلام متى لم يكن محكماً وجب أن يكون باطلاً فاسداً، وهذا باطل[٤].

ب – احتجّ الجبائي بهذه الآية على أن القرآن محدث مخلوق من ثلاثة

(١) سورة النساء ١٧٠.

(٢) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٣٤/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١١/ ١٣٦ (مع اختلاف يسير).

(٣) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٣٩.

(٤) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٤٦. وأيضاً الرازي: التفسير الكبير ج١٧/ ١٤٣ و١٤٤ (راجع نص الرازي هنا في الفقرة ب).

أوجه: الأول: قال: المحكم هو الذي أتقنه فاعله، ولولا أن الله تعالى يحدث هذا القرآن وإلا لم يصح ذلك لأن الإحكام لا يكون إلاّ في الأفعال، ولا يجوز أن يقال: كان موجوداً غير محكم ثم جعله الله محكماً، لأن هذا يقتضي في بعضه الذي جعله محكماً أن يكون محدثاً، ولم يقل أحد: بأن القرآن بعضه قديم وبعضه محدث. الثاني: أن قوله ﴿ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾ يدل على أنه حصل فيه انفصال وافتراق، ويدل على أن ذلك الانفصال والافتراق إنما حصل بجعل جاعل، وتكوين مكون، وذلك أيضاً يدل على المطلوب. الثالث: قوله ﴿ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾. والمراد من عنده، والقديم لا يجوز أن يقال: إنه حصل من عند قديم آخر، لأنهما لو كانا قديمين لم يكن القول بأن أحدهما حصل من عند الآخر أولى من العكس(١).

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣ ﴾

وقيل: أن المعنى استغفروا ربكم من ذنوبكم ثم توبوا إليه في المستأنف متى وقعت منكم المعصية، ذكره الجبائي(٢).

[٣] – قولـــه تعـــالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥ ﴾

قال أبو علي الجبائي: يثني الكافر صدره على سبيل الانحناء، في خطابه لكافر مثله ممن يختصه لئلا يعرف الله ما أضمره(٣).

والهاء في ﴿ مِنْهُ ۚ ﴾ يحتمل أن تكون عائدة إلى اسم الله – في قول الحسن،

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج١٧/ ١٤٣ و١٤٤.
(٢) م. ن ج٥/ ٤٤٧– ٤٤٨.
(٣) م. ن ج٥/ ٤٤٩.

ومجاهد، والجبائي - جهلا منهم بأن الله لا يخفى عليه خافية[١].

[٤] - قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾

أ - قال الجبائي: في الآية دلالة على انه كان قبل خلق السموات والأرض الملائكة قال: لأن خلق العرش على الماء لا وجه لحسنه إلاّ أن يكون فيه لطف لمكلف يمكنه الاستدلال به فلا بدّ إذا من حي مكلف[٢].

ب - وظاهر الآية يقتضي أن العرش الذي تعبد الله الملائكة بحمله كان مخلوقاً قبل السموات والأرض، وهو قول جميع المفسرين: كابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والبلخي، والجبائي، والرماني، والفراء، والزجاج، وغيرهم. وقال ابن عباس: كان العرش على الماء، والماء على الهواء. وقال الجبائي: ثم نقل الله العرش إلى فوق السموات[٣].

[٥] - قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾

وقال الجبائي: معناه إلى أمم بعد هؤلاء يكلفهم فيعصونه فتقتضي الحكمة إهلاكهم وإقامة القيامة[٤].

[٦] - قوله تعالى: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

أ - قيل في المعني بقوله ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ ﴾ قولان: أحدهما - أن

(١) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٤٩.
(٢) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٥٢/ الطبرسي مجمع البيان م٥/ ج١١/ ١٤٤.
(٣) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٥٢.
(٤) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٥٣/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١١/ ١٤٤.

المراد به المؤمنون، والتقدير فإن لم يقبلوا إجابتك يا محمد والمؤمنين، ولا يأتون بعشر سور معارضة لهذا القرآن، فليعلم المؤمنون إنما أنزل بعلم الله بهذا الدليل، وهو قول مجاهد، والجبائي[(١)].

ب - ﴿ فَاعْلَمُوا ﴾ أيها المسلمون ﴿ أَنَّمَا أُنزِلَ ﴾ القرآن ﴿ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾، عن مجاهد، واختاره الجبائي[(٢)].

[٧] - قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

أ - قيل في العمل الذي يوفون حقهم من غير بخس قولان:... الثاني - الغزو مع النبي (صلى الله عليه وآله) للغنيمة دون ثواب الآخرة، أمر الله نبيّه أن يوفيهم قسمهم وهذا من صفة المنافقين، ذكره الجبائي[(٣)].

ب - قيل: المراد به المنافقون الذين كانوا يغزون مع النبي للغنيمة دون نصرة الدين وثواب الآخرة جازاهم الله تعالى على ذلك بأن جعل لهم نصيباً في الغنيمة، عن الجبائي[(٤)].

[٨] - قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

وقوله ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ قيل في معناه أقوال: أحدها - شاهد من الله هو محمد (صلى الله عليه وآله). وروي ذلك عن الحسين بن علي (عليهما السلام)، وذهب إليه ابن زيد، واختاره الجبائي[(٥)].

---

(١) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٥٧- ٤٥٨.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١١/ ١٤٧.
(٣) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٥٩.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١١/ ١٤٨.
(٥) الطوسي: التبيان ٥/ ٤٦٠/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١١/ ١٥٠.

[٩] – قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[١].

أجاب الجبائي عنه بأن السمع إما أن يكون عبارة عن الحاسة المخصوصة، أو عن معنى يخلقه الله تعالى في صماخ الأذن، وكلاهما لا يقدر العبد عليه، لأنه لو اجتهد في أن يفعل ذلك أو يتركه لتعذر عليه، وإذا ثبت هذا كان إثبات الاستطاعة فيه محالاً، وإذا كان إثباتها محالاً كان نفي الاستطاعة عنه هو الحق، فثبت أن ظاهر الآية لا يقدح في قولنا، ثم قال: المراد بقوله ﴿ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ إهمالهم له ونفورهم عنه كما يقول القائل: هذا كلام لا أستطيع أن أسمعه وهذا مما يمجه سمعي[٢].

[١٠] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

قال الجبائي: الإخبات سكون الجوارح على وجه الخضوع لله تعالى. وليس كل عمل صالح يستحق عليه حمد أو مدح، لأنه مثل الحسن في أنه ينقسم قسمين: أحدهما – يستحق عليه الحمد. والأخر – لا يستحق عليه كالمباح، فكذلك الصالحات[٣].

[١١] – قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

---

(١) الذي أجاب عنه الجبائي هو الاستدلال التالي: أنه تعالى أخبر عنهم لا يستطيعون السمع، فإما أن يكون المراد أنهم ما كانوا يستطيعون سمع الأصوات والحروف، وإما أن يكون المراد كونهم عاجزين عن الوقوف على دلائل الله تعالى. والقول الأول باطل لأن البديهة دلت على أنهم كانوا يسمعون الأصوات والحروف، فوجب حمل اللفظ على الثاني. الرازي: التفسير الكبير ج١٧/ ١٦٥.

(٢) الرازي: التفسير الكبير ج١٧/ ١٦٥.

(٣) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٦٧.

﴿ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ قيل في معناه: أنهم ملاقوا ربهم فكيف يكونون أراذل وكيف يجوز طردهم ولا يستحقون ذلك؟ عن الجبائي[1].

[١٢] – قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

احتجّ الجبائي على أنه لا تجوز الشفاعة عند الله في دفع العقاب بقول نوح عليه السلام: ﴿ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ ﴾ معناه إن كان هذا الطرد محرماً فمن ذا الذي ينصرني من الله، أي من الذي يخلصني من عقابه. ولو كانت الشفاعة جائزة لكانت في حق نوح عليه السلام أيضاً جائزة وحينئذ يبطل قوله ﴿ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ ﴾[2].

[١٣] – قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ﴾ هذا تمام الحكاية عما قاله نوح لقومه، ومعناه إني لا أرفع نفسي فوق قدرها فادعي أن عندي مقدورات الله تعالى فأفعل ما أشاء وأعطي من أشاء، عن الجبائي، وأبي مسلم[3].

[١٤] – قوله تعالى: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

وقوله ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ..... وقال الجبائي: بأعين أوليائنا من الملائكة الذين يعلمونك كيفية عملها، والموكلين بك[4].

[١٥] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِۚ قَالَ لَا

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١١/ ١٥٦.
(٢) الرازي: التفسير الكبير ج١٧/ ١٦٥.
(٣) م. ن م٥/ ج١١/ ١٥٦.
(٤) الطوسي: التبيان ج٥/ ٤٨٢.

عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

فإن قيل: كيف دعا نوح ابنه إلى الركوب معه في السفينة مع أن الله تعالى نهاه أن يركب فيها كافراً؟ ... قال الحسن، والجبائي: انه كان ينافق بإظهار الإيمان(١).

[١٦] - قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

أ - ﴿ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ ﴾ وقد قيل في معناه أقوال - أحدها - انه كان ابنه لصلبه والمعنى انه ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم معك لأن الله سبحانه قد استثنى من أهله الذين وعده أن ينجيهم من أراد إهلاكهم بالغرق فقال: سبق عليه القول، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك، وعكرمة، واختاره الجبائي(٢).

ب - ﴿ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ ... قال الجبائي: يعني أنى أعظك لئلا تكون من الجاهلين، ولا شك أن وعظه سبحانه يصرف عن الجهل وينزه عن القبيح(٣).

[١٧] - قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾

أ - ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ ﴾ وكان ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام، وكان عاد باليمن، عن الجبائي(٤).

---

(١) م. ن ج٥/ ٤٩١.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١١/ ١٦٧.

(٣) م. ن م٥/ج١١/ ١٦٧.

(٤) م. ن م٥/ج١١/ ١٧٤.

ب - ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما - انه خلقكم من آدم وآدم من تراب. الثاني - أنه خلقكم من الأرض، والأول اختيار الجبائي[١].

[١٨] - قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

وقال الجبائي: لا تكون الصيحة إلاّ حدوث صوت في فم وحلق حيوان[٢].

[١٩] - قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾ أي بالبشارة بإسحاق ونبوته وأنه يولد له يعقوب، عن الحسن، والسدي، والجبائي[٣].

[٢٠] - قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

أ - قوله ﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ يدل على أن زوجة الرجل تكون من أهل بيته في - قول الجبائي -[٤].

ب - وقوله (إنه حميد مجيد)... قال أبو علي: يحمد المؤمنين من عباده[٥].

[٢١] - قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

﴿ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ قيل: أنه جادلهم وقال: بأي شيء استحقوا

---

(١) الطوسي: التبيان ج٦/ ١٦.
(٢) م. ن ج٦/ ٢١-٢٢.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١١/ ١٧٩.
(٤) الطوسي: التبيان ج٦/ ٣٤/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١١/ ١٨٠ (مع اختلاف يسير).
(٥) الطوسي: التبيان ج٦/ ٣٤.

عذاب الاستئصال، وهل ذلك واقع لا محالة أم هو تخويف ليرجعوا إلى الطاعة، وبأي شيء يهلكون، وكيف ينجى الله المؤمنين؟ عن الجبائي[١].

[٢٢] – قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ ﴾

قيل: من قبل مجيئهم إلى داره، عن الجبائي[٢].

[٢٣] – قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾

أ – قالوا: ﴿ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ ﴾ ... قال ابن إسحاق، والجبائي: معناه إنهن لسن لنا بأزواج[٣].

ب – ﴿ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ ﴾ قيل: معناه مالنا فيهن من حق لأنا لا نتزوجهن وكانوا يقرون بأن من لم يتزوج بامرأة فإنه لاحق له فيها، عن الجبائي، وابن إسحاق[٤].

[٢٤] – قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ ﴾

أ – وقوله ﴿ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾ وقيل: هو نصف الليل كأنه قطع نصفين، ذكره الجبائي[٥].

ب – ﴿ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ ﴾ قيل في معناه وجوه... – الثاني– لا

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١١/ ١٨١.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١١/ ١٨٤.
(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ٤١.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١١/ ١٨٤.
(٥) الطوسي: التبيان ج٦/٤٣/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١١/ ١٨٤ (مع اختلاف يسير).

يلتفت أحد منكم إلى ماله، ولا متاعه بالمدينة، وليس معنى يلتفت من الرؤية، عن الجبائي، كأنه أراد أن في النظر إليهم عبرة فلم ينهوا عنها[١].

[٢٥] – قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ ﴾

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً ﴾ أي وأمطرنا على القرية أي على الغائبين منها حجارة، عن الجبائي[٢].

[٢٦] – قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾

﴿ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ وصف اليوم بالإحاطة بمعنى أنه يحيط عذابه بجميع الكفار ولا يفلت منه أحد منهم وأراد يوم القيامة، عن الجبائي[٣].

[٢٧] – قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾

قال الجبائي: يريدون ما كانوا يرونه من صلاته لله وعبادته إياه، وإنما أضاف ذلك إلى الصلاة، لأنها بمنزلة الأمر بالخير، والتناهي عن المنكر[٤].

[٢٨] – قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾

أ – فإن قيل: ما معنى قوله تعالى في الحكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ ۚ ﴾ والشيء لا يعطف على نفسه لا سيما بالحرف الذي يقتضي التراخي والمهلة وهو (ثم) واذا كان الاستغفار هو التوبة

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١١/ ١٨٤.
(٢) م. ن م٥/ ج١٢/ ١٨٥.
(٣) م. ن م٥/ ج١٢/ ١/ ١٨٧.
(٤) الطوسي: التبيان ج٦/ ٤٩.

فما وجه هذا الكلام ؟. (الجواب): قلنا في هذه الآية وجوه:... وسادسها: ما أومى اليه أبو علي الجبائي: في تفسير هذه الآية لأنه قال أراد بقوله ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ أي اقيموا على التوبة اليه، لأن التائب إلى الله تعالى من ذنوبه يجب أن يكون تائباً إلى الله في كل وقت يذكر فيه ذنوبه بعد توبته الأولى، لأنه يجب أن يكون مقيماً على الندم على ذلك، وعلى العزم على أن لا يعود إلى مثله. لأنّه لو نقض هذا العزم لكان عازماً على العود، وذلك لا يجوز. وكذلك لو نقض الندم لكان راضياً بالمعصية مسرورا بها وهذا لا يجوز. وقد حكينا ألفاظه بأعيانها، حمله على هذا الوجه انه أراد التكرار والتأكيد والأمر بالتوبة بعد التوبة. كما يقول أحدنا لغيره: "اضرب زيدا ثم اضربه" وافعل هذا ثم افعل". وهذا الذي حكينا عن أبي علي أولى مما ذكره في صدر هذه السورة، لأنه قال هناك: وان استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، إن معناه استغفروا ربكم من ذنوبكم السالفة ثم توبوا إليه بعد ذلك من كل ذنب يكون منكم أو معصية، وهذا ليس بشيء، لأنه إذا حمل الاستغفار المذكور في الآية على التوبة فلا معنى لتخصيصه بما سلف دون ما يأتي، لأن التوبة من ذلك اجمع واجبة، ولا معنى أيضا لتخصيص قوله ثم توبوا إليه بالمعاصي المستقبلة دون الماضية، لأن الماضي والمستقبل مما يجب التوبة منه. فالذي حكيناه أولا عنه أشفى وأولى[١].

[٢٩] – قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾

﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ ﴾ وقال الجبائي: معناه ضعيف البدن[٢].

[٣٠] – قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[٣]

---

(١) الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء والأئمة ص ١٢٢.

(٢) الطوسي: التبيان ج٦/ ٥٣/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٢/ ١٨٨.

(٣) وردت هذه الآية تحت رقم ٩٥ في كتاب التبيان (ج٦/ ٥٦)والصحيح هو ٩٤ في القرآن =

وقوله ﴿ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ قال الجبائي: معناه منكبين على وجوههم[١].

[٣١] – قوله تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾

وإنما قال: "فأردهم" على لفظة الماضي، والمراد به المستقبل، لأن ما عطفه عليه من قوله يقدم قومه يوم القيامة يدل عليه، عن الجبائي[٢].

[٣٢] – قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[٣]

أ – ﴿ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ ... وقال الجبائي: الأذن إلجاؤهم إلى الحسن، لأنه لا يقع منهم ذلك اليوم قبيح[٤].

ب – ﴿ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ أي لا يتكلم أحد فيه إلاّ بإذن الله تعالى وأمره، ومعناه أنه لا يتكلم فيه إلاّ بالكلام الحسن المأذون فيه، لأن الخلق ملجأون هناك إلى ترك القبائح فلا يقع منهم فعل القبيح، وأما ما هو غير قبيح مأذون فيه، عن الجبائي[٥].

[٣٣] – قوله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[٦]

=

الكريم.

(١) الطوسي: التبيان ج٦/ ٥٧.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٢/ ١٩١.

(٣) وردت هاتان الآيتان تحت رقمي ١٠٥ و١٠٦ (ج٦/ ٦٣) والصحيح هو ١٠٤ و١٠٥ في القرآن الكريم.

(٤) الطوسي: التبيان ج٦/ ٦٥.

(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٢/ ١٩٣.

(٦) وردت هاتان الآيتان تحت رقمي ١٠٧ و١٠٨(ج٦/ ٦٦) والصحيح هو ١٠٦ و١٠٧ في القرآن الكريم.

أ – قوله ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ ... قال الجبائي: إن المعنى ما دامت السموات لأهل الآخرة وأرضهم إلاّ ما شاء ربك مما كان قبل أن يدخلوها من أوقات وقوفهم في صدر يومهم في الموقف، لأن الله تعالى قال ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ (إبراهيم: ٤٨)[١].

ب – ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ ... أن المراد ما دامت السموات والأرض مبدلتين أي ما دامت سماء الآخرة وأرضها وهما لا يفنيان إذا أعيدا بعد الإفناء، عن الضحاك، والجبائي[٢].

[٣٤] – قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ ﴾

﴿ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ ﴾ ... قيل: معناه ولا تطغينكم النعمة فتخرجوا عن حد الاستقامة، عن الجبائي[٣].

[٣٥] – قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[٤]

وقال الجبائي: ... معنى ﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ إنكم إن ركنتم إلى الكفار والظالمين: وسكنتم إليهم مستكم النار في الآخرة ثم لا تنصرون في الدنيا على الكفار[٥].

[٣٦] – قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ

---

(١) الطوسي: التبيان ج٦/ ٦٨.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٢/ ١٩٤.
(٣) م. ن م٥/ ج١٢/ ١٩٩.
(٤) وردت هذه الآية تحت رقم ١١٤ في كتاب التبيان (ج٦/ ٧٧) والصحيح هو ١١٣ في القرآن الكريم.
(٥) الطوسي: التبيان ج٢/ ٨٧.

ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[1]

وقال الجبائي... ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ يريد بهما صلاة الفجر والمغرب - قول ابن عباس، والحسن، وابن زيد، والجبائي -[2].

[٣٧] - قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ قيل: تمت كلمة ربك (صدقاً) بأن وقع مخبرها على ما أخبر به، عن الجبائي[3].

[٣٨] - قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

ومعنى ﴿ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ ﴾ ... وقال الجبائي: يعني جاءك في هذه الأنباء[4].

[٣٩] - قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

ومعنى ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ وقيل: ترجع الأمور إلى أن لا ملكها سواه تعالى - في قول أبي علي الجبائي[5].

---

(١) وردت هذه الآية تحت رقم ١١٥ في كتاب التبيان (ج٦/ ٧٨) والصحيح هو ١١٤ في القرآن الكريم.

(٢) الطوسي: التبيان ج٦/ ٧٩.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٢/ ٢٠٤.

(٤) الطوسي: التبيان ج٦/ ٨٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٢/ ٢٠٤.

(٥) الطوسي: التبيان ج٦/ ٩٠.

سورة يوسف

[١] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

ثم قال ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ احتج الجبائي بهذه الآية على كون القرآن مخلوقاً من ثلاثة أوجه: الأول: أن قوله "إنا أنزلناه" يدل عليه، فإن القديم لا يجوز تنزيله وإنزاله وتحويله من حال إلى حال. الثاني: أنه تعالى وصفه بكونه عربياً والقديم لا يكون عربياً ولا فارسياً. الثالث: أنه لما قال ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ دلّ على أنه تعالى كان قادراً على أن ينزله لا عربياً، وذلك يدل على حدوثه. الرابع: أن قوله "تلك آيات الكتاب" يدل على أنه مركب من الآيات والكلمات، وكل ما كان مركباً كان محدثاً[١].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾

أ – ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ اختلف في معنى هذا السجود... وقيل: معناه الخضوع له، عن الجبائي[٢].

ب – فصل: فيما نذكره من الجزء العاشر من (تفسير الجبّائي) وهو الجزء الثاني من المجلّد الخامس، من الوجهة الأُولى، من القائمة الثانية، في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ فقال الجبّائي ما هذا لفظه:ويجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ أي رأيتهم خاضعين، فجعل خضوعهم له

(١) الرازي: التفسير الكبير ج١٨/ ٦٧ و٦٨.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٢/ ٢٠٩. وأيضاً ابن طاووس: سعد السعود ص ٢٧٢ (الفقرة ب).

سجوداً؛ لأنّ الخضوع في اللغة السجود من الخاضع للمخضوع له[١].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ ﴾

وقال الجبّائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ ﴾ الآية: "أنّ تأويلها عند يعقوب كان أنّ إخوته وأبويه يخضعون له ويعظّمونه". ولم يذكر ما نصّ الله تعالى من تأويلها، وشرحه يوسف أنّه السجود المعهود ؛ فهل يقبل العقل أنّ يوسف عليه السلام علم بما لم يعلمه يعقوب عليه السلام[٢]؟

[٤] – قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾

قوله ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ ... وقال الزجاج، والجبائي: معناه يعلمك تأويل الأحاديث في آيات الله تعالى ودلائله على توحيده، وغير ذلك من أمور دينه. والتأويل في الأصل هو المنتهى الذي يؤل إليه المعنى. وتأويل الحديث فقهه الذي هو حكمه، لأنه إظهار ما يؤل إليه أمره مما يعتمد عليه وفائدته[٣].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝ ﴾

وإخوته هم أولاد يعقوب وكان ليعقوب اثنا عشر ولدا لصلبه وكانوا أولاد علة، عن الجبائي[٤].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ ۞ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾

قيل: يجوز أن يكون هؤلاء الإخوة في تلك الحال لم يكونوا بلغوا الحلم،

---

(١) ابن طاووس، سعد السعود، ص ٢٧٢.

(٢) ابن طاووس: سعد السعود، ٢٧٣.

(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ٩٨/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٢/ ٢١٠(مع اختلاف يسير).

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٢/ ٢١٢.

ولا توجه إليهم التكليف، وقد يقع ممن قارب البلوغ من الغلمان مثل هذه الأفعال، ويعاتب على ذلك ويلام ويضرب، وهذا الوجه قول البلخي، والجبائي[١].

[٧] - قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

أ - وقال الجبائي: نستبق في العدو لنعلم اينا أسرع عدوا[٢].

[٨] - قوله تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ ﴾ قيل: سهل بعضكم لبعض أمراً في يوسف غير الذي فعلتموه حتى سهل عليكم ما فعلتموه، عن أبي مسلم، والجبائي، وإنما رد يعقوب عليهم بوحي من الله عز اسمه[٣].

[٩] - قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ ﴾ ... وقيل: أنه نظر في البئر لما ثقل عليه الدلو فرأى يوسف عليه السلام فقال: هذا الغلام فأخرجوه، عن الجبائي[٤].

[١٠] - قوله تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ﴾ بإكرامي وبسط يدي ورفع منزلتي، وهو قول مجاهد،

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٢/ ٢١٢.
(٢) الطوسي: التبيان ج٦/ ١١٠/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٢/ ٢١٨(مع اختلاف يسير).
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٢/ ٢١٨.
(٤) م. ن م٥/ ج١٢/ ٢٢٠.

وابن إسحاق، والسدي، والجبائي[١].

[١١] – قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

أ – وقال قوم: البرهان هو ما دل الله تعالى يوسف على تحريم ذلك الفعل، وعلى أن من فعله استحق العقاب، لأن ذلك صارف عن الفعل ومقوي لدواعي الامتناع، وهذا أيضا جائز، وهو قول محمد بن كعب القرطبي، واختيار الجبائي[٢].

ب – فأما البرهان الذي رآه فقد اختلف فيه على وجوه – أحدها – أنه حجة الله سبحانه في تحريم الزنا والعلم بالعذاب الذي يستحقه الزاني، عن محمد بن كعب، والجبائي[٣].

[١٢] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

أ – حكى الله تعالى في الآية الأولى[٤] عن يوسف انه قال للملك حين قذفته زوجته بالسوء: هي طالبتني عن نفسي، وأنا بريء الساحة، وشهد له بذلك شاهد من أهل المرأة. قال ابن عباس، وسعيد بن جبير – في رواية عنهما – وأبو هريرة: انه كان صبياً في المهد. وفي رواية أخرى عن ابن عباس، وابن جبير، وهو قول الحسن، وقتادة: انه كان رجلاً حكيماً، واختاره الجبائي، قال: انه لو كان طفلاً لكان قوله معجزاً لا يحتاج معه إلى الثاني، فلما قال الشاهد: إن كان قميصه كذا، وكذا ذهب إلى الاستدلال بأنه لو كان هذا المراود، لكان القميص مقدوداً من قبل، وحيث هو مقدود من دبر علم أنها هي المراودة ومع كلام الطفل لا يحتاج إلى ذلك[٥].

---

(١) الطوسي: التبيان ج٦/ ١١٩.
(٢) الطوسي: التبيان ج٦/ ١٢٤.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ج١٢/ ٢٢٥.
(٤) المقصود الآية السابقة رقم ٢٥.
(٥) الطوسي: التبيان ج٦/ ١٢٥-١٢٦.

ب – ... قال الجبائي: الأول أولى لوجوه[1]: الأول: أنه تعالى لو أنطق الطفل بهذا الكلام لكان مجرد قوله إنها كاذبة كافياً وبرهاناً قاطعاً، لأنه من البراهين القاطعة القاهرة، والاستدلال بتمزيق القميص من قبل ومن دبر دليل ظني ضعيف والعدول عن الحجة القاطعة حال حضورها وحصولها إلى الدلالة الظنية لا يجوز. الثاني: أنه تعالى قال " وشهد شاهد من أهلها " وإنما قال من أهلها ليكون أولى بالقبول في حق المرأة لأن الظاهر من حال من يكون من أقرباء المرأة ومن أهلها أن لا يقصدها بالسوء والإضرار، فالمقصود بذكر كون ذلك الرجل من أهلها تقوية قول ذلك الرجل وهذه الترجيحات إنما يصار إليها عند كون الدلالة ظنية، ولو كان هذا القول صادراً عن الصبي الذي في المهد لكان قوله حجة قاطعة، ولا يتفاوت الحال بين أن يكون من أهلها، وبين أن لا يكون من أهلها وحينئذ لا يبقى لهذا القيد أثر. والثالث: أن لفظ الشاهد لا يقع في العرف إلاّ على من تقدمت له معرفة بالواقعة وإحاكة بها[2].

[١٣] – قوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ ﴾ ... قيل: معناه لا تلتفت يا يوسف إلى هذا الحديث ولا تذكره على سبيل طلب البراءة فقد ظهرت براءتك، عن أبي مسلم، والجبائي[3].

[١٤] – قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا

---

(١) القول الأول هو: أنه كان لها ابن عم وكان رجالً حكيماً . واتفق في ذلك الوقت أنه كان مع الملك يريد أن يدخل عليها فقال قد سمعنا الجلبة من وراء الباب وشق القميص إلا أنا لا ندري أيكما قدام صاحبه، فإن كان شق القميص من قدامه فأنت صادقة والرجل كاذب ، وإن كان من خلفه فالرجل صادق وأنت كاذبة فلما نظروا إلى القميص ورأوا الشق من خلفه قال ابن عمها " إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم " أي من عملكن. ثم قال ليوسف أعرض عن هذا واكتمه، وقال لها استغفري لذنبك، وهذا قول فئة عظيمة من المفسرين. (راجع الرازي: التفسير الكبير ج١٨/ ٩٩).

(٢) الرازي: التفسير الكبير ج١٨/ ٩٩.

(٣) م. ن م٥/ ج١٢/ ٢٢٧.

عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

معنى الشغاف ثلاثة أوجه: قال أبو علي الجبائي: هو وسط القلب[1].

[١٥] – قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾

أ – وقال الجبائي: فيه دلالة على تفضيل الملائكة على البشر لأنه خرج مخرج التعظيم، ولم ينكره الله تعالى[2].

ب – قيل: معناه ليس هذا إلاّ ملك كريم في عفته، قال الجبائي: وهذا يدل على أن الملك أفضل من آدم لأنهن ذكرن من هو في نهاية الفضل ولم ينكر الله تعالى ذلك عليهن[3].

[١٦] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

أ – وقال البلخي، والجبائي: في الآية دلالة على انه لا ينصرف أحد عن معصية إلاّ بلطف الله عزّ وجلّ، لأنه لو لم يعلم ذلك، لما صحّ خبره به، ويحتمل قوله ﴿ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ على لفظ الجمع أشياء: أحدها – قال أبو علي الجبائي: إن كل واحدة منهن دعته إلى مثل ما دعت إليه امرأة العزيز بدلالة هذا الكلام[4].

ب – قيل: أن معناه توطيني النفس على السجن أحب إليّ من توطيني النفس على الزنا ، عن أبي علي الجبائي[5].

[١٧] – قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾

---

(١) الطوسي: التبيان ج٦/ ١٢٩.

(٢) الطوسي: التبيان ج٦/ ١٣١.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٢/ ٢٣١.

(٤) الطوسي: التبيان ج٦/ ١٣٥.

(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٢/ ٢٣١.

أ - وقال أبو علي الجبائي: الإجابة من الله تعالى ثواب لقوله تعالى ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾[(١)] وهذا إنما هو في الجملة[(٢)].

ب - قوله ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ وقال أبو علي الجبائي: في الآية دلالة على جواز الدعاء بما يعلم انه يكون، لأن يوسف عالماً بأنه إن كان له لطف فلا بدّ أن يفعل الله به، ومع هذا سأله[(٣)].

[١٨] - قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ قيل: إلى وقت ينسى حديث المرأة معه وينقطع فيه عن الناس خبره، عن الجبائي[(٤)].

[١٩] - قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

أ - ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ ﴾ وقيل: بل رؤيا هما على صحة وحقيقة ولكنهما كذبا في الإنكار، عن مجاهد، والجبائي[(٥)].

ب - وقيل: ﴿ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ في عبارة الرؤيا، لأنه كان يعبر لغيرهم، فيحسن ذكره الجبائي[(٦)].

[٢٠] - قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم

---

(١) سورة الرعد آية ١٤ وسورة المؤمن (غافر) آية ٥٠.
(٢) الطوسي: التبيان ج٦/ ١٣٥-١٣٦.
(٣) م. ن ج٦/ ٣٤.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٢/ ٢٣٢.
(٥) م. ن م٥/ ج١٢/ ٢٣٢.
(٦) الطوسي: التبيان ج٦/ ١٣٩.

بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾ قيل: أنه إنما قدم هذا ليعلما ما خصه به من النبوة وليقبلا عنه فقال: لا يأتيكما طعام من منزلكما إلاّ أخبرتكما بصفة ذلك الطعام وكيفيته قبل أن يأتيكما كما قال عيسى ابن مريم عليه السلام: وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم، عن الحسن، **والجبائي**(١).

[٢١] – قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

أ – ﴿ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ﴾ معناه للذي علم من طريق الوحي أنه ناج متخلص كما في قوله تعالى ﴿ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٠] وهذا قول الأكثرين، واختيار الجبائي(٢).

ب – وقال ابن إسحاق، والحسن، **والجبائي**: يعود على الساقي، وتقديره فأنسى الساقي الشيطان ذكر يوسف(٣).

ت – ﴿ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ قيل: معناه فأنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف عند الملك فلم يذكره حتى لبث في السجن، عن الحسن، ومحمد بن إسحاق، **والجبائي**، وأبي مسلم(٤).

[٢٢] – قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

وقال **الجبائي**، والبلخي: إنه من قول المرأة. والمعنى إن اعترافي على نفسي بذلك ليعلم يوسف إني لم اخنه بالغيب، لأن العزيز سألها ولم يكن يوسف حاضراً(٥).

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٢/ ٢٣٣.
(٢) م.ن م٥/ ج١٢/ ٢٣٤.
(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ١٤٤.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٢/ ٢٣٥.
(٥) الطوسي: التبيان ج٦/ ١٥٤.

[٢٣] – قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾

أ – وأكثر المفسرين على أن هذا من قول يوسف. وقال أبو علي الجبائي: هو من كلام المرأة[١].

ب – هذا من كلام يوسف عند أكثر المفسرين، وقيل: بل هو من كلام امرأة العزيز، عن الجبائي، أي ما أبرىء نفسي عن السوء والخيانة في أمر يوسف[٢].

ت – فإن قيل: فأي معنى لقول يوسف: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾

وفى ذلك جواب آخر اعتمده أبو علي الجبائى واختاره، وإن كان قد سبق إليه جماعة من أهل التأويل وذكروه، وهو انّ هذا الكلام الذي هو ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ إنما هو من كلام المرأة لا من كلام يوسف عليه السلام. واستشهدوا على صحة هذا التأويل بأنه منسوق على الكلام المحكي عن المرأة بلا شك. ألا ترى انه تعالى قال: ﴿ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[٣] فنسق الكلام على كلام المرأة وعلى هذا التأويل يكون التبرؤ من الخيانة الذى هو ذلك ﴿ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ من كلام المرأة لا من كلام يوسف ﷺ ويكون المكنى عنه في قولها ﴿ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ هو يوسف ﷺ دون زوجها، لأن زوجها قد خانته في الحقيقة بالغيب،

---

(١) الطوسي: التبيان ج٦/ ١٥٥.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٣/ ٢٤١.
(٣) سورة يوسف آية ٥١ – ٥٣.

وإنما أرادت أني لم أخن يوسف عليه السلام وهو غائب في السجن، ولم أقل فيه لما سئلت عنه وعن قصتي معه إلاّ الحق، ومن جعل ذلك من كلام يوسف عليه السلام جعله محمولاً على إني لم أخن العزيز في زوجته بالغيب، وهذا الجواب كأنه اشبه بالظاهر، لأن الكلام معه لا ينقطع عن اتساقه وانتظامه[1].

[٢٤] – قولـــه تعـــالى: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ بمن يستحق منها شيئاً ومن لا يستحق فأضعها مواضعها، عن قتادة، وابن إسحاق، والجبائي[2].

[٢٥] – قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

قال الجبائي: كان هذا التمكن ليوسف ثواباً من الله على طاعته وإحسانه الذي تقدم منه في الدنيا[3].

[٢٦] – قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

قال الجبائي: إنهم فارقوه وهو صبي أمرد، فجاءوه وقد التحى وكبر وتغيرت حاله، فلم يعرفوه[4].

[٢٧] – قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

وإنما قال : ﴿ مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ ﴾ وهو قد كال لهم، لأ، المعنى منع منا الكيل إن لم نأت باختيار لقوله: فلا كيل لكم عندي ولا تقربون هو قول

---

(١) الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء والأئمة ص١٠٢.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٣/ ٢٤٣.
(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ١٥٨.
(٤) م. ن ج٦/ ١٥٩.

الحسن، والزجاج، والجبائي[1].

[٢٨] - قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾

أ - قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ﴾ قال الجبائي: ما نبغي: فيما أخبرناك به عن ملك مصر ليس بالكذب، ودليله أن هذه بضاعتنا ردّت إلينا[2].

ب - ﴿ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ قيل: معناه أن الذي جئناك به كيل قليل لا يقنعنا فنحتاج أن نضيف إليه كيل بعير أخينا، عن الجبائي[3].

[٢٩] - قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾

﴿ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ وقيل في سبب قوله ذلك قولان:

وقال الجبائي: أنه خاف عليهم حسد الناس لهم، وان يبلغ الملك قوتهم وشدة بطشهم فيقتلهم خوفاً على ملكه، وأنكر العين. وقال: لم تثبت بحجة. وإنما هو شيء يقوله الجهّال العامة[4].

[٣٠] - قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ

(١) م. ن ج٦/ ١٦٣.

(٢) م. ن ج٦/ ١٦٥.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٣/ ٢٤٨.

(٤) الطوسي: التبيان ج٦/ ١٦٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٣/ ٢٤٩ (مع اختلاف يسير). وأيضاً الرازي: التفسير الكبير ج١٨/ ١٣٨ (ورد عند الرازي هكذا: إن أبا علي الجبائي أنكر هذا المعنى (أي العين) إنكاراً بليغاً ولم يذكر في إنكاره شبهة فضلاً عن حجّة).

لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ مرتبة يعقوب في العلم، عن الجبائي[١].

[٣١] – قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

أ – ﴿ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾ قيل: إنما قال ذلك بعض من فقد الصاع من قوم يوسف من غير أمره ولم يعلم بما أمر به يوسف من جعل الصاع في رحلهم، عن الجبائي[٢].

ب – وقيل: في وجه ندائهم بالسرقة مع إنهم لم يسرقوا شيئاً قولان: أحدهما – إن ذلك من قول أصحابه، ولم يأمرهم يوسف بذلك، ولا علم.وإنما كان أمر بجعل السقاية في رحل أخيه على ما أمره الله تعالى، فلما فقدها الموكلون بها اتهموهم بها. وهو اختيار الجبائي[٣].

[٣٢] – قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

ومعناه أن السنّة في بني إسرائيل وعند الملك كان استرقاق السارق، عن الحسن، والسدي، وابن إسحاق، والجبائي[٤].

[٣٣] – قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

واختلف فيما وصفوه به من السرقة على أقوال... فقيل: أن عمة يوسف كانت تحضنه بعد وفاة أمه وتحبه حباً شديداً، فلما ترعرع أراد يعقوب أن يسترده

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٣/ ٢٥٠.
(٢) م. ن م٥/ ج١٣/ ٢٥٢.
(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ١٧٠.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٣/ ٢٥٣.

منها وكانت أكبر ولد إسحاق وكانت عندها منطقة إسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر، فاحتالت وجاءت بالمنطقة وشدتها على وسط يوسف وادعت أنه سرقها، وكان من سنتهم استرقاق السارق فحبسته بذلك السبب، عن ابن عباس، والضحاك، والجبائي[١].

[٣٤] - قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

﴿ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ ﴾ قيل: بالسيف حتى أحارب من حبس أخي، عن الجبائي[٢].

[٣٥] - قوله تعالى: ﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

وروي عن ابن عباس، وقراءة الكسائي في رواية قتيبة عنه ﴿ سَرَقَ ﴾ بتشديد الراء على ما لم يسم فاعله، ومعناه انه قذف بالسرقة، واختار الجبائي هذه القراءة. قال: لأنها أبعد من أن يكونوا اخبروا بما لم يعلموا[٣].

[٣٦] - قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾

وقيل: كظيم بالغيظ على نفسه، لم أرسله مع إخوته - في قول السدي، والجبائي[٤].

[٣٧] - قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

سؤال: كيف خفي اخبار يوسف على يعقوب في المدة الطويلة مع قرب

---

(١) م. ن م٥/ ج١٣/ ٢٥٦.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٣/ ٢٥٧.

(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ١٨٠.

(٤) م. ن ج٦/ ١٨٢.

المسافة وكيف لم يعلمه يوسف بخبره لتسكن نفسه ويزول وجده؟

الجواب: قال الجبائي: العلة في ذلك أنه حمل إلى مصر، فبيع من عزيز فألزمه داره، ثم لبث في السجن بضع سنين، فانقطعت أخبار الناس عنه، فلما تمكّن احتال في إيصال خبره بأبيه على الوجه الذي أمكنه، وكان لا يأمن لو بعث رسولاً إليه أن لا يمكنه إخوته من الوصول إليه[١].

[٣٨] – قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

﴿ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ ﴾ قيل: رديئة لا تؤخذ إلا (بوكس)[٢]، عن ابن عباس، والجبائي[٣].

[٣٩] – قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾

قوله ﴿ وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ ... وأكثر المفسدين على أن الذي اعتذروا منه هو إقدامهم على إلقائه في الجب وبيعه وتبعيده عن البيت والأب. وقال أبو علي الجبائي: إنهم لم يعتذروا إليه من ذلك، لأن وقع منهم قبل البلوغ فلا يكون ذنباً فلا يعتذر منه، وإنما اعتذروا من حيث أنهم أخطؤا بعد ذلك بأن لم يظهروا لأبيهم ما فعلوه، ليعلم أنه حي وأن الذئب لم يأكله[٤].

[٤٠] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾

قال الجبائي: وجه ذلك أنهم سألوه أن يستغفر لهم دائماً في دعائه،

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٣/ ٢٥٨.
(٢) الوكس: النقص.
(٣) م. ن م٥/ ج١٣/ ٢٦٠.
(٤) الرازي: التفسير الكبير ج١٨/ ١٦٣ و١٦٤.

فوعدهم بذلك في المستقبل[١].

[٤١] – قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

أ – ﴿ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ قيل: يريد أباه وأمه وكانا حيين، عن ابن إسحاق، **والجبائي**[٢].

ب – قال الحسن، وابن إسحاق، **والجبائي**: كانت أمه بحق[٣].

[٤٢] – قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

أ – وقال **الجبائي**: كان مكرهم احتيالهم في أمر يوسف حين ألقوه في الجب[٤].

ب – وقال الحسن، **والجبائي**: يعني بالكتاب القرآن[٥].

[٤٣] – قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

اختلف في معناه على أقوال- أحدها – أنهم مشركوا قريش كانوا يقرون لله خالقاً ومحيياً ومميتاً الأصنام ويدعونها ألهة مع إنهم كانوا يقولون: الله ربنا والهنا يرزقنا فكانوا مشركين بذلك، عن ابن عباس، **والجبائي**[٦].

[٤٤] – قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

﴿ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ ﴾ قيل: معناه هذه الدعوة إليها ديني وطريقي، عن مقاتل، **والجبائي**[٧].

---

(١) الطوسي: التبيان ج٦/ ١٩٥.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٣/ ٢٦٤.
(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ١٩٦.
(٤) الطوسي: التبيان ج٦/ ٢٠١/ الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٣/ ٢٦٦.
(٥) الطوسي: التبيان ج٦/ ٢١٢.
(٦) الطبرسي: مجمع البيان م٥/ ج١٣/ ٢٦٧.
(٧) م. ن م٥/ ج١٣/ ٢٦٧.

سورة الرعد

[١] – قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِى لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾

أ – ﴿ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾ ... قال الجبائي: تأويل ابن عباس، ومجاهد، خطأ، لأنه لو كان لها عمد، لكانت أجساماً غلاظاً ورؤيت، وكانت تحتاج إلى عمد آخر إلاّ هو تعالى[١].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾

قوله ﴿ زَوۡجَيۡنِ ﴾ أفاد العدد لأمرين:... الثاني – إن الزوجين قد يقع على الذكر والأنثى. وعلى غيرهما، فأراد أن يبيّن إن المراد به هاهنا لونين أو ضربين دون الذكورة والأنوثة، وذلك فائدة لا يفيدها قوله ﴿ زَوۡجَيۡنِ ﴾ فلا تكرار فيه بحال. وهو قول الحسن، والجبائي، وغيرهما[٢].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾[٣]

أ – ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ ... أن معناه أنت منذر وهاد لكل

---

(١) الطوسي: التبيان ج٦/ ٢١٣. وأيضاً الطبرسي: مجمع البيان م٦/ج١٣/ ٢٧٤ (مع اختلاف يسير). وتأويل ابن عباس ومجاهد هو: يعني ليس ترونها دعامة تدعمها. ولا فوقها علاقة تمسكها. الطوسي: التبيان ج٦/ ٢١٣.

(٢) الطوسي: التبيان ج٦/ ٢١٦.

(٣) وردت هذه الآية تحت رقم ٨ في كتاب التبيان(٦/ ٢٢٢) والصحيح هو ٧ في القرآن الكريم.

قوم وليس إليك أنزال الآيات، عن الحسن، وأبي الضحى، وعكرمة، والجبائي، وعلى هذا فيكون أنت مبتدأ ومنذر خبره وهاد عطف على منذر وفصل بين الواو والمعطوف بالظرف[1].

ب - ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ... قال الحسن، وقتادة في رواية، وأبو الضحى، وعكرمة: انه محمد ﷺ، وهو اختيار الجبائي[2].

[٤] - قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾

أ - ﴿ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ قيل: من أمر الله، عن الحسن، ومجاهد، والجبائي[3].

ب - النظم: وقوله ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾ يتصل بقوله ﴿ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾[4]، عن الجبائي[5].

ت - ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ ... واحتجّ أبو علي الجبائي والقاضي بهذه الآية في مسألتين:

المسألة الأولى: أنه تعالى لا يعاقب أطفال المشركين بذنوب آبائهم، لأنهم لم يغيّروا ما بأنفسهم من نعمة فيغيّر الله حالهم من النعمة إلى العذاب.

المسألة الثانية: قالوا: الآية تدل على بطلان قول المجبرة إنه تعالى يبتدئ العبد بالضلال والخذلان أول ما يبلغ وذلك أعظم من العقاب، مع أنه ما كان منه تغيير[6].

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٣/ ٢٧٨.

(٢) الطوسي: التبيان ج٦/ ٢٢٣.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٣/ ٢٨١.

(٤) ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾.

(٥) م. ن م٦/ ج١٣/ ٢٨١.

(٦) الرازي: التفسير الكبير ج١٩/ ٩.

ث - وقد قال شيخنا أبو علي رحمه الله[١]: واسم فاعل السوء يجب أن يكون سائياً لأنه مأخوذ من ساءهم يسوؤهم وليس في قوله: ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا ﴾ ، دلالة على أن كل سوء فَقَدْ أراده، لأنه نكر السوء ولم يقمه، وقوله: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا ﴾[٢]، يدل على أنهم فعلوا الإساءة وأنه تعالى يجازيهم السوء الذي هو العقاب، فأما قوله: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[٣] مجاز، لأن العقوبة لا تسمى سيئة، وكذلك قوله: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾[٤]، وهذه الطريقة في اللغة مشهورة لأنهم يجرون اسم الشيء على ما هو جزاء عليه، وعلى هذا قالوا الجزاء بالجزاء، والأول ليس بجزاء[٥].

[٥] - قوله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾[٦]

وقوله ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ وقال الجبائي: شديد الكيد للكفار، وسني المحل سني الهلاك بالقحط[٧].

[٦] - قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا

---

(١) قول الجبائي هذا هو ردّ على إحدى الشبهات وهي: قالوا: وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾، وقال: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا ﴾، فيجب إذا كان الكفر سوءاً أن يكون من خَلْقه، ويجب إذا جاز أن يفعله ولا يكون مسيئاً أن يجوز أن يفعل الظلم ولا يكون ظالماً، واعلم أن المسيء هو فاعل الإساءة لا فاعل السوء، فلا يجب إذا فعل تعالى سوءاً أن يكون هو فاعل الإساءة لا فاعل السوء، فلا يجب إذا فعل تعالى سوءاً أن يكون مسيئاً.

(٢) سورة الروم: ١٠.

(٣) سورة الشورى: ٤٠.

(٤) سورة البقرة: ١٩٤.

(٥) القاضي عبد الجبار: المغني... ج٨/ ٣١٩ و٣٢٠.

(٦) وردت هذه الآية تحت رقم ١٤ في كتاب التبيان (٦/ ٢٢٩) والصحيح هو ١٣ في القرآن الكريم.

(٧) الطوسي: التبيان ٦/ ٢٢٩ / الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٣/ ٢٨٣.

يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ واختلف في معنى دعوة الحق على أقوال... الثالث: أنها الدعوة التي يدعي بها الله على إخلاص التوحيد، عن الجبائي، والمعنى أن من دعاه على جهة الإخلاص فهو يجيبه فله سبحانه من خلقه دعوة الحق[1].

[٧] – قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ اختلف في معناه على قولين... الثاني: أن المعنى ولله يخضع من في السموات والأرض إلاّ إن المؤمن يخضع له طوعاً والكافر يخضع له كرهاً، لأنه لا يمكنه أن يمتنع من الخضوع لله لما يحل به من الآلام والأسقام، عن الجبائي[2].

[٨] – قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ يعني فاحتمل الأنهار الماء كل نهر بقدره الصغير على قدر صغره، والكبير على قدر كبره، فسالت كل نهر بقدره، عن الحسن، وقتادة، والجبائي[3].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) الطوسي: التبيان ٦/ ٢٣٢/ الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٣/ ٢٨٣.

(٢) م. ن م٦/ ج١٣/ ٢٨٤.

(٣) م. ن م٦/ ج١٣/ ٢٨٤.

لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾ (١)

أ - ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ ﴾ قيل فيه أقوال... الثاني هو أن يحاسبوا للتقريع والتوبيخ، فإن الكافر يحاسب على هذا الوجه والمؤمن يحاسب ليسر بما أعد الله تعالى، عن الجبائي(٢).

ب - وقال الجبائي: معناه وأخذه به على وجه التوبيخ والتقريع(٣).

ت - ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ ... يتصل بما قبله لأن معناه أن الذي يبقى مثل الذين استجابوا لربهم والذي يذهب جفاء مثل الذي لا يستجيب، والمراد به الذين أجابوا دعوة الله وآمنوا به وأطاعوه الحسنى وهي الجنة، عن الحسن، والجبائي(٤).

[١٠] - قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ قيل: هو ما يلزم من صلة المؤمنين بأن يتولوهم وينصروهم ويذبوا عنهم، ويدخل فيه صلة الرحم وغير ذلك، عن الجبائي، وأبي مسلم(٥).

[١١] - قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٦)

أ - ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾ ... قال الجبائي: تأنيث الأطيب من صفة الجنة، والمعنى إنها أطيب الأشياء لهم(٧).

---

(١) وردت هذه الآية تحت رقم ١٨ في كتاب التبيان ج٦/ ٢٤١.

(٢) م. ن م٦/ ج١٣/ ٢٨٧.

(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ٢٤١-٢٤٢.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٣/ ٢٨٧.

(٥) م.ن م٦/ ج١٣/ ٢٨٩.

(٦) وردت هذه الآية تحت رقم ٣٠ في كتاب التبيان (ج٦/ ٢٥٠) والصحيح هو ٢٩ في القرآن الكريم.

(٧) الطوسي: التبيان ج٦/ ٢٥١.

ب - ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾... قيل: أطيب الأشياء لهم وهو الجنة، عن الجبائي[١].

[١٢] - قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾[٢]

قال الحسن، والجبائي: إن المعنى إنا أرسلناك كما أرسلنا الأنبياء قبلك[٣].

[١٣] - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا ﴾ أن التاء في تحل للتأنيث والمعنى أو تحل القارعة قريباً من دارهم فتجاورهم حتى يحصل لهم المخافة منه، عن الحسن، وقتادة، وأبي مسلم، والجبائي[٤].

[١٤] - قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

﴿ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ ﴾ قيل: أم بظاهر كتاب أنزل الله تعالى سميتم الأصنام آلهة فبين أنه ليس هاهنا دليل عقلي ولا سمعي يوجب استحقاق

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٣/ ٢٩١.

(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ٣٢ في كتاب التبيان (ج٦/ ٢٥١) والصحيح هو ٣٠ في القرآن الكريم.

(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ٢٥١.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٣/ ٢٩٤.

الأصنام الآلهة، عن الجبائي[١].

[١٥] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾[٢]

وقال الجبائي: يجوز أن يعنى بالفرح به اليهود والنصارى، لأن ما أتى به مصدق لما معهم، وأما إنكار بعضهم، فهو إنكار بعض معانيه وما يدل على مصدقه أو يخالف أحكامهم[٣].

[١٦] – قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿ مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ ﴾ ... أن معناه أولم يروا ما يحدث في الدنيا من الخراب بعد العمارة والموت بعد الحياة والنقصان بعد الزيادة، عن الجبائي[٤].

[١٧] – قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ ﴾

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ ﴾ ... يريد بالمكر ما يفعل الله تعالى بهم من المكروه، عن الجبائي[٥].

[١٨] – قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ... أن المراد به مؤمنو أهل الكتاب منهم: عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري، عن ابن عباس، وقتادة،

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٣/ ٢٩٥.
(٢) وردت هذه الآية تحت رقم ٣٨ في كتاب التبيان (ج٦/ ٢٦٠) والصحيح هو ٣٦ في القرآن الكريم.
(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ٢٦٠.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٣/ ٣٠٠.
(٥) م. ن م٦/ ج١٣/ ٣٠٠.

ومجاهد، واختاره الجبائي[١].

سورة إبراهيم

[١] - قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ ﴾

قال الجبائي: أرسل الله تعالى موسى عليه السلام إلى قومه من بني إسرائيل بآياته وهي دلالاته وكتبه المنزلة عليه، وأمره أن يبيّن لهم الدين[٢].

[٢] - قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝ ﴾

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾... قيل: أخبر ربكم، عن الجبائي[٣].

[٣] - قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ ﴾

أ - في قوله ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ﴾ ... قال الجبائي: إنه متوجه إلى أمة النبي صلى الله على وسلم ذكروا بأخبار من تقدم وما جرى من قصصهم[٤].

ب - ﴿ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ ... أن معناه عضوا على أصابعهم من شدة الغيظ لأنه ثقل عليهم مكان الرسل، عن ابن مسعود، وابن عباس،

---

(١) م. ن م٦/ ج١٣/ ٣٠١.
(٢) الرازي: التفسير الكبير ج١٩/ ٦٦.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٣/ ٣٠٥.
(٤) الطوسي: التبيان ج٦/ ٢٧٧.

والجبائي[١].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ قال الجبائي: دخلت "من" للتبعيض ووضع موضع الجميع توسعاً[٢].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾

وقيل في قوله ﴿ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾، قولان: أحدهما – قال أبو علي الجبائي: إنهم سألوا آية مخصوصة غير ما أتتهم به الرسل، كما سأله قريش، فقالوا ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ (الإسراء: ٩٠) [٣].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾

وقال الجبائي: هو سؤالهم أن يحكم الله بينهم وبين أممهم، لأن الفتح الحكم، ومنه قولهم: الفتاح الحاكم[٤].

[٧] – قوله تعالى: ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾

أ –وقوله ﴿ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ ... قال ابن عباس،

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٣/ ٣٠٥.

(٢) م. ن م٦/ ج١٣/ ٣٠٦.

(٣) الطوسي: التبيان ج ٦/ ٢٨١.

(٤) الطوسي: التبيان ج٦/ ٢٨٢/ الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٣/ ٣٠٨.

والجبائي: من كل جهة، من عن يمينه وشماله ومن فوقه وتحته، ومن قدامه وخلفه[١].

ب - وقيل: يحضره الموت من موضع ويأخذه من كل جانب، من فوقه ومن تحته، وعن يمينه وشماله، ومن قدامه وخلفه، عن ابن عباس، والجبائي[٢].

[٨] - قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾ ... أراد للحق أي للغرض الصحيح، والأمر الحق وهو الدين والعبادة، أي ليعبدوا فيستحقوا به الثواب، عن ابن عباس، والجبائي[٣].

[٩] - قوله تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ﴾ أي قال المتبوعون للأتباع: لو هدانا الله إلى طريق الخلاص من العقاب والوصول إلى النعيم والثواب لهديناكم إلى ذلك، والمعنى لو خلصنا لخلصناكم أيضًا لكن لا مطمع فيه لنا ولكم، عن الجبائي، وأبي مسلم[٤].

[١٠] - قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

قال الجبائي: وفي الآية دلالة على أن الشيطان لا يقدر على الأضرار

---

(١) الطوسي: التبيان ج٦/ ٢٨٤.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٣/ ٣٠٨-٣٠٩.

(٣) م. ن م٦/ ج١٣/ ٣١٠.

(٤) م. ن م٦/ ج١٣/ ٣١٠.

بالإنسان أكثر من إغوائه ودعائه إلى المعاصي، فأما بغير ذلك فلا يقدر عليه، لأنه اخبر بذلك، ويجب أن يكون صادقا، لأن الآخرة لا يقع فيها من أحد قبيح لكونهم ملجئين إلى تركه[1].

[١١] – قوله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿ قُل ﴾ يا محمد ﴿ لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ قيل: أراد به جميع المؤمنين، عن الجبائي[2].

[١٢] – قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾

﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ إنما هو إخبار من سبحانه بذلك وابتداء كلام من جهته لا على سبيل الحكاية عن إبراهيم ﷺ بل هو اعتراض، عن الجبائي[3].

[١٣] – قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾

﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ ومعناه إنما يؤخر عقابهم ومجازاتهم إلى يوم القيامة، وهو اليوم الذي تكون فيه الأبصار شاخصة عن مواضعها لا تغمض لهول ما ترى في ذلك اليوم ولا تطرف، عن الجبائي[4].

[١٤] – قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾

---

(١) الطوسي: التبيان ج٦/ ٢٩٠.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ج١٣/ ٣١٦.
(٣) م. ن م٦/ج١٣/ ٣١٩.
(٤) م. ن م٦/ج١٣/ ٣٢١.

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾ معناه ودم على إنذارك الناس وهو عام في كل مكلف، عن الجبائي، وأبي مسلم[١].

[١٥] – قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ ... أن المعنى تبدل الأرض وتنشأ أرض غيرها، والسموات كذلك تبدل بغيرها وتفنى هذه، عن الجبائي، وجماعة من المفسرين[٢].

[١٦] – قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾

أ – ﴿ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ ... وقال الجبائي: قرن بعضهم إلى بعض، والصفد الغل الذي يقرن به اليد إلى العنق، ويجوز ان يكون السلسلة التي يقع بها التقرين، وأصل الصفد القيد، وهو الصفاد، وجمعه صفد[٣].

ب – ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ ... وجوّز الجبائي على القراءتين أن يسربلوا سربالين أحدهما من القطران والآخر من القطر الآني[٤].

سورة الحجر

[١] – قوله تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾

أ – ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ قيل: لا ينزلون إلاّ بعذاب الاستئصال

(١) م. ن م٦/ ج١٣/ ٣٢١.
(٢) م. ن م٦/ ج١٣/ ٣٢٤.
(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ٣١٠/ الطبرسي: مجمع البيان م٦/ج١٣/ ٣٢٥(مع اختلاف يسير).
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٣/ ٣٢٥.

إن لم يؤمنوا، عن الحسن، والجبائي[١].

ب - ﴿ لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ قال الجبائي: معناه وإنا له لحافظون من أن تناله أيدي المشركين، فيسرعون إلى إبطاله، ومنع المؤمنين من الصلاة به. وفي هذه الآية دلالة على حدوث القرآن، لأن ما يكون منزلاً ومحفوظاً لا يكون إلاّ محدثا، لأن القديم لا يجوز عليه ذلك ولا يحتاج إلى حفظه[٢].

[٢] - قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

ب - وقوله ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما - كذلك نسلك القرآن الذي هو الذكر بأخطاره على البال ليؤمنوا به، فهم لا يؤمون به، ماضين على سنة من تقدمهم، من تكذيب الرسل، كما سلكنا دعوة الرسل في قلوب من سلف من الأمم. ذهب إليه البلخي، والجبائي[٣].

[٣] - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ قيل: فظل هؤلاء المشركون يعرجون إلى السماء من ذلك الباب وشاهدوا ملكوت السموات، عن الحسن، والجبائي، وأبي مسلم[٤].

[٤] - قوله تعالى: ﴿ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ أي مرجوم مرمى بالشهب، عن أبي علي الجبائي، وأبي مسلم[٥].

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٣/ ٣٣٠.
(٢) الطوسي: التبيان ج٦/ ٣٢٠/ الطبرسي: مجمع البيان م٦/ج١٤/ ٣٣١ (مع اختلاف يسير).
(٣) الطوسي: التبيان ج ٦/ ٣٢١/ الطبرسي: مجمع البيان م٦/ج١٤/ ٣٣١ (مع اختلاف يسير).
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٣٣١.
(٥) م. ن م٦/ ج١٤/ ٣٣١.

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ ... قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والجبائي: من كل شيء مقدر معلوم(١).

[٦] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

فقال الجبائي: قال الله له ذلك على لسان بعض رسله، وهو الأليق، لأنه لا يصح أن يكلمه الله بلا واسطة في زمان التكليف(٢).

[٧] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾

أ – قال الجبائي: أمره بالخروج من الجنة(٣).

ب – واختلفوا في تجويز إجابة دعاء الكافر، فقال الجبائي: لا يجوز، لأن إجابة الدعاء ثواب، لما فيه من إجلال الداعي بإجابته إلى ما سأل(٤).

ت – ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ قيل: الوقت المعلوم يوم القيامة انظره الله سبحانه في رفع العذاب عنه إلى يوم القيامة، عن الحسن، والجبائي، وأبي مسلم(٥).

[٨] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

أن الإغواء الأول والثاني بمعنى التخييب، أي بمعنى خيبتني من رحمتك لا

---

(١) الطوسي: التبيان ج ٦/ ٣٢٦.
(٢) الطوسي: التبيان ج٦/ ٣٣٣-٣٣٤/ الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٣٣٦.
(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ٣٣٤.
(٤) الطوسي: التبيان ج٦/ ٣٣٥.
(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٣٣٧.

خيبنهم بالدعاء إلى معصيتك، عن الجبائي[١].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

أ – ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ وقال الجبائي: ذلك يدل على أن الجن لا يقدرون على الأضرار ببني آدم، لأنه على عمومه[٢].

[١٠]– قوله تعالى: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ ﴾ ... مجاهد، وعكرمة، والجبائي، قالوا: أن أبواب النيران كأطباق اليد على اليد[٣].

[١١] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿ مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ ﴾ وقيل في معناه قولان: ... والآخر – إنه استفهم فقال: أأمر الله أن تبشروني، في قول الجبائي[٤].

[١٢] – قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

أ – ﴿ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ قال الجبائي: وهذا القول إنما

---

(١) م. ن م٦/ ج١٤/ ٣٣٧.

(٢) الطوسي: التبيان ج٦/ ٣٣٨/ الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٣٣٧ – ٣٣٨.

(٣) فيه قولان.. أحدها ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن جهنم لها سبعة أبواب أطباق فوق بعضها ووضع إحدى يديه على الأخرى فقال: هكذا وأن الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم وفوقها لظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها الهاوية، وفي رواية الكلبي أسفلها الهاوية وأعلاها جهنم، وعن ابن عباس أن الباب الأول جهنم والثاني سعير والثالث سقر والرابع الجحيم والخامس لظى والسادس الحطمة والسابع الهاوية. الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٣٣٨.

(٤) الطوسي: التبيان ج٦/ ٣٤٢.

كان من لوط لقومه قبل أن يعلم أنهم ملائكة بعثوا لإهلاك قومه وإنما ذكر مؤخراً وهو في المعنى مقدم كما ذكر في غير هذه السورة[١].

ب - وقال الحسن، وقتادة: أراد ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ ﴾ فتزوجوهن ﴿ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ كناية عن طلب الجماع. وقال الجبائي: ذلك للرؤساء الذين يكفون الإتباع، وقد كان يجوز في تلك الشريعة تزويج المؤمنة بالكافر، وقد كان في صدر شريعتنا جائزا أيضاً، ثم حرم. وهو قول الحسن. وقال الزجاج: أراد نساء أمته، فهم بناته في الحكم، قال الجبائي: وهذا القول كان من لوط لقومه قبل أن يعلم أنهم ملائكة لا يحتاج إلى هذا القول لقومه[٢].

ت - ﴿ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ قيل: وإنما قال ذلك للرؤساء الذين يكفون الإتباع وقد كان يجوز تزويج المؤمنة من الكافر يومئذ وقد كان ذلك أيضاً جائزا في صدر شريعتنا ثم حرم، عن الحسن، والجبائي[٣].

[١٣] - قوله تعالى: ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ۝٧٩ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٨٠ ﴾

أ - وقال أبو علي الجبائي: ﴿ لَبِإِمَامٖ ﴾ وهو الكتاب السابق الذي هو اللوح المحفوظ، ثابت ذلك فيه ظاهر. والإمام - في اللغة - هو المقدم الذي يتبعه من بعده وإنما كانا بإمام مبين، لأنهما على معنى يجب أن يتبع، فيما يقتضيه ويدل عليه، والمبين الظاهر[٤].

ب - ﴿ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٨٠ ﴾ قيل: بعث إليهم رسلاً منهم صالح، عن الجبائي[٥].

[١٤] - قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٣٤٢.
(٢) الطوسي: التبيان ج٦/ ٣٤٧.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٣٤٢.
(٤) الطوسي: التبيان ج٦/ ٣٥٠-٣٥١.
(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٣٤٣.

بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾

أ - وقال الجبائي: أمره بأن يحلم عنهم فيما كانوا يسفهون عليه من شتمه، وسفاهتهم عليه، فلا يقابلهم بمثله[١].

ب - قال الجبائي: دلت الآية على أنه تعالى ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلى حقاً ويكون مخلوقاً بالحق ، وفيه بطلان مذهب الجبرية الذين يزعمون أن أكثر ما خلقه الله تعالى بين السموات والأرض من الكفر والمعاصي باطل[٢].

[١٥] - قوله تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ قال الجبائي: معناه لا تحزن لما أنعمت عليهم دونك[٣].

[١٦] - قوله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

أ - ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ قيل: معناه فافرق بين الحق والباطل بما أمرت به، عن الجبائي، والأخفش[٤].

ب - ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ قيل: وأعرض عن مجاوبتهم إذا آذوك، عن الجبائي[٥].

سورة النحل

[١] - قوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا

(١) الطوسي: التبيان ج٦/ ٣٥٢.
(٢) الرازي: التفسير الكبير ج١٩/ ١٦٣.
(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ٣٥٣/ الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٣٤٥.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٣٤٦.
(٥) م. ن م٦/ ج١٤/ ٣٤٦.

يُشۡرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾

أ - وقال الجبائي: أمره القيامة[١].

ب - فيه أقوال... ثالثها أن أمر الله هو يوم القيامة عن الجبائي[٢].

[٢] - قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾

﴿ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ .... قال الجبائي: لو شاء لهداكم إلى الجنة[٣].

[٣] - قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ ﴾

وقوله ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ وقال الجبائي: لا تحصوها مفصلة لكثرتها وإن صح منكم إحصاؤها على وجه الجملة[٤].

[٤] - قوله تعالى: ﴿ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ قيل: أن المعنى ولا تدري الأصنام متى يبعث الخلق، عن الجبائي[٥].

[٥] - قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

وقوله ﴿ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ ﴾ ... ما كنا نعمل من سوء عند أنفسنا، لأنهم في الآخرة ملجؤن إلى ترك القبيح والكذب، ذكره الجبائي[٦].

[٦] - قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ

(١) الطوسي: التبيان ج٦/ ٣٥٨.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٣٤٨.

(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ٣٦٣/ الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٣٥٢.

(٤) الطوسي: التبيان ج٦/ ٣٧٠.

(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٣٥٥.

(٦) الطوسي: التبيان ج ٦/ ٣٧٥-٣٧٦.

ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

أجاب الجبائي: بأن المراد ﴿ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ لنيل ثوابه وجنته ﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ ﴾ أي العقاب. قال: وفي صفة قوله ﴿ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ﴾ دلالة على أنها العذاب دون كلمة الكفر؛ لأن الكفر والمعصية لا يجوز وصفهما بأنه حق. وأيضاً قال تعالى بعده ﴿ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ وهذه العاقبة هي آثار الهلاك لمن تقدم من الأمم الذين استأصلهم الله تعالى بالعذاب، وذلك يدل على أن المراد بالضلال المذكور هو عذاب الاستئصال[١].

[٧] – قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

قال القاضي: وزعم أبو علي الجبائي أنه لم يبعث إلى الأنبياء عليهم السلام إلاّ من هو بصورة الرجال من الملائكة[٢].

[٨] – قوله تعالى: ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ ﴾ قيل: معناه على تنقص من الأموال والأنفس بالبلايا والإسقام أن لم يعذبهم بعذاب الاستئصال لينبه غيرهم ويزعجهم، عن الجبائي[٣].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

﴿ وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ ﴾ قيل: أن المراد بالسكر ما يشرب من أنواع الأشربة مما

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج ٢٠/ ٢٤.

(٢) الرازي: التفسير الكبير ج ٢٠/ ٣٠.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٣٦٤.

يحل، والرزق الحسن ما يؤكل والحسن اللذيذ، عن الشعبي، والجبائي، فالمعنى تتخذون منه أصنافًا من الأشربة والأطعمة[(١)].

[١٠] - قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

أ - قال الجبائي: ويحتمل أن يكون المعنى، ولله ملك ما غاب مما في السموات والأرض[(٢)].

[١١] - قوله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ قال الجبائي: هو وإن كان لفظاً خاصًا، فهو عام في المعنى[(٣)].

[١٢] - قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

قال الجبائي: المعنى أن الله يخلق فيهم العلم الضروري بأنهم إن اعتذروا لم تقبل معذرتهم، وإن استعتبوا لم يعتبوا ولم يرد أنهم لا يؤمرون بالاعتذار، ولا يمكنون منه، لأن الأمر والتكليف قد زالا عنهم[(٤)].

[١٣] - قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

... وفي ذلك دلالة على إن كل عصر لا يخلو ممن يكون قوله حجّة على أهل عصره، عدل عند الله، وهو قول الجبائي، وأكثر أهل العدل[(٥)].

---

(١) م. ن م٦/ ج١٤/ ٣٧١.
(٢) الطوسي: التبيان ج٦/ ٤١٠ / الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٣٧٥.
(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ٤١٥/ الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٣٧٨.
(٤) الطوسي: التبيان ج٦/ ٤١٥-٤١٦.
(٥) الطوسي: التبيان ج ٦/ ٤١٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٣٨٠.

[١٤] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

وقال الجبائي: في الآية دلالة على أن الصَرَع ليس من قبل الشيطان، قال: لأنه لو أمكنه أن يصرعه، لكان له عليهم سلطان[١].

سورة الإسراء

[١] – قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

وذكره الجبائي أيضا[٢]: انه عرج به في تلك الليلة إلى السموات حتى بلغ سدرة المنتهى في السماء السابعة، وأراه الله من آيات السموات والأرض ما ازداد به معرفة ويقيناً، وكان ذلك في يقظته دون منامه، والذي يشهد به القرآن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والباقي يعلم بالخبر[٣].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾

﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ قيل: أنه سبحانه ذكر فسادهم في الأرض ولم يبيّن ما هو فلا يقطع على شيء مما ذكر، عن أبي علي الجبائي[٤].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾

أ – ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ قيل: معناه أمرنا قوماً مؤمنين بقتالكم وجهادكم، لأن ظاهر قوله تعالى ﴿ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ وقوله ﴿ بَعَثْنَا ﴾

(١) الطوسي: التبيان ج٦/ ٤٢٥.
(٢) أي ذكر أيضاً المعراج.
(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ٤٤٦.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٣٩٨.

يقتضي ذلك، عن الجبائي[١].

ب – أجاب الجبائي عنه من وجهين[٢]: الأول: المراد من ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ ﴾ هو أنه تعالى أمر أولئك الأقوام يغزو بني إسرائيل لما ظهر من الفساد، فأضيف ذلك الفعل على الله تعالى من حيث الأمر. والثاني : أن يكون المراد خلينا بينهم وبين بني إسرائيل، وما ألقينا الخوف من بني إسرائيل في قلوبهم. وحاصل الكلام أن المراد من هذا البعث التخلية وعدم المنع[٣].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾

... ثم أخبر أنه تعالى جعل ﴿ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ﴾ يريد الشمس والقمر في هذا الموضع – عند قوم – وقال الجبائي: هما الليل والنهار[٤].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾

قال الجبائي: في الآية دلالة على أنه تعالى لا يعذب الأطفال بكفر آبائهم، وإلاّ لكان الطفل مؤاخذاً بذنب أبيه، وذلك على خلاف ظاهر هذه الآية[٥].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾

وأجاب الجبائي بأن قال: ليس المراد من الآية أنه تعالى يريد إهلاكهم قبل أن يعصوا ويستحقوا، وذلك لأنه ظلم وهو على الله محال، بل المراد من الإرادة

---

(١) م. ن م٦/ ج١٥/ ٣٩٨.

(٢) الذي أجاب عنه الجبائي هو: أنه تعالى أضاف كل ذلك إلى نعته بقوله (ثم بعثنا عليكم) وذلك يدلّ على أن الخير والشرّ والطاعة والمعصيّة من الله تعالى (راجع الرازي: التفسير الكبير ج٢٠/ ١٢٦.).

(٣) الرازي: التفسير الكبير ج ٢٠/ ١٢٦.

(٤) الطوسي: التبيان ج٦/ ٤٥٤.

(٥) الرازي: التفسير الكبير ج ٢٠/ ١٣٧.

قرب تلك الحالة فكان التقدير وإذا قرب وقت إهلاك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها وهو كقول القائل: إذا أراد المريض أن يموت ازدادت أمراضه شدة، وإذا أراد التاجر أن يفتقر أتاه الخسران من كل جهة، وليس المراد أن المريض يريد أن يموت، والتاجر يريد أن يفتقر، وإنما يعنون أنه سيصير كذلك فكذا ههنا(١).

[٧] - قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾

قال الجبائي: قوله ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ ﴾ يدل على أنه تعالى إنما أنزل هذا القرآن وإنما أكثر فيه من ذكر الدلائل لأنه تعالى أراد منهم فهمهما والإيمان بها، وهذا يدل على أنه تعالى يفعل لأغراض حكمية، ويدل على أنه تعالى أراد الإيمان من الكل سواء آمنوا أو كفروا والله أعلم(٢).

[٨] - قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿ مَّحْسُورًا ﴾ قيل: معناه أن أمسكت قعدت ملوماً مذموماً، وإن أسرفت بقيت متحسراً مغموماً، عن الجبائي(٣).

[٩] - قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾

وقوله ﴿ لَّٱبْتَغَوْا۟ ﴾ وقال الحسن، والجبائي: لا تبغوا سبيلا إلى مغالبته ومضادته، كما قال ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ ﴾ (الأنبياء: ٢٢)(٤).

[١٠] - قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾

النزول: قيل: نزل قوله ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ الآية في قوم كانوا يؤذنون

(١) الرازي: التفسير الكبير ج ٢٠/ ١٤١.
(٢) الرازي: التفسير الكبير ج ٢٠/ ١٧٣.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٤١١.
(٤) الطوسي: التبيان ج٦/ ٤٨١.

النبي ﷺ بالليل إذا تلا القرآن وصلى عند الكعبة وكانوا يرمونه بالحجارة ويمنعونه عن الدعاء إلى الدين، فحال الله سبحانه بينه وبينهم حتى لا يؤذوه، عن الزجاج، والجبائي[(١)].

[١١] – قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾

أ – ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ ... قال الجبائي: إنه تعالى منعهم من ذلك وحال بينهم وبينه في وقت مخصوص، لئلا يؤذوا النبي ﷺ[(٢)].

ب – قال الجبائي: كانوا يطلبون موضعه في الليالي لينتهوا إليه ويؤذونه، ويستدلون على مبيته باستماع قراءته فأمنه الله تعالى من شرهم، وذكر له أنه جعل بينه وبينهم حجاباً لا يمكنهم الوصول إليه معه، وبين أنه جعل في قلوبهم ما يشغلهم عن فهم القرآن وفي آذانهم ما يمنع من سماع صوته، ويجوز أن يكون ذلك مرضاً شاغلا يمنعهم من المصير إليه والتفرغ له، لأنه حصل هناك كنٌّ للقلب ووقر في الأذن[(٣)].

[١٢] – قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾

قال الجبائي: ثم رجع سبحانه إلى ذكر الأنبياء في الآية الأولى فقال ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ ومعناه ، أولئك الذين يدعون إلى الله تعالى ويطلبون القربة إليه بفعل الطاعات[(٤)].

[١٣] – قوله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ ﴾

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٤١٨.
(٢) م. ن ج٦/ ٤٨٤.
(٣) الرازي: التفسير الكبير ج ٢٠/ ١٧٨.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٤٢٢.

﴿ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ قيل: أراد انه سبحانه مالك للرحمة والعذاب فيكون الرجاء إليه والخوف منه، عن الجبائي[١].

[١٤] – قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ وهو عذاب الاستئصال فيكون هلاك الصالحين بالموت وهلاك الطالحين بالعذاب في الدنيا فإنه يفني الناس ويخرب البلاد قبل يوم القيامة ثم تقوم القيامة، عن الجبائي، ومقاتل[٢].

[١٥] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾

أ – ﴿ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ قيل: معناه أنه قادر على ما سألوه من الآيات عالم بمصالحتهم فلا يفعل إلا ما هو الصلاح، فأمض لما أمرت به من تبليغ، فإن الله سبحانه أن أنزلها فلما يعلم في إنزالها من اللطف وإن لم ينزلها فلما يعلم من المصلحة، عن الجبائي[٣].

ب – ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ فيه أقوال... ثانيها: ما روى عن ابن عباس في رواية أخرى أنها رؤيا نوم رآها أنه سيدخل مكة وهو بالمدينة فقصدها فصده المشركون في الحديبية عن دخولها حتى شك قوم ودخلت عليهم الشبهة فقالوا: يا رسول الله أليس قد أخبرتنا إنا ندخل المسجد الحرام آمنين؟ فقال ﷺ: أو قلت لكم أنكم تدخلونها العام؟ قالوا: لا فقال: لندخلنها إن شاء الله ورجع ثم دخل مكة في العام القابل فنزل لقد صدق الله ورسوله الرؤيا بالحق، وهو قول الجبائي،

---

(١) م. ن م٦/ ج١٥/ ٣٢١.
(٢) الطوسي: التبيان م٦/ ج٤٢٣.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٤/ ٤٢٤.

وأبي مسلم، وإنما كان فتنة وامتحاناً وابتلاء لما ذكرناه[(١)].

[١٦] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾

أ – ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قيل: لاستأصلهم بالإغواء من احتناك الجراد الزرع وهو أن يأكله ويستأصله، عن الجبائي، وإنما طمع الملعون في ذلك لأن الله سبحانه أخبر الملائكة أنه سيجعل في الأرض من يفسد فيها فكأن العلم قد سبق له بذلك، عن الجبائي[(٢)].

[١٧] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾

أ – قال الجبائي: معناه أن عبادي ليس لك عليهم قدرة، على ضر ونفع أكثر من الوسوسة، والدعاء إلى الفساد، فأما على كفر أو ضرر، فلا، لأنه خلق ضعيف متخلخل، لا يقدر على الإضرار بغيره[(٣)].

ب – فصل: فيما نذكره من الجزء الحادي عشر وهو الأوّل من المجلّد السادس من (تفسير الجبّائي) من الوجهة الأوّلة، من القائمة السابعة، من الكرّاس الثامن بلفظه: وأمّا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ فإنما عنى به أنّه لا سبيل لك على عبادي في أن تضرّهم، سوى وسوستك لهم في الاستدعاء لهم إلى المعاصي، فأمّا ما سوى ذلك من الضرر الذي يجوز أن يضرّ به العباد بعضهم بعضاً فإنّه لا سبيل لك عليهم ولا قوّة ؛ لأنّ الله خلَقَه خلقاً ضعيفاً عاجزاً رقيقاً خفيفاً، ولرقّته وخفائه صار لا يراه الناس، فهو لا يمكنه أن يضرّهم إلاّ بهذه الوسوسة التي يستغوي بها العصاة منهم[(٤)].

---

(١) م. ن م٦/ ج١٥/ ٤٢٤.

(٢) م. ن م٦/ ج١٥/ ٤٢٦.

(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ٥٠٠. وأيضاً ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٧٣(الفقرة ب هنا).

(٤) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٧٣. وأيضاً الطوسي: التبيان ج٦/ ٥٠٠ =

ت - ثم قال ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ وفيه بحثان[١]... قال الجبائي: علم الله تعالى أن الذين كفروا عند وسوسة إبليس يكفرون بتقدير أن لا يوجد إبليس، وإذا كان كذلك لم يكن في وجوده مزيد مفسدة[٢].

[١٨] - قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾

... إن معناه بمن كانوا يأتمون به من علمائهم وأئمتهم، عن الجبائي[٣].

[١٩] - قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾

أ - ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ ﴾ قيل: يعني جمع الكفار أرادوا أن يخرجوك من أرض العرب، عن الجبائي[٤].

ب - ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾ وقال الجبائي: غسق الليل ظلمته، وهو وقت عشاء الآخرة[٥].

ت - ﴿ مَشْهُودًا ﴾ .... قال الجبائي: فيه حث للمسلمين على أن يحضروا هذه الصلاة ويشهدوها للجماعة[٦].

=

(الفقرة "أ").

(١) ما الحكمة في أنه تعالى أنظره إلى يوم القيامة ومكنه من الوسوسة؟ والحكيم إذا أراد أمرا وعلم أن شيئا من الأشياء يمنع من حصوله فإنه لا يسعى في تحصيل ذلك المانع؟ (راجع الرازي: التفسير الكبير ج٢١/ ٨).

(٢) الرازي: التفسير الكبير ج٢١/ ٨.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٤٣٠.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٤٢٢.

(٥) الطوسي: التبيان ج٦/ ٥٠٩/ الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٤٣٤.

(٦) م. ن ج٦/ ٥١٠.

[٢٠] – قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾

﴿ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ قيل: على ما هو أشكل بالصواب وأولى بالحق عنده، عن الجبائي[١].

[٢١] – قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

أ – ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ ﴾ اختلف في الروح المسؤول عنه على أقوال – أحدها- أنهم سألوه عن الروح الذي هو في بدن الإنسان ما هو؟ ولم يجبهم. وسأله عن ذلك قوم من اليهود، عن ابن مسعود، وابن عباس، وجماعة، واختاره الجبائي، وعلى هذا فإنما عدل النبي ﷺ عن جوابهم لعلمه بأن ذلك أدعى لهم إلى الصلاح في الدين، ولأنهم كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين، فلو صدر لا زادوا عنادا[٢].

ب – ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ قال القاضي: قال شيخنا أبو علي: إن قوله ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾ ... إنما أراد به أن المعرفة بكيفية حاجة الحي إليه؛ من أمر الله تعالى، الذي تفرّد بالعلم به؛ وإلاّ فالروح نفسها وأحوالها معلومة ؛ ولا يجب إذا لم تعلم من بعض الوجوه أن لا تكون معلومة ؛ في الوجوه المقصودة[٣].

ج ـ وقد قال شيخنا أبو علي، رحمه الله: أنهم سألوا من أمر الروح، وما لا دليل عليه، نحو المسألة عن حاجة الحي إليه في بقاء حياته. ولو سألوا عن ذاته وعما يعلم بالدليل من أحواله، لأجابهم إلى ذلك بالصواب[٤].

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٤٣٦.
(٢) م. ن م٦/ ج١٥/ ٤٣٧.
(٣) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج ١٦، اعجاز القرآن، ص ٣٧٩. وأيضاً المصدر نفسه ج ١٢/ ١٧٠ مع اختلاف وتفصيل. فلذلك ذكرت النص في الفقرة (ج).
(٤) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ١٧٠ وأيضاً راجع الفقرة (ب) هنا.

[٢٢] – قوله تعالى: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلاً ﴿٩٢﴾ ﴾

﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلاً ﴾ قيل: معناه مقابلين لنا كالشيء حتى نشاهدهم قبيلا أي مقابله نعاينهم ويشهدون بأنك حق ودعوتك صدق، عن الجبائي، وقتادة[(١)].

[٢٣] – قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً ﴿٩٥﴾ ﴾

أ – وقال الجبائي: ﴿ مُطْمَئِنِّينَ ﴾ من عن أمر الله تعالى الذي يلزم بالإعراض عنه الذم، كما قال تعالى ﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾[(٢)] [(٣)].

ب – ﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً ﴾ قيل: معناه مطمئنين إلى الدنيا ولذاتها غير خائفين ولا متعبدين بشرع، لأن المطمئن من زال الخوف عنه، عن الجبائي[(٤)].

[٢٤] – قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾

قال الجبائي: جعل الله لهم أجلا لمعادهم وحشرهم لاشك فيه[(٥)].

[٢٥] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٤٤٠.
(٢) سورة الأعراف آية ١٧٦.
(٣) الطوسي: التبيان ج٦/ ٥٢٢.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٤٤١.
(٥) الطوسي: التبيان ج٦/ ٥٢٤.

وتعلق[١] أيضاً بقوله، سبحانه: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾. قال: وذلك يدل على أن فرعون ومن معه كانوا يعرفون الحق ويجحدون.

فقال أبو علي، رحمه الله: أنا لا ننكر في فرعون أنه كان عارفاً بالله، سبحانه، وفي كفره معانداً كما أخبر به موسى، فمن أين أن هذا حال جميع الكفار؟ ويجوز أن يكون جاهلاً بالله من قبل، وعرف الله في هذه الحال التي خبَّر موسى ﷺ عنه هذا إذا قرىء بالفتح، وقد قرىء بالضم، وذلك لا يدل على أن موسى عرف ذلك. فالتعلق به في هذا الوجه خاصة لا يمكن.

وذكر شيخنا أبو علي، رحمه الله، أن الآيات الدالة على خلاف قوله أكثر من أن تحصى، نحو قوله، تعالى، يخبر عن فرعون وقومه أنه قال: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[٢]. ولو كان عارفاً بالحق لما صح منه ذلك. وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ ﴾[٣]. فخبر عن الجماعة التي ذكرها بالشك فيما دعت الرسل إليه. وقال سبحانه: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٤]. ولو كانوا يعرفون الله لما جاز أن يقال لهم ذلك. وقال تعالى في قصة الكفار: ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾[٥]، ﴿ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[٦]. وقال: ﴿ وَإِنْ هُمْ

---

(١) الذي تعلّق بقوله تعالى هو الجاحظ. وجواب الجبائي هنا هو ردّ عليه.

(٢) من الآية ٣٨ القصص.

(٣) من الآية ٩ إبراهيم.

(٤) من الآية ١٠ إبراهيم.

(٥) من الآية ١٨ المجادلة.

(٦) من الآية ١٠٤ الكهف.

إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (١)، ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (٢). وقال: ﴿ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٣). وقال: ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ (٤). وقال: ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ (٥). ثم الذي ظهر من الأنبياء، صلوات الله عليهم من الحِجاج مع قومهم، نحو محاجة إبراهيم لعدو الله ومحاجة موسى لفرعون إلى غير ذلك، من أدل الدلالة على أنهم كانوا بالله وبسائر الحق غير عارفين (٦).

[٢٦] – قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾

أ – قوله ﴿ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ ... واحتج الجبائي بهذه الآية فقال: لو كان تعالى هو الخالق للظلم والجور لصحّ أن يقال: يا ظالم، وحينئذ يبطل ما ثبت في هذه الآية من كون أسمائه بأسرها حسنة (٧).

ب – ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ ... لا تجهر جهراً يشغل به من يصلي بقربك ولا تخافت بها حتى لا تسمع نفسك، عن الجبائي (٨).

سورة الكهف

[١] – قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾

(١) من الآية ٧٨ البقرة.
(٢) من الآية ١١٦ الأنعام.
(٣) من الآية ٤٥ التوبة.
(٤) من الآية ١٠ الأحزاب.
(٥) من الآية ١٤٨ الأنعام.
(٦) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ٣٤٠ و٣٤١.
(٧) الرازي: التفسير الكبير ج٢١/ ٥٩.
(٨) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٤٤٦.

قال الجبائي: المعنى أحسبت ﴿ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴾ ولو لم نعلمك ذلك لما علمته، واختلفوا في معنى ﴿ وَٱلرَّقِيمِ ﴾ قال سعيد بن جبير: هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف، وهو اختيار البلخي، والجبائي، وجماعة.[1].

[٢] - قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾

قال الجبائي: نومهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين - لا تتغير أحوالهم ولا يطعمون ولا يشربون - معجزة لا تكون إلاّ لنبي[2].

[٣] - قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ ﴾ وقيل: رؤساء البلد الذين استولوا على أمرهم، عن الجبائي[3].

[٤] - قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾

أ - قال الجبائي: لما اجتازوا على الراعي، فقال لهم أين تريدون؟ قالوا:

(١) الطوسي: التبيان ج٧/ ١١/ الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٤٥٢.
(٢) الطوسي: التبيان ج٧/ ٢٢.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٤٦٠.

نفر بديننا، فقال الراعي: أنا أولى بذلك، فتبعهم وتبعه الكلب[١].

ب - ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ... أنه نهى عن أن يقول الإنسان سأفعل غداً وهو يجوز الاخترام قبل أن يفعل ما أخبر به فلا يوجد مخبره على ما أخبر به فهو كذب، ولا يأمن أيضا أن لا يوجد مخبره بحدوث شيء من فعل الله تعالى نحو المرض والعجز وبأن يبدو له هو في ذلك فلا يسلم خبره من الكذب إلاّ بالاستثناء الذي ذكره الله تعالى، فإذا قال: إني صائر غدا إلى المسجد إن شاء الله أَمِنَ من أن يكون خبره هذا كذباً، لأن الله تعالى إن شاء أن يلجئه إلى المصير إلى المسجد غدًا حصل المصير إليه منه لا محالة فلا يكون خبره هذا كذباً، وإن لم يوجد المصير منه إلى المسجد لأنه لم يوجد ما استثناه في ذلك من مشيئة الله تعالى، عن الجبائي[٢].

ت - ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ ... قيل: إنه أمر بالانقطاع إلى الله تعالى، ومعناه واذكر ربك إذا نسيت شيئًا بك إليه حاجة بذكره لك، عن الجبائي[٣].

ث - ﴿ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ وقيل: إن معناه ادع الله أن يذكرك إذا نسيت شيئًا وقل إن لم يذكرني الله ذلك الذي نسيت فإنه يذكرني ما هو أنفع لي منه، عن الجبائي[٤].

[٥] - قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝ ﴾

﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ أي سرفاً وإفراطاً، عن مقاتل، والجبائي[٥].

[٦] - قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ

(١) الطوسي: التبيان ج٧/ ٣٠.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ج١٥/ ٤٦١.
(٣) م. ن م٦/ج١٥/ ٤٦١.
(٤) م. ن م٦/ج١٥/ ٤٦٢.
(٥) م. ن م٦/ج١٥/ ٤٦٥.

كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ﴾ ... قال الجبائي: في هذه الآية دلالة على أنه تعالى لا يريد الكفر ولا يخلقه في العبد، إذ لو أراده وخلقه فيه ثم عاقبه عليه لكان ضرر إبليس أقل من ضرر الله عليهما فكيف يوبخهم بقوله: ﴿ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ !؟ تعالى الله عنه علواً كبيراً. بل على هذا المذهب لا ضرر البتة من إبليس بل الضرر كله من الله[1].

[٧] – قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

أ – ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ﴾ وقال الأكثرون: إنه كان من البشر ثم اختلفوا: فقال الجبائي وغيره: أنه كان نبياً، لأنه لا يجوز أن يتبع النبي من ليس بنبي ليتعلم منه العلم لما في ذلك من الغضاضة على النبي[2].

ب – فصل: فيما نذكره من الجزء الحادي عشر أيضاً من (تفسير الجبّائي) قبل آخره باثني عشر قائمة، في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ فقال الجبّائي ما هذا لفظه: ويقال: إنّ هذا الإنسان هو الخضر عليه السلام، وليس ذلك بصحيح، لأنّ الخضر يقال إنّه أحد أنبياء بني إسرائيل الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام. وهذا أقبح مِن قول مَن قال: إنّ صاحب موسى كان الخضر.وأمّا ما لا يشكّ فيه فإنّه كان نبيّاً من أنبياء الله ورسولاً من رسله؛ لأنّ الأنبياء عليهم السلام لا يجوز أن يتعلّموا العلم إلاّ من ملك من ملائكة الله عزّ وجلّ، أو رسول من رسله؛ لأنّ من لم يكن من الملائكة والرسل يجب عليهم اتّباع الرسل والتّعلّم منهم، ولا يجوز أن يتعلّموا ممّن يجب أن يتعلّم منهم، فهذا بيّنٌ أنّه كان من رسل الله وأنبيائه.

ويدلّ على ذلك أيضاً أنّ هذا العلم لا بدّ من أن يعلمه بوحي الله عزّ

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج٢١/ ١١٧.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٤٨٣. وأيضاً الطوسي: التبيان ج٧/ ٧٠.

ذكره إذا كان لم يخبر به نبيّ من أنبيائه، والله ـ تبارك اسمه ـ لا يوحي إلاّ إلى أنبيائه ورسله عليه السلام. فجميع ما ذكرناه يوجب أن يكون هذا العبد الذي ذكره الله نبيّاً لله ورسولاً له هذا آخر كلام الجبّائي بلفظه[1].

ت ـ فصل: فيما نذكره أيضاً من الجزء الحادي عشر من (تفسير الجبّائي) بعد أربعة قوائم من الموضع الذي ذكرناه قبل هذا، فقال الجبّائي ما هذا لفظه: وقوم من جهّال العوام يذهبون إلى أنّ الخضر عليه السلام هو حيّ إلى اليوم في الأرض، وأنّه يلقى الناس ويلقون. وهذا جهل ظاهر؛ لأنّ هذا يوجب أن يكون بعد نبيّنا محمّد عليه السلام نبيّ تلقاه أُمّته، ويأخذون عنه أمر دينهم ولو كان ذلك كذلك لم يكن محمّد عليه السلام خاتم النبيّين وآخرهم، ولجاز أن يكون في زمنه أنبياء كما كان بعده في أُمّته نبيّ، وهو الخضر؛ وهذا يوجب تكذيب القرآن. مع أنّ الخضر عليه السلام إنّما كان رجلا من بني آدم، فلو كان حيّاً في الأرض لوجب أن يراه كلّ من يقرب منه، فلو كان كذلك لوجب أن نعرفه كما يَعرفُ الناس بعضهم بعضاً بالملاقاة والمشاهدة، فإذا كان لا يُعْرَف ولا يُعْرَف له مكان فهذا دليل على بطلان ما يدّعونه من حياته وملاقاته؛ بل يعلم أنّه قد مات قبل نبيّنا محمّد عليه السلام وأنّ نبيّنا إنّما بعث بعد الأنبياء عليهم السلام ولم يكن معه في الأرض نبيّ ولا بعده؛ لأنّه آخر الأنبياء عليهم السلام[2].

[٨] – قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾[3]

أ – واختلفوا في الذي كان يتعلم موسى منه، هل كان نبياً أم لا؟ فقال الجبائي: كان نبياً، لأنه لا يجوز أن يتبع النبي من ليس بنبي، ليتعلم منه العلم، لما

---

(١) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٧٥. وأيضاً الطوسي: التبيان ج٧/ ٧٠ (باختصار شديد).

(٢) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٧٧– ٢٧٨. أيضاً الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٤٨٨ (باختصار).

(٣) وردت هاتان الآيتان في كتاب التبيان (ج٧/ ٦٩) تحت رقمي ٦٧ و٦٨ والصحيح هو ٦٦ و٦٧ في القرآن الكريم.

في ذلك من الغضاضة على النبي[١].

ب - أجاب **الجبائي** عنه[٢]: أن المراد من هذا القول أنه يثقل عليه الصبر لا أنه لا يستطيعه، يقال في العرف: إن فلاناً لا يستطيع أن يرى فلاناً و(لا) أن يجالسه إذا كان يثقل عليه ذلك، ونظيره قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ** ﴾ (هود: ٢٠) أي كان يشق عليهم الاستماع[٣].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) ﴾

أ - ﴿ **وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا** ﴾ اختلف في هذا الكنز... وقيل: كان كنزاً من الذهب والفضة، عن قتادة، وعكرمة ، واختاره **الجبائي**، ورواه أبو الدرداء، عن النبي ﷺ[٤].

ب - ﴿ **مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** ﴾ قال أبو علي **الجبائي**: لا يجوز أن يكون الخضر حياً إلى وقتنا هذا لأنه لو كان لعرفه الناس ولم يخف مكانه، ولأنه لا نبّي بعد نبيّنا[٥].

[١٠] – قوله تعـــالى: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) ﴾

---

(١) الطوسي: التبيان ج٧/ ٧٠.

(٢) المسألة التي أجاب عنها الجبائي هي: لو كانت الاستطاعة على الفعل حاصلة قبل حصول الفعل لكانت الاستطاعة على الصبر حاصلة لموسى عليه السلام قبل حصول الصبر فيلزم أن يصير قوله: ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ كذبا، ولما بطل ذلك علمنا أن الاستطاعة لا توجد قبل الفعل. راجع الرازي: التفسير الكبير ج٢١/ ١٣٠.

(٣) الرازي: التفسير الكبير ج ٢١/ ١٣٠.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٤٨٨.

(٥) م. ن م٦/ ج١٥/ ٤٨٨.

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ قيل: معناه وآتيناه من كل شيء يستعين به الملوك على فتح البلاد ومحاربة الأعداء، عن الجبائي[١].

[١١] - قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ ﴾

أ - وقال أبو علي الجبائي، والبلخي: المعنى وجدها كأنها تغرب في عين حمئة، وإن كانت تغيب وراءها[٢].

ب - تأويل قوله: ﴿ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ من وجوه. الأول: أن ذا القرنين لما بلغ موضعها في المغرب ولم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في عين وهدة مظلمة وإن لم تكن كذلك في الحقيقة كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر، هذا هو التأويل الذي ذكره أبو علي الجبائي في تفسيره[٣].

[١٢] - قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾

وقال الجبائي، والبلخي، وغيرهما: إن يأجوج ومأجوج قبيلان من ولد آدم. وقال الجبائي: قيل: أنهما من ولد يافث بن نوح، ومن نسلهم الأتراك[٤].

سورة مريم

[١] - قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ ﴾

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ ﴾ وقيل: بنو العم وكانوا أشرار بني إسرائيل، عن

(١) م. ن م٦/ ج١٥/ ٤٩٠.
(٢) الطوسي: التبيان ج٧/ ٨٦.
(٣) الرازي: التفسير الكبير ج٢١/ ١٤٢.
(٤) الطوسي: التبيان ج٧/ ٩١.

الجبائي[1].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ ﴾

أ – وقوله ﴿ وَزَكَوٰةً ﴾ ... وقال الجبائي: معناه آتيناه تحننا على العباد ورقة قلب عليهم ليحرص على دعائهم إلى طاعة ربهم[2].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾

قيل: اتخذت مكاناً تنفرد فيه للعبادة لئلا تشتغل بكلام الناس، عن الجبائي[3].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾

من لم يجوّز إظهار المعجزات على غير النبي اختلفت أقوالهم في ذلك: قال الجبائي وابنه: أنها معجزات لزكريا عليه السلام[4].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ ﴾

أ – ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ ﴾ قيل: ناداها عيسى، عن مجاهد، والحسن، ووهب، وسعيد بن جبير، وابن زيد، [وابن جرير]، والجبائي[5].

ب – ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ قيل: السري عيسى عليه السلام، عن الحسن، وابن زيد، والجبائي[6].

[٦] ـ قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٥٠٢.

(٢) الطوسي: التبيان ج٧/ ١١٢. وأيضاً الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٥/ ٥٠٦.

(٣) م. ن م٦/ ج١٦/ ٥٠٧.

(٤) م. ن م٦/ ج١٦/ ٥٠٨.

(٥) م. ن م٦/ ج١٦/ ٥١١. وأيضاً الطوسي: التبيان ج/ ٧/ ١١٧. وما بين المعكوفتين لم يرد عند الطوسي.

(٦) م. ن م٦/ ج١٦/ ٥١١. وأيضاً الطوسي: التبيان ج٧/ ١١٧.

فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾

وقد قال شيخنا أبو علي رحمه الله في قوله الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾ (مريم: ٣٥) ، وفي قوله: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾[١]، أنه كان يجب لو اتخذ ذلك أن يكون ظالماً، لأنه فعل ما ليس له فعله. ولو كان ظالماً، لم يخل مِن أن يكون ظالماً لنفسه، أو للواحد منا، أو لِلَهْو. وقد علم فساد جميع ذلك. لأن اتخاذه الولد واللهو لا يؤثر فينا، فكيف يكون ظالماً لنا؟ ولا يصح كونهما مظلومين، ولا كونه تعالى مظلوماً. وهذا أيضاً يبطل قولهم: إن الظلم هو فعل ما ليس له فعله[٢].

[٧] – قوله تعالى: ﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾

أ – وقوله ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾ قال الجبائي: كان الله تعالى أمرها بأن تنذر الله تعالى الصمت، فإذا كلمها أحد تومي بأنها نذرت صوماً صمتاً، لأنه لا يجوز أن يأمرها بأن تخبر بأنها نذرت ولم تنذر، لأن ذلك كذب[٣].

ب – ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ وقيل: كان الله تعالى أمرها بأن تنذر لله الصمت وإذا كلمها أحد تومىء بأنها نذرت لله صمتاً لأنه لا يجوز أن يأمرها بأن تخبر بأنها نذرت ولم تنذر لأن ذلك كذب، عن أبي علي الجبائي[٤].

[٨] – قوله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ وقيل: أمراً قبيحاً منكراً من

(١) سورة الأنبياء: ١٧.

(٢) القاضي عبد الجبار: المغني... ج٨/ ٢٣٢.

(٣) الطوسي: التبيان ج٧/ ١٢١.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ج١٦/ ٥١٢.

الافتراء وهو الكذب، عن الجبائي[١].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ قيل: ثابتاً دائماً على الإيمان والطاعة وأصل البركة الثبوت، عن الجبائي[٢].

[١٠] – قوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾

أ – ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾... أن معناه أسمعهم وأبصرهم أي بصرهم وبين لهم أنهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء سيكونون في ضلال مبين عن الجنة والثواب، عن الجبائي قال: ويجوز أن يكون المعنى أسمع الناس بهؤلاء الأنبياء وأبصرهم بهم، ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم، لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم يعني يوم القيامة في ضلال عن الجنة[٣].

ب – أما قوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ ... قال الجبائي: ويجوز أسمع الناس بهؤلاء وأبصرهم بهم ليعرفوا أمرهم وسوء عاقبتهم فينزجروا عن الإتيان بمثل فعلهم[٤].

[١١] – قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾

﴿ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا ﴾ أي كثير التصديق في أمور الدين، عن الجبائي[٥].

---

(١) م. ن م٦/ ج١٥/ ٥١٢.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٦/ ٥١٣.
(٣) م. ن م٦/ ج١٦/ ٥١٤-٥١٥. وأيضاً الرازي: التفسير الكبير ج٢١/ ١٨٩ (الفقرة ب هنا).
(٤) الرازي: التفسير الكبير ج٢١/ ١٨٩.
(٥) م. ن م٦/ ج١٦/ ٥١٦.

[١٢] – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾

﴿ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ أي فتكون موكولاً إلى الشيطان وهو لا يغني عنك شيئًا، عن الجبائي(١).

[١٣] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴾

أ – ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ ﴾ سلام توديع وهجر على ألطف الوجوه وهو سلام متاركة ومباعدة منه، عن الجبائي، وأبي مسلم(٢).

ب – ﴿ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ ﴾... أنه قال سأستغفر لك ربي على ما يصح ويجوز من تركك عبادة الأوثان وإخلاص العبادة لله تعالى، عن الجبائي(٣).

[١٤] – قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾

﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ وقيل: إن معناه ورفعنا محله ومرتبته بالرسالة كقوله تعالى ﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾ (الشرح: ٤) ولم يرد به رفعة المكان، عن الحسن، والجبائي، وأبي مسلم(٤).

[١٥] – قوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴾

﴿ نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴾ أي إنما نملك تلك الجنة من كان تقياً في دار الدنيا بترك المعاصي وفعل الطاعات، وإنما قال ﴿ نُورِثُ ﴾ مع أنه ليس بتمليك نقل من غيرهم إليهم لأنه شبه بالميراث من جهة أنه تمليك بحال استؤنفت عن حال قد انقضت من أمر الدنيا كما ينقضي حال الميت من أمر

---

(١) م. ن م٦/ ج١٦/ ٥١٦.
(٢) م.ن م٦/ ج١٦/ ٥١٧.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ج١٦/ ٥١٧.
(٤) م. ن م٦/ ج١٦/ ٥١٩.

الدنيا، عن الجبائي[١].

[١٦] – قوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾

﴿ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ وقيل: معناه أن المعبودين سيكفرون بعبادة المشركين لها ويكذبونهم فيها كما قال حكاية عنهم: تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون، عن الجبائي[٢].

[١٧] – قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي خلينا بينهم وبين الشياطين إذا وسوسوا إليهم ودعوهم إلى الضلال حتى أغووهم ولم نحل بينهم وبينهم بالإلجاء ولا بالمنع، وعبر عن ذلك بالإرسال على سبيل المجاز والتوسع كما يقال لمن خلى بين الكلب وغيره: أرسل كلبه عليه، عن الجبائي[٣].

[١٨] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾

أن معناه سيجعل لهم وداً في الآخرة فيحب بعضهم بعضاً كمحبة الوالد لولده، وفي ذلك أعظم السرور وأتم النعمة، عن الجبائي[٤].

[١٩] – قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ قيل: معناه يسرنا قراءه القرآن على لسانك ومكناك من قراءته، عن الجبائي[٥].

---

(١) م. ن م٦/ج١٦/ ٥٢١.
(٢) م. ن م٦/ج١٦/ ٥٢٩.
(٣) م. ن م٦/ج١٦/ ٥٣١.
(٤) م. ن م٦/ج١٦/ ٥٣٣.
(٥) م. ن م٦/ج١٦/ ٥٣٣.

سورة طه

[١] – قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ ﴾

﴿ طُوٗى ﴾ هو اسم الوادي، عن ابن عباس، ومجاهد، والجبائي(١).

[٢] – قوله تعالى: ﴿ ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ ﴾

قيل: إنه انحل ما كان بلسانه إلاّ بقية منه بدلالة قوله ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (الزخرف: ٥٢)، عن الجبائي(٢).

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

أ – قوله ﴿ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ ﴾ قال الجبائي: رأت في المنام أن اقذفيه في التابوت، ثم اقذفيه في اليم، والقذف هو الطرح، واليم البحر(٣).

ب – قال الجبائي: معنى ﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ ﴾ أي شددنا عليك التعب في أمر المعاش حتى رعيت لشعيب عشر سنين، ويؤكده قوله ﴿ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ﴾ وهي مدينة شعيب ﴿ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴾(٤).

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٦/ ٥.

(٢) م. ن م٧/ ج١٦/ ٩.

(٣) الطوسي: التبيان ج٧/ ١٧٣/ الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٦/ ١٠ (مع اختلاف يسير).

(٤) الطوسي: التبيان ج٧/ ١٧٤-١٧٥.

ت - ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ قيل: لتربى ويطلب لك الرضاع على علم مني ومعرفة لتصل إلى أمك، عن الجبائي[١].

[٤] - قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾

﴿ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ قيل: معناه أعطى كل شيء من النعم في الدنيا مما يأكلون ويشربون وينتفعون به ثم هداهم إلى طرق معايشهم وإلى أمور دينهم ليتوصلوا بها إلى نعم الآخرة، عن الجبائي[٢].

[٥] - قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ۝٦١ ﴾

أ - ﴿ فَيُسۡحِتَكُم ﴾ قيل: يهلككم عن ابن عباس، والكلبي، ومقاتل، والجبائي[٣].

[٦] - قوله تعالى: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ۝٦٢ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ۝٦٣ ﴾

أ - ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴾ قيل: تناجوا مع فرعون وأسروا عن موسى وهارون قولهم «إن هذان» لساحران، عن الجبائي، وأبي مسلم[٤].

ب - ﴿ وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴾ قيل: يذهبا بطريقتكم التي أنتم عليها في السيرة والدين، عن الجبائي، وأبي مسلم[٥].

[٧] - قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٦/ ١٠.
(٢) م. ن م٧/ ج١٦/ ١٣.
(٣)الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٦/ ١٨.
(٤) م. ن م٧/ ج١٦/ ١٨.
(٥) م. ن م٧/ ج١٦/ ١٨.

مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾

أ - إنما أمرهم بالإلقاء، وهو كفر منهم، لأنه ليس بأمر، وإنما هو تهديد. ومعناه الخبر، بأن من كان إلقاؤه منكم حجّة عنده ابتدأ بالإلقاء، ذكره الجبائي(١).

[٨] - قوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾

أ - معناه فأحس موسى ووجد في نفسه ما يجده الخائف ويقال: أوجس القلب فزعاً أي أضمر، والسبب في ذلك أنه خاف أن يلتبس على الناس أمرهم فيتوهموا أنهم فعلوا مثل ما فعله ويظنوا المساواة فيشكوا ولا يتبعونه، عن الجبائي(٢).

ب - قوله ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ قيل في وجه خيفته قولان: أحدهما - قال الجبائي، والبلخي: خاف أن يلتبس على الناس أمرهم، فيتوهموا أنه كان بمنزلة ما كان من أمر عصاه(٣).

[٩] - قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ ﴾

أ - ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾ قيل: متحسراً متلهفاً لأنه خشي أن لا يمكنه تدارك أمر قومه، عن الجبائي(٤).

ب - ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ﴾ أي صدقاً لإيتاء الكتاب وهو التوارة لتعلموا ما فيه وتعلموا به فتستحقوا الثواب، عن

---

(١) الطوسي: التبيان ج٧/ ١٨٦.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ج١٦/ ٢٠.
(٣) م. ن ج٧/ ١٨٧.
(٤) م. ن م٧/ج١٦/ ٢٤.

الجبائي[١].

[١٠] – قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ ﴾

﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴾ أيضا ليوهم إنه منهم، عن الجبائي[٢].

[١١] – قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ ﴾

قال الجبائي: إنما صوّره على صورة العجل وجعل فيه خروقاً إذا دخله الريح أوْ هَمُ أنه يخور[٣].

[١٢] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾

أ – قال الجبائي: المعنى سولت له نفسه ما لا حقيقة له وإنما خار بحيلة: جعلت فيه خروق إذا دخلتها الريح سمع له خوار منه. فقال له موسى عند ذلك ﴿ فَٱذْهَبْ ﴾ يا سامري ﴿ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ ﴾ واختلفوا في معناه، فقال قوم:معناه تقول لا أمس ولا أمس، وكان موسى أمر بني إسرائيل ألا يؤكلوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه، فيما ذكر. وقال الجبائي: معناه انه لامساس لأحد من الناس، لأنه جعل يهيم في البرية مع الوحوش والسباع[٤].

ب – قيل: إن السامري خاف وهرب فجعل يهيم في البرية لا يجد أحدًا من الناس يمسه حتى صار لبعده عن الناس كالقائل لا مساس، عن الجبائي[٥].

[١٣] – قولـــه تعـــالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً

---

(١) م. ن م٧/ ج١٦/ ٢٤.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٦/ ٢٦.
(٣) الطوسي: التبيان ج٧/ ١٩٩.
(٤) م. ن ج٧/ ٢٠٤.
(٥) م. ن م٧/ ج١٦/ ٢٩.

إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

قال أبو علي الجبائي: معناه ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ بعد انقطاع عذاب القبر عنهم، وذلك أن الله يعذبهم ثم يعيدهم[(١)].

[١٤] – قوله تعالى: ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

﴿ قَاعًا ﴾ أرضا ملساء وقيل: منكشفة، عن الجبائي[(٢)].

[١٥] – قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾

﴿ لَا عِوَجَ لَهُۥ ﴾ قيل: معناه لا عوج لهم عن دعائه لا يميلون عنه ولا يعدلون عن ندائه أي يتبعونه سراعاً ولا يلتفتون يميناً ولا شمالاً، عن الجبائي[(٣)].

[١٦] – قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾

أ – قال الجبائي: معناه ولا يحيطون بما خلفهم علماً، ولا بما بين أيديهم[(٤)].

ب – قيل: لا يحيطون علماً بما بين أيديهم وما خلفهم إلاّ من أطلعه الله على ذلك، عن الجبائي[(٥)].

[١٧] – قوله تعالى: ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾

قال الجبائي: القيوم القائم بأنه دائم لا يبيد ولا يزول[(٦)].

[١٨] – قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن

---

(١) الطوسي: التبيان ج٧/ ٢٠٨/ الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٦/ ٢٩.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٦/ ٢٩.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٦/ ٣١.
(٤) الطوسي: التبيان ج٧/ ٢١٠.
(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٦/ ٣١.
(٦) الطوسي: التبيان ج٧/ ٢١١.

قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾

﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ فيه وجوه: (أحدها) أن معناه لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرائيل (عليه السلام) من إبلاغه فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقرأ معه ويعجل بتلاوته مخافة نسيانه أي تفهم ما يوحى إليك إلى أن يفرغ الملك من قراءته ولا تقرأ معه ثم اقرأ بعد فراغه منه وهذا كقوله ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ (القيامة: ١٦)، عن ابن عباس ، والحسن، والجبائي[١].

[١٩] – قوله تعالى: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾

قال الجبائي: لا تقع معاصي الأنبياء إلاّ سهوًا، فأما مع العلم بأنها معاصي فلا تقع[٢].

[٢٠] – قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾

﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ أي عيشاً ضيقاً، عن مجاهد، وقتادة، والجبائي وهو: أن يقتر الله عليه الرزق عقوبة له على إعراضه، فإن وسع عليه فإنه يضيق عليه المعيشة بأن يمسكه ولا ينفقه على نفسه، وإن أنفقه فإن الحرص على الجمع وزيادة الطلب يضيق المعيشة عليه[٣].

[٢١] – قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾

﴿ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾ يعني الظهر، وسمي وقت صلاة الظهر أطراف

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٦/ ٣٢.
(٢) الطوسي: التبيان ج٧/ ٢١٣.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٦/ ٣٤.

النهار لأن وقته عند الزوال وهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني، وهذا قول قتادة، والجبائي[١].

[٢٢] - قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾

فصل: فيما نذكره من الجزء الثاني عشر، وهو الثاني من المجلّدة السادسة من (تفسير الجبّائي) من الوجهة الأوّلة، من القائمة الثامنة، من الكرّاس الرابع منه بلفظه:وأمّا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ فإنّما عنى به أن مُرْ أهل دينك وأهل بيتك بالصلاة التي تعبّدكم الله بها، واصطبر على أدائها والقيام بها[٢].

[٢٣] - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾

قال الجبائي: هذه الآية تدل على وجوب فعل اللطف إذ المراد أنه يجب أن يفعل بالمكلفين ما يؤمنون عنده ولو لم يفعل لكان لهم أن يقولوا هلا فعلت ذلك بنا لنؤمن؟ وهلا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك؟ وإن كان المعلوم أنهم لا يؤمنون ولو بعث إليهم الرسول لم يكن في ذلك حجة، فصح أنه إنما يكون حجة لهم إذا كان في المعلوم أنهم يؤمنون عنده إذا أطاعوه[٣].

سورة الأنبياء

[١] - قوله تعالى: ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾

وقيل في وجه الأمر بسؤال الكفار عن ذلك قولان: أحدهما - إنه يقع

(١) م. ن م٧/ ج١٧/ ٣٦.

(٢) ابن طاووس: سعد السعود ص ٢٨٠.

(٣) الرازي: التفسير الكبير ج٢٢/ ١١٩.

العلم الضروري بخبرهم إذا كانوا متواترين، واخبروا عن مشاهدة، هذا قول الجبائي[١].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ قيل: لكي تسألوا عن أعمالكم وعن تنعمكم في الدنيا بغير الحق وعما استحققتم به العذاب، عن الجبائي، وأبي مسلم[٢].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ قيل: معناه إن كنا فاعلين ذلك لاتخذناه من عندنا بحيث يصل علمه إليكم، عن الجبائي[٣].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ ﴾ قيل: هذا ذكر من معي بالحق في إخلاص الآلهية والتوحيد في القرآن، وهذا ذكر من قبلي في التوراة والإنجيل، عن الجبائي، قال: لأن في القرآن ذكرا منه تعالى ولمن معه وفي التورية والإنجيل ذكر تلك الأمم[٤].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ أي رفعنا السماء فوق الخلق كالسقف محفوظاً من الشياطين بالشهب التي ترمى بها كما قال: وحفظناها من كل شيطان

(١) الطوسي: التبيان ج٧/ ٢٣٢.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٦/ ٤١.
(٣) م. ن م٧/ ج١٦/ ٤٢.
(٤) م. ن م٧/ ج١٦/ ٤٤.

رجيم، عن الجبائي[١].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾

إن المعني بالإنسان الناس كلهم، ثم أختلف في معناه على وجوه – أحدها – إن معناه خلق الإنسان عجولا أي خلق على حُبّ العجلة في أمره، عن قتادة، وأبي مسلم، **والجبائي** قال: يعني أنه يستعجل في كل شيء يشتهيه، وللعرب عادة في استعمالهم هذا اللفظ عند المبالغة يقولون لمن يصفونه بكثرة النوم: ما خلق إلاّ من نوم، وبكثرة وقوع الشر منه، ما خلق إلاّ من شر، ومنه قول الخنساء في وصف البقرة: "فإنما هي إقبال وإدبار"[٢].

[٧] – قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

أما قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ ... زعم **الجبائي** أن من استحق مائة جزء من العقاب فأتى بطاعة يستحق بها خمسين جزء من الثواب فهذا الأقل ينحبط بالأكثر ويبقى الأكثر كما كان[٣].

[٨] – قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

قال **الجبائي**: معناه يؤمنون بالغيب الذي أخبرهم به، وهم من مجازاة يوم القيامة[٤].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

---

(١) م. ن م٧/ ج١٦/ ٤٦.
(٢) م. ن م٧/ ج١٦/ ٤٨.
(٣) الرازي: التفسير الكبير ج٢٢/ ١٥٣.
(٤) الطوسي: التبيان ج٧/ ٢٥٥.

وقال الجبائي: أراد أرض الشام. وإنما قال ﴿ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ لما فيها من كثرة الأشجار والخيرات التي ينتفع جميع الخلق بها إذا حلوا بها. وإنما جعلها مباركة، لأن أكثر الأنبياء بعثوا منها، فلذلك كانت مباركة[1].

[١٠] – **قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾**

أ – قال أبو علي الجبائي: أوحى الله إلى سليمان مما نسخ به حكم داود الذي كان يحكم به قبل. ولم يكن ذلك عن اجتهاد، لأن الاجتهاد لا يجوز أن يحكم به الأنبياء[2].

ب – قال الجبائي: أكمل الله تعالى عقول الطير حتى فهمت ما كان سليمان يأمرها به وينهاها عنه، وما يتوعدها به متى خالفت وقوله ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ إنما جمعه في موضع التثنية، لأن داود وسليمان كان معهما المحكوم عليه، ومن حكم له. فلا يمكن الاستدلال به على أن اقل الجمع اثنان. ومن قال: إنه كناية عن الاثنين، قال: هو يجري مجرى قوله ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ ﴾[3] في موضع فإن كان له أخوان[4].

ت – ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ ﴾ قيل: معناه سيرنا الجبال مع داود حيث سار فعبر عن ذلك بالتسبيح لما فيه من الآية العظيمة التي تدعو إلى تسبيح الله وتعظيمه وتنزيهه عن كل ما لا يليق به، وكذلك تسخير الطير له تسبيح يدل على أن مسخرها قادر لا يجوز عليه ما يجوز على العباد،

---

(١) م. ن ج٧/ ٢٦٤.
(٢) الطوسي: التبيان ج٧/ ٢٦٧/ الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٧/ ٥٧.
(٣) سورة النساء آية ١١.
(٤) الطوسي: التبيان ج٧/ ٢٦٨-٢٦٩.

عن الجبائي، وعلي بن عيسى[١].

[١١] - قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

أ - ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴾... قيل: إلى أرض بيت المقدس لأن بها مقام الأنبياء، عن الجبائي[٢].

ب - قال الجبائي: كشف الله تعالى أجسام الجن حتى تهيأ لهم تلك الأعمال، معجزة لسليمان عليه السلام قال: إنهم كانوا يبنون له البنيان، والغوص في البحار، وإخراج ما فيه من اللؤلؤ وغيره، وذلك لا يتأتى مع رقة أجسامهم. قال: وسخر له الطير بأن قوى أفهامها، حتى صارت كصبياننا الذين يفهمون التخويف والترغيب[٣].

ت - المسألة الثانية: اعلم أن المعتزلة قد طعنوا في هذه القصة[٤] من وجوه. أحدها: قال الجبائي: ذهب بعض الجهّال إلى أن ما كان به من المرض كان فعلاً للشيطان سلطه الله عليه، لقوله تعالى حكاية عنه: ﴿ مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ (ص: ٤١) وهذا جهل، أما أولاً: فلأنه لو قدر على إحداث الأمراض والأسقام وضدهما من العافية لتهيأ له فعل الأجسام، ومن هذا حاله

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٧/ ٥٨.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٦/ ٥٦.
(٣) الطوسي: التبيان ج٧/ ٢٧١.
(٤) القصة هي: قيل: سقطت دودة من فخذه (أيمن فخذ أيوب عليه السلام) فرفعها وردها إلى موضعها، وقال: قد جعلني الله تعالى طعمة لك فعضته عضة شديدة، فقال: مسني الضر. فأوحى الله تعالى إليه لولا أني جعلت تحت كل شعرة منك صبرا لما صبرت. (راجع: الرازي: التفسير الكبير: ج٢٢/ ١٨٠).

يكون إلهاً، وأما ثانياً: فلأن الله تعالى أخبر عنه وعن جنوده بأنه قال: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ (إبراهيم: ٢٢) والواجب تصديق خبر الله تعالى، دون الرجوع إلى ما يروى عن وهب بن منبه رضي الله عنه[(١)].

ث - قال الجبائي: كان به السلعة ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ فارحمني، قال الجبائي: لم يكن ما نزل به من المرض فعلا للشيطان، لأنه لا يقدر على ذلك، وإنما آذاه بالوسوسة وما جرى مجراها[(٢)].

ج - وقوله ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ﴾ ... قال الجبائي: هو نبي، ومعنى وصفه بالكفل أنه ذو الضعف أي ضعف ثواب غيره، ممن في زمانه لشرف عمله[(٣)].

[١٢] - قوله تعالى: ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

أ - قال الجبائي: ضيق الله عليه الطريق حتى ألجأه إلى ركوب البحر حتى قذف فيه، وابتلعته السمكة. ومن قال: ان يونس ﷺ ظن أن الله لا يقدر عليه من القدرة، فقد كفر[(٤)].

ب - قال الجبائي: الغضب عداوة لمن غضب عليه، وبقاؤه في بطن

(١) الرازي: التفسير الكبير: ج٢٢/ ١٨٠. ورواية وهب بن منبه هي: قال وهب: كانت امرأة أيوب عليه السلام تعمل للناس وتأتيه بقوته، فلمّا طال عليه البلاء سئمها الناس فلم يستعملوها. فالتمست ذات يوم شيئاً من الطعام فلم تجد شيئاً فجزت قرناً من رأسها فباعته برغيف ، فأتته به. فقال لها، أين قرنك؟ فأخبرته بذلك، فحينئذ قال (مسني الضرّ). م. ن.

(٢) الطوسي: التبيان ج٧/ ٢٧١.

(٣) الطوسي: التبيان ج٧/ ٢٧٢/ الطبرسي: مجمع البيان م٧/ج١٧/ ٥٩ (مع اختلاف يسير).

(٤) الطوسي: التبيان ج٧/ ٢٧٣.

الحوت حياً معجز له. ولم يكن يونس في بطن الحوت على جهة العقوبة، لأن العقوبة عداوة للمعاقب، لكن كان ذلك على وجه التأديب، والتأديب يجوز على المكلف وغير المكلف، كتأديب الصبي وغيره[١].

ت - ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ ... ظن أن لن نقضي عليه ما قضيناه، والقدر بمعنى القضاء، عن مجاهد، وقتادة، والكلبي، والجبائي، قال الجبائي: ضيق الله عليه الطريق حتى ألجأه إلى ركوب البحر ثم قذف فيه فابتلعته السمكة ومن قال: أنه خرج مغاضباً لربه وأنه ظن أن لن يقدر الله على أخذه، بمعنى أنه يعجز عنه فقد أساء الثناء على الأنبياء، فإن مغاضبة الله كفر أو كبيرة عظيمة وتجويز العجز على الله سبحانه كذلك فكيف يجوز ذلك على نبي من أنبياء الله تعالى[٢].

ث - ﴿ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ... قال الجبائي: لم يكن يونس في بطن الحوت على جهة العقوبة من الله تعالى لأن العقوبة عداوة للمعاقب، لكن كان ذلك على وجه التأديب، والتأديب يجوز للمكلف وغير المكلف كتأديب الصبي وغيره، وبقاؤه في بطن الحوت حياً معجزة له[٣].

ج - فإن قيل فما معنى قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ ... فإن أبا علي الجبائي وكلّ من وافقه في الامتناع من القول بالموازنة في الإحباط، لا يمكنه أن يجيب بهذا الجواب، فعلى أي وجه يا ليت شعري يجعل معصية يونس ﷺ ظلماً. وليس فيها من معنى الظلم شيء[٤].

[١٣] - قوله تعالى: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾

قال الجبائي: معناه وحرام على قرية أهلكناها عقوبة لهم أن يرجعوا إلى

---

(١) الطوسي: التبيان ج٧/ ٢٧٤.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٧/ ٦٠.

(٣) م. ن م٧/ ج١٧/ ٦١.

(٤) الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء والأئمة ص ١٧٠-١٧٢.

دار الدنيا[(١)].

[١٤] – قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦ ﴾

﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾ أي وهم يريد يأجوج ومأجوج من كل نشز من الأرض يسرعون، عن قتادة، وابن مسعود، والجبائي، وأبي مسلم، يعني أنهم يتفرقون في الأرض فلا ترى أكمة إلاّ وقوم منهم يهبطون منها مسرعين[(٢)].

[١٥] – قوله تعالى: ﴿ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ۝١٠٠ ﴾

أ – قال الجبائي: لا يسمعون ما ينتفعون به، وإن سمعوا ما يسؤهم[(٣)].

ب – ﴿ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴾ أي لا يسمعون ما يسرهم ولا ما ينتفعون به وإنما يسمعون صوت المعذبين وصوت الملائكة الذين يعذبونهم ويسمعون ما يسوءهم، عن الجبائي[(٤)].

سورة الحج

[١] – قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ ﴾

قال شيخنا أبو علي رحمه الله: إن الله تعالى لا يوصف بأنه حق على الحقيقة، لأن ذلك عبارة عن الأمر الحادث الذي ينفصل به من الباطل ويتعالى عن ذلك. وتأوّل قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ﴾ على أن المراد به أن عبادة الله هو الحق وعبادة غير هو الباطل. ويجوز أن يُعني به أنه هو الباقي المحيي

(١) الطوسي: التبيان ج٧/ ٢٧٨/ الطبرسي: مجمع البيان م٧/ج١٧/ ٦٢ (مع اختلاف يسير).
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٧/ ٦٤.
(٣) الطوسي: التبيان ج٨/ ٢٨١.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٧/ ٦٤.

المميت المعاقب، وأن ما يدعون من دونه هوالباطل أنه يبطل ويذهب ولا يملك لأحد ثواباً ولا عقاباً[١].

[٢] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ ﴾ وقيل: المراد بالمسجد الحرام عين المسجد الذي يصلي فيه، عن الحسن، ومجاهد، والجبائي[٢].

[٣] - قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

أ - قال الحسن، والجبائي: هو أمر للنبي (صلى الله عليه وآله) أن يؤذن للناس بالحج ويأمرهم به، وانه فعل ذلك في حجة الوداع[٣].

ب - ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ ... أن المخاطب به نبيّنا محمد عليه أفضل الصلوات، أي وأذن يا محمد في الناس بالحج، فأذن صلوات الله عليه في حجة الوداع أي أعلمهم بوجوب الحج، عن الحسن، والجبائي[٤].

ت - أما قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ ... قال الجبائي: أمره الله تعالى أن يعلن التلبية فيعلم الناس أنه حاج فيحجوا معه قال: وفي قوله: ﴿ يَأْتُوكَ ﴾ دلالة على أن المراد أن يحج فيقتدي به[٥].

[٤] - قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

ثم أخبر أنه ﴿ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ معناه إنه سينصرهم قال الجبائي: لا

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل ج٥ ص ٢٥٦.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٧/ ٨٠.
(٣) الطوسي: التبيان ج٧/ ٣٠٩.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٧/ ٨٠.
(٥) الرازي: التفسير الكبير ج٢٣/ ٢٥.

فائدة له إلاّ هذا المعنى. وهذه الآية أول آية نزلت في الأمر بالقتال [١].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

وقوله ﴿ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ معناه من غير أن استحقوا ذلك، عن **الجبائي** أي لم يخرجوا من ديارهم إلاّ لقولهم ربنا الله وحده [٢].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ اختلف في معناه على وجوه... (وثالثها) أن يوما واحدا كألف سنة في مقدار العذاب لشدته وعظمته كمقدار عذاب ألف سنة من أيام الدنيا على الحقيقة وكذلك نعيم الجنة لأنه يكون في مقدار يوم من أيام الجنة من النعيم والسرور مثل ما يكون في ألف سنة من أيام الدنيا لو بقي منعم فيها ثم الكافر يستعجل ذلك العذاب لجهله، عن **الجبائي** [٣].

[٧] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾

أ – قال **أبو علي الجبائي**: إنما كان يغلط في القراءة سهواً فيها، وذلك جائز على النبي، لأنه سهو لا يعرى منه بشر، ولا يلبث أن ينبهه الله تعالى عليه [٤].

---

(١) الطوسي: التبيان ج٧/ ٣٢٠-٣٢١.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٧/ ٨٧.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٧/ ٩٠.
(٤) الطوسي: التبيان ج٧/ ٣٣٠.

قال الجبائي: إنما سها النبي (صلى الله عليه وآله) في القراءة نفسها. فأما الرواية بأنه قرأ تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، فلا أصل لها، لأن مثله لا يغلط على طريق السهو، وإنما يغلط في المتشابه(١).

[٨] – قوله تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾

﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم ﴾ أي ليجعل ذلك تشديداً في التعبد وامتحاناً، عن الجبائي، والمعنى أنه شدد المحنة والتكليف على الذين في قلوبهم شك وعلى الذين قست قلوبهم من الكفار فتلزمهم الدلالة على الفرق بين ما يحكمه الله وبين ما يلقيه الشيطان(٢).

[٩] – قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ ﴾ أي مثبت في الكتاب المحفوظ، عن الجبائي(٣).

سورة المؤمنون

[١] – قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾

وقال الجبائي: ﴿ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ ﴾ على التشبيه بالميراث المعروف من جهة الملك الذي ينتهي إليه أمره(٤).

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

أ – ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ قال الجبائي: لأنها طرائق

(١) م. ن ج٧/ ٣٣٠.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٧/ ٩٢.

(٣) م. ن ج٧/ ١٧/ ٩٥.

(٤) الطوسي: التبيان ج٧/ ٣٥٢.

للملائكة[١].

ب - ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴾ قيل: معناه ما خلقناكم عبثاً بل خلقناكم عالمين بأعمالهم وأحوالهم، عن الجبائي[٢].

[٣] - قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

قال الجبائي: المنزل المبارك هو السفينة[٣].

[٤] - قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

قيل: يعني ثمود لأنهم أهلكوا بالصيحة، عن الجبائي[٤].

[٥] - قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾[٥]

أ - قال الجبائي: معناه ﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ في أنهم عبيد الله، وخلقه وتدبيره[٦].

ب - ﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ قيل: هذه جماعتكم وجماعة من قبلكم واحدة كلكم عباد الله تعالى، عن الجبائي[٧].

[٦] - قوله تعالى: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَـٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا ﴾ ... وقيل: في جهل وحيرة، عن الحسن،

---

(١) الطوسي: التبيان ج٧/ ٣٥٦/ الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٨/ ١٠١.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٨/ ١٠١.
(٣) الطوسي: التبيان ج٧/ ٣٦٣.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٨/ ١٠٦.
(٥) وردت هذه الآية في كتاب التبيان تحت رقم ٥٣ (ج٧/ ٣٧٤) والصحيح هو ٥١ في القرآن الكريم.
(٦) الطوسي: التبيان ج٧/ ٣٧٥.
(٧) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٨/ ١٠٩.

والجبائي[١].

[٧] ـ قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

وتعلّق[٢] بقوله: ﴿ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴾. قال: قالوا ذلك على معرفتهم بالحق.

فقال أبو علي، رحمه الله: قد يجوز فيمن لا يعرف الحق أن يكون كارهاً له، ومخبراً عن نفسه بكراهيته، فمن أين أنهم كانوا يعرفون صحة ما كرهوه؟[٣].

[٨] – قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[٤]

أ – قال الجبائي: معناه لناكبون في الآخرة عن طريق الجنة، بأخذهم يمنة ويسرة إلى النار[٥].

ب – ﴿ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ ﴾ ... وقيل: معناه أنهم في الآخرة ناكبون عن طريق الجنة يؤخذ بهم يمنة ويسرة إلى النار، عن الجبائي[٦].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ قيل: فتحنا عليهم باباً من عذاب جهنم في الآخرة، عن الجبائي[٧].

---

(١) م. ن م٧/ ج١٨/ ١١٢.
(٢) الذي تعلّق بقوله تعالى هو الجاحظ. وجواب الجبائي هنا هو ردّ عليه.
(٣) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ٣٣٧.
(٤) وردت هذه الآية في كتاب التبيان تحت رقم ٧٥ (ج٧/ ٣٨٢) والصحيح هو ٧٤ في القرآن الكريم.
(٥) الطوسي: التبيان ج٧/ ٣٨٤.
(٦) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٨/ ١١٣.
(٧) م. ن م٧/ ج١٨/ ١١٤.

[١٠] – قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

فأما الوصف له بأنه عليٌّ وعال ومتعال فقد قال شيخنا أبو علي: إنه حقيقة فيه، ويراد بذلك أنه قاهر قادر على الأشياء كلها مقتدرٌ، لأن ذلك معناه في اللغة؛ ولذلك قال سبحانه: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾ يعني بذلك لَغَلَب بعضهم بعضاً وقهره[١].

[١١] – قوله تعالى: ﴿ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

وفي الآية دلالة على أن أحداً لا يموت حتى يعرف منزلته عند الله تعالى اضطرارا وأنه من أهل الثواب أو العقاب، عن الجبائي[٢].

[١٢] – قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

أ – ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ وقيل: معناه لا يتفاخرون بالأنساب كما كانوا يفعلونه في الدنيا، عن ابن عباس، والجبائي[٣].

ب – ﴿ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله وخبره كما كانوا يسألون في الدنيا لشغل كل واحد بنفسه، عن الجبائي[٤].

[١٣] – قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني...، ج٥، ص ٢١٤.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٨/ ١١٨.
(٣) م. ن م٧/ ج١٨/ ١١٩.
(٤) م. ن م٧/ ج١٨/ ١١٩.

قولهم ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ ... قال الجبائي: المراد أن طلبنا اللذات المحرمة وحرصنا على العمل القبيح ساقنا إلى هذه الشقاوة، فأطلق اسم المسبب على السبب. وليس هذا باعتذار منهم لعلمهم بأن لا عذر لهم فيه، ولكنه اعتراف بقيام حجة الله تعالى عليهم في سوء صنيعهم(١).

[١٤] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾

وقال (أبو علي) رحمه الله: أنَّ قوله تعالى لأهل النار ﴿ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا ﴾ هو رد لهم مع ذرب من الاستخفاف، وذلك ظاهر في الشاهد لأنه لا يقصد به الأمر، فلذلك لم يدل منه تعالى على أنه مريد لما تأوله(٢).

سورة النور

[١] – قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾

قال الجبائي: من زعم أن الطائفة اقل من ثلاثة فقد غلط من جهة اللغة، ومن جهة المراد بالآية، من احتياطه بالشهادة. وقال: ليس لأحد أن يقيم الحد لا الأئمة وولاتهم، ومن خالف فيه فقد غلط، كما انه ليس للشاهد أن يقيم الحد.وقد دخل المحصن في حكم الآية بلا خلاف(٣).

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾

قال الجبائي: في الآية دلالة على أن الزنا ليس بكفر، لأنه ليس لصاحبه

(١) الرازي التفسير الكبير ٢٣/ ١٠٨.

(٢) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج ٦، ص ٢٢٨. وعبارة (أبو علي) زيادة مني. لأن القاضي يقصد (أبو علي) بقوله: رحمه الله.

(٣) الطوسي: التبيان ج٧/ ٤٠٦-٤٠٧.

حكم المرتد. وفيها دلالة على انه يستحق اللعن من الله بالزنا[١].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

أ – المعنى أنهم كاذبون في عيبهم، فمن جوز صدقهم، فهو راد لخبر الله تعالى، فالآية دالة على كذب من قذف عائشة، وأفك عليها. فأما في غيرها إذا رماها الإنسان، فانا لا نقطع على كذبه عند الله، وإن أقمنا عليه الحد، وقلنا: هو كاذب في الظاهر، لأنه يجوز أن يكون صادقًا عند الله، وهو قول الجبائي[٢].

ب – أما قوله: ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ففيه مسائل:... المسألة الرابعة: قال الجبائي: قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ ﴾ أي عقاب ما اكتسب، ولو كانوا لا يستحقون على ذلك عقابا لما جاز أن يقول تعالى ذلك، وفيه دلالة على أن من لم يتب منهم صار إلى العذاب الدائم في الآخرة، لأن مع استحقاق العذاب لا يجوز استحقاق الثواب[٣].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ

---

(١) م. ن ج٧/ ٤١٣.

(٢) م. ن ج٧/ ٤١٦.

(٣) الرازي: التفسير الكبير ج٢٣/ ١٥٢.

وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾

أ - وقال أبو علي الجبائي: قصة مسطح[١] دالة على انه قد يجوز أن تقع المعاصي ممن شهد بدراً بخلاف قول النوابت[٢].

[٥] - قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾

وقال (أي الجبّائي): وقد يجوز أيضاً أن يُعنى بقوله أن الله هو الحقّ، أن الله هو الباقي، المُحيي، والمميت، والمعاقب[٣].

[٦] - قوله تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

أ - ... قال الجبائي: (الخبيثات) من النساء الزواني (للخبيثين) من الرجال الزناة، على التعبد الأول ثم نسخ[٤].

ب - ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ ﴾ ... الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء، عن أبي مسلم، والجبائي[٥].

[٧] - قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ

(١) كان مسطح أحد من حدّه النبي ﷺ في قذف الإفك. وكان قريناً لأبي بكر مسكيناً مهاجراً. راجع الطوسي: التبيان ٧/ ٤٢٢٢ وأيضاً الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٨/ ١٣٤.

(٢) الطوسي: التبيان ج٧/ ٤٢٢.

(٣) الأشعري: مقالات الاسلاميين، ٢/ ١٩٣. وأيضاً بدوي: مذاهب الاسلاميين، ص ٣١٧.

(٤) الطوسي: التبيان ج٧/ ٤٢٤.

(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٨/ ١٣٥.

وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

أ - قوله ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ قال الجبائي: هي المقانع[1].

ب - ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ﴾ قال الجبائي: أراد مملوكًا له لم يبلغ مبلغ الرجال[2].

[٨] - قوله تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾

أ - ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ معناه هذه المشكاة في بيوت هذه صفتها وهي المساجد، في قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والجبائي[3].

ب - اعلم أن في الآية مسائل المسألة الأولى:... ورابعها: قول الجبائي إنه كلام مستأنف لا تعلق له بما تقدم والتقدير صلوا في بيوت أذن الله أن ترفع[4].

ت - قال الجبائي: تتقلب القلوب والأبصار عن هيئاتها بأنواع العقاب كتقلبها على الجمر[5].

[٩] - قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ

(١) الطوسي: التبيان ج٧/ ٤٣٠.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٦/ ٧/ ج١٨/ ١٣٨.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٨/ ١٤٤.
(٤) الرازي: التفسير الكبير ج٢٤/ ٤.
(٥) الطوسي: التبيان ج٧/ ٤٤١-٤٤٢/ الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٨/ ١٤٥.

وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾

قال الجبائي: لأنه تعالى يحاسب الجميع في وقت واحد، وذلك يدل على أنه لا يتكلم بآلة. وانه ليس بجسم، لأنه لو كان متكلماً بآلة لما تأتى ذلك إلاّ في أزمان كثيرة[(١)].

[١٠] – قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾ قيل: أراد السماء المعروفة فيها جبال من برد مخلوقة، عن الحسن، والجبائي[(٢)].

[١١] – قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾

قال الجبائي: قوله ﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ يعني المكلفين دون من ليس بمكلف، ويجوز أن يكون المراد هدايتهم في الآخرة إلى طريق الجنة، والصراط المستقيم الإيمان لأنه يؤدي إلى الجنة[(٣)].

[١٢] – قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

أ – قال الجبائي: ﴿ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يعني في زمن

---

(١) الطوسي: التبيان ج٧/ ٤٤٣.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٨/ ١٤٨.

(٣) الطوسي: التبيان ج٧/ ٤٥٠.

داود وسليمان[١].

ب - فصل: فيما نذكره من الجزء الثالث عشر، وهو أوّل المجلّد السابع من (تفسير الجبّائي) من الكرّاس السادس، بعد ستّ قوائم منها، من تفسير قول الله جلّ جلاله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ فقال الجبّائي ما هذا لفظه:

وهذه الآية هي أيضاً دلالة على صحّة إمامة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ رضي الله عنهم ؛ لأنّ الله تبارك وتعالى قد وعد المؤمنين أن يستخلفهم في الأرض، وأن يملّكهم إيّاها، ويمكّنهم منها حتّى يصيروا خلفاء فيها. ولم يستخلف فيها بعد رسول الله من هؤلاء الذين كانوا مؤمنين في زمن نزول هذه الآية إلاّ هؤلاء الأئمّة الأربعة، فصحّ أنّ الله جلّ ذكره هو الذي استخلفهم في الأرض، وبأمره صاروا خلفاء، وإلاّ لما كان الله سبحانه مستخلِفاً لهم كما قال، ولكان هذا يوجب أن يكون لم يوجد مخبر هذا الوعد وهذا الخبر على ما أخبر به. وهذا لا يجوز على إخبار الله؛ فصحّ أنّ خلافة هؤلاء الأئمّة الأربعة كانت بأمر رسول الله، وأنّ الله جلّ اسمه كان استخلفهم ومكّنهم في الأرض[٢].

ت - واستدلّ الجبّائي ومَنْ تابعه على إمامة الخلفاء الأربعة بهذه الآية بأنْ قال: الاستخلاف المذكور في الآية لم يكن إلاّ لهؤلاء ؛ لأنّ التمكينَ المذكور في الآية إنّما حصل في أيّام أبي بكر وعمر ؛ لأن الفتوح كانت في أيّامهم، فأبو بكر فتح بلاد العرب وطرفاً من بلاد العجم، وعمر فتح مدائن كسرى وإلى حدّ خراسان وإلى سجستان وغيرها. وإذا كان التمكين والاستخلاف ها هنا ليس هو إلاّ لهؤلاء الأربعة وأصحابهم عَلِمْنا أنّهم محِقّون[٣].

---

(١) الطوسي: التبيان ج٧/ ٤٥٥.

(٢) طاووس: سعد السعود، ص ٢٨١. وأيضاً الطوسي: التبيان ج٧/ ٤٠٣ (الفقرة ب).

(٣) الطوسي التبيان، ج٧، ص ٤٠٣، وأيضاً ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٨٨.

[١٣] – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾ ﴾

أ – قال الجبائي: الاستئذان واجب على كل بالغ في كل حال، ويجب على الأطفال في هذه الأوقات الثلاثة بظاهر هذه الآية[١].

ب – ﴿ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ﴾ من أحراركم وأراد به الصبي الذي يميز بين العورة وغيرها وقال الجبائي: الاستئذان واجب على كل بالغ في كل حال وعلى الأطفال في هذه الأوقات الثلاثة بظاهر الآية ثلاث مرات أي في ثلاث أوقات من ساعات الليل والنهار ثم فسرها فقال ﴿ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ وذلك أن الإنسان ربما يبيت عريانا أو على حال لا يحب أن يراه غيره في تلك الحال ﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ ﴾ يريد عند القائلة ﴿ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِ ﴾ الآخرة حين يأوي الرجل إلى امرأته ويخلو بها أمر الله بالاستئذان في هذه الأوقات التي يتخلى الناس فيها وينكشفون وفصلها ثم أجملها بعد التفصيل فقال ﴿ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ ﴾ أي هذه الأوقات ثلاث عورات لكم سمى سبحانه هذه الأوقات عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته[٢].

[١٤] – قوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا

(١) الطوسي: التبيان ج٧/ ٤٦٠.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٨/ ١٥٤.

مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

أ - فقال الحسن، وابن زيد، والجبائي: ليس عليهم حرج في التخلّف عن الجهاد، ويكون قوله ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ كلاما مستأنفاً[1].

ب - أن المعنى ليس على الأعمى والأعرج والمريض ضيق ولا إثم في ترك الجهاد والتخلف عنه ويكون قوله «و لا على أنفسكم» كلاما مستأنفاً، فأول الكلام في الجهاد، وآخره في الأكل، عن ابن زيد، والحسن، والجبائي[2].

سورة الفرقان

[١] - قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾

قال الجبائي: السر - هاهنا - الغيب[3].

[٢] - قوله تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾

قال الجبائي: معناه ﴿ إِذَا رَأَتْهُم ﴾ الملائكة الموكلون بالنار ﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا ﴾ للملائكة ﴿ تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ للحرص على عذابهم[4].

[٣] - قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾

﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾ ... وقيل: قرنوا مع الشياطين في السلاسل والأغلال، عن

(١) الطوسي: التبيان ج٧/ ٤٦٢.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ج١٨/ ١٥٦.

(٣) الطوسي: التبيان ج٧/ ٤٧٢.

(٤) م. ن ج٧/ ٤٧٥.

الجبائي[١].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

أ – قال الجبائي: وذلك يدل على إنهم كانوا مجسّمة، فلذلك جوّزوا الرؤية على الله التي تقتضي التشبيه[٢].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ وقيل: مد الظل من وقت غروب الشمس إلى وقت طلوعها، فيكون الظل بالليل لأنه ظل الأرض[٣]، عن الجبائي، والبلخي[٤].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ ﴾

قال الجبائي: قوله تعالى: ﴿ لِيَذَّكَّرُوا۟ ﴾ يدل على أنه تعالى مريد من الكل أن يتذكروا ويشكروا ولو أراد منهم أن يكفروا ويعرضوا لما صح ذلك، وذلك يبطل قول من قال إن الله تعالى مريد للكفر ممن يكفر، قال: ودل قوله: ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ على قدرتهم على فعل هذا التذكر إذ لو لم يقدروا لما جاز أن يقال أبوا أن يفعلوه كما لا يقال في الزمن أبى أن يسعى[٥].

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٨/ ١٦٤.
(٢) الطوسي: التبيان ج٧/ ٤٨٢. وأيضاً الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٨/ ١٦٦.
(٣) وظل الأرض مخروط وطويل يدور على الأرض بدوران الشمس ويظهر جانب منه على وجه القمر مدوراً في الخسوفات. راجع الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٨/ ١٧٢.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٨/ ١٧٢.
(٥) الرازي: التفسير الكبير ج٢٤/ ٨٦.

سورة الشعراء

[١] – قوله تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ۝ ﴾

وقد قال شيخنا أبو علي رحمه الله: أنَّ المخالف لا بدّ له من القول بذلك في تأويل قوله تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ۝ ﴾. لأن المراد بذلك أنه كان يلجئهم بها إلى الخضوع والانقياد. فكذلك القول فيما تأولنا عليه قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ (يونس: ٩٩) فقد صح بهذه الجملة أن ما يريده من عباده على طريق الالجاء، يجب أن يقع، ولو لم يقع لدل على صفة نقص فيه، كما يدل عليه انتفاء مقدوره لو أراده.

فأمَّا ما يريده منهم على سبيل الاختيار، فإن انتفاءه لا يدل على صفة نقص، لأن الدلالة قد دلت على أن مقدورهم لا يصح أن يكون مقدوراً لـه، فلا يمكن أن يقال: إنما لم يقع لأنه غير قادر عليه، أو غير عالم بكيفيته، أو لفقد الآلة والمنع، لأن هذه الوجوه أجمع لا تتأتى فيه. فيجب أنْ يكون حكم انتفائه حكم انتفاء مقدوره في الوجه الذي له دلَّ على صفة نقص فيه، وبطل بذلك حملهم مقدور الغير على مقدور نفسه في هذا الوجه.

على أن انتفاء مراده من غيره لو اقتضى فيه سبحانه صفة نقص لاقتضى ذلك في الواحد منا، لأن العلل والأدلة لا تختلف. وقد علمنا أن القوي منا قد يريد من غيره القعود في مكانه، ويمكنه حمله عليه(١).

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ۝ ﴾

أ – ﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾ ... قال الجبائي: لم يسأل موسى ذلك إلاّ بعد

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج ٦، ص ٢٦٨.

أن أذن الله تعالى له في ذلك، لأن الأنبياء لا يسألون الله إلاّ ما يؤذن لهم في مسألته[١].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾

قال الجبائي: ﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ عن العلم بأن ذلك يؤدي إلى قتله[٢].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾

... إن فيه بيان أنه ليس لفرعون عليه نعمة لأن الذي تولى تربيته أمه وغيرها من بني إسرائيل بأمر فرعون لما استعبدهم، فيكون معناه أنك تمن علي بأن استعبدت بني إسرائيل حتى ربوني وحفظوني، عن الجبائي[٣].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾

قال الجبائي: في الآية دلالة على أن للإنسان أن يظهر الحق وإن خاف القتل[٤].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾

وأجاب الجبائي عنه من وجهين[٥]: الأول: أن قوله: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى ﴾ أراد به سائر المؤمنين لأنهم الذين يطمعون ولا يقطعون به. الثاني: المراد من الطمع اليقين، وهو مروي عن الحسن[٦].

[٧] – قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

---

(١) الطوسي: التبيان ج٨/ ٨.

(٢) الطوسي: التبيان ج٨/ ١٢/ الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٩/ ١٨٧.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٩/ ١٨٧.

(٤) الطوسي: التبيان ج٨/ ٢٢.

(٥) السؤال الذي أجاب عنه الجبائي هو: لم قال "والذي أطمع" والطمع عبارة عن الظن والرجاء، وإنه عليه السلام كان قاطعاً بذلك؟ راجع الرازي: التفسير الكبير ج٢٤/ ١٢٦.

(٦) الرازي: التفسير الكبير ج٢٤/ ١٢٦.

وقال الجبائي: كذبوا من أرسل قبله. وإنما قال ﴿ كَذَّبَتْ ﴾ بالتأنيث، والقوم مذكر لأنه بمعنى جماعة قوم نوح[١].

[٨] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾

قال الجبائي: معناه يصغون إلى ما يلقيه الشيطان إليهم على جهة الوسوسة لما يدعوهم إليه من الكفر والضلال[٢].

سورة النمل

[١] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ ﴾

قال الحسن، والجبائي: زيّنا لهم أعمالهم التي أمرناهم بها، فهم يتحيرون بالذهاب عنها[٣].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

أ – وقوله ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا ﴾ ... وقيل في معناه قولان:.. الثاني: الملائكة الذين وكلهم الله بها على ما يقتضيه. ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ – في قول أبي علي الجبائي[٤].

ب – اختلفوا فيمن في النار على وجوه: ... وثالثها: أن الله تعالى ناداه بكلام سمعه من الشجرة في البقعة المباركة فكانت الشجرة محلاً للكلام، والله

---

(١) الطوسي: التبيان ج٨/ ٣٩.

(٢) الطوسي: التبيان ج٨/ ٧٠.

(٣) الطوسي: التبيان ج٨/ ٧٣-٧٤/ الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٩/ ٢١٠.

(٤) م. ن ج٨/ ٧٧.

هو المكلم له بأن فعله فيه دون الشجرة. ثم إن الشجرة كانت في النار ومن حولها ملائكة فلذلك قال: ﴿ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ وهو قول الجبائي[١].

ت - وقوله ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ وقال الجبائي: معناه لم يرجع على عقبيه[٢].

ث - ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ ﴾ قال الجبائي: في الآية دلالة على أنه يسمّى الحسن حسناً قبل وجوده وبعد تقضيه، وكذلك القبيح، وهذا إنما يجوز على ضرب من المجاز، دون الحقيقة، لأن كون الشيء حسناً أو قبيحاً بقيد حدوثه على وجه لا يصح في حال عدمه، وإنما سمي بذلك بتقدير أنه متى وجد كان ذلك، وقال قوم ﴿ إِلَّا ﴾ بمعنى الواو، فكأنه قال أني لا يخاف لدي المرسلون، ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء، فإني أغفر له[٣].

[٣] ـ قوله تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

وتعلق أيضاً[٤] بقوله: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾. قال: وذلك يدل على أنهم عرفوا الآيات والمعجزات، ودلالتها على النبوات.

قال أبو علي، رحمه الله: لم يذكر، تعالى، أن أنفسهم استبقت ماذا، وقد يجوز أن يعلموا أنها آيات ومعجزات، ويجوز أن لا يعلموا ذلك ويعرفوا أحوالها ومفارقتها لغيرها. وليس في الظاهر بيان ذلك، ولا يمتنع أنهم استبقوا عجزهم عن فعل مثلها، وإن لم يتمموا الفكر على وجه يعرفون به صحة النبوة[٥].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج٢٤/ ١٥٦.
(٢) م. ن ج٨/ ٧٧-٧٨.
(٣) م. ن ج٨/ ٧٩.
(٤) الذي تعلّق بقوله تعالى هو الجاحظ. وجواب الجبائي هنا هو ردّ عليه.
(٥) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ٣٣٨.

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ قيل: معناه أنه ورثه علمه ونبوته وملكه دون سائر أولاده، ومعنى الميراث هنا أنه قام مقامه في ذلك فأطلق عليه اسم الإرث كما أطلق على الجنة اسم الإرث، عن الجبائي(١).

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠ ﴾

أ – وقال الجبائي: لم يكن الهدهد عارفًا بالله وإنما أخبر بذلك، كما يخبر مراهقوا صبياننا، لأنه لا تكليف عليهم ولا تكليف إلاّ على الملائكة والجن والإنس(٢).

ب – قال الجبائي: لم يكن الهدهد عارفاً بالله تعالى وإنما أخبر بذلك كما يخبر مراهقو صبياننا لأنه لا تكليف إلاّ على الملائكة والإنس والجن فيرانا الصبي على عبادة الله فيتصوران ما خالفها باطل فكذلك الهدهد تصور له أن ما خالف فعل سليمان باطل(٣).

[٦] – قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝٢٨ ﴾

﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ وقيل: إنه على التقديم والتأخير ﴿ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي ما ذا يردون من الجواب، ثم تولّ عنهم لأن التولي عنهم بعد الجواب، عن مقاتل، وابن زيد، والجبائي، وأبي مسلم(٤).

[٧] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠ ﴾

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٩/ ٢١٤.
(٢) الطوسي: التبيان ج٨/ ٨٩.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٩/ ٢١٨.
(٤) م. ن م٧/ ج١٩/ ٢١٩.

أ - وقال الجبائي: الذي عنده علم من الكتاب سليمان عليه السلام. وقال ذلك للعفريت ليريه نعمة الله عليه[١].

ب - ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ ﴾ اختلف في معناه.. (والسادس) أنه أعدمه الله في موضعه وأعاده في مجلس سليمان، وهذا لا يصحّ على مذهب أبي هاشم، ويصحّ على مذهب أبي علي الجبائي، فإنه يجوّز فناء بعض الأجسام دون بعض، وفي الكلام حذف كثير لأن التقدير قال سليمان له: افعل فسأل الله تعالى في ذلك فحضر العرش فرآه سليمان مستقرا عنده[٢].

ت - فصل: فيما نذكره من الجزء الرابع عشر من(تفسير الجبّائي) وهو الثاني من المجلّد السابع، من الكرّاس الخامس منه، من الوجهة الأوّلة، من رابع قائمة منها، في تفسير قول الله جلّ جلاله: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ ﴾ بلفظ الجبّائي: وعنى بقوله: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ وهو يعني سليمان عليه السلام، لأنّه كان عنده عِلمٌ من الكتاب الذي أنزله الله عز وجلّ عليه وعرفه معناه. ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ ﴾ وأراد عليه السلام أن يبين للعفريت أنه أقدر على أن يأتي بها منه، وأنه يتهيّأ له سرعة الإتيان ما لا يتهيّأ للعفريت: لأنّه كان إذا سأل الله تبارك وتعالى ذلك أَتَتْه به الملائكة صلوات الله عليهم ما يريد في أسرع من المدّة التي أخبر العفريتُ أنّه يأتي به فيها. ثمّ سأل الله عزّ وجلّ أن يأتيه بذلك على نحو ما قال، فأتى اللهُ بعرشها إليه على ما قال[٣].

[٨] - قوله تعالى: ﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِىٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

---

(١) الطوسي: التبيان ج٨/ ٩٦/ وأيضاً الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٩/ ٢٢٣. وأيضاً ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٩٠ (الفقرة ت هنا).

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٩/ ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٩٠ -٢٩١. وأيضاً الطوسي: التبيان ج٨/ ٩٦ (قطعة من الكلام راجع هنا الفقرة أ).

﴿ نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ وقيل: أتهتدي أي أتستدل بعرشها على قدرة الله وصحة نبوتي وتهتدي بذلك إلى طريق الإيمان والتوحيد أم لا، عن الجبائي[(١)].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

﴿ وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ ... وقال الجبائي: هو من كلام قوم سليمان عليه السلام[(٢)].

[١٠] – قوله تعالى: ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

﴿ بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ قيل: هو الإنذار عند الموت وشدته وعذاب القبر، عن الجبائي[(٣)].

[١١] – قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ ... وقيل: أراد أن جميع أفعالهم محفوظة عنده غير منسية كما يقول القائل: أفعالك عندي مكتوبة، أي محفوظة، عن أبي مسلم، والجبائي[(٤)].

سورة القصص

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٩/ ٢٢٤.
(٢) الطوسي: التبيان ج٨/ ٩٨.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٩/ ٢٣٢.
(٤) م. ن م٧/ ج١٩/ ٣٣٢.

وقوله ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ ... وقال الجبائي: كان الوحي رؤيا منام عبر منه مؤمن به من علماء بني إسرائيل[١].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾ أي يختصمان في الدين، عن الجبائي[٢].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾

أما قوله: ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ ﴾ ... قال الجبائي: إنما سأل موسى عليه السلام أن يرسل هارون بأمر الله تعالى وإن كان لا يدري هل يصلح هارون للبعثة أم لا؟ فلم يكن ليسأل ما لا يأمن أن يجاب أو لا يكون حكمة، ويحتمل أيضا أن يقال إنه سأله لا مطلقا بل مشروطاً على معنى، إن اقتضت الحكمة ذلك كما يقوله الداعي في دعائه[٣].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

قال الجبائي: معنى ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ ﴾ أي أو لم يكفر من كان في عصر موسى وهارون، ونسبوهما إلى السحر فـ ﴿ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا ﴾ أي موسى ومحمد – في قول ابن عباس، وفي قول مجاهد: موسى وهارون[٤].

---

(١) الطوسي: التبيان ج٨/ ١٣١/ الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج١٩/ ٢٤٠.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج٢٠/ ٢٤٣.
(٣) الرازي: التفسير الكبير ج٢٤/ ٢١٣.
(٤) الطوسي: التبيان ج٨/ ١٥٩.

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

﴿ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ قيل: لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله لشغله بنفسه، عن الجبائي(١).

[٦] – قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

أ – قال الجبائي(٢): وهذا يدل على بطلان مذهب من يجوّز على الله تعالى أن يعذب الأطفال عذاباً دائماً بغير جرم(٣).

ب – ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ ﴾ قال أبو علي: الذي فرض عليك أحكامه وفرائضه لرادك بعد الموت إلى معاد، وتنكير المعاد لتعظيمه، كأنه قال: إلى معاد وأي معاد، أي ليس لغيرك من البشر مثله(٤).

ت – ﴿ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ ﴾ أي يردك إلى مكة، عن ابن عباس، ومجاهد، والجبائي(٥).

سورة العنكبوت

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾

﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ﴾ ... وقال النقاش: معناه فليميزن الله

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ ج٢٠/ ٢٦٢.
(٢) رداً على السؤال التالي: كيف قال لا تجزي السيئة إلا بمثلها؟ مع أن المتكلم بكلمة الكفر إذا مات في الحال عذب أبد الآباد.(راجع الرازي: التفسير الكبير ج٢٥/ ١٩).
(٣) الرازي: التفسير الكبير ج٢٥/ ١٩.
(٤) الرازي: التفسير الكبير ج٢٥/ ١٩.
(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٧/ج٢٠/ ٢٦٩.

الصادقين من الكاذبين. وهو قول الجبائي(١).

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾

وقوله ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ قال الجبائي: معناه أحسن ما كانوا يعملون: طاعاتهم لله، لأنه لا شيء في ما يعمله العباد أحسن من طاعاتهم لله(٢).

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾

أ – ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ قال الجبائي: وليميزن الله المؤمن من المنافق فوضع العلم موضع التمييز توسعاً(٣).

[٤] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

وقوله ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ ﴾ أي تعملون أصناماً، وسماها إفكاً لادعائهم أنها آلهة – وهو قول قتادة، والجبائي(٤).

[٥] – قوله تعالى: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

أ – ﴿ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾ وقيل: معناه قال لوط: إني مهاجر إلى ربي،

---

(١) الطوسي: التبيان ج٨/ ١٨٧.

(٢) م. ن ج٨/ ١٨٩.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٠/ ٢٧٥.

(٤) الطوسي: التبيان ج٨/ ١٩٥.

عن الجبائي[(١)].

ب - وقوله ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ ... وقال الجبائي: هو ما أمر الله به المكلفين من تعظيم الأنبياء[(٢)].

[٦] - قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ أي ضاق قلبه وضاقت حيلته فيما أراد من حفظهم وصيانتهم، عن الجبائي[(٣)].

[٧] - قوله تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

وتعلق أيضاً[(٤)] بقوله تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ ولا يكون الاستبصار إلاّ معرفة بالدين والحق.

فقال، رحمه الله[(٥)]: إن الاستبصار هو الفعل الذي أعطاهم الله تعالى، وعنده يصح تكليفهم النظر والاستدلال؛ لأن العلم يسمى بصراً بالأمور وبصيرة، وكان القوم، عملاً، مستبصرين وإن لم يعرفوا الله تعالى، فلا تدل الآية على ما ذكره[(٦)].

[٨] - قوله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٠/ ٢٨٠.

(٢) الطوسي: التبيان ج٨/ ٢٠١.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٠/ ٢٨١.

(٤) الذي تعلّق بقوله تعالى هو الجاحظ. وجواب الجبائي هنا هو ردّ عليه.

(٥) يقصد به الجبائي، لأن هذا الردّ هو جزء من ردود له على الجاحظ. راجع: القاضي: المغني... ج١٢/ من ص٣٣٠ حتى ص٣٤١.

(٦) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ٣٣٩ و٣٤٠.

إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

فصل: فيما نذكره من الجزء الخامس عشر من (تفسير الجبّائي)وهو الأوّل من المجلّد الثامن، من الوجهة الأوّلة، من الكرّاس الثاني، من القائمة السابعة منه، في تفسير قول الله جلّ جلاله: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ فقال الجبّائي بلفظه: فإنّما عنى به محمّداً ﷺ وأَمَرَه أنْ يتلو وأنْ يقرأ على الناس ما أوحى الله جلّ ذكره إليه من القرآن، وأَمَرَه مع ذلك أن يصلّي الصلوات المفترضة في أوقاتها، وذلك هو إقامته لها. وبيّن له أنّ الصلاة تَنهى عن الفحشاء والمنكر، وهذا توسّع؛ لأنّ النهيَ هو فعلُ الناهي والصلاة لا فعل لها، ولكن لمّا كان للمصلّي شغل في صلاته عن الفحشاء والمنكر على سبيل من القول والفعل، وكان فيها عظة للمصلّي وزجر عن ذلك، جعل ذلك نهياً للصلاة عن الفحشاء والمنكر على سبيل التوسعة في اللغة. وعنى بقوله: ﴿ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ ﴾ أنّ ذكركم الله عزّ وجلّ على سبيل الدعاء والعبادة في الصلاة وغيرها أكبر من الصلاة وسائر العبادة[١].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

وقال الجبائي: ذلك يدل على أن التبقية لا تجب لكونه أصلح، لأنه علله بأنه قدر له أجلا[٢].

[١٠] – قوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

وقال الجبائي: معناه إن أرض الجنة واسعة[٣].

---

(١) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٩٣.

(٢) الطوسي: التبيان ج٨/ ٢١٩.

(٣) الطوسي: التبيان ج٨/ ٢٢١/ الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢١/ ٢٩١.

سورة الروم

[١] – قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾

﴿ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ ﴾ ... وقيل: معناه خلقها في أوقات قدرها اقتضت المصلحة خلقها فيها ولم يخلقها عبثاً، عن الجبائي[١].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

﴿ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ يعني أن المشركين يتبرءون من الأوثان وينكرون كونها آلهة ويقرون بأن الله لا شريك له، عن الجبائي، وأبي مسلم[٢].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

وقال الجبائي: المعنى خلق أزواجكم من نطفكم[٣].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

فَمَن ﴿ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ ﴾ أي فمن يهدي إلى الثواب والجنة من أضله الله عن ذلك، عن الجبائي[٤].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ج٢١/٢٩٦.
(٢) م. ن م٨/ج٢١/٢٩٨.
(٣) الطوسي: التبيان ج٨/ ٢٤٠.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ج٢١/٣٠٣.

بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي وإن أصابهم بلاء وعقوبة بذنوبهم التي قدموها وسمي ذلك سيئة توسعا لكونه جزاء على السيئة، عن الجبائي[1].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

أ – ﴿ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ قال الجبائي: وما أتيتم من ربا لتربوا بذلك أموالكم[2].

ب – ﴿ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ قيل: في الربا المذكور في الآية قولان: .... (والقول الآخر) أنه الربا المحرم، عن الحسن، والجبائي[3].

[٧] – قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

﴿ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا ﴾ وقيل: متراكباً بعضه على بعض حتى يغلظ، عن الجبائي[4].

[٨] – قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

أ – ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ وقيل: في قسمهم بذلك مع أن معارفهم ضرورية قولان:... والثاني – قال الجبائي: ان المراد أنه منذ ما

---

(١) م. ن م٨/ ج٢١/ ٣٠٥-٣٠٦.

(٢) الطوسي: التبيان ج٨/ ٢٥٤.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢١/ ٣٠٦.

(٤) م. ن م٨/ ج٢١/ ٣٠٩.

انقطع عنا عذاب القبر[١].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ وقيل: لا يستخفنك أي لا يحملنك كفر هؤلاء على الخفة والعجلة لشدة الغضب عليهم لكفرهم بآياتنا فتفعل خلاف ما أمرت به من الصبر والرفق، عن الجبائي[٢].

سورة لقمان

[١] – قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ وقيل: ما أصابك من شدائد الدنيا ومكارهها من الأمراض وغيرها، عن الجبائي[٣].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ﴾ وقيل: معناه اشكر الله على دين يقر لك خصمك بصحته لوضوح دلالته، عن الجبائي[٤].

سورة السجدة

[١] – قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾

(١) الطوسي: التبيان ج٨/ ٢٦٤. وأيضاً الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢١/ ٣١١.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢١/ ٣١١.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢١/ ٣١٩.
(٤) م. ن م٨/ ج٢١/ ٣٢١.

﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ ... ومعناه أنه ينزل الملك بالتدبير أو الوحي ويصعد إلى السماء فيقطع في يوم واحد من أيام الدنيا مسافة ألف سنة مما تعدونه أنتم، لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام لابن آدم وهذا معنى قول ابن عباس، والحسن، والضحاك، وقتادة، وهو اختيار الجبائي[(١)].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) ﴾

أ – ثم قال تعالى مخبراً عن نفسه ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ قال **الجبائي**: يجوز أن يكون المراد ولو شئنا لأجبناهم إلى ما سألوا ولردتهم إلى دار التكليف ليعملوا بالطاعات[(٢)].

ب – فأما قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ قال شيخنا **أبو علي** رحمه الله عند ذكر هذا التأويل: ولا يمتنع أن يريد بالهدى ما سألوه من النجاة من العذاب، والرجوع إلى حال الدنيا، لأنه في حكم الدلالة على النجاة والفوز بالمنافع، ولذلك سماه هدى، وانْ لم يكن هدى إلى الإيمان، لأنَّ هداهم إلى الإيمان قد كان حصل في دار الدنيا، وإنما سألوا غير ذلك. ولا يجوز أن يريد الهدى بمعنى الثواب لأنهم لم يسألوا ذلك، وإنما سألوا ما يقوم مقامه[(٣)].

سورة الأحزاب

[١] – قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) ﴾

﴿ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ قال **الجبائي**: منهم من اضطرب خوفاً على

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢١/ ٣٢٦.

(٢) الطوسي: التبيان ج٨/ ٣٠٠-٣٠١/ الطبرسي: مجمع البيان م٨/ج٢١/ ٣٢٩ (مع اختلاف يسير). وأيضاً القاضي عبد الجبار: المغني... ج٦ ص٣٠٨ (الفقرة ب هنا).

(٣) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج ٦، ص ٣١٨. وراجع هنا الفقرة "أ".

نفسه من القتل ومنهم من اضطرب عليه دينه[١].

[٢] - قوله تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) ﴾

﴿ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾ قيل: معناه بخلاء بأن يتكلموا بكلام فيه خير، عن الجبائي[٢].

[٣] - قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) ﴾

﴿ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ اختلف في معناه على قولين: (أحدهما) أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد أخبرهم أنه يتظاهر عليهم الأحزاب ويقاتلونهم ووعدهم الظفر بهم فلما رأوهم تبين لهم مصداق قوله وكان ذلك معجزاً له ﴿ وَمَا زَادَهُمْ ﴾ مشاهدة عدوهم ﴿ إِلَّا إِيمَانًا ﴾ أي تصديقاً بالله ورسوله ﴿ وَتَسْلِيمًا ﴾ لأمره، عن الجبائي[٣].

[٤] - قوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤) ﴾

أ - قالوا: وإنما علق بالشرط في قوله ﴿ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ لأنه علم أن من المنافقين من يتوب، فقيد الكلام ليصح - المعنى - ذكره الجبائي -[٤].

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢١/ ٣٤٧.
(٢) م. ن م٨/ ج٢١/ ٣٤٨.
(٣) م. ن م٨/ ج٢١/ ٣٤٩.
(٤) الطوسي: التبيان ج٨/ ٣٣٠.

ب - ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ قيل: معناه ويعذب المنافقين بعذاب عاجل في الدنيا إن شاء أو يتوبوا، عن الجبائي(١).

[٥] - قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ وقيل: أنه إنما أضمر أن يتزوجها إن طلقها زيد من حيث إنها كانت ابنة عمته، فأراد ضمها إلى نفسه لئلا يصيبها ضيعة كما يفعل الرجل بأقاربه، عن الجبائي(٢).

[٦] - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾

﴿ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ أي طلقوهن طلاقاً للسنة من غير ظلم عليهن، عن الجبائي(٣).

[٧] - قوله تعالى: ﴿ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾

أ - ﴿ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ ... أن المراد تعزل من تشاء منهن بغير طلاق وترد إليك من تشاء منهن بعد عزلك إياها بلا تجديد

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢١/ ٣٥٠.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢١/ ٣٦٠.
(٣) م. ن م٨/ ج٢١/ ٣٦٤.

عقد، عن مجاهد، والجبائي، وأبي مسلم[١].

ب - ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴾ قيل: ذلك المعرفة منهن بأنك إذا عزلت واحدة كان لك أن تؤويها بعد ذلك أدنى بسرورهن وقرة أعينهن، عن الجبائي[٢].

[٨] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

وزعم بعضهم أن " يصلون " فيه ضمير الملائكة دون اسم الله مع إقراره بأن الله سبحانه يصلي على النبي، لكنه يذهب في ذلك إلى انه في إفراده بالذكر تعظيما، ذكره الجبائي[٣].

[٩] - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾

أ - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ﴾ وقيل: أراد بالجلابيب الثياب والقميص والخمار وما تستتر به المرأة، عن الجبائي، وأبي مسلم[٤].

ب - ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ ﴾ وقيل: معناه ذلك أقرب إلى أن يعرفن بالستر والصلاح فلا يتعرض لهن لأن الفاسق إذا عرف امرأة بالستر والصلاح لم يتعرض لها، عن الجبائي[٥].

[١٠] - قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾

---

(١) م. ن م٨/ ج٢١/ ٣٦٧.
(٢) م. ن م٨/ ج٢١/ ٣٦٧.
(٣) الطوسي: التبيان ج٨/ ٣٥٩.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢١/ ٣٧٠.
(٥) م. ن م٨/ ج٢١/ ٣٧٠.

﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ وقيل: لم يحصل الإغراء بهم لأنهم انتهوا، عن الجبائي[١].

[١١] – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ﴾ واختلفوا فيما أوذي به موسى على أقوال: (أحدها) أن موسى وهارون صعدا الجبل فمات هارون فقالت بنو إسرائيل أنت قتلته فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرفوا أنه قد مات وبرأه الله من ذلك، عن علي (عليه السلام)، وابن عباس، واختاره الجبائي[٢].

سورة سبأ

[١] – قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ وقيل: معناه سيري معه فكانت الجبال والطير تسير معه أينما سار وكان ذلك معجزاً له، عن الجبائي[٣].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ ﴾ وقيل: هي القصور والمساجد يتعبد فيها عن قتادة، والجبائي، قال: وكان مما عملوه بيت المقدس وقد كان الله عز وجل سلط على بني إسرائيل الطاعون فهلك خلق كثير في يوم واحد فأمرهم داود أن يغتسلوا ويبرزوا إلى الصعيد بالذراري والأهلين ويتضرعون

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٢/ ٣٧١.
(٢) م. ن م٨/ ج٢٢/ ٣٧٢.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٢/ ٣٨١.

إلى الله لعله يرحمهم وذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد، وارتفع داود فوق الصخرة فخر ساجداً يبتهل إلى الله سبحانه وسجدوا معه فلم يرفعوا رؤوسهم حتى كشف الله عنهم الطاعون فلما أن شفع الله داود في بني إسرائيل جمعهم داود بعد ثلاث وقال لهم: أن الله تعالى قد مَنّ عليكم ورحمكم فجددوا له شكراً بأن تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم فيه مسجداً ففعلوا وأخذوا في بناء بيت المقدس، وكان داود ينقل الحجارة لهم على عاتقه وكذلك خيار بني إسرائيل حتى رفعوه قامة ولداود يومئذ سبع وعشرون ومائة سنة، فأوحى الله إلى داود أن تمام بنائه يكون على يدي ابنه سليمان فلما صار داود ابن أربعين ومائة سنة توفاه الله واستخلف سليمان فأحب إتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال يخص كل طائفة منهم بعمل فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها[1] الأبيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة من الرخام والصُفّاح[2] وجعلها اثني عشر رَبَضاً[3] وأنزل كل ربض منها سبطا من الأسباط، ولما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقة يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها، وفرقة يقلعون الجواهر والأحجار من أماكنها، وفرقة يأتون بالمسك والعنبر وسائر الطيب، وفرقة يأتون بالدر من البحار فأوتي من ذلك بشيء لا يحصيه إلاّ الله تعالى، ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الأحجار حتى صيروها ألواحاً ومعالجة تلك الجواهر واللآلىء قال: وبنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين ألمها الصافي وسقفه بألواح الجواهر وفضض سقوفه وحيطانه باللآلىء واليواقيت والجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروزج فلم يكن في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد، كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، فلما فرغ منه جمع إليه أخبار بني إسرائيل فأعلمهم أنه بناه الله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزا بخت نصر بني إسرائيل فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما

---

(١) المها جمع المهاة: البلور.

(٢) الصُفّاح: الحجارة العريضة الرقيقة.

(٣) الربض: سور المدينة.

في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر واليواقيت والجواهر فحملها إلى دار مملكته من أرض العراق قال سعيد بن المسيب لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت أبوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتى قال في دعائه بصلوات أبي داود إلاّ فتحت الأبواب ففتحت ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قراء بني إسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار فلا تأتي ساعة من ليل ولا نهار إلاّ ويعبد الله فيها(١).

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾ اختلف في معناه على وجوه... (وثالثها) أن الله تعالى إذا أوحى إلى بعض ملائكته لحق الملائكة غشي عند سماع الوحي ويصعقون ويخرون سجدا للآية العظيمة فإذا فزع عن قلوبهم سألت الملائكة ذلك الملك الذي أوحي إليه ما ذا قال ربك أو يسأل بعضهم بعضا فيعلمون أن الأمر في غيرهم، عن ابن مسعود، واختاره الجبائي(٢).

[٤] – قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ أي عامة للناس كلهم العرب والعجم وسائر الأمم، عن الجبائي وغيره(٣).

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

وقال الجبائي: معناه اظهروا الندامة، قال: وهذا مشترك(٤).

---

(١) م. ن م٨/ ج٢٢/ ٣٨٢.

(٢) م. ن م٨/ ج٢٢/ ٣٨٩.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٢/ ٣٩١.

(٤) الطوسي: التبيان ج٨/ ٣٩٨/ عرضت النص كاملا في يفهم كلام الجبائي.

[٦] – قوله تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ قيل: هو نعيم الجنة، عن الجبائي(١).

سورة فاطر

[١] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾

وقال الجبائي: في ذلك دلالة على أنه لا أحد من المكلفين إلاّ وقد بعث الله إليهم رسولا، وأنه أقام الحجة على جميع الأمم(٢).

[٢] – قوله تعالى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾

قال الجبائي: وصفه بأنه شكور مجاز، لأن معناه انه يجازي على الطاعات(٣).

[٣] – قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾

أ – ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ﴾ وقيل: أراد الكتب لأن الكتاب يطلق ويراد به الجنس، عن الجبائي(٤).

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٢/ ٣٩٨.
(٢) الطوسي: التبيان ج٨/ ٤٢٥/ الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٢/ ٤٠٥.
(٣) الطوسي: التبيان ج٨/ ٤٢٨.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٢/ ٤٠٨.

ب - ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا ﴾ واختلف في الذين اصطفاهم الله تعالى عن عباده في الآية ... فقيل: هم الأنبياء اختارهم الله برسالته وكتبه، عن الجبائي[١].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ أي المخوف من عذاب الله وهو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، عن ابن زيد، والجبائي، وجماعة[٢].

سورة يس

[١] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ ﴾

واختلف في معنى الآية على وجوه: (أحدها) أنه سبحانه إنما ذكره ضرباً للمثل وتقديره: مَثَلُ هؤلاء المشركين في إعراضهم عما تدعوهم إليه كمثل رجل غلت يداه إلى عنقه لا يمكنه أن يبسطهما إلى خير ورجل طامح برأسه لا يبصر موطىء قدميه، عن الحسن، والجبائي[٣].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾

﴿ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ ﴾ أي ما يكون له أثر، عن الجبائي[٤].

(١) م. ن م٨/ ج٢٢/ ٤٠٨.
(٢) م. ن م٨/ ج٢٢/ ٤١٠.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٢/ ٤١٦.
(٤) م. ن م٨/ ج٢٢/ ٤١٨.

[٣] – قوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

فصل: فيما نذكره من الجزء السادس عشر، وهو الثاني من المجلّد الثامن من (تفسير الجبّائي) من الوجهة الثانية، من القائمة السادسة، من الكرّاس الثالث عشر، في تفسير قول الله جلّ جلاله: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ فقال في باب تفسيرها بلفظه:وذكر الليل والنهار بالسبق توسّعاً ؛ لأنّ الليلَ والنهارَ عرضان لا حركة لهما؛وذلك أنّ الليلَ هو مسير الشمس من وقت مغيبها إلى وقت طلوع الفجر، والنهارَ هو مسير الشمس من وقت طلوع الفجر إلى غيبوبة الشمس، ومسير الشمس هو حركاتها، وذلك عرض. ولكن أراد بهذا السبق ـ الذي ذكره لها ـ جري الشمس، وبَيَّنَ أنّها لا تكون في بعض أوقاتها أسرع سيراً منها في بعض آخر. وأنّها لا تجري إلاّ على مقدار واحد[١].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

وقيل: مثل السفينة من الدواب كالإبل والبقر والحمير، عن الجبائي[٢].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

قوله ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾... وقال ابن زيد، والجبائي: هو قول الكفار، وهو أشبه بالظاهر، لأنه تعالى حكى عنهم أنهم يقولون: يا ويلنا، والمؤمن لا يدعو بالويل لعلمه بماله من نعيم الجنة[٣].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

---

(١) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٩٤ –٢٩٥.

(٢) م. ن م٨/ ج٢٢/ ٤٢٦.

(٣) الطوسي: التبيان ج٨/ ٤٦٧.

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ قيل: معناه لتركناهم عمياً يترددون، عن الحسن، والجبائي(١).

[٧] – قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ يعني أن هذه الآلهة معهم في النار محضرون لأن كل حزب مع ما عبده من الأوثان في النار فلا الجند يدفعون عنها الإحراق ولا هي تدفع عنهم العذاب وهذا كما قال سبحانه إنكم وما تعبدون من دون الله حطب جهنم، عن الجبائي(٢).

سورة الصافات

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ ﴾

اختلف في معنى الصافات على وجوه... (وثانيها) أنها الملائكة تصف أجنحتها في الهواء إذا أرادت النزول إلى الأرض واقفة تنتظر ما يأمرها الله تعالى، عن الجبائي(٣).

[٢] – قوله تعالى: ﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ ﴾

اختلف فيها أيضا على وجوه... (وثانيها) أنها الملائكة الموكلة بالسحاب تزجرها وتسوقها، عن الجبائي(٤).

[٣] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ ﴾

وهذه أقسام، أقسم الله تعالى بها أنه واحد ليس له شريك، ثم اختلف في مثل هذه الأقسام: فقيل: أنها أقسام بالله تعالى على تقدير ورب الصافات ورب الزاجرات ورب التين والزيتون لأن في القسم تعظيما للمقسم به ولأنه يجب على العباد أن لا يقسموا إلاّ بالله تعالى إلاّ أنه حذف لأن حجج العقول دالة

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٢/ ٤٣١.
(٢) م. ن م٨/ ج٢٣/ ٤٣٣.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٣/ ٤٣٨.
(٤) م. ن م٨/ ج٢٣/ ٤٣٨.

على المحذوف، عن الجبائي، والقاضي[١].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠ ﴾

والجواب[٢]: أن حصول هذه الحالة ليس له موضع معين وإلا لم يذهبوا إليه، وإنما يمنعون من المصير إلى مواضع الملائكة ومواضعها مختلفة، فربما صاروا إلى موضع تصيبهم فيه الشهب، وربما صاروا إلى غيره ولا يصادفون الملائكة فلا تصيبهم الشهب، فلما هلكوا في بعض الأوقات، وسلموا في بعض الأوقات، جاز أن يصيروا إلى مواضع يغلب على ظنونهم أنه لا تصيبهم الشهب فيها، كما يجوز فيمن يسلك البحر أن يسلكه في موضع يغلب على ظنه حصول النجاة، هذا ما ذكره **أبو علي الجبائي** من الجواب عن هذا السؤال في تفسيره[٣].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ۝٢٨ ﴾

أي يقول الكفار لغواتهم إنكم كنتم تأتوننا من جهة النصيحة واليمن والبركة ولذلك أقررنا لكم والعرب تتيمن بما جاء من اليمين، عن **الجبائي**[٤].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣٧ ﴾

شبهة أخرى لهم: قالوا: وقد ذكر الله تعالى في كتابه ما يدلُّ على أنه خالق لأعمال العباد وهو قوله تعالى: **﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦ ﴾**[٥]، فيصرّ على أنه خالق لأعمالنا كما أنه خالق لنا، فيجب القضاء به، وأن نجعل ما عداه من الآيات المحتملة محمولة عليه لأنه لا يحتمل إلاّ ما ذكرناه؛ واعلم أن شيخنا أبا

---

(١) م. ن م٨/ ج٢٣/ ٤٣٨.

(٢) الجواب عن السؤال هو: كيف يجوز أن تذهب الشياطين إلى حيث يعلمون بالتجويز، أن الشهب تحرقهم ولا يصلون إلى مقصودهم ألبتة، وهل يمكن أن يصدر مثل هذا الفعل عن عاقل، فكيف من الشياطين الذين لهم مزية في معرفة الحيل الدقيقة ؟ (راجع الرازي: التفسير الكبير ج٢٥/ ١٠٦).

(٣) الرازي: التفسير الكبير ج٢٦/ ١٠٦.

(٤) م. ن م٨/ ج٢٣/ ٤٤١.

(٥) رقم ٩٦ سورة الصافات ٣٧.

علي رحمه الله قد استوفى الجواب عن ذلك بما لا يكاد يُزاد عليه، فقال رحمه الله: معنى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾، ما تعملون فيه على نحو قول أهل اللغة: فلان يعمل الأبواب والحصر، وفلان يعمل الطين، وإنما أراد الأصنام التي عملوا فيها النحت، وبيّن أن العدول عن ظاهر مثل ذلك لا يمتنع، كما لا يمتنع العدول عن ظاهر قوله: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا ﴾[1]، وعن ظاهر قوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾[2] للدلالة؛ وبيّن أن قوله تعالى: ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[3]، إذا كان المراد به المنحوت دون النحت، فيجب أن يكون المراد بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[4]، هو الذي كانوا يعبدون وهو الصنم، ولذلك ذكره على طريق التقريع لهم والتوبيخ؛ وبيّن أن قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ﴾[5]، وقوله: ﴿ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾[6] إذا كان المراد بذلك ما صنعوا فيه دون صنعهم وكذبهم، وكذلك القول فيما ذكرناه من أنه ذكر ا لعمل وأراد المعمول فيه، ولو لم يُحمل على ذلك لم يكن للكلام الكثير معنى، لأنه تعالى إنما ذكر ذلك ليُقرّع عُبّاد الأصنام ويوبخهم، ومعلوم أن التوبيخ والتقريع لا تعلق له بعملهم، وله تعلق بما عملوا فيه من الأصنام، فأراد تعالى أن يبين أنه الخالق لما يحاولون عبادته، كما أنه الخالق لهم، وأنه أوْلى بالعبادة من الأمرين، ولأنه لا معنى في عبادة الصنم إلاّ ومثله قائم في عبادة الإنسان، وعلى هذا الوجه قوله تعالى: ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[7]، إلى ما ذكر في كتابه من نظائر هذه الآية، فيجب أن يكون الأمر فيها على ما ذكرناه، وألا يكون لهم به تعلق[8].

---

(١) رقم ٥١ سورة الأعراف ٧. (٢) رقم ٢٢ سورة الفجر ٨٩.

(٣) رقم ٩٥ سورة الصافات ٣٧. (٤) ٩٦ سورة الصافات ٣٧.

(٥) رقم ٦٩ سورة طه ٢٠. (٦) رقم ١١٧ الأعراف ٧ و٤٥ الشعراء ٢٦.

(٧) رقم ٦٦ ، ٦٧ سورة الأنبياء ٢١.

(٨) القاضي عبد الجبار: المغني... ج٨/ ٣٠٨ و٣٠٩.

[٧] - قوله تعالى: ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ ﴾

وقال الجبائي: هذا يقوله المؤمن على وجه الإخبار بأنه لا يموت بعد هذا النعيم لكن الموتة الأولى قد مضت، فتلخيص معنى الآية قولان: أحدهما - انه يقوله المؤمن على وجه السرور بنعم الله في أنه لا يموت ولا يعذب. الثاني - أن المؤمن يقوله على وجه التوبيخ لقرينة بما كان ينكره[١].

[٨] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣ ﴾

وقيل: إن المراد بالفتنة العذاب، أي جعلناها شدة عذاب لهم من قوله يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون، عن الجبائي، وأبي مسلم[٢].

[٩] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥ ﴾

يسأل عن هذا فيقال: كيف شبه طلع هذه الشجرة برءوس الشياطين وهي لا تعرف وإنما يشبه الشيء بما يعرف؟ وأجيب عنه بثلاثة أجوبة... (وثالثها)... وقال الجبائي: إن الله تعالى يشوه خلق الشياطين في النار حتى أنه لو رآهم راء من العباد لاستوحش منهم فلذلك شبه برؤوسهم[٣].

[١٠] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۝١٠٦ ﴾

واختلف العلماء في الذبيح على قولين: (أحدهما) أنه إسحاق، وروي ذلك عن علي (عليه السلام)، وابن مسعود، وقتادة، وسعيد بن جبير، ومسروق، وعكرمة، وعطاء، والزهري، والسدي، والجبائي[٤].

[١١] - قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ۝١٣٠ ﴾

وقال الجبائي: أراد أهل القرآن[٥]:

---

(١) الطوسي: التبيان ج٨/ ٤٩٩-٥٠٠.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٣/ ٤٤٦.
(٣) م. ن م٨/ ج٢٣/ ٤٤٦.
(٤) م. ن م٨/ ج٢٣/ ٤٥٣.
(٥) الطوسي: التبيان ج٨/ ٥٢٣.

[١٢] – قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ ﴾ ... أنه قول المشركين: إن الملائكة بنات الله، وسمّي الملائكة جنة لاستتارهم عن العيون عن مجاهد، وقتادة، والجبائي[١].

[١٣] – قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾

وقال الجبائي: صافون بأجنحتنا في الهواء للعبادة والتسبيح[٢].

سورة ص

[١] – قوله تعالى: ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ ﴾

﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ وقيل: فيه ذكر الله وتوحيده وأسماؤه الحسنى وصفاته العلى وذكر الأنبياء وأخبار الأمم وذكر البعث والنشور وذكر الأحكام وما يحتاج إليه المكلف من الأحكام، عن الجبائي[٣].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ وقال الجبائي: لا يمتنع أن يكون الله خلق في الطيور من المعارف ما تفهم به مراده وأمره من نهيه فتطيعه في ما يريده منها. وإن لم تكن كاملة العقل، ولا مكلفة[٤].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ قيل: العلم بالله وشرائعه، عن أبي العالية،

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٣/ ٤٦٠.
(٢) م. ن م٨/ ج٢٣/ ٤٦١.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٣/ ٤٦٥.
(٤) الطوسي: التبيان ج٨/ ٥٥٠/ الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٣/ ٤٦٩.

والجبائي[1].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

اختلفوا في ذلك على وجوه: (أحدها) أن أوريا بن حيان خطب امرأة وكان أهلها أرادوا أن يزوجوها منه فبلغ داود جمالها فخطبها أيضا فزوجوها منه فقدموه على أوريا فعوتب داود على الحرص على الدنيا، عن الجبائي[2].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾

احتجّ الجبائي بهذه الآية على أنه تعالى لا يجوز أن يكون خالقا لأعمال العباد قال: لأنها مشتملة على الكفر والفسق وكلها أباطيل. فلما بيّن تعالى أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً دلّ هذا على أنه تعالى لم يخلق أعمال العباد. ومثله قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ ﴾ (الحجر: ٨٥) وعند المجبرة أنه خلق الكافر لأجل أن يكفر والكفر باطل، وقد خلق الباطل، ثم أكد تعالى ذلك بأن قال: ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي كل من قال بهذا القول فهو كافر، فهذا تصريح بأن مذهب المجبرة عين الكفر[3].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾

أ – ﴿ عَن ذِكْرِ رَبِّى ﴾ معناه: إن هذا الخيل شغلني عن صلاة العصر حتى فات وقتها، وهو قول علي (عليه السلام)، وقتادة، والسدي، وروي أصحابنا أنه فاته الوقت الأول، وقال الجبائي: إنه لم يفته الفرض، وإنما فاته نفل كان

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٣/ ٤٦٩.

(٢) م. ن م٨/ ج٢٣/ ٤٧٢.

(٣) الرازي: التفسير الكبير: ج٢٦/ ١٧٥.

يفعله آخر النهار ففاته لاشتغاله بالخيل[١].

ب - ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ .... فإن أبا مسلم محمد بن بحر وحده قال: إنه عائد إلى الخيل دون الشمس... فأما أبو علي الجبائي وغيره، فإنه ذهب إلى إن الشمس لما توارت بالحجاب وغابت كان ذلك سبباً لترك عبادة كان يتعبد بها بالعشيّ، وصلاة نافلة كان يصليها فنسيها شغلاً بهذه الخيل وإعجاباً بتقليبها، فقال هذا القول على سبيل الاغتمام لما فاته من الطاعة[٢].

[٧] - قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ﴾ واختلف العلماء في زلته وفتنته والجسد الذي ألقى على كرسيه على أقوال... ومنها: أنه ولد له ولد ميت الجسد بلا روح فألقى على سريره، عن الجبائي[٣].

[٨] - قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾

فإن قيل: فما معنى قول سليمان عليه السلام: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ أو ليس ظاهر هذا القول منه عليه السلام يقتضي الشح والظن والمنافة لأنه لم يقنع بمسألة الملك حتى أضاف إلى ذلك أن يمنع غيره منه ؟. (الجواب) قلنا: قد ثبت أن الأنبياء عليهم السلام لا يسألون إلا ما يؤذن لهم في مسألته، لا سيما إذا كانت المسألة ظاهرة يعرفها قومهم. وجايز أن يكون الله تعالى أعلم سليمان عليه السلام انه أن سأل ملكاً لا يكون لغيره كان أصلح له في الدين والاستكثار من الطاعات، واعلمه أن غيره لو سأل ذلك لم يجب إليه من حيث لا صلاح له فيه. ولو أن أحدنا صرّح في دعائه بهذا

---

(١) الطوسي: التبيان ج٨/ ٥٦٠/عرضت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبائي/ الطبرسي: مجمع البيان م٨/ج٢٣/ ٤٧٥. وأيضاً الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء والأئمة ص ١٦٢. (راجع هنا الفقرة ب)

(٢) الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء والأئمة ص ١٦٢.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٣/ ٤٧٦.

الشرط حتى يقول اللّهم اجعلني أيسر أهل زماني وارزقني مالا يساويني فيه غيري، إذا علمت أنّ ذلك أصلح لي وانه ادعى إلى ما تريده مني، لكان هذا الدعاء منه حسناً جميلاً وهو غير منسوب به إلى بخل ولا شحّ. وليس يمتنع أن يسأل النبي هذه المسألة من غير إذن إذا لم يكن شرط ذلك بحضرة قومه، بعد أن يكون هذا الشرط مرادا فيها، وإن لم يكن منطوقا به، وعلى هذا الجواب اعتمد أبو علي الجبائي[1].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾

وقيل: المراد بالدار الدنيا، عن **الجبائي**، وأبي مسلم، أي خصصناهم بالذكر في الأعقاب من بين أهل الدنيا[2].

[١٠] – قوله تعالى: ﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ ﴾

... واختلفوا في المراد بالطاغين، فأكثر المفسرين حملوه على الكفار، وقال **الجبائي**: إنه محمول على أصحاب الكبائر سواء كانوا كفاراً أو لم يكونوا كذلك، ... واحتجّ الجبائي على صحة قوله بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ (العلق: ٦، ٧) وهذا يدل على أن الوصف بالطغيان قد يحصل في حق صاحب الكبيرة، ولأن كل من تجاوز عن تكاليف الله تعالى وتعداها فقد طغى[3].

[١١] – قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

أ – ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ توليت خلقه بنفسي من غير واسطة، عن **الجبائي**[4].

---

(١) الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء والأئمة ص ١٦٧.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٣/ ٤٨١.

(٣) الرازي: التفسير الكبير ج٢٦/ ١٩٢.

(٤) م. ن م٨/ ج٢٣/ ٤٨٥.

سورة الزمر

[١] – قوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾

﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ ﴾ اختلف في معناه على وجوه... (والثاني) أنه أنزلها بعد أن خلقها في الجنة، عن الجبائي قال: وفي الخبر الشاة من دواب الجنة والإبل من دواب الجنة[١].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾

أ – ﴿ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ ﴾ وقال الجبائي: إنه خص به أمة محمد (صلى الله عليه وآله)[٢].

ب – ﴿ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ ﴾ من عباده بما نصب فيه من الأدلة وهم الذين آتاهم القرآن من أمة محمد ﷺ، عن الجبائي[٣].

ت – ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ أي لا يقدر على هدايته أحد، عن الجبائي[٤].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ ﴾ أي نفرت، عن السدي، والضحاك، والجبائي[٥].

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٣/ ٤٩٠.
(٢) الطوسي: التبيان ج٩/ ٢١.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٣/ ٤٩٥.
(٤) م. ن م٨/ ج٢٣/ ٤٩٥.
(٥) م. ن م٨/ ج٢٤/ ٥٠١.

[٤] – قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ﴾ قيل فيه وجوه: (أحدها) قال: إنما أوتيته بعلمي وجلدي وحيلتي، عن الحسن، والجبائي، فيكون هذا إشارة إلى جهلهم بمواضع المنافع والمضار[١].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ وقيل: بالأحسن الناسخ دون المنسوخ، عن الجبائي[٢].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾

وقيل: معناه لو أن الله هداني إلى النجاة بأن يرني إلى حال التكليف لكنت ممن يتقي المعاصي، عن الجبائي قال: لأنهم يضطرون يوم القيامة إلى العلم بأن الله قد هداهم[٣].

[٧] – قوله تعالى: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

وقال الجبائي: الله خالق كل شيء أفعال خلقه الصح فيها الأمر والنهي واستحقوا بها الثواب والعقاب، ولو كانت أفعالهم خلقاً لله تعالى ما جاز ذلك

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٤/ ٥٠٢.
(٢) م. ن م٨/ ج٢٤/ ٥٠٣.
(٣) م. ن م٨/ ج٢٤/ ٥٠٥.

فيه كما لا يجوز مثله في ألوانهم وصورهم(١).

[٨] – قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

قيل: هم عدول الآخرة يشهدون على الأمم بما شاهدوا، عن الجبائي، وأبي مسلم، وهذا كما جرت العادة بأن القضاء يكون بمشهد الشهداء والعدول(٢).

سورة غافر

[١] – قوله تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾

قوله ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ ﴾ قال الجبائي: معناه أنه غافر الذنب إذا استحق غفر إنه إما بتوبة أو طاعة أعظم منه، ومراده منه أن فاعل المعصية إما أن يقال: إنه كان قد أتى قبل ذلك بطاعة كان ثوابها أعظم من عقاب هذه المعصية أو ما كان الأمر كذلك، فإن كان الأول كانت هذه المعصية صغيرة فيحبط عقابها، وإن كان الثاني كانت هذه المعصية كبيرة فلا يزول عقابها إلاّ بالتوبة(٣).

[٢] ـ قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ ﴾

قال شيخنا أبو علي، رحمه الله: إن ظن أبي عثمان(٤) في المجادلة بالباطل أنها لا تقع على جهالة، عجبت، لأنه لا فرق بين العالم وغير العالم في أنه قد

(١) الرازي: التفسير الكبير ج ٢٧/ ١٠ و١١.

(٢) م. ن م٨/ ج٢٤/ ٥٠٩.

(٣) الرازي: التفسير الكبير ج ٢٧/ ٢٤.

(٤) يقصد به الجاحظ.

يجادل بالباطل، ويتكلم فيه ويخوض، وهذا يبطل تعلقه بالظاهر[١].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾

أ – ﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ قال السدي: الاماتة الأولى في الدنيا، والثانية في البرزخ إذا أحيي للمسألة قبل البعث يوم القيامة، وهو اختيار **الجبائي**، والبلخي[٢].

ب – ﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ اختلف في معناه على وجوه... (و ثالثها) أن الحياة الأولى في الدنيا والثانية في القبر ولم يرد الحياة يوم القيامة والموتة الأولى في الدنيا والثانية في القبر عن **الجبائي**[٣].

ت – ﴿ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ ... وقال **الجبائي**: معناه السيد الجليل[٤].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ قيل: فيه يلتقي الأولون والآخرون والخصم والمخصوم والظالم والمظلوم، عن **الجبائي**[٥].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾

قال بعضهم: لو كان المطيع مطيعاً له تعالى لأنه فعل ما أراده، لوجب أن يكون تعالى بفعل ما أراده العبد مطيعاً له؛ وهذا كفر. فيجب بطلان ما قلتم.

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ٣٣٤.

(٢) الطوسي: التبيان ج٩/ ٦٠.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٤/ ٥١٧.

(٤) الطوسي: التبيان ج٩/ ٦٢/ الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٤/ ٥١٧ (مضافاً إليه: العظيم في صفاته التي لا يشاركه فيها غيره).

(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٤/ ٥١٧.

وأجاب شيخنا أبو علي رحمه الله عن هذا: بأن اللغة تقتضي ما سأل عنه، ولذلك قال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (١).

[٦] – قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾

قال الجبائي: القائل لذلك موسى لأن المؤمن من آل فرعون كان يكتم إيمانه (٢).

[٧] – قوله تعالى: ﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ ﴾

فمن قول أبي علي رحمه الله أنه انما صارت ظلماً لأنه قد التزم بفعلهما التوبة مع المشقة التي فيها، فصار كأنه ظلم نفسه بالزامها ذلك من حيث أقدم على الصغير (٣).

[٨] – قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾

قيل: أن هذا القائل موسى عليه السلام أيضاً، عن الجبائي (٤).

[٩] – قوله تعالى: ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن

---

(١) غافر، ٤٠/ ١٨. وراجع القاضي عبد الجبار: المغني...، ج٦، ص ٢٣١.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٤/ ٥٢٢.

(٣) يذكر الجُبائي هذا الرد على من قال في الدليل العاشر: ومما يدل على أنه تعالى لا يريد القبائح أنه تعالى نفى ذلك عن نفسه بقوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾، ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ وهذا صريح في أنه لا يريد الظلم، ولا شيئاً من المعاصي، لأنها أجمع ظلم. لأن العاصي أمّا أن يظلم غيره أو نفسه. ولذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾، وان كان أكثر الشرك ليس هو باضرار يوصل إلى الغير لكنه لما كان يردي إلى العقاب الدائم صار ظلماً عظيماً. ولذلك قال شيوخنا رحمهم الله أنَّ الصغائر ظلم، وانْ اختلف شيخانا رحمهما الله فيما له صارت ظلماً. راجع القاضي عبد الجبار: المغني... ج ٦/ ٢٣٩.

(٤) م. ن م٨/ ج٢٤/ ٥٢٤.

قَبْلُ شَيْـًٔاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

أ - ﴿ بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔاۚ ﴾ والمعنى لم نكن ندعو شيئاً يستحق العبادة ولا ما ننتفع بعبادته، عن الجبائي[١].

ب - ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ وقيل: يضل الكافرين عن طريق الجنة والثواب كما أضلهم عما اتخذوه إلهاً بأن صرفهم عن الطمع في نيل منفعة من جهتها، عن الجبائي[٢].

[١٠] - قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

أ - ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ يعني لما أتى هؤلاء الكفار رسلهم الذين دعوهم إلى توحيده وإخلاص العبادة له ﴿ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ وفى الكلام حذف، وتقديره لما جاءتهم رسلهم بالبينات فجحدوها وانكروا دلالتها وعد الله تعالى الرسل بإهلاك أممهم ونجاة الرسل فرح الرسل بما عندهم من العلم بذلك. وقيل: إن المعنى فرحوا بما عندهم من العلم يعني الكفار بما اعتقدوا انه علم إذ قالوا: نحن اعلم منهم لن نعذب ولن نبعث، فكان ذلك جهلا واعتقدوا انه علم، فأطلق الاسم عليه بالعلم على اعتقادهم، كما قال ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ ﴾[٣] وقال ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾[٤] يعني عند نفسك وعند قومك، فالأول قال به الجبائي، والثاني قول الحسن، ومجاهد[٥].

ب - ﴿ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ أي فرح الرسل بما عندهم من

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٤/ ٥٣٢.
(٢) م. ن م٨/ ج٢٤/ ٥٣٢.
(٣) سورة الشورى آية ١٦.
(٤) سورة الدخان آية ٤٩.
(٥) الطوسي: التبيان ج٩/ ١٠١/ عرضت النص كاملا حتى يفهم كلام الجبائي.

العلم بذلك، عن الجبائي[١].

سورة فصلت

[١] ـ قوله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ ﴾

وتعلق بقوله[٢]، تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ ﴾. وأجاب على ذلك[٣]؛ بأنه تعالى لم يبيّن معلوم علمهم، ولا ينكر أنهم كانوا يعلمون كثيراً من الأمور، فمن أين عرفوا الله، سبحانه، وعرفوا صدق رسول الله، ﷺ؟ ويجوز أن يكون المراد أنهم يعلمون معنى القرآن العربي الذي يسمعونه لأنه بلغتهم نزل، ويعلمون مفارقته لكلامهم، وإن لم يتمموا النظر والاستدلال. وبين أن قوله، تعالى:﴿ فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ ﴾ ، يدل على أن حكم جميعهم يختلف ولا يتفق[٤].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةًۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝١٥ ﴾

قال الجبّائي: وليس يجوز أن يوصف الله سبحانه بأنه شديد العقاب، وما أشبه ذلك من صفات الأفعال، لأن الشديد من صفات الأفعال إنما هي

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٨/ ج٢٤/ ٥٣٥.
(٢) الذي تعلّق بقوله تعالى هو الجاحظ. وجواب الجبائي هنا هو ردّ عليه.
(٣) الذي أجاب هو الجبائي، وردّ الجبائي هذا هو من إحدى جواباته العديدة على الجاحظ. راجع القاضي: المغني... ج١٢/ من ص٣٠٠ حتى ص٣٤١.
(٤) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ٣٣٩.

الأفعال، وقول الله عز وجل ﴿ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ ، مجازٌ معناه أنه أقدر منهم، ولو لم يكن ذلك مجازاً لكانت قوته شديدة في الحقيقة، وقوته في الحقيقة لا توصف بالشدّة[١].

[٣] - قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿ فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ وقيل: نحسات ذوات غبار وتراب حتى لا يكاد يبصر بعضهم، عن الجبائي[٢].

[٤] - قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

أ ـ فصل: فيما نذكره من الجزء السابع عشر من (تفسير الجبّائي) وهو أوّل المجلّد التاسع، من الكرّاس الرابع منه، من أواخر الوجهة الثانية، من القائمة الأولى ـ وبعضه من أوّل الوجهة الأوّلة، من القائمة الثانية، من الكرّاس المذكور ـ من تفسر قول الله جلّ جلاله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ بلفظه:فإنّما عنى به هؤلاء، الكفّار الذين يُحْشَرون إلى النار ويُوزّعون إليها. فبيّن أنّهم إذا ما جاؤوها وصاروا بحضرتها حوسبوا هناك، وسئلوا عن أعمالهم التي عملوها في الدنيا، وشهد عليهم بها سَمْعُهم وأبصارُهم وجلودُهم بعد شهادة مَنْ يشهد عليهم مِن الملائكة، والنبيّين صلوات الله عليهم وسائر شهداء المؤمنين.وقد يجوز في تأويل تفسير هذه الشهادة معنيان: أحدهما: أنّه يَبني الأبعاض التي تشهد على الإنسان بُنْيَةَ من يقدر أن يفعل ويعلم أفعاله ويريدها، فتشهد تلك الشهادة على سبيل إلجاء الله عزّ وجلّ لعباده في الآخرة إلى الأفعال، فإذا كان على هذا كانت هذه الجوارح شاهدةً على الإنسان على الحقيقة، وكانت شهادتُها فِعْلَها.ثمّ ذكر

(١) الأشعري: مقالات الاسلاميين، ٢/ ١٩١. وأيضاً بدوي: مذاهب الاسلاميين، ص ٣١٦.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٤/ ٨.

الوجهَ الآخر بما معناه: أنْ تكون الشهادة مجازاً. واختار الوجه الأوّل واعتمد عليه[١].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ قال الجبائي: (التقييض) إحواج بعض العباد إلى بعض كحاجة الرجل إلى المرأة، والمرأة إلى الرجل، وكحاجة الغني إلى الفقير يستعمله وحاجة الفقير إلى أن يستعمله الغني، وغير ذلك من احواج بعضهم إلى بعض[٢].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ وقيل: في القيامة، عن الجبائي، وأبي مسلم[٣].

[٧] – قوله تعالى: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ ثم عزى سبحانه نبيه ﷺ على تكذيبهم فقال ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ ﴾ أي ما يقول هؤلاء الكفار لك إلاّ ما قد قيل: للأنبياء قبلك من التكذيب والجحد لنبوتهم، عن قتادة، والسدي، والجبائي[٤].

(١) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٩٥ و٢٩٦.
(٢) الطوسي: التبيان ج٩/ ١٢٠.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٤/ ١٢.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٤/ ١٧.

سورة الشورى

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ أي ولو شاء الله أن يحملهم على دين واحد وهو الإسلام بأن يلجئهم إليه لفعله، ولكنه لم يفعله لأنه يؤدي إلى إبطال التكليف، والتكليف إنما يثبت مع الاختيار، عن الجبائي[١].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾

قالوا: وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾. وكل ما يعلم بالنظر قد اختلف فيه، فيجب أن يُرجع فيه إلى نص الكتاب دون النظر.

وهذا بعيد، لأن الرجوع إلى أدلة بالنظر فيها في أنه رجوع إليه تعالى، وفي أن الحكم من قبله بمنزلة الرجوع إلى نصه. ولم يقل تعالى: ﴿ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ بأن ينص عليه دون أن يدل عليه بالأدلة التي هي أقوى من نفس الكتاب. ويجب على هذا، إذا وقع الخلاف في نفس كتاب الله، أن يُرجع إلى نص سواه. وهذا يوجب ما لا نهاية له. وفساد ذلك، ظاهر. **وقد تأوله شيخنا أبو علي**، رحمه الله، على أن المراد به أن عِلْمه عند الله دون غيره. ثم كيفية الوصول إلى ذلك، قد تكون بأن ينص عليه أو يدل على المراد به القياس[٢].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ﴾

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٤/ ٢٢.

(٢) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ١٧١ وعرضت النص كاملاً حتى يفهم كلام الجبّائي.

أ - ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ ﴾ قال الجبائي: أجاب الله تعالى دعاءه في كفار بدر حتى قتلهم الله بأيدي المؤمنين، وأجاب دعاءه عليهم بمكة وعلى مضر من القحط والشدائد التي نزلت بهم، وما دعا به من إنجاء الله المستضعفين من أيدي قريش فأنجاهم الله وخلصهم من أيديهم وغير ذلك مما يكثر تعداده(١).

ب - ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ قيل: معناه والذين يجادلون في الله بنصرة مذهبهم من بعد ما استجيب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دعاؤه في كفار بدر حتى قتلهم الله بأيدي المؤمنين واستجيب دعاؤه على أهل مكة وعلى مضر حتى قحطوا ودعاؤه للمستضعفين حتى خلصهم الله من أيدي قريش وغير ذلك مما يطول تعداده، عن الجبائي(٢).

ت - وانزل " والميزان " ... وقال الجبائي: انزل الله عليهم الميزان من السماء وعرفهم كيف يعملون به بالحق وكيف يزنون به(٣).

[٤] - قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ۗ ﴾ اختلف في معناه على أقوال: (أحدها) لا أسألكم على تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة أجرًا إلاّ التواد والتحاب فيما يقرب إلى الله تعالى من العمل الصالح، عن الحسن، والجبائي، وأبي مسلم، قالوا: هو التقرب إلى الله تعالى والتودد إليه بالطاعة(٤).

[٥] - قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

قال الجبائي: هذه الآية تدل على بطلان قول المجبرة. من وجهين: الأول:

(١) الطوسي: التبيان ج٩/ ١٥٣-١٥٤.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٤/ ٢٦.
(٣) الطوسي: التبيان ج٩ / ١٥٤/ الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٤/ ٢٦.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٤/ ٢٨.

أن حاصل الكلام أنه تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ والبغي في الأرض غير مراد فإرادة بسط الرزق غير حاصلة، فهذا الكلام إنما يتم إذا قلنا إنه تعالى يريد البغي في الأرض، وذلك يوجب فساد قول المجبرة. الثاني: أنه تعالى بيّن أنه إنما لم يرد بسط الرزق لأنه يفضي إلى المفسدة فلما بيّن تعالى أنه لا يريد ما يفضي إلى المفسدة فبأن لا يكون مريدا للمفسدة كان أولى... ثم أورد الجبائي في «تفسيره» على نفسه سؤالا قال: فإن قيل: أليس قد بسط الله الرزق لبعض عباده مع أنه بغى؟ وأجاب عنه: بأن الذي عنده الرزق وبغى كان المعلوم من حاله أنه يبغي على كل حال سواء أعطى ذلك الرزق أو لم يعط[1].

[٦] ـ قوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

قال شيخنا أبو علي رحمه الله:.... فأما قوله: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ ﴾ مجاز، لأن العقوبة لا تسمّى سيئة، وكذلك قوله: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ ﴾[2]، وهذه الطريقة في اللغة مشهورة لأنهم يجرون اسم الشيء على ما هو جزاء عليه، وعلى هذا قالوا الجزاء بالجزاء، والأول ليس بجزاء[3].

[٧] – قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ ... وقيل: معناه لا يقدر أحد على رده ودفعه وهو يوم القيامة، عن الجبائي[4].

[٨] – قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾

﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ إرساله ملائكته بكتبه وكلامه

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج٢٧/ ١٤٦.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٤.
(٣) القاضي عبد الجبار: المغني... ج٨/ ٣٢٠.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٥/ ٣٥.

إلى أنبيائه ليبلغوا ذلك عنه عباده فهذا أيضا ضرب من الكلام الذي يكلم الله به عباده ويأمرهم فيه وينهاهم من غير أن يكلمهم على سبيل ما كلم به موسى وهو خلاف الوحي الذي ذكر في أول الآية لأنه تنبيه خاطر وليس فيه إفصاح، عن أبي علي الجبائي[1].

سورة الزخرف

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

وقال الجبائي: لا يمتنع أن يقولوا بذلك تقليداً لأنهم لو علموه ضرورة لعلموا أنه لا يجوز أن يعبد معه غيره[2].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ ... وقيل: على جماعة أي كانوا مجتمعين موافقين على ما نحن عليه، عن الجبائي[3].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾... قال الجبائي: شبههم بالأعمى لما لم يبصروا الحق والذكر هو القرآن[4].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

---

(١) م. ن م٩/ ج٢٥/ ٣٥.

(٢) الطوسي: التبيان ج٩/ ١٨٤.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٥/ ٤٤.

(٤) م. ن م٩/ ج٢٥/ ٤٨.

﴿ وَقَالُوا يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴾ يعنون بذلك يا أيها العالم، وكان الساحر عندهم عظيماً يعظمونه ولم يكن صفة ذم، عن الكلبي، والجبائي[١].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ ... وقيل: كان في لسانه لثغة فرفعه الله تعالى وبقي فيه ثقل، عن الجبائي[٢].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ ﴾ وقيل: معناه أن آلهتنا خير من المسيح فإذا عبد المسيح جاز أن تعبد آلهتنا، عن الجبائي[٣].

[٧] – قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

﴿ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ وقيل: هو من قول مالك وإنما قال ﴿ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم ﴾ لأنه من الملائكة وهم من جنس الرسل، عن الجبائي[٤].

[٨] – قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

إن معناه لو كان له ولد لكنت أنا أول الأنفين من عبادته، لأن من كان له ولد لا يكون إلاّ جسماً محدثاً، ومن كان كذلك لا يستحق العبادة، لأنه لا يقدر على النعم التي يستحق بها العبادة عن الجبائي وغيره[٥].

[٩] – قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ

---

(١) م. ن م٩/ ج٢٥/ ٥٠.
(٢) م. ن م٩/ ج٢٥/ ٥١.
(٣) م. ن م٩/ ج٢٥/ ٥٣.
(٤) م. ن م٩/ ج٢٥/ ٥٧.
(٥) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٥/ ٥٧.

﴿ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

ظن قوم أن هذه الآية وأمثالها في القرآن تدل على أن القوم مضطرون إلى الاعتراف بوجود الإله للعالم، قال الجبائي: وهذا لا يصح لأن قوم فرعون قالوا: لا إله لهم غيره، وقوم إبراهيم قالوا ﴿ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ ﴾ (إبراهيم: ٩)[١].

سورة الدخان

[١] - قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ ﴾

﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ مع ذلك ويستهزءون بك وبالقرآن إذا قرىء عليهم، عن الجبائي[٢].

[٢] - قوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾

وقيل: إن الدخان آية من أشراط الساعة، تدخل في مسامع الكفار والمنافقين، وهو لم يأت بعد وإنه يأتي قبل قيام الساعة، فيدخل أسماعهم حتى أن رؤوسهم تكون كالرأس الحنيذ، ويصيب المؤمن منه مثل الزكمة، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص، ويمكث ذلك أربعين يوماً، عن ابن عباس، وابن عمر، والحسن، والجبائي[٣].

[٣] - قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ عن ابن عباس، والحسن: إنه يوم القيامة، وهو اختيار الجبائي[٤].

[٤] - قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج٢٧/ ٢٠٠.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٥/ ٦٢.

(٣) م. ن م٩/ ج٢٥/ ٦٢.

(٤) الطوسي: التبيان ج٩/ ٢٢٨.

فقال الجبائي: رجل أعين إذا كان ضخم العين واسعها، والأنثى عيناء، والجمع عين[١].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾

وقال الجبائي: هذا حكاية حال المؤمنين في الآخرة، فلما أخبرهم بذلك في الدنيا، وهم لم يذوقوا بعد الموت جاز أن يقال: لا يذوقون الموت في المستقبل إلاّ الموتة الأولى يخرجون بها من دار التكليف[٢].

سورة الجاثية

[١] ـ قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

وتعلّق[٣] بقوله، تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾. قال: فدل بذلك على حصول العلم، وإن جحدوا.

قال شيخنا (أبو علي)، رحمه الله: وهذا عجيب من أبي عثمان، لأنه ظن أن المراد بالعلم علم الكفار، وليس كذلك لأنه أراد أنه تعالى أضلهم عن الثواب، الذي جعله للمؤمنين، من حيث ضلوا وكفروا، مع علمه بأنهم لا يستحقون كما يستحقه المؤمنون[٤].

---

(١) الرازي: التفسير الكبير ج٢٧/ ٢١٧.

(٢) الطوسي: التبيان ج٩/ ٢٤٢-٢٤٣.

(٣) الذي تعلّق بقوله تعالى هو الجاحظ. وجواب الجبائي هنا هو ردّ عليه.

(٤) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ٣٣٧. عبارة (أبو علي) زيادة مني، لأن القاضي بقوله (شيخنا رحمه الله) يقصده بذلك.

سورة الأحقاف

[١] – قوله تعالى: ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾

قال الجبائي: هذا يدل على أن كل ما بين السموات والأرض من القبائح فهو ليس من خلقه بل هو من أفعال عباده، وإلاّ لزم أن يكون خالقاً لكل باطل، وذلك ينافي قوله ﴿ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ (الدخان: ٣٩)(١).

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ وقيل: معناه ولكل مطيع درجات ثواب وإن تفاضلوا في مقاديرها، عن الجبائي، وعلي بن عيسى(٢).

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

قال الجبائي: قوله ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ معناه لكي يرجعوا عن كفرهم، دل بذلك على أنه تعالى أراد رجوعهم ولم يرد إصرارهم(٣).

[٤] – قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ

(١) الرازي: التفسير الكبير ج٢٨/ ٤.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٥/ ٨٨.
(٣) الرازي: التفسير الكبير ج٢٨/ ٢٦.

إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ أي فاصبر يا محمد على أذى هؤلاء الكفار وعلى ترك إجابتهم لك كما صبر الرسل، ومن هاهنا لتبيين الجنس كما في قوله ﴿ فَٱجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ (الحج: ٣٠)، وعلى هذا القول فيكون جميع الأنبياء هم أولو العزم لأنهم عزموا على أداء الرسالة وتحمل أعبائها، عن ابن زيد، والجبائي، وجماعة(١).

سورة محمد

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾

وقيل: معناه بينها لهم وأعلمهم بوصفها على ما يشوق إليها فيرغبون فيها ويسعون لها، عن الجبائي(٢).

[٢] – قوله تعالى: ﴿ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ﴾

وقال الجبائي: معنى الكلام ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم أن يعاقبوا (فلو صدقوا الله) في ما أمرهم به (لكان خيرا لهم) ودخل بين الكلامين (طاعة وقول معروف) وليس من قصته وإنما هي من صفة المؤمن يأمره الله أن يطيعه، ويقول له قولاً معروفاً(٣).

[٣]ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٥/ ٩٤.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٥/ ٩٨.
(٣) الطوسي: التبيان ج٩/ ٣٠١.

وتعلق[١] بقوله تعالى: ﴿ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ ﴾.

فقال أبو علي، رحمه الله: إنما نزلت هذه الآية في قوم ارتدوا عن الإيمان بعد أن آمنوا بالرسول، لأنه تعالى قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾. فأخبر بذلك عن قوم مخصوصين، وبين أنهم لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم. وليس في ظاهره أيضاً أنهم علموا جميع الحق، لأن الهدى عبارة عن الأدلة. وقد يتبين الإنسان الأدلة ويميزها، وإن لم يعرف مدلولها على التفصيل[٢].

[٤] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ كلها في الصدقة وأن أوجب عليكم الزكاة في بعض أموالكم، عن سفيان بن عيينة، والجبائي[٣].

سورة الفتح

[١] - قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾

وقال الجبائي: أراد بقوله ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ قوله سبحانه قل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا[٤].

[٢] - قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ

---

(١) الذي تعلّق بقوله تعالى هو الجاحظ. وجواب الجبائي هنا هو ردّ عليه.

(٢) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ٣٣٨.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ج٢٥/ ١٠٨.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ٢٦/ ١١٥.

تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ وقيل: فتح مكة[1]، عن الجبائي.

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ وقيل: يعني غنائم هوازن بعد فتح مكة عن الجبائي[2].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ قيل: إن المراد بها فارس والروم، عن ابن عباس، والحسن، والجبائي، قال: كما أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بشرهم كنوز كسرى وقيصر وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم وفتح مدائنهم بل كانوا خولا لهم حتى قدروا عليها بالإسلام[3].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ﴾ منهزمين بنصرة الله إياكم وخذلان الله إياهم، عن قتادة، والجبائي[4].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ وقيل: أن الاستثناء من الدخول وكان بين نزول الآية والدخول مدة سنة وقد مات منهم أناس في السنة، فيكون تقديره

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ٢٦/ ١١٦.

(٢) م. ن م٩/ ج٢٦/ ١١٦.

(٣) م. ن م٩/ ج٢٦/ ١٢٣.

(٤) م. ن م٩/ ج٢٦/ ١٢٣.

لتدخلن كلكم إن شاء الله إذ علم الله أن منهم من يموت قبل السنة أو يمرض فلا يدخلها فأدخل الاستثناء لأن لا يقع في الخبر خلف، عن الجبائي[١].

سورة ق

[١] – قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

فإن قيل: فما قولكم في الخبر الذي رواه محمد بن جرير الطبري بإسناده عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله "أن النار تقول: "هل من مزيد"؟ إذا ألقي فيها أهلها، حتى يضع الرب تعالى قدمه فيها. وتقول: قط قط فحينئذ تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض. وقد روي مثل ذلك عن أنس بن مالك ؟[٢]. وقد قال أبو علي الجبائي: أن القول الذي هو "هل من مزيد"، من قول الخزنة. كما يقال: قالت البلدة الفلانية: كذا أي قال أهلها. وكما قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة الفجر: ٢٢] وهذا أيضاً غير ممتنع[٣].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ ... أنه النوافل بعد المفروضات، عن ابن زيد، والجبائي[٤].

سورة الذاريات

[١] – قوله تعالى: ﴿ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَـٰذَا

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٦/ ١٢٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢٦/ ١٠٦/. وقوله "هل من مزيد" إشارة إلى قوله تعالى في سورة ق الآية ٣٠.

(٣) الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء والأئمة، ص ٢٠١ و٢٠٢.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٦/ ١٥٠.

ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

فصل: فيما نذكره من الجزء الثامن عشر من (تفسير الجبّائي) وهو الثاني من المجلّد التاسع، من الوجهة الأوّلة، من القائمة العاشرة من الكرّاس السادس منه بلفظه:وأمّا قولُ الله سبحانه وتعالى: ﴿ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِى غَمۡرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ فإنّما عنى به أمره للنبيّ عليه السلام والمؤمنين بأن يدعو الله عزّ وجلّ على الكذّابين على الله ـ القائلين فيه تبارك وتعالى وفي أنبيائه صلوات الله عليهم وفي دينه خلاف الحقّ ـ بأن يقتلهم الله وأن يذلّهم وأن يهلكهم الله بأيدي المؤمنين، أو بعذاب من عنده[١].

سورة الطور

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ ﴾

أقسم الله سبحانه بالجبل الذي كلم عليه موسى (عليه السلام) بالأرض المقدسة، عن الجبائي، وجماعة من المفسرين[٢].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَۜيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ ﴾ وقيل: خزائنه مقدوراته فلا يأتيهم إلاّ ما يحبون، عن الجبائي[٣].

سورة النجم

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾

أشار بأفول النجم إلى طلوعه، لأن ما يأفل يطلع فاستدل بأفوله وطلوعه

(١) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٩٨.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٧/ ١٦٣.
(٣) م. ن م٩/ ج٢٧/ ١٦٨.

على وحدانية الله تعالى وحركات النجم وتوصف بالهوى، عن الجبائي(١).

[٢] – قوله تعالى: ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴾

﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ قيل: ذو مرة أي ذو مرور في الهواء ذاهباً وجائياً ونازلاً وصاعداً، عن الجبائي(٢).

[٣] – قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾

وقيل: استوى أي اعتدل واقفا في الهواء بعد أن كان ينزل بسرعة ليراه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، عن الجبائي(٣).

[٤] – قوله تعالى: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴾

وقيل: هي الجنة التي كان آوى إليها آدم وتصير إليها أرواح الشهداء، عن الجبائي، وقتادة(٤).

[٥] – قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾

وهي الآيات العظام التي رآها تلك الليلة مثل سدرة المنتهى وصورة جبرائيل (عليه السلام) ورؤيته وله ستمائة جناح قد سد الأفق بأجنحته، عن مقاتل، وابن زيد، والجبائي(٥).

[٦] – قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾

معناه أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة بنات الله لأنه كان منهم من يقول إنما نعبد هؤلاء لأنهم بنات الله، عن الجبائي(٦).

[٧] – قوله تعالى: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ۝ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴾

أ – ... قال: الجبائي معناه ليس للإنسان ما تمنى من نعيم الآخرة ونعيم الدنيا، وإنما المالك لذلك الله تعالى المالك للسموات والأرض، لا يعطي الكفار

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٧/ ١٧٢.
(٢) م. ن م ٩/ ج٢٧/ ١٧٣.
(٣) م. ن م ٩/ ج٢٧/ ١٧٣.
(٤) م. ن م ٩/ ج٢٧/ ١٧٥.
(٥) م. ن م ٩/ ج٢٧/ ١٧٥.
(٦) م. ن م ٩/ ج٢٧/ ١٧٦.

ما يتمنونه، وإنما يعطي الثواب من يستحقه[١].

ب - ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ وقيل: معناه ليس للإنسان ما تمنى من نعيم الدنيا والآخرة بل يفعله الله تعالى بحسب المصلحة ويعطي الآخرة للمؤمنين دون الكافرين، عن الجبائي[٢].

[٨] - قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾

أي فعل سبب الضحك والبكاء من السرور والحزن كما يقال: أضحكني فلان، وأبكاني، عن عطاء، والجبائي[٣].

[٩] - قوله تعالى: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾

والنطفة ماء الرجل والمرأة التي يخلق منها الولد، عن عطاء، والضحاك، والجبائي[٤].

[١٠] - قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴾

وقيل: معناه هذه الأخبار التي أخبر بها عن إهلاك الأمم الأولى نذير لكم، عن الجبائي[٥].

سورة القمر

[١] - قوله تعالى: ﴿ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾

قال الجبائي: معناه إن الأنبياء الذين بعثوا إليهم لا يغنون عنهم شيئاً من عذاب الآخرة الذي استحقوه بكفرهم، لأنهم خالفوهم ولم يقبلوا منهم[٦].

[٢] - قوله تعالى: ﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ

(١) الطوسي: التبيان ج٩/ ٤٢٩.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٧/ ١٧٧.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٧/ ١٨٢.
(٤) م. ن م٩/ ج٢٧/ ١٨٢-١٨٣.
(٥) م. ن م٩/ ج٢٧/ ١٨٣.
(٦) الطوسي: التبيان ج٩/ ٤٤٤/ الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٧/ ١٨٧.

عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾

﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ﴾ وقيل: ناظرين قبل الداعي قائلين هذا يوم عسر، عن الفراء، وأبي علي الجبائي وهو قوله ﴿ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ أي صعب شديد[١].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾

أي في ذهاب عن وجه النجاة وطريق الجنة في نار مسعرة، عن الجبائي[٢].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾

أي خلقنا كل شيء خلقناه مقدراً بمقدار توجبه الحكمة، لم نخلقه جزافاً ولا تخبيتاً فخلقنا العذاب أيضا على قدر الاستحقاق وكذلك كل شيء في الدنيا والآخرة خلقناه مقدار بمقدار معلوم، عن الجبائي[٣].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَ ٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾

معناه وما أمرنا إذا أردنا أن نكون شيئاً إلاّ مرة واحدة لم نحتج فيه إلى ثانية، وإنما نقول له: كن فيكون كلمح البصر في سرعته من غير إبطاء ولا تأخير، عن الجبائي[٤].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ ﴾

أي في الكتب التي كتبها الحفظة وهذه إشارة إلى أنهم غير مغفول عنهم، عن الجبائي[٥].

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ج٢٧/ ١٨٧.
(٢) م. ن م٩/ ج٢٧/ ١٩٤.
(٣) م. ن م٩/ ج٢٧/ ١٩٤.
(٤) م. ن م٩/ ج٢٧/ ١٩٤.
(٥) م. ن م٩/ ج٢٧/ ١٩٤.

سورة الرحمن

[١] – قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾

البيان هو الكلام الذي يبين به عن مراده وبه يتميز من سائر الحيوانات، عن الجبائي[١].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ ﴾

وقيل: معنى سجودهما أنه سبحانه يصرفهما على ما يريده من غير امتناع فجعل ذلك خضوعاً، ومعنى السجود الخضوع كما في قوله (ترى الأكم فيها سجدا للحوافر)، عن الجبائي[٢].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧ ﴾

قال الجبائي: وروي أن السماء الدنيا من حديد[٣].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ ﴾

﴿ جَنَّتَانِ ﴾ إحدى الجنتين منزله، والأخرى منزل أزواجه وخدمه، عن الجبائي[٤].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ۝٤٨ ﴾

وقيل: ذواتا أغصان، عن الأخفش، والجبائي، ومجاهد أي ذواتا أشجار، لأن الأغصان لا تكون إلاّ من الشجر فدل بكثرة أغصانها على كثرة أشجارها،

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٧/ ١٩٧.
(٢) م. ن م٩/ ج٢٧/ ١٩٨.
(٣) الطوسي: التبيان ج٩/ ٤٧٦.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٧/ ٢٠٧- ٢٠٨.

وبكثرة أشجارها على تمام حالها وكثرة ثمارها، لأن البستان إنما يكمل بكثرة الأشجار والأشجار لا تحسن إلاّ بكثرة الأغصان[١].

[٦] – قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ ﴾

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ ﴾ أي على فرش مرتفعة، عن الجبائي[٢].

سورة الواقعة

[١] – قوله تعالى: ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ ﴾

وقيل: تخفض أقواماً إلى النار وترفع أقواماً إلى الجنة، عن الحسن، والجبائي[٣].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ ﴾

﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ يعني اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم، عن الضحاك، والجبائي[٤].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

أي والسابقون إلى اتباع الأنبياء الذين صاروا أئمة الهدى فهم السابقون إلى جزيل الثواب عند الله، عن الجبائي[٥].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾

معناه نساء مرتفعات القدر في عقولهن وحسنهن وكمالهن، عن الجبائي قال: ولذلك عقبه بقوله ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ ﴾ ويقال لامرأة الرجل هي فراشه، ومنه قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): الولد للفراش وللعاهر

---

(١) م. ن م٩/ ج٢٧/ ٢٠٨.

(٢) م. ن م٩/ ج٢٧/ ٢١١.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٧/ ٢١٤.

(٤) م. ن م٩/ ج٢٧/ ٢١٤.

(٥) م. ن م٩/ ج٢٧/ ٢١٥.

الحجر[١].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾

قال أبو علي الجبائي: القسم في كل ما ذكر في القرآن من المخلوقات إنما هو قسم بربه[٢].

سورة الحديد

[١] – قوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

والقول الثاني: هو قول الجبائي من المعتزلة أن الأعواض تضم إلى الثواب فذلك هو المضاعفة، وإنما وصف الأجر بكونه كريماً لأنه هو الذي جلب ذلك الضعف، وبسببه حصلت تلك الزيادة، فكان كريماً من هذا الوجه[٣].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

أ – ﴿ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ أي وأنزلنا معهم من السماء الميزان ذا الكفتين الذي يوزن به، عن ابن زيد، والجبائي، ومقاتل بن سليمان[٤].

ب – قال الجبائي: قوله تعالى: ﴿ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴾ فيه دلالة على أنه تعالى أنزل الميزان والحديد، ومراده من العباد أن يقوموا بالقسط وأن ينصروا الرسول، وإذا كان هذا مراده من الكل فقد بطل قول المجبرة أنه أراد من بعضهم خلاف ذلك[٥].

---

(١) م. ن م٩/ ج٢٧/ ٢١٩.

(٢) الطوسي: التبيان ج٩/ ٥٠٩.

(٣) الرازي: التفسير الكبير ج٢٩/ ١٩٣.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٧/ ٢٤١.

(٥) الرازي: التفسير الكبير ج٢٩/ ٢١٢.

[٣] – قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً ﴾ ، فقد قال شيخنا أبو علي رحمه الله: أن الجعل قد يكون بغير معنى الخلق نحو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ﴾ (١)، لأنه ذمهم بذلك، فليس المراد أنه خلقها قاسية، ونحو قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (٢)، لأن الله لم يخلقه خليفة وإنما صار خليفة بأمور وُجدتَ بعد خلقه، فمعنى قوله جعل في قلوبهم الإيمان أنه حكم بذلك، وقوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا ﴾ (٣) أي لا تحكم علينا بذلك، وهذا نظير قوله: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (٤)، أي أنَّا صيرناه بحيث لم ينتفعوا به كما لا ينتفعون بالهباء، لا أنه خلقه هباءً، وقد يقول القائل لصاحبه جعلتني لصاً إذا وصفه بذلك، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ﴾ (٥) لأنهم وصفوهم بذلك، وقد دللنا من قبل على أنه تعالى لم يخلق أفعال العباد فيجب أن يُصرف ما أوردوه من الآية إلى هذا الوجه(٦).

---

(١) رقم ١٣ سورة المائدة.

(٢) رقم ٢٦ سورة ص ٣٨.

(٣) رقم ١٠ سورة الحشر ٥٩.

(٤) ٢٣ سورة الفرقان ٢٥.

(٥) ١٩ سورة الزخرف ٤٣.

(٦) القاضي عبد لجبار: المغني... ج٨/ ٣١٢.

سورة الحشر

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ وقيل: نسوا الله بترك ذكره بالشكر والتعظيم فأنساهم أنفسهم بالعذاب الذي نسي به بعضهم بعضاً كما قال: فسلموا على أنفسكم، أي ليسلم بعضكم على بعض، عن **الجبائي**[(١)].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

أ – ﴿ السَّلَامُ ﴾ وقيل: هو الذي من عنده ترجى السلامة، عن **الجبائي**[(٢)].

ب – وكان **الجبائي** يزعم أن معنى وصف الله نفسه بأنه ﴿ السَّلَامُ ﴾، أنه المسلِّم الذي السلامة إنما تنال من قِبَله[(٣)].

ت – ﴿ الْمُهَيْمِنُ ﴾ أي الأمين حتى لا يضيع لأحد عنده حق، عن ابن عباس، والضحّاك، **والجبائي**[(٤)].

سورة الممتحنة

[١] – قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٨/ ٢٦٥.
(٢) م. ن م٩/ ج٢٨/ ٢٦٧.
(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ٢/ ١٩٣. وأيضاً بدوي: مذاهب الإسلاميين، ص ٣١٧.
(٤) م. ن م٩/ ج٢٨/ ٢٦٧.

وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾

﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ وقيل: كان آزر ينافق إبراهيم ويريه أنه مسلم ويعده إظهار الإسلام فيستغفر له، عن الحسن، والجبائي[(١)].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾

أ – النزول: قال الجبائي: لم يدخل في شرط صلح الحديبية إلاّ رد الرجال دون النساء، ولم يجر للنساء ذكر، وأن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط جاءت مسلمة مهاجرة من مكة فجاء أخواها إلى المدينة فسألا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ردها عليهما، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن الشرط بيننا في الرجال لا في النساء فلم يردها عليهما. قال الجبائي: وإنما لم يجر هذا الشرط في النساء لأن المرأة إذا أسلمت لم تحل لزوجها الكافر فكيف ترد عليه وقد وقعت الفرقة بينهما[(٢)].

ب – ﴿ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ﴾ من المهور عليهن من رأس الغنيمة وكذلك من ذهبت زوجته إلى من بينكم وبينه عهد فنكث في إعطاء المهر فالذي ذهبت زوجته يعطى المهر من الغنيمة ولا ينقص شيئا من حقه بل يعطى كملا، عن ابن

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ج٢٨/ ٢٧١.
(٢) م. ن م٩ج٢٨/ ٢٧٤.

عباس، والجبائي[١].

سورة الصف

[١] - قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾

قال الجبائي هذا على ضربين: (أحدهما) أن يقول سأفعل ومن عزمه أن لا يفعله فهذا قبيح مذموم. (والآخر): أن يقول سأفعل ومن عزمه أن يفعله والمعلوم أنه لا يفعله فهذا قبيح لأنه لا يدري أيفعله أم لا؟ ولا ينبغي في مثل هذا أن يقرن بلفظة إن شاء الله[٢].

[٢] - قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾

وأحد ما تعلق[٣] به قوله، تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾، فدل ذلك على أنهم كانوا يعلمون ويعاندون. قال رحمه الله[٤]: وهذا لا دلالة فيه، لأنه ليس في الظاهر أنه خاطب بذلك من كذب به، دون من صدق، وإنما خاطب بذلك، عندنا، من كان يؤذيه من المؤمنين به في بعض الأحوال. فلا دليل على ذلك[٥].

سورة الجمعة

[١] - قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ

---

(١) م. ن م٩/ ج٢٨/ ٢٧٥.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م٩/ ج٢٨/ ٢٧٨.

(٣) الذي تعلق بقوله تعالى هو الجاحظ. وردّ الجبائي هنا هو ردّ عليه.

(٤) القائل هو أبو علي الجبائي، لأن هذا النص هو من ضمن عدة ردود من قبل الجبائي على الجاحظ. راجع القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ من ص ٣٣٣ حتى ص ٣٤١.

(٥) القاضي عبد الجبار: المغني... ج١٢/ ٣٣٦.

مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾

والتمني هو قول القائل: لما كان ليته لم يكن، ولما لم يكن ليته كان، فهو يتعلق بالماضي والمستقبل وهو من جنس الكلام، عن الجبائي، والقاضي[1].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾

﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قيل: معناه اعلموا ذلك، عن الجبائي[2].

سورة الطلاق

[١] – قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾

﴿ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ .... وقيل: إن تقديره يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم النساء، عن الجبائي[3].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾

﴿ مِّن وُجْدِكُمْ ﴾ وقيل: هو من الوجدان أي مما تجدونه من المساكن، عن الحسن، والجبائي[4].

(١) الطبرسي: مجمع البينان م١٠/ ج٢٨/ ٢٨٦.
(٢) م. ن م١٠/ ج٢٨/ ٢٨٨.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٢٨/ ٣٠٣.
(٤) م. ن م١٠/ ج٢٨/ ٣٠٨.

[٣] – قولـه تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾

أ – ليس في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع، غير هذه – ذكره الجبائي –[١].

ب – وبيّن شيخنا أبو علي رحمه الله أن قوله: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢]، يجب أن يكون أعم من قوله: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[٣]، لأنه يتناول المستقبل وهذا لا يتناوله، فيجب أن يكون أخص منه من حيث كان المعدوم غير مخلوق وإن كان مقدوراً، وكذلك فعل العباد غير مخلوق وإن كان مقدوراً، ويمكن أن يقال إن كونه خالقاً ينبىء عن تقدم حالٍ مع المقدور، وهو كونه قادراً عليه، فما لم يثبت ذلك فيه يجب أن يكون داخلاً تحت العموم فيجب أن يدل أولاً على أن أفعال العباد مقدورة له تعالى حتى يتناوله العموم، ويمكن أن يُحملِ ذلك على أن المراد به أنه مقدر كل شيء ومدبره، ولا يمتنع عندنا كونه مقدّراً لأفعال العباد وإن لم تكن من فعله بأن يبين أحواله أو يقدر على إيجاده أو يعدمه[٤].

سورة التحريم

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ

(١) الطوسي: التبيان ج١٠/ ٤٢.
(٢) رقم ١٢ سورة الطلاق ٦٥.
(٣) آية ٦٢سورة الزمر ٣٩، آية ٦٢ سورة غافر ٤٠، آية ١٠٢ سورة الأنعام ٦، الرعد: ١٦.
(٤) القاضي عبد لجبار: المغني... ج٨/ ٣١٠ و٣١١.

ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

فصل: فيما نذكره من الجزء التاسع عشر من (تفسير الجبّائي) وهو أوّل المجلّد العاشر من تفسير الجبّائي من الوجهة الأوّلة، من القائمة الخامسة، من الكرّاس السابع بمعناه- لأجل طول ألفاظه وتكرارها من تفسير قول الله جلّ جلاله: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾.

فذكر الجبّائي: أنّ الزوجَيْن ها هنا عائشة وحفصة، وأنّ السرَّ الذي كانَ أسرّه إليهما أنّه كان شرب عند زينب ـ زوجتِه ـ مغافيرَ، يعني عسلاً.وذكر: أنّ قولَ الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التحريم: ٤) يُبْطِلُ مذهبَ الرافضة في خبر يوم الغدير ؛ لأنّ هؤلاء ما كانوا أئمّةً[1].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ ﴾

وقال زيد بن اسلم: معنى ﴿ سَٰٓئِحَٰتٍ ﴾ مهاجرات، وهو اختيار الجبائي[2].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

وقال الجبائي: قوله ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ يعني - في دار الدنيا - لأن الآخرة ليست دار تكليف. وإنما هي دار جزاء. وإنما أمرهم الله بتعذيب أهل النار على وجه الثواب لهم بأن جعل سرورهم ولذاتهم

---

(١) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٢٩٨ -٢٩٩.

(٢) الطوسي: التبيان ج١٠/ ٤٩/ الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٢٨/ ٣١٦.

في تعذيب أهل النار، كما جعل سرور المؤمنين ولذاتهم في الجنة(١).

سورة الملك

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝ ﴾

﴿ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ وقيل: ينفصل من الكواكب شهب تكون رجوماً للشياطين، فأما الكواكب أنفسها فليست تزول إلى أن يريد الله تعالى إفناءها، عن الجبائي(٢).

[٢] – قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝ ﴾

﴿ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ وقيل: معناه وإليه الإحياء للمحاسبة فهو مالك النشور والقادر عليه، عن الجبائي(٣).

[٣] – قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝ ﴾

وقال الجبائي: قوله ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى ﴾ إلى قوله ﴿ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾ تعريف حجة عرفها الله لعباده فعرفوا وأقروا بها، ولم يردوا لها جواباً، فقال الله

---

(١) الطوسي: التبيان ج١٠/ ٥١/ الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٢٨/ ٣١٦ (مع اختلاف يسير).
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٢٩/ ٣٢٣.
(٣) م. ن م١٠/ج٢٩/ ٣٢٧.

﴿ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾[١].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ۝٣٠ ﴾

أ – قال الجبائي: قوله ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ تعريف حجة الله لعباده عرفوها وأقروا بها ولم يردوا لها جوابا[٢].

ب – ﴿ فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ أي ظاهر للعيون، عن أبي مسلم، والجبائي[٣].

سورة القلم

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾

﴿ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وقيل: الخلق العظيم الصبر على الحق وسعة البذل وتدبير الأمور على مقتضى العقل بالصلاح والرفق والمداراة وتحمل المكاره في الدعاء إلى الله سبحانه والتجاوز والعفو وبذل الجهد في نصرة المؤمنين وترك الحسد والحرص ونحو ذلك، عن الجبائي[٤].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۝٢٠ ﴾

وقيل: الصريم المصروم ثماره، أي المقطوع، والمعنى أنها صارت كأن جميع ثمارها قطعت، عن الجبائي[٥].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا

---

(١) الطوسي: التبيان ج١٠/ ٦٨.
(٢) م. ن ج١٠/ ٧٢.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٢٩/ ٣٣٠.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٢٩/ ٣٣٣.
(٥) م. ن م١٠/ ج٢٩/ ٣٣٦.

ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

وقيل: كان الرجل إذا أراد أن يصيب صاحبه بالعين تجوع ثلاثة أيام، ثم نظره فيصرعه بذلك، والمفسرون كلهم على المراد بأزلاقهم له بأبصارهم من الإصابة بالعين. وقال الجبائي منكراً لذلك: إن هذا ليس بصحيح، لأن هذا من نظر العداوة، وذلك عندهم من نظر المحبة على أن إصابة العين ليس بصحيح[1].

سورة الحاقة

[١] - قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾

أ - ﴿ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾ وقيل: معناه أهلكوا بالصيحة الطاغية وهي التي جاوزت المقدار حتى أهلكتهم، عن قتادة، والجبائي، وأبي مسلم[2].

[٢] - قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ ﴾

أ - وقيل في قوله ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ ﴾ ثلاثة أقوال: الثالث... وقال الجبائي: إنما أراد إنه لا يقسم بالأشياء المخلوقات ما يرى وما لا يرى، وإنما يقسم بربها، لأن القسم لا يجوز إلاّ بالله. وقوله ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ ﴾ جواب القسم، قال الجبائي: هو قول الله على الحقيقة، وإنما الملك وجبرائيل والرسول يحكون ذلك، وإنما أسنده إليهم من حيث إن ما يسمع منهم كلامهم ولما كان حكاية كلام الله قيل: هو كلام الله على الحقيقة في العرف، وقرئ ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ ﴾ جواب القسم[3].

ب - ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ قيل فيه

---

(١) الطوسي: التبيان ج١٠/ ٩١/ الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٢٩/ ٣٤١ (مع اختلاف يسير).

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٢٩/ ٣٤٣.

(٣) الطوسي: التبيان ج١٠/ ١٠٨.

وجوه... و(رابعها): أنه كقول القائل: لا والله لا أفعل ذلك ولا والله لأفعلن ذلك، وقال الجبائي: إنما أراد أنه لا يقسم بالأشياء المخلوقات ما يرى وما لا يرى وإنما أقسم بربها لأن القسم لا يجوز إلاّ بالله[١].

ت - ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ﴾ قال الجبائي: والرسول الكريم جبرائيل، والكريم الجامع لخصال الخير[٢].

سورة المعارج

[١] - قوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ ﴾

وقيل: معناه دعا داع بعذاب على الكافرين وذلك الداعي هو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، عن الجبائي، وتكون الباء في بعذاب مزيدة على التوكيد كما في قوله وهزي إليك بجذع النخلة والتقدير سأل سائل عذابا واقعا[٣].

[٢] - قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝ ﴾

... وقيل فيه وجوه: (أحدها) أن معناه ذي الفواضل العالية والدرجات التي يعطيها للأنبياء والأولياء في الجنة لأنه يعطيهم المنازل الرفيعة والدرجات العلية وهو معنى قول قتادة، والجبائي[٤].

[٣] - قوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝ ﴾

---

(١) م. ن م١٠/ ج٢٩/ ٣٤٩.

(٢) م. ن م١٠/ ج٢٩/ ٣٤٩.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٢٩/ ٣٥٢.

(٤) م. ن م١٠/ ج٢٩/ ٣٥٢-٣٥٣.

﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ اختلف في معناه... وقيل: أنه يعني يوم القيامة وأنه يفعل فيه من الأمور ويقضي فيه من الأحكام بين العباد ما لو فعل في الدنيا لكان مقداره خمسين ألف سنة، عن الجبائي[1].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ ﴾

وقيل: معناه تدعو زبانية النار من أدبر وتولى عن الحق فجعل ذلك سبحانه دعاء من النار، عن الجبائي[2].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿ كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ أي كأنهم يسعون ويسرعون إلى علم نصب لهم، عن الجبائي، وأبي مسلم[3].

سورة الجن

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾

وقيل: معناه جلّ ربنا في صفاته فلا تجوز عليه صفات الأجسام والأعراض، عن الجبائي[4].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ ﴾

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ ﴾ ... وقال الجبائي: معناه إنا طلبنا الصعود إلى

---

(١) م. ن م١٠/ ج٢٩/ ٣٥٢.
(٢) م. ن م١٠/ ج٢٩/ ٣٥٦.
(٣) م. ن م١٠/ ج٢٩/ ٣٥٩.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٢٩/ ٣٦٨.

السماء، فعبر عن ذلك باللمس مجازا[(١)].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ ﴾ فإنه ملجإي ومنجاي وملتحدي ولي فيه الأمن والنجاة، عن الحسن، والجبائي[(٢)].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾

أ – قال الجبائي: معنى ﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ ﴾ أي ليبلغوا ﴿ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ فعبر عن المعلوم بالعلم كما يقال: ما علم الله مني ذلك أي ما فعلته[(٣)].

ب – وقيل: أراد ليبلغوا فجعل بدل ذلك قوله ﴿ لِّيَعْلَمَ ﴾ إبلاغهم توسعاً، عن الجبائي، وهذا كما يقول الإنسان ما علم الله ذلك مني أي ما كان ذلك أصلا لأنه لو كان لعلم الله ذلك فوضع العلم موضع الكون[(٤)].

ت – ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴾ وقيل: معناه لا شيء يعلمه عالم أو يذكره ذاكر إلاّ وهو تعالى عالم به ومحص إياه، عن الجبائي، قال: الإحصاء فعل وليس هو بمنزلة العلم فلا يجوز أن يقال: أحصى ما لا يتناهى كما يجوز أن يقال: علم ما لا يتناهى، فإن حمل على العلم تناول جميع المعلومات وإن حمل على العد تناول الموجودات[(٥)].

سورة المزمل

[١] – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾

---

(١) الطوسي: التبيان ج١٠/ ١٤٩/ الطبرسي: مجمع البيان م١٠١/ج٢٩/ ٣٦٩.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٢٩/ ٣٧٣.
(٣) م. ن ج١٠/ ١٥٩.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٢٩/ ٣٧٤.
(٥) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٢٩/ ٣٧٤.

أ – وقوله ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ قال غيره: هو نفل لم ينسخ، لأنه لو كان فرضا لما كان مخيرا في مقداره – ذكره الجبائي – وإنما بين تخفيف النفل[١].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ ﴾

أ – قال الجبائي في نوادره: ﴿ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا ﴾ أي نوما[٢].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ۝٢٠ ﴾

﴿ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ بأن جعله تطوعاً ولم يجعله فرضاً، عن الجبائي[٣].

سورة المدّثر

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ ﴾

قيل: معناه لا تمنن بإبلاغ الرسالة على أمتك، عن **الجبائي**[٤].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ ﴾

وقيل: إنه النفخة الثانية وعندها يحيي الله الخلق وتقوم القيامة وهي صيحة الساعة، عن **الجبائي**[٥].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝١٩ ﴾

---

(١) الطوسي: التبيان ج١٠/ ١٦١.
(٢) م. ن ج١٠/ ١٦٣.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٢٩/ ٣٨٢.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٢٩/ ٣٨٥.
(٥) م. ن م١٠/ ج٢٩/ ٣٨٥.

﴿ فَقُتِلَ ﴾... وقيل: استحق العذاب، عن الجبائي[(١)].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾

وقيل: لا تبقي شيئاً إلاّ أحرقته ولا تذر، أي لا تبقي عليهم بل يبلغ مجهودهم في أنواع العذاب، عن الجبائي[(٢)].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾

قال الجبائي: المراد من الفتنة تشديد التعبد ليستدلوا ويعرفوا أنه تعالى قادر على أن يقوي هؤلاء التسعة عشر على مالا يقوى عليه مائة ألف ملك أقوياء[(٣)].

سورة القيامة

[١] – قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾

﴿ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾ على ما كانت وإن قلّت عظامها وصغرت، فنردها كما كانت ونؤلف بينها حتى يستوي البنان، ومن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر، عن الزجاج، والجبائي، وأبي مسلم[(٤)].

[٢] ـ قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

وقد قال شيخنا أبو علي رحمه الله: إذا ثبت أن لفظة الانتظار قد تعدى ببعض حروف الجرّ فيقال: {أنا منتظر لفلان}، فغير ممتنع أن تعدى بإلى، لأن

(١) م. ن م١٠/ ج٢٩/ ٣٨٨.

(٢) م. ن م١٠/ ج٢٩/ ٣٨٨.

(٣) الرازي: التفسير الكبير ج٣٠/ ١٨١.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٢٩/ ٣٩٥.

حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ يَهْدِيَ إِلَى ٱلْحَقِّ ﴾[١]، و﴿ يَهْدِي لِلْحَقِّ ﴾[٢]، فأقام أحدهما مقام الآخر، وكقوله ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾[٣]، يعني على جذوع النخل، وقد يقال في التعارف: «زيد قوي على عمله» و«قوى في عمله» و«هو مستعل على عمرو ولعمرو»، فلا يمتنع أن يعدى ناظر بمعنى الانتظار بإلى، ويقوم مقام اللام في هذا الباب[٤].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾

قيل: بعدا لك من خيرات الدنيا وبعدا لك من خيرات الآخرة، عن الجبائي[٥].

سورة الإنسان

[١] – قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ ﴾

﴿ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ لأنه كان تراباً وطيناً إلى أن نفخ فيه الروح عن الزجاج، وعلى هذا فهل هنا استفهام يراد به التقرير؟ قال الجبائي: وهو تقرير على ألطف الوجوه وتقديره: أيها المنكر للصانع وقدرته أليس قد أتى عليك دهور لم تكن شيئا مذكوراً، ثم ذكرت؟ وكل أحد يعلم من نفسه أنه لم يكن موجودا ثم وجد فإذا تفكر في ذلك علم أن له صانعاً صنعه ومحدثاً أحدثه، والمراد بالإنسان هنا آدم (عليه السلام) وهو أول من سمي به، عن الحسن،

---

(١) سورة يونس: ٣٥.
(٢) سورة يونس: ٣٥.
(٣) سورة طه: ٧١.
(٤) القاضي عبد الجبار: المغني... ج٤/ ٢٠٩.
(٥) م. ن م١٠/ج٢٩/ ٤٠١.

وقتادة وسفيان، والجبائي[١].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ ﴾

لم يذكر أحد من أكابر المعتزلة، كأبي بكر الأصم، وأبي علي الجبائي، وأبي القاسم الكعبي، وأبي مسلم الأصفهاني، والقاضي عبد الجبار بن أحمد في تفسيرهم، أن هذه الآيات نزلت في حق علي بن أبي طالب عليه السلام[٢].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۝١٧ ﴾

أـ فصل: فيما نذكره من الجزء العشرين من (تفسير الجبّائي) وهو الثاني من المجلّد العاشر، من الكرّاس الثالث، بَعْضُه من الوجهة الثانية من القائمة الأولى منها، وبَعْضُه من الوجهة الأوّلة من القائمة الثانية منها، بلفظ نذكره منه، من تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۝١٧ ﴾. فقال الجبّائي بلفظه: فإنّما عنى به أنّهم يُسْقَوْنَ أيضاً من شراب الجنّة في كأس، وذاك الشراب فيه طَعْمُ الزنجبيل مع طيبه ولذاذته. وأراد مِنْ طعم الزنجبيل لذعةَ اللسان فلمّا كان في ذلك الشراب ما يلذع اللسان على سبيل الزنجبيل وصفه بأنّه زنجبيل»[٣].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ ﴾

أقول: وأمّا ما نذكره من القائمة الثانية فهو من تفسير قول الله جلّ جلاله: ﴿ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ فقال الجبّائي ما هذا لفظه:

وقد طَعَنَ بَعْضُ الملحدين في هذا، فقال: وأيّ حسن في أن يكون الرجال

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٢٩/ ٤٠٦.

(٢) الرازي: التفسير الكبير ج٣٠/ ٢١٦.

(٣) ابن طاووس: سعد السعود، ص ٣٠١.

عليهم أساور الفضّة ؟ وأيّ قدر للفضّة حتّى جعلوا ذلك ممّا يرغب فيه الناس لأنْ ينالوه في الجنّة ؟ فقيل له: إنّ هذه الأساور هي للنساء لا للرجال، وليس التزيّن في الجنّة يجب أن يكون بما له قيمةٌ في الدنيا ؛ لأنّ المرادَ بذلك إنّما هو حسنه في الجنّة، لا قيمته ؛ لأنّه ليس ثَمَّ بيعٌ ولا شراء ولا ثمن هناك للأشياء ولا قيمة[1].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلاً ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾ وقيل: شددنا أسرهم جعلناهم أقوياء، عن **الجبائي**[2].

سورة المرسلات

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ ﴾

قيل: الرياح تنشر السحاب في الهواء، عن **الجبائي**[3].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾

قيل: هو من الصفرة، لأن النار تكون صفراء، عن **الجبائي**[4].

سورة النازعات

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ ﴾

اختلف في معناها على وجوه... (وثانيها) أنها النجوم تنزع من أفق إلى أفق، أي تطلع وتغيب، عن الحسن، وقتادة، وأبي عبيدة، والأخفش، **والجبائي**[5].

---

(١) م. ن ص ٣٠٢.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٢٩/ ٤١٣.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٢٩/ ٤١٥.
(٤) م. ن م١٠/ج٢٩/ ٤١٨.
(٥) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٣٠/ ٤٢٩.

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ﴾

في معناها أقوال... (وخامسها) أنها النجوم تنشط من أفق إلى أفق، أي تذهب، يقال: حمار ناشط، عن قتادة، والأخفش، والجبائي(١).

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا ﴾

فيها أقوال... (وثالثها) أنها النجوم تسبح في فلكها، عن قتادة، والجبائي(٢).

[٤] – قوله تعالى: ﴿ فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقًا ﴾

فيها أقوال... (وثالثها) أنها النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير، عن قتادة، والجبائي(٣).

[٥] – قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴾

﴿ يَسْعَىٰ ﴾ وقيل: إنه لما رأى الحية في عظمها خاف منها فأدبر وسعى هرباً، عن الجبائي(٤).

سورة عبس

[١] – قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾

وقال الجبائي: في هذا دلالة على أن الفعل يكون معصية فيما بعد لمكان النهي، فأما في الماضي فلا يدل على أنه كان معصية قبل أن ينهى عنه والله سبحانه لم ينهه إلاّ في هذا الوقت(٥).

[٢] – قوله تعالى: ﴿ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾

﴿ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ وقيل: مصونة عن أن تنالها أيدي الكفرة لأنها في أيدي

(١) م. ن م١٠/ج٣٠/ ٤٢٩-٤٣٠.
(٢) م. ن م١٠/ج٣٠/ ٤٣٠.
(٣) م. ن م١٠/ج٣٠/ ٤٣٠.
(٤) م. ن م١٠/ج٣٠/ ٤٣٢.
(٥) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٣٠/ ٤٣٧.

الملائكة في أعزّ مكان، عن الجبائي[١].

سورة التكوير

[١] – قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ ﴾

أ – ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ ﴾ قيل: تغيرت من الكدورة، عن الجبائي[٢].

ب – وقوله ﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ ﴾ ... وقال الجبائي: معناه إن السحاب يعطل ما يكون فيها من المياه التي ينزلها الله على عباده في الدنيا[٣].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ ﴾

وقيل: ملئت من القيح والصديد الذي يسيل من أبدان أهل النار في النار، وأراد بحار جهنم لأن بحور الدنيا قد فنيت، عن الجبائي[٤].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ ﴾

وقيل: يقرن الغاوي بمن أغواه من إنسان أو شيطان، عن الجبائي[٥].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ ﴾

قال الجبائي: إنما سميت موءودة لأنها ثقلت في التراب الذي طرح عليها حتى ماتت[٦].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ ﴾

(١) م. ن م١٠/ج٣٠/ ٤٣٨.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٣٠/ ٤٤٣.
(٣) الطوسي: التبيان ج١٠/ ٢٨١/ الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٣٠/ ٤٤٣.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٣٠/ ٤٤٤.
(٥) م. ن م١٠/ج٣٠/ ٤٤٤.
(٦) م. ن م١٠/ج٣٠/ ٤٤٣.

قيل: أظلم، عن الجبائي[١].

[٦] ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾

قال شيخنا أبو علي رحمه الله في قوله ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾...[٢] وبضنين، أنه قد أريد كلاَ الأمرين به، وإن كان طريق ذلك الخبر دون الاجتهاد، ومتى صحّ ذلك في القراءتين، لم يمتنع مثله في العبارة الواحدة إذا احتمل الأمرين[٣].

[٧] – قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾

أ – أن معناه وما تشاءون الاستقامة على الحق إلاّ أن يشاء الله ذلك من حيث خلقكم لها وكلفكم بها فمشيئته بين يدي مشيئتكم، عن الجبائي[٤].

ب – ومما يجاب به عن ذلك أنه لا يمتنع أن يريد ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ ﴾ في المستقبل، إلاّ أن يشاءه الله، ذلك بأن يلزمكم ويأمركم به، لأنه لولا أمره تعالى بالاستقامة، وإرادته لها، لما صحَّ من الطائع أن يشاءها على الوجه الذي يشاؤها، اذا تقدم من الله الأمر بذلك منبهاً بذلك على أن الاستقامة، وسائر الشرائع انما يَصح منا أداؤها ومشيئتها على الوجه الذي يجب أن يشاءها عليه، اذا هو كلّف، وأُمِر، وبيّن. ولأنه لو لم يكلف، وتمكن من المشيئة، لم يشأها، بل لم تكن استقامة أصلاً. وهذا هو الذي ذكره شيخنا أبو علي رحمه الله في التفسير[٥].

سورة الانفطار

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾

أي فتح بعضها في بعض عذبها في ملحها، وملحها في عذبها، فصارت

(١) م. ن م١٠/ ج٣٠/ ٤٤٦.
(٢) هذه النقاط موجودة في الأصل المنقول عنه.
(٣) القاضي عبد الجبار: المغني... ج٤/ ٢١٦.
(٤) م. ن م١٠/ ج٣٠/ ٤٤٧.
(٥) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج٦، ص ٣١٥.

بحراً واحداً، عن قتادة، والجبائي[١].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝ ﴾

﴿ بِالدِّينِ ﴾ وقيل: تكذبون بالدّين الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الإسلام، عن الجبائي[٢].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ ﴾

وقيل: أراد ما أدراك ما في يوم الدين من النعيم لأهل الجنة، وما أدراك ما في يوم الدين من العذاب لأهل النار، عن الجبائي[٣].

سورة المطففين

[١] – قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝ ﴾

﴿ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ ... وقال الجبائي: معناه في جملة الملائكة العليين، فلذلك جمع بالواو والنون[٤].

سورة الإنشقاق

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝ ﴾

أي يدخل النار ويعذب بها، عن الجبائي[٥].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝ ﴾

وقيل: كان مسروراً بمعاصي الله تعالى لا يندم عليها، عن الجبائي[٦].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ

(١) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٣٠/ ٤٤٩.
(٢) م. ن م١٠/ج٣٠/ ٤٥٠.
(٣) م. ن م١٠/ج٣٠/ ٤٥٠.
(٤) الطوسي: التبيان ج١٠/ ٣٠٢.
(٥) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٣٠/ ٤٦١.
(٦) م. ن م١٠/ج٣٠/ ٤٦١.

مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

وقيل: غير منقص ولا مكدر بالمن، عن الجبائي(١).

سورة البروج

[١] - قوله تعالى: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ ﴾

قال الجبائي: الشاهد هم الذين يشهدون على الخلائق، والمشهود هم الذين يشهدون عليهم، قال: ويجوز أن يكون المراد المدركين والمدركات. وجواب القسم محذوف، وتقديره الأمر حق في الجزاء على الأعمال(٢).

[٢] - قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ﴾ ... وقال الجبائي: ما فعلوا بهم ذلك العذاب إلاّ بإيمانهم بالله(٣).

سورة الطارق

[١] - قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾

... يعني أن الذي خلقه ابتداء من هذا الماء يقدر على أن يرجعه حيا بعد الموت، عن الحسن، وقتادة، والجبائي(٤).

---

(١) م. ن م١٠/ ج٣٠/ ٤٦٢.

(٢) الطوسي: التبيان ج١٠/ ٣١٦/ الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٣٠/ ٤٦٧.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٣٠/ ٤٦٨.

(٤) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٣٠/ ٤٧١.

سورة الأعلى

[١] - قوله تعالى: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ ﴾

وقيل: إن اليسرى عبادة عن الجنة فهي اليسرى الكبرى، أي نيسر لك دخول الجنة، عن **الجبائي**(١).

سورة الغاشية

[١] - قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾

وقيل: أن المراد فذكرهم بهذه الأدلة وأمرهم بالاستدلال ونبههم عليها، عن **الجبائي**، وأبي مسلم(٢).

سورة الفجر

[١] - قوله تعالى: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ ﴾

أقسم الله سبحانه بفجر النهار، وهو انفجار الصبح كل يوم، عن عكرمة، والحسن، و**الجبائي**(٣).

[٢] - قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ ﴾

وقيل: الشفع والوتر كل ما خلقه الله تعالى، لأن جميع الأشياء: إما زوج وإما فرد، عن ابن زيد، و**الجبائي**(٤).

[٣] - قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ ﴾

وقيل: إذا يسري إذا جاء وأقبل إلينا ويريد كل ليلة، عن قتادة،

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٣٠/ ٤٧٥.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٣٠/ ٤٨٠.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٣٠/ ٤٨٤.

(٤) م. ن م١٠/ج٣٠/ ٤٨٥.

والجبائي[١].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ ﴾

واختلفوا في إرم على أقوال... (وثالثها) أنه ليس بقبيلة ولا بلد بل هو لقب لعاد وكان عاد يعرف به، عن الجبائي[٢].

[٥] – قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ ﴾

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ أي أمر ربك وقضاؤه ومحاسبته، عن الحسن، والجبائي[٣].

سورة البلد

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝ ﴾

وقيل: يعني كل والد وولده، عن ابن عباس، والجبائي[٤].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ ﴾

أن المعنى فهلا اقتحم العقبة، أو أفلا اقتحم العقبة، عن ابن زيد، والجبائي، وأبي مسلم[٥].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ ﴾

وقيل: أراد فك نفسه من العقاب بتحمل الطاعات، عن الجبائي[٦].

[٤] – قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝ ﴾

يؤخذ بهم ناحية اليمين ويأخذون كتبهم بأيمانهم، عن الجبائي[٧].

(١) م. ن م١٠/ ج٣٠/ ٤٨٥.
(٢) م. ن م١٠/ ج٣٠/ ٤٨٦.
(٣) م. ن م١٠/ ج٣٠/ ٤٨٨.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٣٠/ ٤٩٣.
(٥) م. ن م١٠/ ج٣٠/ ٤٩٤.
(٦) م. ن م١٠/ ج٣٠/ ٤٩٥.
(٧) م. ن م١٠/ ج٣٠/ ٤٩٦.

سورة الشمس

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾

أي لا يخاف الله من أحد تبعة في إهلاكهم، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومجاهد، والجبائي، والمعنى لا يخاف أن يتعقب عليه في شيء من فعله فلا يخاف عقبى ما فعل بهم من الدمدمة عليهم لأن أحدا لا يقدر على معارضته والانتقام منه، وهذا كقوله: لا يسأل عما يفعل[١].

سورة الليل

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ ﴾

وقيل: بالجنة التي هي صواب المحسنين، عن الحسن، ومجاهد، والجبائي[٢].

سورة الضحى

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ ﴾

قيل: معناه ورب الضحى وربّ الليل إذا سجى، عن الجبائي[٣].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾

قيل: في معناه أقوال: (أحدها): وجدك ضالاً عما أنت عليه الآن من النبوة والشريعة، أي كنت غافلاً عنهما فهداك إليهما، عن الحسن، والضحاك، والجبائي[٤].

[٣] – قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾

قال الجبائي: المراد بها جميع المكلفين، وإن كان الخطاب للنبي (صلى الله

(١) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٣٠/ ٤٩٩.
(٢) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٣٠/ ٥٠٢.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٣٠/ ٥٠٤– ٥٠٥.
(٤) م. ن م١٠/ ج٣٠/ ٥٠٥.

عليه وآله وسلم)[١].

سورة الشرح

[١] – قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ﴾

قال الجبائي: شرح الله صدره بأن فعل له لطفاً بسنن منه إلى ما كلفه الله وسهل عليه، وكان ذلك ثواباً على طاعاته لا يجوز فعله بالكفار[٢].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾

وقيل: معناه فإذا فرغت من دنياك فانصب في عبادة ربك وصل، عن مجاهد، والجبائي[٣].

سورة التين

[١] – قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ ﴾

وقيل: معناه ثم رددناه إلى النار، عن الحسن، ومجاهد، وابن زيد، والجبائي، والمعنى إلى أسفل سافلين لأن جهنم بعضها أسفل من بعض، وعلى هذا فالمراد به الكفار أي خلقناهم في أحسن خلقة أحرار عقلاء مكلفين فكفروا فرددناهم على النار في أقبح صورة[٤].

[٢] – قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ ﴾

﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ قيل: غير مكدر بما يؤذي ويغم، عن الجبائي[٥].

(١) م. ن م١٠/ ج٣٠/ ٥٠٧.
(٢) الطوسي: التبيان ج١٠/ ٣٧٢.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٣٠/ ٥١٠.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٣٠/ ٥١١.
(٥) م. ن م١٠/ ج٣٠/ ٥١١.

سورة اقرأ

[١] – قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾

﴿ ٱقْرَأْ ﴾ ... وقيل: أمره في الأول بالقراءة لنفسه، وفي الثاني بالقراءة للتبليغ، وليس بتكرار، عن الجبائي، ومعناه اقرأ القرآن(١).

سورة البينة

[١] – قوله تعالى: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ ﴾

﴿ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ يعني مطهرة في السماء لا يمسها إلاّ الملائكة المطهرون من الأنجاس، عن الحسن، والجبائي، وهو محمد ﷺ أتاهم بالقرآن ودعاهم إلى التوحيد والإيمان(٢).

[٢] – قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ ﴾

قال الجبائي: هذه الآية تبطل قول القدرية الذين قالوا: إن الناس تفرقوا في الشقاوة والسعادة في أصلاب الآباء قبل أن تأتيهم البينة(٣).

سورة الزلزلة

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ ﴾

أي أخرجت موتاها المدفونة فيها تخرجها أحياء للجزاء، عن ابن عباس،

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٣٠/ ٥١٤.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ ج٣٠/ ٥٢٣.

(٣) الرازي التفسير الكبير ج٣٢/ ٤١.

ومجاهد، والجبائي[١].

سورة القارعة

[١] – قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾

وقال الحسن: في الآخرة ميزان له كفتان. وهو قول الجبائي، وأكثر المفسرين[٢].

سورة التكاثر

[١] – قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ ﴾

وقال الجبائي: حتى متم على ذلك ولم تتوبوا[٣].

سورة الهمزة

[١] – قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ ﴾

وقيل: جمع مالاً من غير حلّه، ومنعه من حقه، وأعده ذخراً لنوائب دهره، عن الجبائي[٤].

سورة الفلق

[١] – قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ ﴾

وفيه مسألتان... المسألة الأولى... ، وزعم الجبائي والقاضي أن هذا

(١) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٣٠/ ٥٢٦.
(٢) الطوسي: التبيان ج١٠/ ٣٩٩–٤٠٠.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٣٠/ ٥٣٤.
(٤) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٣٠/ ٥٣٨.

التفسير باطل[1]، لأن فعل الله تعالى لا يجوز أن يوصف بأنه شر، قالوا: ويدل عليه وجوه الأول: أنه يلزم على هذا التقدير أن الذي أمر بالتعوذ منه هو الذي أمرنا أن نتعوذ به، وذلك متناقض. والثاني: أن أفعال الله كلها حكمة وصواب، وذلك لا يجوز أن يقال: إنه شر. والثالث: أن فعل الله لو كان شرا لوصف فاعله بأنه شرير ويتعالى الله عن ذلك[2].

سورة العصر

[١] – قوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ ﴾

أقسم سبحانه بالدهر لأن فيه عبرة لذوي الأبصار من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار، وهو قول ابن عباس، والكلبي، **والجبائي**[3].

---

(١) التفسير هو: : أراد به ما خلق من الأمراض والأسقام والقحط وأنواع المحن والآفات (راجع الرازي: التفسير الكبير ج٣٢/ ١٧٧).

(٢) راجع الرازي: التفسير الكبير ج٣٢/ ١٧٧.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان م١٠/ج٣٠/ ٥٣٦.



الملاحق



مدخل عام

وضع الجبائي كتابه «نقض الدامغ» كرد نقدي على «كتاب الدامغ» لابن الراوندي.

وابن الراوندي هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق بن الرَّاوَنْدي (أو الرِّيوندي)، والمرجح أنه من أصل فارسي، ولد في أوائل القرن الثالث الهجري في مَرْورُّوذ، ونشأ في بغداد. وكان في أول الأمر من أتباع بشر بن المعتمر المعتزلي بالبصرة. وكان في أول مؤلفاته معتزليًّا، ولكنه اتهم بعد ذلك بالزندقة. حاول التقرّب من الشيعة أو حسب تسميتهم الشائعة عنهم قديماً «بالرافضة»، فوضع لهم كتاب «الإمامة»، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل، ثم ردّ على متطرّفي الشيعة، فيذكر ابن الجوزي (ت ٧٠٧ هـ) في تاريخه المسمّى «المنتظم» أن ابن الراوندي كان يلازم الرافضة وأهل الإلحاد، فإذا عوتب قال: إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم كاشف وناظر»[١].

وإن «معاتبة» ابن الراوندي لمخالطته الشيعة وأهل الإلحاد، تدلّل على أنه كان في حينها معتزلياً، فعاتبه المعتزلة على هذا الاختلاط.

ومهما يكن، طُرد ابن الراوندي لاحقاً من الاعتزال، ولا نعلم السبب في ذلك، سوى أن المصادر الاعتزالية تردّ هذا الطرد إلى زندقته وكفره. ولو أن الشريف المرتضى، وهو من علماء الشيعة الإمامية، يدافع عنه ويقلّل من قيمة هذه الاتهامات[٢].

المهمّ، أن ابن الراوندي ترك الاعتزال، وكتب ردّاً عليهم في كتاب مستقل أسماه «فضيحة المعتزلة»[٣] وهو تحليل نقدي لمذهب المعتزلة أو جواب من

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ج١٣/ ١١٧.

(٢) العلامة الحلي: رجاله ص٢٦٩ رقم ٣١.

(٣) مقدمة الدكتور عبد الرحمن بدوي لمقال باول كروس عن كتاب الزمرد لابن الراوندي، =

وجهة نظر الشيعة على كتاب الجاحظ «فضيلة المعتزلة»[(١)]. وكتاب ابن الراوندي مفقود، ولو أننا نستطيع إعادة بنائه من خلال الكتاب الذي وضعه الخياط المعتزلي كرد عليه وأسماه «الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد»، والذي اكتشفه الأستاذ نيبرج وطبعه سنة ١٩٢٥. وهذا الرد يكاد يحوي النص الكامل لابن الراوندي.

وتذكر المصادر، أن ابن الراوندي بعد أن هاجم المعتزلة وفضح آراءهم، عاد وتحوّل بعد ذلك إلى مهاجمة الإسلام، وسائر الأديان السماوية الأخرى، فذكر ابن الجوزي في «المنتظم» أن والد ابن الراوندي كان يهودياً، وأسلم هو، فكان بعض اليهود يقول للمسلمين: ليفسدن عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه علينا التوراة، فعلّم أبو الحسن (أي الراوندي) اليهود وقال: قولوا عن موسى أنه قال لا نبي بعدي»[(٢)].

وبعد هجومه على الأديان، هرب من بغداد خوفاً من الاعتقال، ومات سنة ٢٤٥ أو ٢٥٠ أو ٢٩٨هـ[(٣)]، وهو ابن ستة وثلاثين سنة على ما يذكر ابن الجوزي[(٤)].

يذكر ابن الجوزي في «المنتظم» أسماء عدة مؤلفات لابن الراوندي، ويظهر أنه قد طالعها ورأى ما فيها، يقول ابن الجوزي: «وقد كنت أسمع عنه بالعظائم حتى رأيت ما لم يخطر مثله على قلب أن يقوله عاقل، ووقعت على

=

راجع الدكتور عبد الأمير الأعسم: ابن الراوندي في المراجع العربية الحديثة، دار الآفاق الجديدة، لبنان، ط سنة١٩٧٨، المجلد الأول، الملحق ص٢٦٢.

(١) م .ن.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣/ ١٠٨.

(٣) راجع ترجمته في: مروج الذهب ٧/ ٢٣٧، رسالة الغفران للمعري ٤١٠، ٤١٢. ٤٢٢، الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي ٢/ ٧٨، وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ٣٣، ٣٤. لسان الميزان لابن حجر ١/ ٣٢٣، ٣٣٤. طبقات المعتزلة لابن المرتضى ٩٢. النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٣/ ١٧٥ ـ ١١٧. الأعلام للزركلي ١/ ٢٥٢، ٢٥٣. تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، المجلد الأول، الجزء الرابع.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ١٣/ ١١٧.

كتبه فمنها: كتاب نعت الحكمة، وكتاب قضيب الذهب، وكتاب الزمرد، وكتاب التابع، وكتاب الدامغ، وكتاب الفريد، وكتاب إمامة المفضول»[١].

وأما بعد، يوجد في هذه الملاحق نتفٌ من كتاب «نقض الدامغ» **للجبائي**، وردت في مصدرين: الأول: عند ابن الجوزي في كتابه «المنتظم»، وقد نشرت سابقاً، وأما المصدر الآخر فهو للقاضي عبد الجبار في كتابه «المغني في أبواب التوحيد والعدل».

والله تعالى العالم والموفق.

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ١٣/١٠٨.

ملحق - ١ -

"نقض الدامغ"

لأبي علي الجبّائي

" نتفٌ وردت عند القاضي عبد الجبار (ت٤١٥ هـ) في كتابه «المغني في أبواب التوحيد والعدل»"

١- وقد بين شيخنا "أبو علي"، في نقض الدامغ[١]: أنه إنما كان يصح ادعاء ذلك[٢]، لو كان في كتاب الله تعالى إثبات ونفي في عين واحدة، فأما إذا لم يوجد ذلك، وإنما يدعى في عموم وخصوص، فما الذي يمنع من أن ينصرف أحدهما إلى غير ما ينصرف الآخر إليه، لو كان فيه تناقض على ما أدعوه[٣].

٢- وقد تقصى شيخنا "أبو علي" القول في ذلك[٤]، في نقض كتاب "الدامغ"، وشفى الصدر رحمه الله بما أورده، وقد نبهنا على الأصل في ذلك، ولولا أن الكلام فيه يطول لذكرنا بعضه، والذي قدمناه في شبه المخالفين في المخلوق،

(١) عرضت كلام ابن الراوندي أيضًا حتى يُفهم ردّ الجبّائي.

(٢) الادعاء هو: ومتى قال القائل، في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ إنه يتناقض، لأن دخول الكاف على مثل يقتضي إثبات المثل، والمنفي ضد ذلك، لأنه لا يجوز أن لا يكون كمثله مثل، وهو مثل لمثله، لو كان مثل، بينا له أن دخول الكاف في مذهب العرب يقتضي توكيد نفي المثل، وأنه أبلغ من قوله: ليس مثله شيء، فلا يصح مع ذلك أن يدعى فيه المناقضة، لأن الواحد منا إذا أراد يؤكد المثل في الإثبات والنفي أدخل فيه الكاف، فيقول: ليس كمثل زيد جواد ولا شجاع، فيكون أبلغ من حذف ذكر الكاف، وهذا يبين أنهم طعنوا في القرآن، بذكر ما ادعوا أنه مناقض، والوجه الذي لأجله ادعوا تناقضه هو الذي يعظم شأن القرآن، ويبين رتبة فصاحته.

(٣) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج١٦، ص٣٨٩.

(٤) آي في تناقض كتاب الله.

والاستطاعة، يبين فساد هذا القول، لأنهم إنما يتعلقون بمثل هذه الشبه، عند ادعائهم التناقض، ونحن نورد اليسير مما أورده "ابن الراوندي" في كتاب "الدامغ"، وادعى به المناقضة، ليعرف به سخفه، فيما أدعاه، وتمرده، وتجرؤه، فالقليل من الأمور يدل على الكثير، ونحيل في الباقي، على ما نقض به شيخنا "**أبو علي**" رضي الله عنه كلامه[1] :

٣- ادعى (أي ابن الراوندي) أن قوله تعالى ﴿ **فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ** ﴾ مناقض لقوله سبحانه ﴿ **وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ** ﴾ ، وقوله ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات، فقال شيخنا: إن قوله ﴿ **فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ** ﴾ أراد به الحجيج والقرآن، دون العلم بصحة ما جهلوه، لأنه تعالى أطلق العلم، ولم يقيده وأراد بقوله ﴿ **وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ** ﴾ تشبيههم، لإعراضهم عن النظر فيما أتاهم من الحجج، بمن هذا حاله، وكذلك، فإنما ذكر الطبع، لأنهم إذا أعرضوا وجهلوا وكفروا، حصل في قلوبهم لكفرهم ما يسمى طبعاً وختماً، فلا تناقض في الكلام، وقد تسمى الحجة علما، إذا كانت طريقاً للمعرفة، وربما سمى الكتاب علماً، كما نقول:هذا علم "أبي حنيفة" وعلم "الشافعي"، ولما أمكن به التوصل إلى معرفة علمهما، والحجيج في ذلك إلى أولى، على أنه إذا لم يذكر العلم بماذا، فمن أين المراد به العلم بصحة ما كلفوا، دون أن يكون العلم المقتضى لكمال العقل، والمصحح للاستدلال والنظر؟. وقد بينا في معنى الطبع ولكن، فيما تقدم ما يغني، وإنما الغرض أن نبين تعسف من ادعى في ذلك التناقض[2] .

٤- ومنها، قوله: إن قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ**

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج١٦، ص٣٩٠.

(٢) م. ن، ج١٦، ص٣٩٠ و ٣٩١.

بَعْدِهِۦ ﴾ ينقض قوله سبحانه ﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ ، وادعى أن إحدى الآيتين تقتضي أن لا ولي للكفار، والثانية، تقتضي أن لهم ولياً، وأولياؤهم الشيطان، لأن المراد به الجنس، لا العين، فبين شيخنا رحمه الله أبو علي بعده في هذا الباب، لأن قوله ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ المراد به في الآخرة عند إضلال الله لهم بالعقوبة، وأراد تعالى بقوله ﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ في دار الدنيا، وتقييده بذكر اليوم يدل على ذلك، ثم بين أنه لو كان المراد في وقت واحد لم يتناقض، لأن المراد فما لهم من ولي، ينفع وينصح، وكون الشيطان ولياً لا يقتضي أن ينصر، وينفع، ويخلص من الإضلال، فكيف تكون مناقضة[1]!.

٥- ومنها، ما ادعى من أن قوله جل وعز ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ ينقض قوله سبحانه ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ وقوله ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ، وزعم أن من يستحوذ عليه، وعلى قلبه، ويصده لا يجوز أن يكون ضعيف الكيد، وأن التناقض في ذلك ظاهر، وقال شيخنا، رحمه الله: إن المراد بأن كيد الشيطان ضعيف، أنه لا يقدر على أن يضر بالكافر وإنما يوسوس ويدعو فقط، فإن اتبعه لحقته المضرة، وإلا فحاله على ما كان، فهو بمنزلة فقير يوسوس إلى الغني، في دفع ماله إليه، وهو يقدر على الامتناع، فإن وافقه فليس ذلك لقوة كيد الفقير، لكن لضعف رأيه، وأتباعه.

وهذه طريقة الكفار مع الشيطان، وإنما استحوذ عليهم لما اتبعوه على طريق المجاز، وقال "فصدهم" لما اتبعوه، على طريق المجاز، كما يقال في الملك العظيم: قد استحوذ واستولى عليه خادمه، وقد صده عن العدل والإحسان، وذلك لا يمنع من أنه ضعيف في نفسه وفي كيده، فكذلك القول فيما ذكرناه،

---

(١) م. ن، ج١٦، ص٣٩١.

وإنما نبّه الله تعالى بذلك على ضعف الكفار، لما تمكن الشيطان منهم، مع أن حاله ما وصفنا، وتركهم الحزم، وعدولهم عن الصواب، وإلا فالشيطان لا يمكن منه إلاّ الوسوسة، التي لولاها لكان الكافر سيكفر أيضاً، لأنه لا يجوز أن يكفر عند دعائه، على وجه، لولاه كان لا يكفر، فلا يكون لوسوسته تأثير.

وهذا الموضوع هو الذي خالفه شيخنا أبو هاشم فيه، فجوز أن يجري دعاء الشيطان مجرى زيادة الشهوة، في انه لا يجب أن يمنع تعالى منه، إذا علم أن عنده يكفر، ولولاه لآمن، لأنه جار مجرى التمكن، خارج عن طريقة المفسدة، وقد بينا من قبل القول في ذلك[1].

٦- ومنها- ما ادعاه المتجبر، من المناقضة بين قوله تعالى ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ وبين قوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ وزعم أنه إذا لم يعلم الجواب عن هذا القدر لم يصح ما تقدم ذكره، فبين، رحمه الله، جهله، لأنه تعالى بين: أن ما يقدر عليه من الكلمات والأدلة لا نهاية له، ولم يرد بذلك ما وجد من الكلمات والحجج، وقوله تعالى ﴿ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى ﴾ يدل على ذلك، لأن الكلمات الموجودة لا نفاد لها، فالمراد به فيما تتناوله القدرة، فكيف ينقض ذلك أن لا يبين له أحوال الروح مما سألوا عنه! لأنه علم: أن الصلاح أن لا يبينه، لأنه يجب في بيان كل شيء أن يكون صلاحاً، ولا يجب في كل ما يقدر تعالى على بيانه أن يبينه.. وهذا خزى ممن أورده، وربما كان ظهور مثل ذلك على ألسنة أعداء الدين لطفاً في فضيحتهم وخزيهم، ولم يذكر اختلاف الناس في تأويل الروح: هل هو الروح في الحقيقة؟ أو جبريل؟ أو غير ذلك؟ وقد بيناه من قبل، وكان الغرض إبطال ما أدعاه[2].

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج١٦، ص٣٩١ و ٣٩٢.

(٢) م. ن، ج١٦، ص ٣٩٢ و ٣٩٣.

٧- ومنها، ما ادعاه من تناقض قوله سبحانه ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ وقوله ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ ، وذلك يبلغ ثمانية أيام، فبين شيخنا، رحمه الله قلة معرفته، لأنه تعالى أراد بقوله ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ مع اليومين المتقدمين، ولم يرد بذكره الأربعة ما تقدم ذكره... قال أبو علي، وهذا كما يقول الفصيح: صرت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وصرت إلى الكوفة في ثلاثة عشر يوماً، ولا يريد سوى العشرة، بل يريد مع العشرة، ثم قال تعالى ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ وأراد سوى الأربعة، هذا إذا حصل لم يكن مخالفاً لقوله ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ، لأنه قد دخل في ذلك خلق الأرض والسموات، وخلق أقواتهما، بما خلقه من الجبال والمياه، وغيره مما يخرج منه أقوات العباد[1].

٨- منها- ما ادعاه من تناقض بين قوله سبحانه ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ ﴾ ﴿ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ وبين قوله: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج١٦، ص ٣٩٣. وايضاً وردت عند ابن الجوزي: المنتظم ج١٣/ ١١٣.

سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾ ، وزعم أن الآية الأولى تقتضي أنه خلق الأرض قبل السموات، والثانية توجب أنه خلق السموات قبل الأرض، فبين شيخنا جهله وتجبره، بل قال: إنما أخبر أن الأرض بعد ذلك دحاها، وقد كان خلقها من قبل، وإنما أراد بدحوها أنه بسطها، فقد كان تعالى خلقها، لا مبسوطة، قبل خلق السماء ثم بسطها، بعد خلق السماء، وأزالها إلى الموضع الذي هي فيه[1].

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج١٦، ص ٣٩٤.

ملحق - ٢ -

"نقض الدامغ"

لأبي علي الجبّائي

" نتف وردت عند ابن الجوزي (ت٧٠٧ هـ) في تاريخه «المنتظم»"

قال **أبو علي الجبائي**: كان السلطان قد طلب أبا عيسى الوراق، وابن الريوندي، فأما الوراق فأخذ، وحبس ومات في السجن، وأما ابن الريوندي فإنه هرب إلى ابن لاوي اليهودي، ووضع له كتاب "الدامغ" في الطعن على محمد ﷺ وعلى القرآن، ثم لم يلبث إلاّ أياماً يسيرة حتى مرض ومات.

١- قال المصنف: وقد ذكر في كتاب "الدامغ" من الكفر أشياء تقشعر منها الجلود، غير أني آثرت أن أذكر منها طرفاً ليعرف مكان هذا الملحد من الكفر، ويستعاذ بالله سبحانه من الخذلان! فمن ذلك أنه قال عن الخالق تعالى عن ذلك: من ليس عنده من الدواء إلاّ القتل فعل العدو الحنق الغضوب، فما حاجته إلى كتاب ورسول؟ وهذا قول جاهل بالله سبحانه لأنه لا يوصف بالحنق ولا بالحاجة وما عاقب حتى أنذر.

وقال لعنه الله ووجدناه يزعم أنه يعلم الغيب، فيقول: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ [١] ثم يقول ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ [٢].

٢- وقال في قوله: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [٣]، أي أضعف له،

---

(١) سورة: الأنعام، الآية: ٥٩.

(٢) سورة: البقرة، الآية: ١٤٣. ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص١١٢.

(٣) سورة: النساء، الآية: ٧٦.

وقد أخرج آدم وأزل خلقاً![1].

٣- وقال: من لم يقم بحساب ستة تكلم بها في الجملة فلما صار إلى التفاريق وجدناه قد غلط فيها [بائنين] وهو قوله: ﴿ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾[2]، ثم قال: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾[3]، ثم قال: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾[4]، فعدها هذا المغفل ثمانية ولو نظر في أقوال العلماء لعلم أن المعنى في تتمة أربعة أيام[5].

٤- وقال: في قوله: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾[6] وقد جاع وعري[7]!

٥- قال في قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ ، ثم قال: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ ، فأعظم الخطوب ذكره الرحمة مضموماً إلى إهلاكهم[8].

٦- قال: [ونراه] يفتخر بالمكر والخداع![9].

٧- قال الملعون: ومن الكذب قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص ١١٣. وأيضاً القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل ج١٦/ ٣٩١.

(٢) سورة: فصلت، الآية:٩.

(٣) سورة: فصلت، الآية: ١٠.

(٤) سورة: فصلت، الآية: ١٢.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص١١٣. وأيضاً وردت عند القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل ج١٦/ ٣٦٣.

(٦) سورة: طه، الآية: ١١٨.

(٧) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص١١٣.

(٨) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص١١٣ و ١١٤.

(٩) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص١١٤.

﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ ﴾[١] وهذا كان قبل تصوير آدم![٢].

٨- [وقال:] من فاحش ظلمه قوله: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ فعذب جلوداً لم تعصه![٣].

٩- قال: وقوله: ﴿ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ وإنما يكره السؤال رديء السلعة لئلا تقع عليه عين التاجر فيفتضح[٤].

١٠- قال وصف الجنة، قال: ﴿ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ﴾[٥] وهو الحليب، ولا يكاد يشتهيه إلاّ الجياع، وذكر العسل ولا يطلب صرفاً والزنجبيل وليس من لذيذ الأشربة، والسندس يفرش ولا يلبس، كذلك الاستبراق كما الغليظ، قال: ومن تخايل أنه في الجنة يلبس هذا الغليظ ويشرب الحليب والزنجبيل صار كعروس الأكراد والنبط[٦].

١١- وقال: إنما أهلك ثموداً لأجل ناقة، وما قدر ناقة؟[٧]

١٢- قال: وقال: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾، ثم قال: ﴿ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[٨].

١٣- قال: ووجدناه يفتخر بالفتنة التي ألقاها بينهم كقوله:

---

(١) سورة: الأعراف، الآية:١١.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص١١٤.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص١١٤.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص١١٤ و ١١٥.

(٥) سورة: محمد، الآية:١٥.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص١١٥.

(٧) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص١١٦.

(٨) سورة: غافر، الآية: ٢٨. راجع ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص١١٦.

﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾[١] ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[٢]، ثم أوجب للذين فتنوا المؤمنين عذاب الأبد![٣]

١٤- وقال: وقوله: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٤] خبر محال، لأنه ليس كل الناس مسلمين، وكذلك قوله: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[٦].

١٥- [وقد] ذكر الملعون أشياء من هذا الجنس مزجها بسوء الأدب، والانبساط القبيح، والذكر للخالق سبحانه وتعالى بما لا يصلح أن يذكر به أحد العوام، وما سمعنا أن أحداً عاب الخالق وانبسط كانبساط هذا اللعين قبله ويلومه لو جحد الخالق كان أصلح له من أن يثبت وجوده، [ثم يخاصمه] ويعيبه وليس له في شيء مما قاله شبهة، فضلاً عن حجة فتذكر ويجاب عنها[٧].

(١) سورة: الأنعام، الآية: ٥٣.
(٢) سورة: العنكبوت، الآية: ٣.
(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص١١٦.
(٤) سورة: آل عمران، الآية: ٨٣.
(٥) سورة: الإسراء، الآية: ٤٤.
(٦) سورة: النحل، الآية: ٤٩. ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص١١٦.
(٧) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص١١٦.

المصادر والمراجع

أ ـ مصادر تفسير الجبائي:

١ ـ القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، طبعة القاهرة، إشراف د. طه حسين، سنة ١٩٦٠.

٢ ـ الأشعري، مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، اسم الدار غير مقروء، ط٢، سنة ١٩٨٥.

٣ ـ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث، لبنان، لاط، لاس.

٤ ـ الطبرسي، مجمع البيان، انتشارات ناصر خسرو، إيران، ط١، سنة ١٤٢١هـ.

٥ ـ ابن طاووس، سعد السعود للنفوس، تحقيق مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، سنة ١٤٢٢هـ.

٦ ـ الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢، سنة ٢٠٠٤م.

٧ ـ الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء والأئمة، تحقيق فارس حسون كريم، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، قم، ط١، سنة ١٤٢٢هـ.

٨ ـ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، ط١، سنة ١٩٥٥.

ب ـ مصادر الدراسة التحليلية:

٩ ـ ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، تحقيق سوسنة ديفلد ـ فلزر، منشورات مكتبة الحياة، لبنان، لاط، لاس.

١٠ ـ ابن النديم، الفهرست، دار المسيرة، لبنان، ط٣، سنة ١٩٨٨.

١١ ـ الأشعري، مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، سنة ١٩٨٥.

١٢ ـ ابن عساكر، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، دار الفكر المعاصر، بيروت. ودار الفكر، دمشق، ط٢، سنة ١٣٩٩هـ.
١٣ ـ ابن الأثير، البداية والنهاية.
١٤ ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان.
١٥ ـ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، دار الفكر، لبنان، ط١، سنة ١٩٨٨.
١٦ ـ ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق د. عدنان زرزور، القاهرة.
١٧ ـ الأمين، إحسان، التفسير بالمأثور وتطويره عند الشيعة الإمامية، دار الهادي، لبنان، ط١، سنة ٢٠٠٠.
١٨ ـ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن.
١٩ ـ بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، ط١، سنة ١٩٩٦.
٢٠ ـ الحلي، الناسخ والمنسوخ، تقديم المحقق الفضلي.
٢١ ـ الخوئي، البيان في تفسير القرآن، أنوار الهدى، قم، ط٨، سنة ١٩٨١.
٢٢ ـ الذهبي، التفسير والمفسرون، دار اليوسف، لبنان، ط١، سنة ٢٠٠٠.
٢٣ ـ الزمخشري، الكشاف في تفسير القرآن.
٢٤ ـ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط٢، سنة ١٩٧٢.
٢٥ ـ زرزور، د. عدنان، الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن، مؤسسة الرسالة، لبنان، لاط، لاس.
٢٦ ـ الزركلي، الأعلام.
٢٧ ـ السبحاني، الشيخ جعفر (معاصر)، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، مؤسسة الإمام الصادق، قم، ط٢، سنة ١٤٢٢هـ.
٢٨ ـ السيوطي، الاتقان، مطبعة مصطفى الحلبي، لاط، سنة١٩٥٣.

٢٩ ـ الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، شرح عبد الله دراز، مصر، لاط، سنة ١٣٨٨هـ.

٣٠ ـ طاش كبري زاده، مفتاح السعادة.

٣١ ـ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، لبنان، ط١، سنة ١٩٩٧.

٣٢ - صبحي، د. أحمد ، في علم الكلام، دار النهضة العربية، لبنان، ط ٥، سنة ١٩٨٥.

٣٣ - مشكور، د. محمد (معاصر)، موسوعة الفرق الإسلامية، تعريب علي هاشم، مجمع البحوث الاسلامية للدراسات والنشر، إيران، ط ١، سنة ١٩٩٥.

٣٤ ـ نويهض، عادل، معجم المفسرين، قدّم له المفتي حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، ط٣، سنة ١٩٨٨.

٣٥ ـ الواحدي، أبو الحسن، أسباب النزول، طبعة القاهرة، ط١، لاس.

الفهارس العامة



فهرس الأعلام (1)

(١) لم نُدرج اسم أبي علي الجُبّائي في هذا الفهرس لأنه مذكور في أكثر صفحات هذا الكتاب.

باب الفاء

باب القاف

باب الكاف

فهرس القبائل والجماعات

فهرس الأحاديث النبوية

باب الألف

باب الكاف

باب اللام

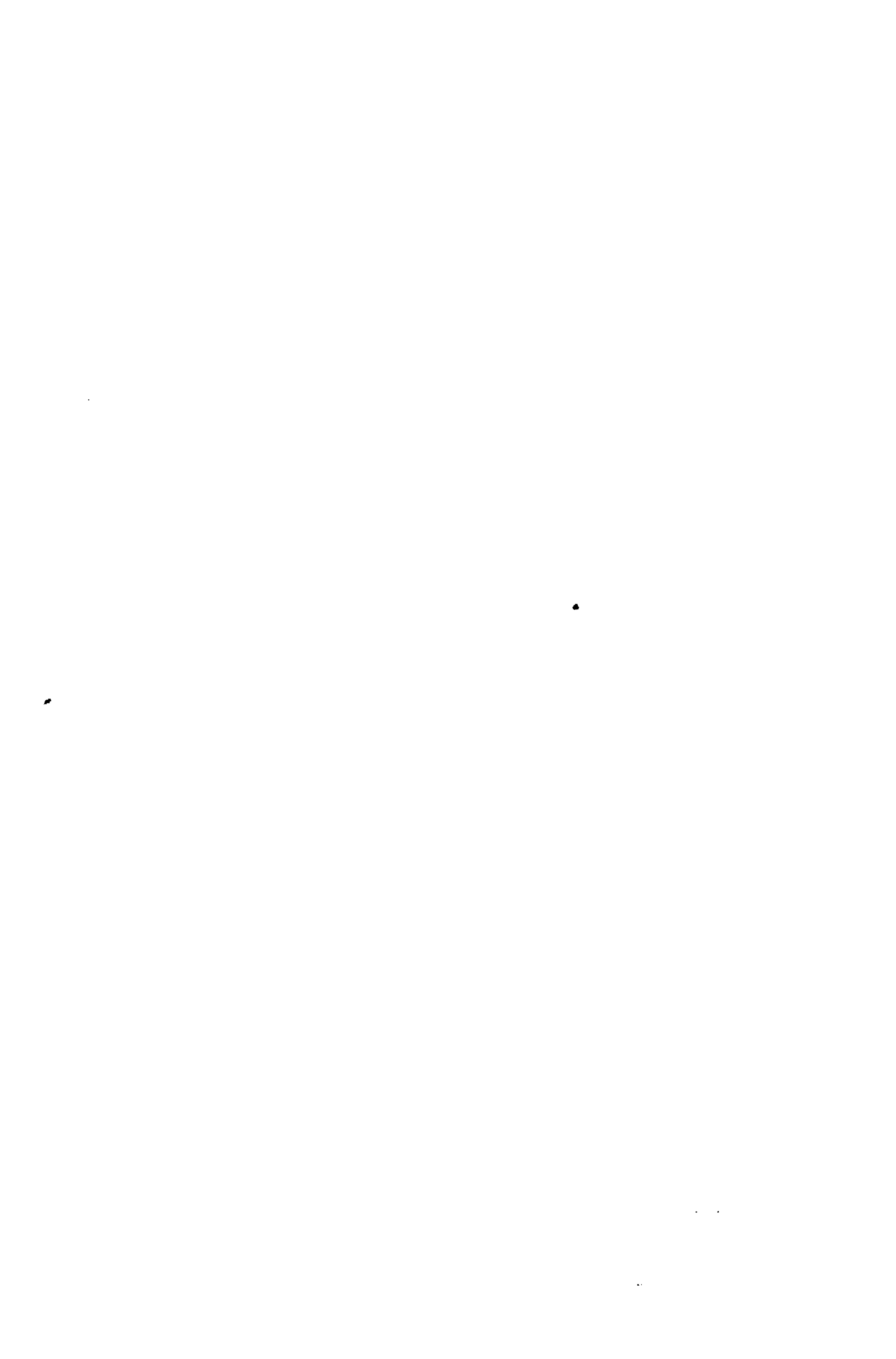
باب النون

باب الواو

فهرس القوافي

فهرس أجزاء وأنصاف الأبيات

فهرس السور القرآنية



فهرس المحتويات

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

سورة محمد

سورة الفتح